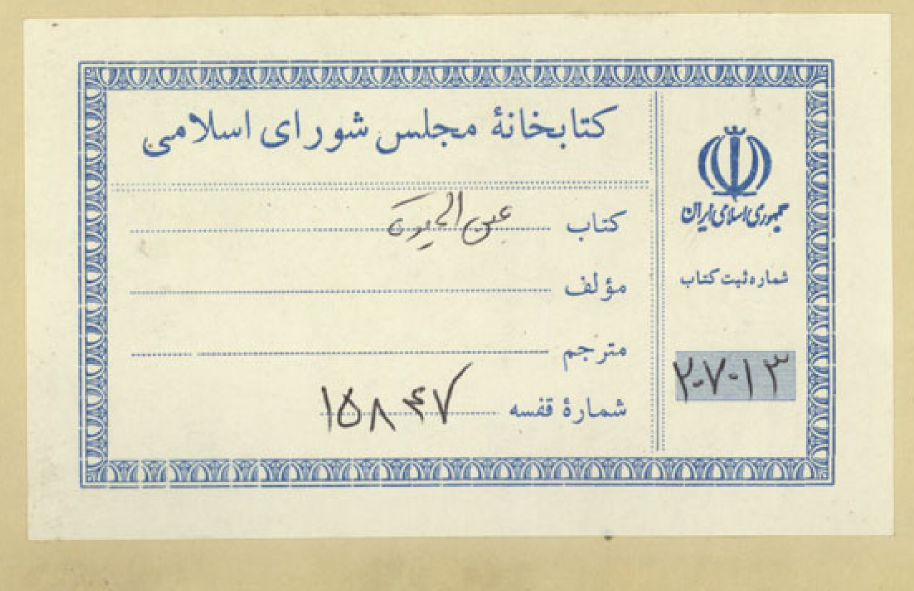
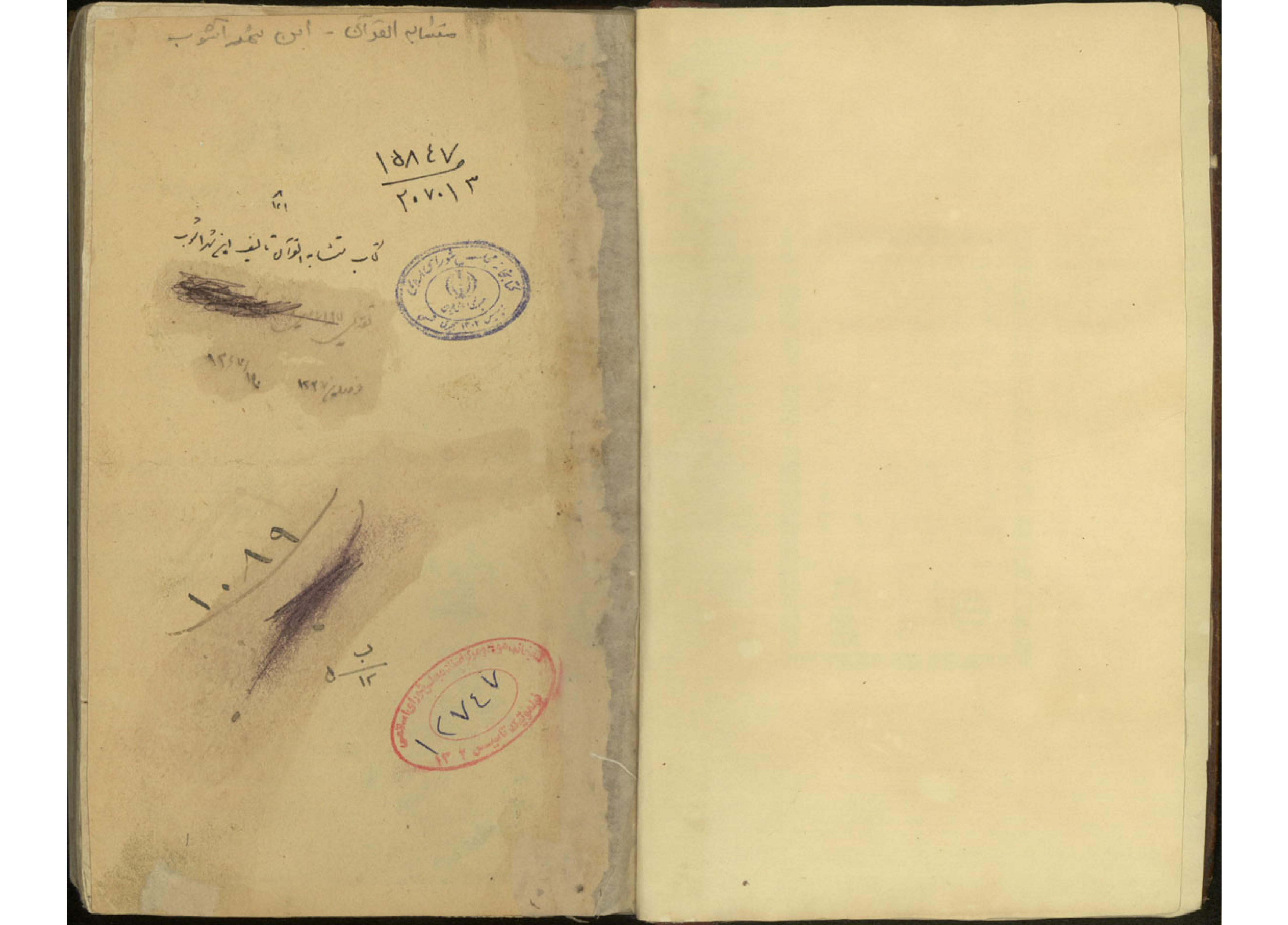




متشابه القرآن - ابن شهرآشوب
۱۵۸۴۷/۲۰۷۰۱۳
کتاب متشابه القرآن تألیف ابن شهرآشوب
۱۰۸۹

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلوة على محمد وآله الطاهرين قال الشيخ
الاجل شمس الاسلام محمد بن علي بن شهراشوب المازندراني
رضي الله عنه سألتم وفقكم الله للخيرات املاء كتاب في بيان
المشكلات من الآيات المتشابهات وما اختلف العلماء فيه من
حكم الآيات ولعمري أن لهذا التحقيق بحرا عميقا ولا يكاد يوجد الا
الفاظا في كتب كبار المتكلمين او نكتا في بعض تفاسير المحققين
العدليين وقل ما يحضر ذلك للطالبين فاجبتكم الى ذلك مع تقسم
الفكر وضيق الصدر وشغل القلب وعنا السفر وفقدان الكتب
فمنها ما ابتدأناه ومنها ما سبقنا اليه فحررناه ومنها ما وجدناه مختلا
فحققناه والمتشابه ما لا يعلم المراد بظاهره حتى يقترن به ما يدل
على المراد منه لالتباسه وقال ابن عباس المحكم الناسخ والمتشابه
المنسوخ وقال مجاهد المحكم ما لم يشتبه معناه والمتشابه ما اشتبهت
معانيه وقال الجبائي المحكم ما لا يحتمل الا وجها واحدا والمتشابه ما
يحتمل وجهين فصاعدا وقال جابر المحكم ما يعلم تعيين تأويله و
المتشابه ما لا يعلم تعيين تأويله وقيل ما لا ينتظم لفظه معناه الا بزيادة

سورة البقرة وهي مائتان وست وثمانون آية كلها مدنية الا آية واحدة
هي قوله عز من قائل واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما
كسبت وهم لا يظلمون فانها نزلت بمنى في حجة الوداع كما في مجمع البيان
وهو مبني على ان المدني ما نزل بالمدينة والمكي ما نزل بمكة [illegible]
وذهب جماعة الى ان المكي ما نزل قبل الهجرة والمدني ما نزل بعدها ولعله
فلا واسطة ولا استثناء بسم الله الرحمن الرحيم الم
قد تخالفت الآراء وتشعبت الاقوال في الاحرف المقطعة المفتتح بها بعض
السور الكريمة فذهب طائفة الى انها من الاسرار المستورة التي استأثرها
الله سبحانه بعلمها وهو المروي عن ائمتنا عليهم السلام وقيل اقسم الله سبحانه بحروف
التهجي لشرفها فانها عنصر الكلام ومادة اللغات واساس كتبه المنزلة و
مبادي اسمائه الكريمة وذكر الاحرف الثلثة هنا اشارة الى ان لكل حرف
ذكرا هو من اول المخارج واوسطها واخرها وقيل هي اسماء السور فان التسمية
بحروف المعجم شايع بين العرب كما يسمون الخارص صادا والسحابة غينا والجبل
قافا والحوت نونا وقيل اسماء للكتاب ولذلك اخبر عنها بالكتاب هنا
وفي قوله عز من قائل المص كتاب انزل اليك الر كتاب احكمت اياته وقيل هي اسماء الله
وقد يؤيد بما روي عن امير المؤمنين عليه السلام انه كان يقول يا كهيعص يا حمعسق
وقيل هي اشارة الى كلمات اقتصر منها ويؤيده ما روي عن ابن عباس رضي الله
عنهما ان الالف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه وعنه ايضا ان الم معناه
انا الله اعلم وعنه ايضا ان الالف من الله واللام من جبرئيل والميم من محمد صلى الله عليه وآله
اي القرآن منزل من الله بلسان جبرئيل على محمد ص وقيل هي اشارة الى مدد
اقوام واجال بحساب الجمل ويؤيده ما روي من قول اليهود بعد حساب الم
كيف ندخل في دين مدته احدى وسبعون سنة فتبسم رسول الله صلعم

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا والصلوة على سيد انبيائه واكرم اوليائه الذين جعلهم للائمة وحججا هنا يا اخوان الدين وخلاني اليقين مما التمستم من اقل الخلق بضاعة واكثرهم اضاعة من تاليف تفسير صغير الحجم وجيز النظم قليل المؤنة كثير المعونة يتضمن من اقوال المفسرين اظهرها ومن القراآت العشر اشهرها ومن الوجوه الاعراب ارجحها ومن اللطايف البيانية اوضحها ومن النكات الشريفة ابهاها ومن الاشارات اللطيفة اسناها طاويا عن مسالك الاطناب كشحا ضاربا عن زناة شهاب الاسهاب صفحا فان ذلك موكول الى تفسيرنا المسمى بعروة الوثقى والله اسئل ان يعصمنا واياكم من زلل وان يوفقنا ببركات تفسير كلامه الى العمل بما هو خير وابقى وقد سميته عين الحيوة راجيا ان يكون وسيلة الى النجاة وذريعة الى علو الدرجات وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب سورة فاتحة الكتاب ومن اشهر اسمائها السبع المثاني لانها سبع آيات باتفاق الامة الا ان من جعل البسملة اولها جعل من صراط الذين انعمت عليهم الى اخرها اخرها ومن جعل الحمد لله اولها جعل من غير المغضوب الى منتهاها منتهاها واصحابنا الامامية رضي الله عنهم مجمعون على الاول واما بالمثاني فلتثنية نزولها لما حولت القبلة ولتضمن كل من السبع الثناء عليه سبحانه ولتثنيتها في الصلوة وهي مراد صاحب الكشاف بالركعة وقول الطبرسي قدس الله سره لانها تثنى في كل صلوة فرض ونفل مبني على ان الوتر مجموع الثلاث كما وردت به الروايات عن اصحاب العصمة سلام الله عليهم وقد اوضحنا ذلك في الحبل المتين واما صلوة الميت فهي صلوة مجازية اذ لا صلوة الا بطهور ولا صلوة الا بفاتحة الكتاب واما ركعة

الاحتياط فهي لاكمال ما يحتمل النقص في الفريضة وليست صلوة مستقلة فلا اعتراض عليه بكل من الثلث منه فهو بسم الله الرحمن الرحيم هي عند اصحابنا اية في كل سورة سوى براءة وعن الامام علي بن موسى الرضا انها اقرب الى الاسم الاعظم من سواد العين الى بياضها والباء للاستعانة او المصاحبة ولكل وجه وهي متعلقة بمقدر خاص او عام فعل او اسم مؤخر او مقدم واولى الثمانية اولها والجلالة علم شخصي لا اسم لمفهوم الواجب والا لخلت كلمة التوحيد عن افادته وعورض بخلو الاخبار بالاحدية في سورة التوحيد عن الفائدة ورد بانها بمعنى التنزه عن القسمة بنحويها او ورد عدم ملائمة التتمة ودفع بانها باعتبار نفي الكفو والرحمن رقة وانعطاف يقتضي التفضل وتضاف اليه سبحانه باعتبار غاياتها والرحمن اسم مختص بعم المومن والكافر والرحيم عام يختص بالمومن وهو معنى قول الامام جعفر الصادق عليه السلم الرحمن اسم خاص لصفة عامة والرحيم اسم عام لصفة خاصة ويطابقه ما ورد في الدعاء يا رحمن الدنيا ورحيم الاخرة وظن البيضاوى منافاة الوصف بالرحمن لمذهب المعتزلة لتوهم وكنا ظننا منافاته لمذهب الحكماء كما اوضحناه في العروة الوثقى الحمد اي جنسه او كل افراده او اكملها ثابت لله ثبوتا قصريا كما يقتضيه اللام او المقام وحمله على الجنس لا ينافي ما عليه اصحابنا من انا فاعلون اذ الافعال لتمكين من لديه فكل حمد يعود اليه والحمل على الاضافي افرادا او قلبيا او تعيينا بعيد رب العالمين اي مربيهم ومالكهم وهو بمعنى الاستمرار لا التجدد فلذلك وصف به المعرفة وجعل دليلا لا يتمها على احتياج الباقي الى المؤثر نظرا الى ان استمرار التربية في الافلاك والعناصر والجبال مثلا ليس الا ابقاءها فهي محتاجة الى الابقاء كغيرها من الممكنات والقول باحتياجها الى المبقي دون المبدى لا يقبلها الطبع السليم وجمع العالمين بالياء والنون تغليبا لذوي العقول الرحمن الرحيم في تكريرهما اشعار في مفتتح الكتاب بشدة اعتنائه جل شانه بالرحمة

ايماء الى ان مالك يوم الجزاء رحمن رحيم فلا تيأسوا ايها المذنبون من
صفحه عن ذنوبكم في ذلك اليوم الهائل مالك يوم الدين قراءة عاصم
والكسائي والباقون ملك وقد يؤيد الاولى بموافقة قوله تعالى لا تملك
نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله والثانية بالمبالغة التعظيم وانسبية
الاضافة الى اليوم كملك العصر واوفقيتها لقوله تعالى لمن الملك اليوم
لله الواحد القهار وانسبيتها لما في اخر الكتاب العزيز من قوله جل شانه
برب الناس ملك الناس فتوافق الفاتحة الخاتمة وغنيتها عن توجيه وصف المعرفة
بما ظاهره التنكير بارادة معنى الاستمرار او المضي تنزيلا المحقق الوقوع منزلة
الواقع بخلاف الحقها لانها من قبيل كريم البلد والدين الجزاء وفي ذكر هذه
الصفات بعد اسم الذات نكتة جليلة هي ان من يحمد الناس ويعظمونه
فانما يحمدونه ويعظمونه لاحد امور اربعة اما لكونه كاملا في ذاته وصفاته
واما لكونه محسنا اليهم ومنعما عليهم واما لانهم يرجون الفوز بجزيل احسانه
وجليل امتنانه واما لانهم يخافون من قهره وكمال قدرته وسطوته فكانه
جل شانه يقول ايها الناس ان كنتم تحمدون وتعظمون للكمال الذاتي والصفاتي
فاني انا الله وان كان للاحسان والتربية فانا رب العالمين وان كان
للرجاء والطمع فانا الرحمن الرحيم وان كان للخوف من كمال القدرة والسطوة
فانا مالك يوم الدين وهذا يتضمن تاييدا سادسا للقراءة الاكثر وقد يجعل
النكتة في اجراء تلك الاوصاف الاشعار بعليتها لاستحقاق الحمد
اذ تعليق الحكم على الوصف يشعر بالعلية ففيه ايماء الى ان من لم يتصف بها
لا يستحق ان يحمد فضلا عن ان يعبد اياك نعبد واياك نستعين
العبادة اقصى مراتب الخضوع والتذلل والمراد بالاستعانة طلب الاعانة
في كل الامور او في العبادات وتاخيرها عن العبادة ليتوافق الفواصل
في متلو الحرف الاخير ولكون العبادة مطلوبه تعالى منا والاعانة مطلوبنا
منه فمطلوبه احق بالتقديم ولانسبيتها بما ينبئ عن الجزاء وانسبية الاستعانة
بطلب الهداية ولان الاعانة ثمرة العبادة كما في حديث [illegible]

التخصيص

التخصيص بالعبادة اول ما يحصل للمسلم بخلاف التخصيص بالاستعانة ولان
العبادة وسيلة الى حصول الحاجة والوسيلة حرية بالتقديم وتقديم
معمولي العبادة والاستعانة تقديم لما هو مقدم في الوجود وللدلالة
على قصرهما عليه سبحانه قصرا حقيقيا او اضافيا افراديا وللاشارة
الى ان كلام العابد والمستعين ينبغي ان يكون مطمح نظره اولا وبالذات
هو الحق سبحانه وثانيا وبالعرض الى اعماله الحسنة لا من حيث صدورها
عنه بل من حيث كونها وصلة شريفة ونسبة لطيفة بينه وبين الحق تعالى
وتكرير الضمير للنص على التخصيص بالاستعانة ايضا والا لاحتمل تقدير
مفعولها مؤخرا فيفوت ولرفع توهم كون التخصيص بمجموع الامرين لا
بكل منهما وللتنبيه على انه ينبغي ان يذكر تعالى عند كل حاجة ذكرا على حدة
ولا يكتفي بذكر واحد في امور متعددة ولبسط الكلام مع المحبوب كما في
قول موسى على نبينا وعليه السلام هي عصاي اتوكأ عليها واتيا بصيغة الجمع
للاشارة الى ملاحظة القارئ دخول الحفظة وحضار صلوة الجماعة
بل جميع قواه الظاهرة والباطنة بل كل ما حوته دائرة الامكان واتسمت بسمة
الوجود كما قال جل شانه وان من شيء الا يسبح بحمده وللاشارة الى حقارة
نفسه عن عرض العبادة منفردا وطلب الاعانة مستقلا من دون الانضمام
الى جماعة تشاركونه في ذلك كما هو متعارف ارباب الحاجات في عرض الهدايا
على الملوك ورفع الحاجات اليهم ولان في خطابنا له سبحانه بان عبدنا
اللئام واستعانتنا في المهام بحضرته جل شانه مع خضوعنا الكامل
للملوك اللئام ومن يحذو حذوهم جراءة عظيمة وجسارة ظاهرة وبصيغة
الجمع يقصد تغليب غيره من الاصفياء المخلص على نفسه فيحترز بذلك
عن الكذب الظاهر والجراءة الشنيعة ولان من باع امتعة صفقة واحدة
فظهر بعضها معيبا فان المشتري لا يجوز له شرعا ان يقبل الصحيح ويرد المعيب
بل اما ان يقبل الجميع فاراد العابد ان يحتال لقبول عبادته وتوسل
لنجاح حاجته فادرج عبادته الناقصة المعيبة في عبادات غيره من الاولياء

او يرد الجميع

والمقربين وعرض الجميع صفقة واحدة على حضرة ذي الجود والافضال
عز سلطانه اجل من ان يقبل الصحيح ويرد المعيب كيف وقد نهى سبحا
عباده عن تبعيض الصفقة ولا يليق بكرمه رد الجميع فلم يبق الا قبول
الكل والالتفات من الغيبة الى الخطاب للتنبيه على ان القراءة ينبغي
ان يكون عن قلب حاضر وتوجه كامل بحيث كلما اجرى القارئ اسما من تلك الاسماء
العليا والنعوت العظمى على لسانه ونقشه على لوح جنانه حصل للقلب
مزيد انكشاف وانجلاء وللطالب زيادة قرب واعتلاء وهكذا شيئا
فشيئا الى ان يترقى الى درجة الحضور والعيان فيناجيه بصيغة الخطا
وايضا من بيده تحفة حقيرة معيبة واراد ان يهديها الى ملك عظيم و
يجعلها وسيلة الى نجاح حاجته فان عرضها عليه بالمواجهة وطلب حاجته
منه بالمشافهة كان ذلك اقرب الى الهدية ونجاح الحاجة من العرض من
دون مواجهة فان في رد الهدية بالمواجهة كسرا عظيما لخاطر مهديها
واما ردها في الغيبة فليس بهذه المثابة وايضا لا ريب ان حق الكلام ان
يجري من اول الامر على طريق الخطاب لانه تعالى حاضر لا يغيب بل هو اقرب من حبل
الوريد لكن انما جرى على طريق الغيبة والبعد عن مقام القرب والحضور رعاية
للادب فانه داب السالكين وشعار العاشقين كما قال بعض العارفين
طرق العشق كلها اداب فلما حصل القيام بهذه الوظيفة جرى الكلام
على ما كان حقه ان يجري عليه اولا وايضا فقد روي عن الامام جعفر بن
محمد الصادق عليه السلم انه قال لقد تجلى الله لعباده في كلامه ولكن لا يبصرون
ويروى انه عليه السلم كان يصلي في بعض الايام فخر مغشيا عليه في اثناء الصلوة
فسئل بعدها عن سبب غشيته فقال ما زلت اردد هذه الاية حتى سمعتها
من قائلها قال بعض العارفين ان لسان جعفر الصادق عليه السلم كان في ذلك
الوقت كشجرة الطور عند قوله اني انا الله والفقير يقول ان في هذا الالتفات
اشارة الى علو مرتبة القران المجيد وايماء الى ان العبد بتلاوة هذا القدر
منه بقلب حاضر يصير اهلا لمجلس الخطاب فكيف لو واظب عليه وتوجه

بسره وعلانيته اليه فانه لا جرم عند ذلك في ارتفاع الحجب من البين و
الوصول من الاثر الى العين بلغنا الله وسائر الاحباب ذلك بلطفه
وكرمه هذه الاية الكريمة وقد ذكرت في العروة الوثقى عشرة وجوه اخرى
والله ولي التوفيق اهدنا الصراط المستقيم الحق ان الهداية مطلق
الارشاد والدلالة على المطلوب بلطف سواء كان معها وصول اليه
او لا وسواء تعدت الى ثاني المفعولين بنفسها او بالحرف وهدايته جل شانه للعباد
على اربعة انواع مترتبة اولها الهداية الى جلب المنافع ودفع المضار
بافاضة المشاعر الظاهرة والمدارك الباطنة واليه يشير قوله تعالى
اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وثانيها نصب الدلائل العقلية الفارقة
بين الحق والباطل واليه يومي قوله سبحانه وهديناه النجدين وثالثها الهداية
بارسال الرسل وانزال الكتب واليه ينظر قوله عز شانه واما ثمود فهديناهم
فاستحبوا العمى على الهدى ورابعها الهداية الى حظائر القدس ومقامات
الانس بانطماس اثار التعلقات البدنية واندراس اكدار الجلابيب الهيولانية
بالاستغراق في ملاحظة اسرار الجلال ومطالعة انوار الجمال وهذا النوع من الهداية
يختص به الاولياء ومن يحذو حذوهم فاذا تلا هذه الاية اصحاب المرتبة
الثالثة ارادوا بالهداية المرتبة الرابعة واذا تلاها اصحاب المرتبة الرابعة
ارادوا الثبات على ما هم عليه كما روي عن امير المومنين عليه السلم انه فسر اهدنا
بثبتنا والصراط الجادة كانها تسترط السابلة او هم يسترطونها وقرا ابن
كثير بالسين ومن عدا حمزة بالصاد وهو باشمامها صوت الزاي وفسر الصراط
المستقيم بدين الاسلام وبمطلق طريق الحق وبالنبي ومن بعده من ائمة الدين
سلام الله عليهم اجمعين بارادة طريقتهم ومنهاجهم صراط الذين انعمت
عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قد مر ان هذه اية واحدة
عندنا فمن نذر قراءة اية من القران لا يبرء بقراءة صراط الذين انعمت عليهم
وحدها وقد يوجد في بعض مصاحفنا رسم علامة الاية بعدها
وهو خطاء والاية بجملتها كالتفسير للصراط المستقيم وصراط بدل منه

وفسر الذين انعمت عليهم تارة بالمذكورين في قوله جل شانه اولئك الذين انعم
الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين واخرى [illegible]
والغضب ثوران النفس لارادة الانتقام ويسند اليه سبحانه باعتبار الغاية
كالرحمة والضلال العدول عمداً عن الطريق السوي ولو خطأ وقد اشتهر
تفسير المغضوب عليهم باليهود والضالين بالنصارى وقد يفسر الاولون
بالعصاة في الفروع والآخرون بالمخالفين في الاعتقادات وغير بدل
من الموصول او صفة له مبينة او مقيدة وصح وصفه بها اما بجعلها
بالاضافة الذي لضد الواحد قريبة من المعرفة او بجعله مقصودا
بجماعة لا باعيانهم قريبا من النكرة ولفظة لا لتفيد تاكيد النفي السابق
مع التصريح بشموله كلا من المتعاطفين وفي عدوله جل شانه عن اسناد
الغضب الى نفسه مع التصريح باسناد عديله اليه عز سلطانه تشييد لمعالم
العفو والرحمة وتاسيس لمباني الجود والكرم حيث لم يقل غير الذين
غضبت عليهم كما قال صراط الذين انعمت عليهم فكان الصادر عنه سبحانه
هو الانعام والرحمة والغضب صادر عن غيره وعلى هذا النمط من التصريح في جانب الرحمة
وتركه في جانب الغضب جرى قوله عز من قائل لئن شكرتم لازيدنكم ولئن
كفرتم ان عذابي لشديد حيث لم يقل لاعذبنكم واذا استقصيت آيات
القرآن المجيد وجدت جانب الرحمة فيها راجحا على جانب العقاب كما في قوله تعالى
يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيما فان مقتضى
المقابلة ان يقول وكان الله غفورا معذبا فذكر عز وجل الرحمة في
موضع العذاب تغليبا لها عليه وكما في قوله سبحانه غافر الذنب وقابل
التوب شديد العقاب ذي الطول حيث صفة الانتقام وجعلها محفوفة
بنعوت العفو والاحسان معمورة في صفات الرحمة والغفران روي في
مجمع البيان عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال لجابر بن عبد الله الانصاري
يا جابر الا اعلمك فضل سورة انزلها الله في كتابه فقال له جابر بلى بابي انت وامي
يا رسول الله علمنيها فعلمه ام الكتاب ثم قال له يا جابر الا اخبرك عنها

وقدمه

قال بلى بابي انت وامي فاخبرني قال هي شفاء من كل داء الا السام وعن [illegible]
جعفر الصادق عليه السلام انه قال لو قرات الحمد على ميت سبعين مرة ثم ردت فيه
الروح ما كان عجبا سورة البقرة وهي مائتان وست وثمانون آية كلها مدنية الا آية
وهي قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم
لا يظلمون فانها نزلت بمنى في حجة الوداع كذا في مجمع البيان وهو مبني على
ان المدني ما نزل بالمدينة والمكي ما نزل بمكة قبل الهجرة او بعدها و
ذهب جماعة الى ان المكي ما نزل قبل الهجرة والمدني ما نزل بعدها ولو بمكة
بسم الله الرحمن الرحيم الم قد اختلف الآراء وتشعبت الاقوال في
هذه الحروف المقطعة الواقعة في مفتتح بعض السور الكريمة والمروي
عن ائمة اهل البيت سلام الله عليهم انها من الاسرار الخفية التي استاثر
الله سبحانه بعلمها وقيل ذكرت في اوائلها وحدانية وثلاثية ورباعية
وخماسية تنبيها للكفار على ان القرآن مؤلف من هذه الحروف والكلمات
التي يؤلفون منها كلامهم فلو لم يكن من عند الله لما عجزوا عن الاتيان
بمثله ولما عدلوا عن المقابلة بالحروف الى المقاتلة بالسيوف وقيل هي
اشارة الى كلمات اقتصر منها عليها فالالف آلاء الله واللام لطفه والميم
ملكه وعلى هذا النمط سائر الفواتح وقيل هي اشارة الى مدد اقوام وآجالهم
بحساب الجمل وقيل هي اسماء الله سبحانه وقيل اسماء السور المفتتحة بها و
قيل اسماء القرآن واعتمادنا على المروي عن ائمتنا عليهم السلام وتسمى هذه الكلمات
بالحروف النورانية ولها آثار وخواص يعرفها من يعرفها وقد جمعها البيان
في تفسير بعد حذف المكررات في قولنا صراط علي حق نمسكه ذلك الكتاب
الموعود انزاله في الكتب السالفة او في قوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا
والاشارة الى المؤلف من هذه الحروف وامثالها على ثاني الوجوه السابقة
والى الم على السادس والسابع واسم الاشارة خبر عن الم واليه منعوت
بالكتاب وعليها في الوجوه مبتدأ والكتاب خبر على معنى انه الكتاب الكامل
الاحق بان يسمى كتابا او نعته والخبر جملة لا ريب فيه وعلى الوجه

وثنائية

السابقة خبر ثان والمعنى لا ينبغي ان يشك العاقل بعد تدبره في انه وحي معجز
هُدًى لِلْمُتَّقِينَ خبر ثالث او ثان او عن مبتدأ خبره الظرف المقدم
محذوف او مبتدأ مع
بتقدير اخر قبله على ان الكلام جمل اربع تقرر اللاحقة السابقة وهنا
وجوه اخر تركها بالاختصار احرى وتخصيص هدايته بالمتقين لانهم
المنتفعون به وان كانت دلالته عامة كما قال سبحانه هدى للناس
وقرء ابن كثير فيه هدى بالياء والمتقي من وقى نفسه عما يضره في الاخرة
ومراتب التقوى ثلث ادناها التنزه عن الشرك واوسطها التجنب عن المآثم
واعلاها التنزه عن كل ما يشغل عن الحق الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ يصدقون
بِالْغَيْبِ بما غاب عنهم من الصانع جل شانه وصفاته واحوال القيمة
واهوالها والجنة والنار او غائبين عنكم لا كالمنافقين المظهرين
الايمان عندكم والكفر عند شياطينهم والموصول صفة المتقين
او مبتدأ خبره اولئك على هدى فالوقف على المتقين تام وَيُقِيمُونَ
الصَّلَاةَ يواظبون عليها ويحافظون على حدودها الظاهرة و
الباطنة وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ وهو الحلال اذ لا مدح بانفاق الحرام
يُنْفِقُونَ في سبيل الله فرضا او نفلا وروى محمد بن مسلم عن الامام
جعفر الصادق عليه السلام ان معناه ومما علمناهم يبثون اي يفيضون
على الطالبين وقيل المراد الزكوة لاقترانها بالصلوة غالبا والرزق
ما صح الانتفاع به ولم يمنع منه مانع والحرام ليس رزقا عندنا خلافا
للاشاعرة واستدلالهم بلزوم كون المغتذي طول عمره بالحرام غير مرزوق
واية الا على الله رزقها تدفعه منقوض بالمولود اذا مات ولم ياكل
حلالا ولا حراما وما هو جوابهم فهو جوابنا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا
أُنْزِلَ إِلَيْكَ من القران وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ من سائر الكتب السماوية
وَبِالْآخِرَةِ اي بدار الجزاء وثوابها وعقابها هُمْ يُوقِنُونَ اي يعلمون
علما ايقانيا اي مستدلا منفيا عنه الشك والمومنون اما
ان يراد بهم هنا من لم يكن ايمانهم مسبوقا بشرك وانكار كعبد الله بن

سلام

سلام وامثاله وفي الاية السابقة من كان ايمانهم مسبوقا بهما فالموصول
معطوف على مثله والصفتان مندرجتان في المتقين او على المتقين بان
يراد بهم المتقون عن الشرك ولما ان يراد بهم الاولون اما كلهم على معنى انهم
الجامعون بين الايمان بالمدركات العقلية والعبادات البدنية والمالية
وبين ما لا طريق اليه الا السمع او بعضهم وهم اضراب عبد الله بن سلام
خصهم سبحانه بالذكر تعظيما لشانهم وترغيبا لامثالهم اولئك الموصوفون
بهذه الصفات عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ يمكن حمله على تشبيه تمسكهم بالهدى
باستعلاء الراكب على مركبه والاستقرار فاستعير له الحرف الموضوع للاستعلاء
في التمسك به
فالكلام استعارة مصرحة تبعية حرفية ولك جعله من قبيل الاستعارة
بالكناية بان يكون الهدى مشبها بالمركوب ويكون لفظة على تخييلا ويجوز
تنزيله على الاستعارة التمثيلية تشبيها للهيئة المنتزعة من المتقي والهدى
وتمسكه به بالهيئة المنتزعة من الراكب والمركوب واعتلائه عليه وتنكير
هدى للتعظيم ووصفه بكونه عطاء منه جل شانه مؤكد له والجملة مستانفة
او مرفوعة المحل بالخبرية عن احد الموصولين ان فصل عن المتقين واولئك
الموصوفون بتلك الصفات ايضا هُمُ الْمُفْلِحُونَ الفائزون بمطلوبهم
في العقبى وفي تكرير الاشارة الى ان اتصاف المتقين بما مر يوجب كلا من الهدى
اشارة مع
والفلاح بان صار كل منهما اوحد كافيا في امتيازهم عن الاغيار مع ما فيه
من اعلاء شانهم والتنويه بقدرهم والتنصيص على انهم ضمير فصل مؤكد
للنسبة مقو للتخصيص المستفاد من التعريف باللام ويمكن ان يجعل الاشارة
هنا الى الموصوفين بكونهم على هدى من ربهم فيجعل فلاحهم مترتبا على الهداية
تلك مع
المترتبة على الاوصاف السابقة وتوسيط العاطف هنا مع تركه في
نظيره اعني قوله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون
لاختلاف مفهومي المتعاطفين هنا واتحادهما بحسب العرف ثمة اذ
المفهوم عرفا من التشبيه بالانعام هو المفهوم من الحكم عليهم بالغفلة وان
تغايرا بحسب الوضع اللغوي والمراد بالمفلحين الكاملون في الفلاح كما

يراد بالمومنين في قوله عز من قائل انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت
قلوبهم الكاملون في الايمان فلا يتم احتجاج الوعيدية على خلود الفساق
الا ان يتم عدم التوبة في النار بما تضمنته الاية الكريمة من تخصيص
اصحاب الصفات المذكورة بالفلاح في العقبى ان الذين كفروا سواء
عليهم ءانذرتهم اي خوفتهم من العقاب ام لم تنذرهم لا يومنون قيل
نزلت مع تاليتها في ابي جهل وابي لهب والوليد بن المغيرة واحبار اليهود الذين
اصروا على الكفر حتى ماتوا فالموصول للعهد الخارجي والاية اخبار بغيب
ولا يلزم من علمه سبحانه بعدم اختيارهم الايمان واخباره جل شانه به
استحالة صدوره عنهم ليكونوا مجبورين على البقاء على الكفر ويصير تكليفهم
به تكليفا بالمستحيل اذ ليس لشيء من الامرين تاثير في عدم ايمانهم بل العلم تابع
للمعلوم والخبر للمخبر عنه ولو اثر احدهما في متعلقه لكان سبحانه مجبورا فيما
علمه او اخبر به من افعاله عز سلطانه واطلاعهم على هذا الخبر م فلا
يلزم تكليفهم بان يومنوا بانهم لا يومنون وقيل لم تنزل في جماعة مخصوصين
بل المراد بالموصول جنس الكفار والاختصاص بالمصرين للقرينة ولم
يعطف قصة هولاء الاشقياء على قصة اولئك الاتقياء كما في
قوله جل شانه ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لان قصة الاتقياء
مسوقة لذكر الكتاب المجيد وبيان شانه وقصة الاشقياء لبيان اصرارهم
على الكفر وارتكابهم في مهاوي الغي واما قصتا الابرار والفجار فمسوقتان
لبيان جزائهم في الاخرة وسواء بمعنى الاستواء خبر لان وما بعده اي
سيان عليهم وجملة النفي مفسرة لما قبلها او بدل منه او حال مؤكدة من
ضمير عليهم او خبر ان والجملة قبلها معترضة وفائدة انذارهم مع العلم
بعدم ايمانهم الزام الحجة وحصول ثواب الابلاغ ختم الله على قلوبهم و
على سمعهم تكرير الجار للدلالة على شدة الختم في الموضعين وتوحيد
السمع بين اخويه رعاية للاصل مع مناسبة افراده وحدة مدركه اعني
الصوت بخلافهما فهو مندرج تحت الختم لا تحت الغشية في قوله سبحانه

وان يومنوا به

تاويل المصدر بفاعله
اي مستو عليهم انذارك
وعدمه او لما بعده م

وعلى ابصارهم غشاوة وليس مع عامله خبرا عنها ولا عاملا فيهما على سبيل التنازع
لاتفاقهم على الوقف عليه ويؤيده قوله تعالى وختم على سمعه وقلبه ولكون
القلب في الادراك من كل جانب ناسبه الختم الذي يمنع المختوم عليه من جميع
الجهات واما البصر فانما يدرك من جهة واحدة فناسبه الغشاوة وتنوينها
للتنويع اي نوع من الغشاوة غير ما يتعارفه الناس من الاغطية والاية
اما من قبيل المجاز المتفرع على الكناية لتضمنها ان تمردهم عن الحق تمرد شديد
ورسوخهم في الغي رسوخ مفرط وشدة ذلك وافراطه لازم لكونه من الحالات
الخلقية التي لا تصدر الا عنه جل وعلا فذكر اللازم لينتقل منه الى هذا
الملزوم واما استعارة تمثيلية شبهت الهيئة المنتزعة من نبو قلوبهم و
صمم اسماعهم عن قبول الحق وسماعه مع وضوحه وسطوع شعاعه بالهيئة
المنتزعة من قلوب وصمم اسماع محققة الختم عليها كقلوب البهائم واسماع
بعضها ثم جريا الجملة مبقاة مفرداتها على ما هي عليه من الحقيقة نحو
اراك تقدم رجلا وتوخر اخرى واما من قبيل المجاز العقلي بالاسناد الى
السبب نحو بنى الامير المدينة فان الخاتم في الحقيقة هو الشيطان لكن لما كان
ختمه باقداره سبحانه اسند اليه تعالى واما ان يكون حكاية لما كانت الكفرة
يقولونه مثل قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا و
بينك حجاب وهم لا يبالون باسناد القبائح اليه جل شانه والغرض التهكم
بهم وباقوالهم ولهم عذاب عظيم التنكير للتنويع اي نوع من العذاب لا
يعلم كنهه الا هو ومن الناس اللام للجنس او للعهد الذكري من يقول
موصوفة او موصولة قيل مبتدا والظرف خبر توجيه فائدة الاخبار
التنبيه على التعجب من كون من يقول ذلك من الناس والصحيح جعلها
خبرا عن مضمون الظرف بتاويل بعض الناس من يقول امنا بالله و
باليوم الاخر وهو من اول وقت الحشر الى ما لا ينتهى وفي تكرير الباء
ادعاء انهم امنوا بكل واحد على الاصالة والغرض التاكيد وخصوا الايمان
بهما بالذكر اقتصارا على المقصود الاعظم وادعاء انهم حازوا من المبدا

لى المعاد وما هم بمؤمنين . انكار لما ادعوه على نهج بليغ يخادعون الله
والذين آمنوا الخدع ايهام غيرك عنها تخفيه من مكروهه ليتركه مما
هو بصدده وصورة صنع المنافقين في اظهارهم الايمان واخفاء غيره
وامتثال النبي صلى الله عليه وآله والمؤمنين امره جل شانه في مداهنتهم
صورة حال المتخادعين والمراد يخدعون نحو عاقبت اللص وما يخادعون
نحو عاقبت اللص قراءة نافع وابن كثير وابو عمرو والباقون وما يخدعون
الا انفسهم فان وباله راجع اليهم لا غير وما يشعرون . بذلك وفيه
مبالغة بانه في الظهور بحيث يدركه المشاعر في قلوبهم مرض حقد وحسد
شديد مما يرون من ارتفاع شان النبي صلى الله عليه وآله وازدياد شوكة
المسلمين فزادهم الله مرضا بزيادة ذلك يوما فيوما ويحتمل ان تكون
هذه الجملة الثانية دعاء عليهم ولهم عذاب اليم . اي مولم بالبناء
للمفعول اذ لم يثبت فعيل بمعنى مفعل بالبناء للفاعل وفيه مبالغة
بما كانوا يكذبون . في دعوى الايمان قراءة عاصم والكسائي وحمزة
والباقون بالتشديد والباء للسببية او للبدلية اي جزاء كذبهم واذا
قيل لهم لا تفسدوا في الارض بتهييج الفتنة وخداع المسلمين وافشاء
اسرارهم والتعويق عن اتباع منهاجهم قالوا على سبيل المخادعة او لانهم
تصوروا الافساد اصلاحا انما نحن مصلحون . شاننا الاصلاح لا غير
الا انهم هم المفسدون رد بليغ لمقالتهم ولكن لا يشعرون . انا نعلم
انهم المفسدون او لا يشعرون انهم مفسدون واذا قيل لهم آمنوا كما آمن
الناس اي ايمانا خاليا عن النفاق والاغراض الدنيوية او عهدية قالوا على
سبيل الانكار انؤمن كما آمن السفهاء الضعفاء الراي الخفيفو العقول
ولعلهم قالوا هذا لمن لا يتقونه من المسلمين اعتمادا على حفظ اسرارهم
والا فهذا ينافي نفاقهم الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون . انهم سفهاء
واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا على سبيل الاخبار ويمكن حمله
على الانشاء كما تقول آمنت بالله واذا خلوا الى شياطينهم المظهرين

الكفر وصنعه سبحانه من اجراء احكام المسلمين عليهم وهم اخبث الكفرة

متهيئين

للكفر او اكابر المنافقين قالوا انا معكم في الكفر انما نحن مستهزؤن . في قولنا
لهم آمنا خاطبوا المؤمنين بالفعلية العارية عن التاكيد مع ان المخاطب منكر
او شاك وشياطينهم بالاسمية المؤكدة مع انه ليس احدهما لان قصدهم بالاولى
حدوث الايمان وهو غير رائج عند المخاطب وفي الثانية الثبات على الكفر
وهو رائج عندهم والارجح ان يكون ترك التاكيد في الاولى لتنزيل المنكر منزلة
غير المنكر فكانهم يدعون ان كونهم متصفين بالايمان امر ظاهر لا يتصور انكاره
ليحتاج الى التاكيد الله يستهزئ بهم يعاملهم معاملة المستهزئ ويجازي
على استهزائهم عبر عنه به للمشاكلة ويمدهم يزيدهم في طغيانهم بان وكلهم
الى انفسهم ولم يمنحهم التوفيق يعمهون يتحيرون حال من المفعول اولئك
الذين اشتروا الضلالة بالهدى استبدلوها بالهدى واختاروها عليه استعارة
مصرحة والمراد انهم اخلوا بما يقتضيه نور الفطرة من اتباع الحق واتبعوا الضلالة
اذ لم يكونوا مهتدين فما ربحت تجارتهم مجاز عقلي طرفاه ترشيحان للاستعارة
وما كانوا مهتدين الى طريق النجاة اذ لم يحصلوا ربحا بل راس مالهم الذي هو
نور الفطرة بل اضاعوهما معا فخسروا خسرانا مبينا فالكلام ترشيحات لا
تجريد ولكنها اذا اريد بها الاشارة الى ما يقال من ان التاجر اما رابح او مهتد
لانه ان خسر فقد حصل له تجربة وهداية الى طريق النجاة فيرجى ان لا يخسر مرة
اخرى فالمعنى ان هؤلاء خاسرون لا يهتدون اصلا اذ ليس لهم عمر آخر حتى
ينفعهم اثر التجربة وثمرتها مثلهم في اضاعة ما كان لهم من نور الفطرة والوقوع
في الضلالة كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت اي نورت
النار ما حوله من الاماكن او صارت مضيئة حوله او فيما حوله وعلى
الاول مفعول به وعلى الثاني زائدة وعلى الثالث مفعول فيه ذهب
الله بنورهم اي نور المستوقدين لان الذي بمعنى الذين ويمكن ارادة جنس
المستوقد وتركهم في ظلمات لا يبصرون . حال من المفعول ومفعوله
مطروح حتى كان الفعل لازم او صفة ظلمات اي ظلمات بحيث لا يرى
فيها شيء صم بكم عمي تشبيهات محذوفة الادوات سواء رجع الضمير

صيرهم

المحذوف والمستتر الى المنافقين والمستوقدين فهم لا يرجعون الى الهدى الذى باعوه او عن الضلالة التى شروها او كمثلهم كصيب اى كاصحاب صيب وتطلق على المطر وعلى السحاب من السماء هو فى اللغة كل ما علاك فيه ظلمات مرفوعة بفاعلية الظرف والمراد ظلمة تكاثفه وظلمة الليل وان اريد به السحاب فسواده وتطبيقه وظلمة الليل ورعد وبرق يجعلون اصابعهم انامل فى آذانهم من الصواعق من اجلها حذر الموت خوفا منه ووجه الشبه ان هؤلاء كلما نزل جانب من القرآن المجيد مشتمل على ذكر الكفر المشبه بالظلمات والوعيد المشبه بالرعد والحجج الظاهرة المشبه بالبرق يسدون آذانهم لئلا يسمعوه فيميلوا الى الايمان ويتركوا دينهم وهو عندهم كالموت والله محيط بالكافرين علما وقدرة فلا يفوتونه ثم انه سبحانه مثل انزعاج حجج القرآن قلوبهم ومماشاتهم المسلمين اذا سمعوا ما يلائمهم وتوقفهم عند سماع ما يكرهونه بقوله جل وعلا يكاد البرق يخطف ابصارهم يأخذها بسرعة لشدة سطوعه والضمير لاصحاب الصيب كلما اضاء لهم الطريق وكلما لمع لجيئه متعديا ولازما مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا وقفوا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم ان الله على كل شىء قدير لما كان قدير للمبالغة بمعنى زايد القدرة امكن جعل هذا دليلا صحيحا على ان مقدوراته تعالى غير متناهية فما من مقدور الا وهو قادر على ما فوقه يا ايها الناس اعبدوا لما كان فى العبادة كلفة جبر سبحانه كلفتها بلذة المخاطبة الذى خلقكم صفة موضحة فيها تعليل او مخصصة ان خص الخطاب بالمشركين والذين من قبلكم معطوف على ضمير خلقكم لعلكم تتقون حال من ضمير اعبدوا اى اعبدوه راجين الانخراط فى سلك المتقين او من ضمير خلقكم اى خلقكم فى صورة من يرجى منه التقوى قالت الاشاعرة فى الاية دلالة لا لما نعلم على ان العبد لا يستحق بعبادته ثوابا لانها وجبت عليه شكرا لما عدده عليه من النعم السابقة فهو كاجير اخذ الاجرة قبل العمل وقالت المعتزلة يقبح عقلا ان يتفضل بنعمة

على آخر بنعمة ثم يكلفه الاتيان بافعال شاقة تأدية للشكر عليها من غير ان يوصل اليه ثوابا على فعل تلك الامور الشاقة ولو كان ايجاب العبادات فى مقابلة النعم السابقة لم يكن سبحانه متفضلا بها بل كان كمستأجر دفع الاجرة قبل العمل الذى جعل لكم الارض فراشا تنامون وتستريحون عليها ولا ينافيه ما ادل الدليل الآنى القائم على الكروية اذ ليس لنا الاستقرار على عدم كرويتها والسماء بناء قبة مضروبة عليكم وانزل من السماء ماء اما ان يراد بالسحاب فان السماء لغة كل ما علاك او الفلك بان ينزل منه المطر الى السحاب او المراد نزوله من اسباب سماوية تثير الابخرة رطبة فتنعقد سحابا ماطرا فاخرج به من الثمرات تبعيضية او بيانية رزقا لكم مفعول له او به فلا تجعلوا لله بعد ان حققكم بهذه النعم اندادا شركاء جمع ند وهو المثل والمراد الاصنام وانتم تعلمون حال من ضمير لا تجعلوا ومفعوله مطروح اى وانتم من ذوى العلم والنظر او وانتم تعلمون انها لا تماثله وان كنتم فى ريب شك مما نزلنا تدريجا لا جملة واحدة فانهم كانوا يقولون ان نزوله شيئا فشيئا يدل على انه ليس من عند الله ولذلك لم يقل سبحانه انزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله المجار اما صفة للسورة والضمير للموصول ومن تبعيضية او بيانية او للعبد ومن ابتدائية اى ممن هو مثله فى الامية والاول اولى لان الاعجاز فى نفسه لا بالنسبة اليه وللايهام ان يرده الى انهم صدوا عن غير المماثل واما صلة فأتوا والضمير له وجعله لها يوهم وجود المثل وادعوا شهداءكم اى من حضركم ورجوتم معونته ليعينوكم على ذلك او شهودكم ليشهدوا بالمماثلة من دون الله حال من المفعول او متعلق بادعوا اى حال كونهم غير الله فانه هو القادر على ذلك لا غير او من دون ان تستشهدوا بالله بان تقولوا الله يشهد انه مثله فان ذلك عادة العاجز عن اقامة الحجة ان كنتم صادقين فى قولكم انه من كلام البشر فان لم تفعلوا اى لم تأتوا بمثله ونفى الاتيان بان فى المحقق تهكم بهم او خطاب لهم على حسب ظنهم ولن تفعلوا جملة معترضة

وظلمة غمامه

تقومون عليه وتقعدون

كما يشهد به الذوق وهو السر فى تخصيص الكشاف العبد

بين الشرط وجزائه وهو فاتقوا النار وهذا في الحقيقة لازم الجزاء اقيم مقامه
والمعنى فان لم تأتوا بمثله ظهر انه معجز فامنوا به واتقوا النار التي وقودها
حطبها الناس الكفار والحجارة اصنامهم التي كانوا يعبدونها كما قال
سبحانه انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم او الذهب والفضة
التي كانوا يكنزونها او حجارة الكبريت خوطبوا بهذه الاية بعد ما سمعوا
قوله تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة اذ الصلة
يجب ان تكون صلة قضية معهودة للمخاطب اعدت هيئت للكافرين
جملة مستانفة او حالية من النار باضمار قد او صلة بعد صلة واستدل
بعض الاشاعرة بصيغة الماضي على ان النار مخلوقة الآن اذ التاويل
بالمضارع من دون داع تعسف ورد بان التعبير عن المستقبل بالماضي
لتحقق وقوعه شايع في القران المجيد على ان هذا الاستدلال لا يمشي
على ما عليه محققوهم من ان الكلام النفساني مدلول اللفظي والا لكان
نفساني اقيموا الصلوة ولا تقربوا الزنا واحدا وهو سفسطة بل ذكر جمع من
اعلامهم ان شيخهم الاشعري على قدم الكلام اللفظي ايضا فالتاويل بالمضارع
لازم اذ الاجسام حادثة فهذا الدليل ان تم فانما يمشي على مذهب المعتزلة
هنا ولا يخفى ان الحكم الجازم في هذه الاية بانهم لا يأتون بمثل القران
ابدا مع كمال فصاحتهم ووفور عددهم وشدة تعصبهم لا يصدر الا عن علام
الغيوب ثم انه عز اسمه عطف حال من آمن بالقران على حال من كفر فقال
وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات البشارة الخبر السار لاظهاره
السرور في البشرة وقوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم تهكم وظاهر هذا العطف
يدل على خروج العمل الصالح عن الايمان ان لهم جنات تجري من تحتها
اي تحت اشجارها الانهار جمع نهر بفتح الهاء وقد يسكن المجرى الواسع
والمصدر المسبوك من ان وما بعدها منصوب بنزع الخافض اي بشرهم
باستحقاقهم ذلك بسبب ذينك الامرين فان تعليق الحكم على الوصف مشعر
بالعلية ولا يلزم ان يكون ذلك كله عوضا عنهما بل بعضه تفضل وقد

سبق في هذا المقام كلام قيل هنا ولام الانهار للجنس او العهد الذكري في قوله تعالى
فيها انهار من ماء غير آسن واسناد الجري اليها مجاز عقلي وان صح ما روي من
ان انهار الجنة تجري في غير اخدود فالاسناد حقيقي والمجاز لغوي كلما
منصوب على الظرفية اي كل وقت رزقوا منها من الجنات ومن ابتدائية وفي
من ثمرة اما ابتدائية على الابدال او تخالف المتعلقين بالعموم والخصوص
او تبعيضية او بيانية باضمار متعلقها رزقا مفعول به اي مرزوقا او مفعول
مطلق قالوا هذا اي هذا النوع الذي رزقنا من قبل اي في الدنيا جعلت
ثمار الجنة من نوع ثمارها ليظهر مزيتها او في الجنة لان ثمارها كلما
جنيت نبت مكانها مثلها او لان طعامها متشابه كما قال جل شانه واتوا
به اي الرزق في متشابها يشبه بعضه بعضا ويمكن عود الضمير الى ما رزقوا
في الدارين لدلالة من قبل على ذلك ويمكن ان يكون مرادهم هذا ثواب ما فعلنا
من الطاعات في الدنيا وكما انها كانت متفاوتة في المحافظة على الاداب
والخلوص عن الشوائب فكذا الثمرات التي رزقنا في مقابلها متفاوتة
في اللذة ولكنها مع التفاوت فيها متشابهة في المزية وعلو الطبقة وعلى
القول بتجسم الاعمال الحسنة والسيئة في الآخرة كما عليه جماعة فلا حاجة الى
اضمار الثواب ويدل عليه ظاهر قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره وقوله ص
الجنة قاع صفصفة غراسها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله
اكبر وعموم كلمة كلما ظاهر لانطباق على بعض هذه الوجوه ولهم فيها ازواج
مطهرة مما يستقذر ويذم من النساء حتى سوء الاخلاق والاعمال
فان التطهير يشملهما وهم فيها خالدون لما كون بيانا لمماثل سبحانه
حال المنافقين بحال المستوقدين واصحاب الصيب وضرب المثل بالعنكبوت
والذباب بقوله سبحانه كمثل العنكبوت وقوله عز اسمه وان يسلبهم الذباب
قال الجهال الكفار الله اعلى واجل من ان يضرب الامثال ويذكر الذباب
العنكبوت فنزل ان الله لا يستحيي ان يضرب المصدر المسبوك منصوب
بنزع الخافض مثلا مفعول اول ليضرب لتضمنه معنى الجعل وما صفة

القاع الارض المستوى

ابهامية تزيد النكرة اطلاقا بعوضة مفعول لان يضرب والمعنى ان سبحانه
لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي ان يمثل بها لحقارتها فما
فوقها عطف على بعوضة اى فضلا عما هو اكبر منها او المراد فما فوقها في
الصغر فاما الذين امنوا فيعلمون انه اى المثل او ضربه الحق الثابت
الواقع موقعه من ربهم حال منه او صفة له لان تعريفه للجنس واما الذين
كفروا فيقولون ماذا اى ما الذى او اى شئ اراد الله بهذا صلة الموصول
وهو مع صلته خبر ما على الاول وعلى الثانى ماذا اسم واحد منصوب
المحل بمفعولية اراد مثلا تمييز او حال وقوله تعالى يضل به كثيرا من الناس
ويهدي به كثيرا منهم لما من ثمة حكاية كلام الكفار بناء على اعتقادهم الفاسد
او جواب استفهامهم من قبيل الاسناد الى السبب لانه تعالى لما ضرب المثل
ضل قوم واهتدى اخرون والمراد انه سبحانه يمتحن بهذه الامثال عباده
فيضل من كفر بها ويهتدى من آمن بها وما يضل به الا الفاسقين الخارجين
عن الطاعة بفعل الكبيرة اذ الفسق هو الذى اوقعهم في الضلال لان
اصرارهم على الذنوب صرف افكارهم عن تامل حكمة المثل الى استحقاره
حتى رسخ ذلك في قلوبهم فاداهم الى انكاره والاستهزاء به الذين صفة
الفاسقين ينقضون عهد الله اى يخالفونه ولا يفون به والمراد به
اما ما عهد اليهم في الكتب السابقة من الايمان بمحمد صلى الله عليه وآله اذا
بعث او الحجة القائمة على العباد توحيده وصدق رسوله وتشبيه
العهد بالحبل الذى يربط احد المتعاهدين بالاخر استعارة بالكناية واثبات
النقض تخييل من بعد ميثاقه اى توكيده والضمير للعهد او له تعالى و
من ابتدائيه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل اى بوصله فالمصدر
المسبوك بدل من ضميره والموصول يشمل كل فعل خير وترك كل شر وذلك
وصلة بين الرب والعبد ويفسدون في الارض بالاستهزاء بالحق و
التعويق عن الايمان وقطع الوصلات التى بها نظام العالم اولئك
هم الخاسرون بمصيرهم الى العذاب المخلد كيف تكفرون بالله

تعجب وانكار والخطاب للكفار وقد كنتم امواتا نطفا واغذية او اخلاطا
او عناصر فاحياكم في الارحام بنفخ الروح وعطفه بالفاء لاتصاله
بالموت والعطف بثم في قوله تعالى ثم يميتكم لتراخي الاماتة عن الاحياء
ثم يحييكم بالبعث او في القبور ثم اليه ترجعون بعد ذلك فيجازيكم
باعمالكم ولما كانوا قادرين على العلم بمضمون الجملتين الاخيرتين بما نصب
لهم من الدلائل نزلهم منزلة العالمين بهما وذكر الاماتة من تتميم الاحتجاج
لا لكونه نعمة اذ هي وصلة لهم الى العذاب المخلد ويحتمل ان يكون الخطاب
بالجمل الاربع للمسلمين اما على طريق سمعي ايمان او يراد بالكفر كفران النعم
بارتكاب المعاصي ويمكن ان يكون للطائفتين معا هو الذى خلق لكم اى
لاجلكم ونفعكم في الدنيا والدين اما الدنيا فظاهر واما الدين
فللعبرة والاستدلال على لطف الصانع وكمال حكمته ما في الارض من
النباتات والحيوانات والمعادن جميعا حال من الموصول وفي
كون خلقه سبحانه ما في الارض لانتفاع العباد دلالة على ان فعله سبحانه
معلل بالغرض وهو الحق والا لكان عابثا في افعاله تعالى عن ذلك علوا
كبيرا وترتب المصالح الغير المقصودة للفاعل لا يخرج فعله عن العبث
كمن لا يزال يتردد في طرقات البلد غير قاصد بذلك غرضا فان العقلاء
يعدون تردده ذلك عبثا محضا وان ترتب على ذلك بعض المصالح التي
لم يقصدها كهضم الطعام ورياضة البدن مثلا والعجب ممن يعتقد
ان خلقه السمع والبصر فينا مثلا ليس الغرض منه ادراكنا المسموعات
والمبصرات وان ارسال الرسل وانزال الكتب واظهار المعجزات على ايدي
الانبياء سلام الله عليهم ليس الغرض اهتداء العباد ونقلهم من ظلمة
الكفر الى نور الايمان وان خلق الجنة والنار ليس لاجل ايصال الثواب
للمطيع والعقاب للعاصي وان الاوامر والنواهي الشرعية ليس الغرض من شئ
منها اتيان المكلفين بشئ من المامورات واجتنابهم عن شئ من
المنهيات بل يترتب تلك الامور العظيمة على تلك الافعال من دون

ان يكون غرضا فاعلها جل شانه ترتبهما عليها كما قد ترتب الاستظلال بالشجر
على غرسها مع انه غير مقصود للغارس اصلا وقد قرب من جادة الانصاف
بعض محققي الاشاعرة حيث قال في شرح المقاصد الحق ان تعليل بعض
الافعال لا سيما الاحكام الشرعية بالحكم والمصالح ظاهر كايجاب الحدود
والكفارات وتحريم المسكرات وما اشبه ذلك هذا كلامه ولبعض
متاخريهم عليه كلام لا طائل تحته وقد تشبثوا في اثبات هذا المطلب
بان كلما هو غرض الفاعل بفعله يجب ان يكون وجوده اليق بفاعله من
عدمه فلو كان فعله سبحانه لغرض فلا بد ان يكون وجود ذلك الغرض
اليق به جل شانه من عدمه فيكون ناقصا في ذاته كاملا بغيره واجاب
اصحابنا بانه عز اسمه كامل الذات وما يصدر عنه من الافعال اثار
كمال ذاته وليس صدور شيء منها عنه تعالى موجبا على ما زعمتم من حصول
استكماله تعالى بغيره وارد عليكم حيث جعلتم صفاته متغايرة للذات جل
شانه له سبحانه كمالا جديدا لم يكن حاصلا له قبل صدوره عنه ليكون
كاملا بغيره تعالى عن ذلك علوا كبيرا بل افعاله كلها مقتضى كماله الذاتي
واقعة بقدرته واختياره على النهج الاكمل فيجب ان يكون خالية عن
وصمة النقص كالعبث والظلم ونحوهما فقولكم لا بد ان يكون وجود
الغرض اليق به تعالى من عدمه ان اردتم ان وجود الغرض يفيده عز شانه
كمالا جديدا فحاشا وكلا وان اردتم ان وجود الغرض هو اللائق بافعاله
التي هي اثار كماله فنعم الوفاق ثم بعد خلقه جميع ما في الارض استوى
وجه ارادته الى السماء هنا الجرم العالي او جهات العلو فسويهن الضمير
للسماء ان فسرت بالاجرام والا فمبهم مفسر بما بعده نحو ربه رجلا والمعنى
عدلهن وجعلهن سبع سموات وما ادعاه الرياضيون من التسع لم يقم
عليه الى الان دليل عقلي ولا سمعي اما السبع فدليلها السمع لا غير و
حاول بعضهم اثبات التسع به فجعل العرش والكرسي فلكين سوى السبع
ثم ان العطف بثم هنا لا يخالف قوله تعالى في سورة النازعات ءانتم

اشد خلقا ام السماء بناها الى قوله عز اسمه والارض بعد ذلك دحاها
لجواز تقدم خلق جرم السماء على خلق الارض وتاخر جعلها سبع سموات
عن ذلك او يكون كل من ثم وبعد في الايتين منسلخا عن معنى الترتيب فان ذلك
شايع في المحاورات كما تقول لصاحبك اذا كفر نعمتك واردت توبيخه قد
اعطيتك كذا ثم كسوتك وبعد ذلك ملكتك ضيعة كذا ثم فعلت كذا
تريد مجرد اذكاره تلك النعم مغمضا عن ترتيبها وربما كان ما قدمته مقارنا
او متاخرا عما اخرته وعلى هذا المنوال جرى قوله تعالى عتل بعد ذلك زنيم
ويحتمل ان يكون لفظة ثم في الاية لتفاوت ما بين الخلقين وفضل خلق
السماء على خلق الارض فيكون التراخي رتبيا لا زمانيا هنا وقد جمع بين
الايتين في مجمع البيان والكشاف بان المتاخر عن خلق السماء انما هو دحو
الارض وذلك لا ينافي تقدم خلق جرمها على جرم السماء وفيه ان الاية
الكريمة ناطقة بتقدم خلق جميع ما في الارض الذي هو متاخر عن دحوها
لا محالة على خلق السماء اللهم الا ان يراد بما فيها المواليد الثلثة والقوى
المودعة فيها وهو بكل شيء عليم قراه الكسائي وابو عمرو وقالون بسكون
الهاء في وهو وفهو واذ قال ربك للملائكة اني جاعل من الجعل الناصب
لمفعولين لاستقباليته واعتماده على اسم ان في الارض خليفة وهو من ينوب
عن الغير ويخلفه والهاء للمبالغة والمراد آدم على نبينا وعليه السلام وفي القاء
هذا القول للملائكة قبل خلقه تعظيم لشانه واظهار لفضله قالوا على
سبيل التعجب واستكشاف الحكمة وازاحة ما عرض لهم من الشبهة اتجعل
فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء بغيها ونحن الواو للحال
نسبح ننزهك عما لا يليق بك متلبسين بحمدك على ما الهمتنا معرفتك
ووفقتنا لتسبيحك ونقدس لك اي نطهر انفسنا عن الذنوب لاجلك
وهذا حسن طلب منهم يعنون انا معصومون عن الذنوب فنحن
احق بالاستخلاف والمقصود الاستفسار عن سبب ترجيح من شانه
اقتراف المعاصي لما ركب فيه من القوة الشهوية والغضبية على من

ليس كذلك ولعلهم علموا ان المستخلف بشر وان البشر هنا شأنه اما باخبار
الله سبحانه او تلقى من اللوح المحفوظ قال انى اعلم ما لا تعلمون
يمكن ان غرضه عز اسمه ان مقاومة تينك القوتين ومجاهدة النفس في
قهرهما واذلالهما وجعلهما طائعتين للعقل منقادتين للشرع مستمرتين على
الخير اجر عظيم يترتب عليه آثار جليلة لا يترتب على من ليس فيه تلك الخصال
وعلم آدم الاسماء كلها الاسم ان كان اشتقاقه من السمة فهو علامة الشيء
التي يعرف بها وان كان من السمو فهو دليله الذي يرفعه الى الذهن من الالفاظ
والصفات والافعال وحيث انه سبحانه خلق آدم من اجزاء مختلفة و
قوى متباينة كان مستعدا لادراك مختلفات المدركات ومتبايناتها
من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات فالهمه معرفة ذوات
الاشياء وخواصها واسمائها واصول العلوم وقوانين الصناعات والآتها
ثم عرضهم اى عرض المسميات المدلول عليها بذكر الاسماء والتذكير لتغليب
العقلاء والمراد انه تعالى عرض ذوات الاشياء على الملائكة فقال
تبكيتا لهم وتنبيها على عجزهم عن امر الخلافة انبئونى باسماء هؤلاء ان
كنتم صادقين في انكم احق بالخلافة كما ظهر من قولكم ونحن نسبح بحمدك
قالوا سبحانك نصب على المصدر اى ننزهك تنزيها لا يليق بك لا علم لنا
الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم لا تفعل ما تفعله الا لحكمة
بالغة قال يا آدم انبئهم اخبر الملائكة باسمائهم باسماء المسميات
وخواصها والحكم المودعة فيها فلما انباهم آدم باسمائهم قال عز اسمه
للملائكة على سبيل التوبيخ الم اقل لكم انى اعلم غيب السموات و
الارض ما غاب علمه عن الخلائق من الحكم والمصالح والامور الكائنة
فيهما واعلم ما تبدون ما تظهرون من اقوالكم وافعالكم وما كنتم
تكتمون من ضمائركم او ما تبدون من قولكم اتجعل الخ وما تكتمون
من انكم احق بالخلافة وانه تعالى لا يخلق خلقا افضل منكم وفي هذه الآية
دلالة على فضل الانسان على الملائكة وعلى مزيتها العلم على العبادة وان

ليس م

مفهوم الحكم زايد على مفهوم العلم وان علوم الملائكة يقبل الزيادة فلا عبرة
بمنع بعض الفلاسفة من ذلك واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم اى
لاجله سجود تحية وتعظيم وقيل ان سجودهم لله وجعل آدم قبلة لهم تشريفا
له فمعنى اللام كاللام في قول حسان في مدح على عليه السلام اليس اول من صلى لقبلتكم
واعلم الناس بالقران والسنن فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر ظاهر
الاستثناء يدل على انه كان من الملائكة والا لم يدخل تحت امرهم بالسجود
فلا يلام على تركه لكن قال الشيخ الجليل محمد بن النعمان المفيد قدس الله
روحه انه قد وردت اخبار متواترة عن ائمة اهل البيت سلام الله عليهم
انه لم يكن منهم وانما كان من الجن ويؤيده قوله تعالى حكاية عنه كان من الجن
ففسق عن امر ربه وان الملائكة معصومون لا يعصون الله ما امرهم
ويفعلون ما يؤمرون وانهم خلقوا من النور لا من النار وقد قال خلقتنى
من نار وانهم لا يتناسلون وهو ذو نسل كما قال سبحانه افتتخذونه وذريته
اولياء من دونى وعما روى عن ابن عباس رضى الله عنه ان الملائكة كانوا تقاتل
الجن فسبى ابليس من بينهم وكان صغيرا يعبد مع الملائكة الى ان كبر فيهم فامر
معهم بالسجود لآدم ويمكن ان طائفة الجن ايضا كانوا مامورين بالسجود له
كما قاله بعض المفسرين لكنه سبحانه لم يذكر ذلك لانه من المعلوم انه لما
اذا امروا بالتذلل والتواضع لتخضعه فالاصاغر ايضا مامورون بذلك
وكان من الكافرين اى صار منهم او كان ممن علم الله انه سيكفر والحكم
بكفره ليس بمجرد مخالفته الامر بل لانه اعتقد ان الله سبحانه امر بالقبيح
من سجود الاعلى للادنى كما قال انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من
طين وقلنا يا آدم اسكن انت تاكيد للمستتر ليصح العطف عليه وزوجك
الجنة دار الثواب او جنة من جنات الدنيا والثانى هو الذى نسبه
رئيس المحدثين محمد بن بابويه طاب ثراه الى اصحابنا وكلا منها رغدا
رغدا واسعا وافيا حيث شئتما اى مكان شئتما ويمكن ان يكون زمانا
كما ذهب اليه بعض النحاة بمعنى اى وقت شئتما ولا تقربا هذه الشجرة

واللام

اسكن

الا انهما بشجرة الحنطة فتكونا من الظالمين حذف النون اما للنصب
بالعطف لوجود الشرطين او للجزم بالجزائية لحرف الشرط المقدر ان جوزنا الجزم
في نحو لا تكفر تدخل النار فازلهما الشيطان اصدر زلتهما عنها عن الشجرة
اي بسببها فعن تعليلية او الضمير للجنة اي اذهبهما عنها ويعضده قراءة حمزة
فازالهما فاخرجهما مما كانا فيه من النعيم العظيم قلنا اهبطوا اما خطاب
لادم وحوا لخروج ابليس عنها عند امتناعه من السجود بقوله سبحنه اخرج منها
فانك رجيم ومخاطبة الاثنين بصيغة الجمع شايعة كما قال سبحانه وكنا
لحكمهم شاهدين والضمير لداود وسليمان ولانهما اصل الانس فكانهما
الجنس واما لهما مع ابليس اخرج منها ثانيا بعد ما كان يدخلها للوسوسة
او دخلها مسارقة بعضكم لبعض عدو جملة حالية من ضمير اهبطوا ولكم
في الارض مستقر استقرار او موضع استقرار ومتاع تمتع او ما يتمتع به
الى حين وقت الموت فتلقى ادم من ربه كلمات اخذها وقبلها وعمل بها وقرء
ابن كثير بنصب ادم ورفعها بمعنى انها استقبلته وبلغته وتداركته بالنجاة
واختلف في تلك الكلمات فروي عن ائمة اهل البيت عليهم ان ادم رأى
سلام الله ع
على العرش اسماء معظمة مكرمة فسأل عنها فقيل له هذه اسماء اجل الخلق
منزلة عند الله تعالى وهم محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين وتوسل بهم
ادم في قبول توبته ورفع منزلته وقيل هي قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا
الاية وقيل هي التسبيحات الاربع سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله
والله اكبر فتاب عليه قبل توبته ورجع عليه بالرحمة واصل التوبة
الرجوع فاذا وصف بها العبد فهي رجوعه عن المعصية الى الطاعة و
اذا وصف بها الحق تعالى فهي رجوعه عن العقوبة الى المغفرة ولم يذكر سبحانه
توبة حوا لتبعيتها له في الاحكام انه هو التواب الرحيم في الجمع بينهما
وعد للتائب بالاحسان مع العفو قلنا اهبطوا منها جميعا كرر لان المقصود
من الاول هبوطهم الى دار بلاء يتعادون فيها ولا يخلدون ومن الثاني
هبوطهم للتكليف وقيل الاول من الجنة الى سماء الدنيا والثاني منها

الى الارض جميعا حال يفيد التاكيد فاما ياتينكم مني هدى بارسال
رسول وانزال كتاب واما مركبة من ان الشرطية وما المزيدة وجيء بحر
مع انه لابد من هدايته سبحانه لعباده لان الهداية يمكن ان يكون بالهام
طريق الحق ايضا ولان الايمان بالله وعبادته وتوحيده يكفي فيه
ما اعطاهم من العقول ونصب لهم من الادلة ومكنهم من النظر فمن
تبع هداي فلا خوف عليهم مما يتوقع ولا هم يحزنون مما هو واقع والشرط
مع جوابه جواب الاول وكرر الهدى ولم يضمر اما للتاكيد او اضافته اليه
عز اسمه اعظاما له ولان المراد بالثاني ما اتت به الرسل مع ما يستقل
العقل السليم بادراكه من المعارف والذين كفروا بنا وكذبوا باياتنا
عطف على من تبع الى اخره كانه قال ومن لم يتبع ويمكن توجيه الفعلين
معا الى الظرف اي كفروا بها جنانا وكذبوا بها لسانا اولئك اصحاب
النار جملة المبتداء والخبر خبر الموصول وقيل اولئك بدل منه وما بعده
خبر عنه هم فيها خالدون لا غيرهم من اهل القبلة كما يفيده ضمير
الفصل وربما استدل بما تضمنته هذه القصة على عدم عصمة الانبياء
ورد بان النهي كان تنزيهيا لا تحريميا فنسبة الظلم اليه لانه ظلم نفسه
بترك الاولى وتلقينه التوبة من جملة المعاتبة له على ذلك واهباطه
لذلك ايضا وللوفاء بما قال له عز اسمه للملائكة اني جاعل في الارض خليفة
لا للعقوبة على عصيانه وستسمع في تفسير سورة طه كلاما مستوفى
في هذه المسئلة انشاء الله تعالى يا بني اسرائيل هو لقب يعقوب لفظ عبري
معناه عبد الله والخطاب لليهود دون النصارى او لليهود الذين كانوا
بالمدينة وما حولها اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم اي على اسلافكم
من كثرة الانبياء فيهم وانجائهم من فرعون ومن الغرق بفلق البحر وتظليلهم
الغمام وانزال المن والسلوى عليهم الى غير ذلك ولان النعمة على الاباء
واوفوا بعهدي وهو العهد الذي عهده اليهم في التورية انه باعث
نبيا اسمه محمد صلى الله عليه واله فمن تبعه كان له اجران اثنان

للتاكيد ولذلك اكد الفعل بالنون مع ان لا طائل في

لئلا يفوت الغرض من خلقهم كما قال سبحانه وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون

الاباء نعمة على الابناء

اجر اتباعه موسى وايمانه بالتورية واجر اتباعه محمدا وايمانه بالقران و
من كفر به تكاملت اوزاره وكانت النار جزاؤه اوف بعهدكم بالمغفرة
ودخول الجنة وقيل العهدان ما في سورة المائدة من قوله عز اسمه و
لقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله
اني معكم لئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة وامنتم برسلي الاية واياي منصوب
بمقدر اي اياي ارهبوا فارهبون خافون مع تحرزه عن الماثم وفيه تكرير
المفعول وتقدير عامله موخرا بمعونة المقام والاتيان بفاء الجزاء
تاكيدات وامنوا بما انزلت من القران وافراد الايمان به مع دخوله في
الوفاء بالعهد لشدة الاهتمام مصدقا حال من الموصول او من عائده
المقدر لما معكم من التورية والانجيل لان فيهما البشارة بمحمد صلى
الله عليه وآله وبيان وصفه ولا تكونوا اول كافر به اي من
اهل الكتاب لا مطلقا لسبق الكفر به من مشركي مكة ويجوز عود الضمير
الى ما معكم لانهم جحدوا ما فيه من صفة محمد والبشارة به فقد كفروا
بما معهم ولا تشتروا تستبدلوا بآياتي التي في كتابكم والبشارة به ثمنا
قليلا من حظوظ الدنيا فانها قليلة بالنسبة الى ما يفوتهم من نعيم الآخرة
روي عن الامام محمد الباقر عليه السلام ان حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف
واخرين من اليهود كانت لهم ماكلة على اهل ملتهم في كل سنة فكرهوا بطلانها
باتباع النبي صلى الله عليه وآله فحرفوا لذلك آيات من التورية فيها صفته
وذكره فذلك الثمن الذي اريد في الاية واياي فاتقون باتباع الحق
والاعراض عن الحظوظ الدنيوية وختمت هذه الاية بالامر بالتقوى و
سابقتها بالامر بالرهبة لتضمن تلك ما هو كالمبادي لهذه فختمت بما
هو مقدمة لما ختمت به هذه ولشمول الخطاب بها علمائهم والمقلدين
واختصاص هذه باعيان علمائهم ناسب الاولى الرهبة المشتركة بين الكل
والثانية التقوى التي لا يحوز مراتبها الا من هو من العلماء والكمل
ولا تلبسوا تخلطوا الحق بالباطل ليشتبه به وتكتموا الحق مجزوم

من صفته

بالعطف على مدخول النهي او منصوب بان المقدرة بعد واو الجمع اي لا تجمعوا
بين هذين القبيحين وانتم تعلمون باللبس والكتمان جملة حالية واقيموا
الصلوة واتوا الزكوة اللام فيهما للعهد اي صلوة المسلمين وزكوتهم
امرهم سبحانه باركان العبادات المالية بعد امرهم باصل العبادات القلبية
واركعوا مع الراكعين صلوا مع المصلين من اهل الاسلام عبر عن الصلوة
بالركوع لانه اول ما يشاهد من الافعال المنبئة عن كون الشخص مصليا
والمراد الامر بصلوة الجماعة ان جعلت لام الصلوة للعهد والا فالمراد
صلوا صلوة المسلمين لا صلوة اليهود لا ركوع فيها اتامرون الناس بالبر
بما فيه خير وتنسون انفسكم وانتم الواو للحال تتلون الكتاب التورية
وفيها الوعيد على مخالفة القول العمل افلا تعقلون قبح صنيعكم او
افلا عقول لكم نزلت في علماء اليهود اذ كانوا يقولون لاقاربهم من المسلمين
اثبتوا على ما انتم عليه من دين الاسلام واستعينوا بالصبر المراد به الصوم
كما روي عن ائمتنا عليهم السلام والصلوة الافعال المعلومة كما روي عنهم
وقيل المراد بالصبر مجاهدة النفس وكفها عن هواها وبالصلوة الدعاء
والخطاب بهذا الامر قيل هو للمسلمين اي واستعينوا على ادراك ما وعدتم
من الثواب وعلى توطين النفس على تحمل مشاق التكليف والاظهر انه خطاب
لاحبار اليهود لانهم لما كلفوا بالدخول في الاسلام وكانوا محزونين من
استلزامه زوال رياستهم في قومهم وانقطاع ما كان لهم من الادرارات
عولجوا بالصوم لانه يصفي النفس ويذهب الشره ويكسر الشهوة كما قال صلعم
الصوم وجاء وبالصلوة فانها ناهية عن الفحشاء والمنكر جامعة لانواع
العبادات النفسية والمالية مذهبة للحزن كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله
انه كان اذا احزنه امر بادر الى الصلوة وعن الامام ابي عبد الله جعفر الصادق
انه قال ما يمنع احدكم اذا دخل عليه غم من غموم الدنيا ان يتوضأ ثم
يدخل المسجد فيركع ركعتين يدعو الله فيهما اما سمعت الله تعالى يقول
واستعينوا بالصبر والصلوة وانها اي الصلوة او الاستعانة بالامرين

البدنية

والبدنية

كبيرة اى ثقيلة شاقة على جميع المكلفين الا على الخاشعين. المخبتين
المتذللين لله فانها غير ثقيلة عليهم بل يجدون منها خفة وراحة
كما كان صلى الله عليه وآله يقول عند قرب وقت الصلوة ارحنا يا
بلال وكقوله صلى الله عليه وآله قرة عيني في الصلوة الذين يظنون
يعلمون ومجئ الظن بمعنى العلم شايع انهم ملاقوا ربهم بالعرض عليه يوم الجزاء
كما قال سبحانه وعرضوا على ربك صفا او ملاقوا جزائه ولا دلالة فيه
على رؤيته تعالى في الاخرة كما ظنه بعض الاشاعرة الا ترى الى قوله تعالى
في وصف المنافقين فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه والمنافقون
محرومون من رؤيته اذ لا ينالها عندهم الا الخواص من المؤمنين وانهم
اليه راجعون. بالاحياء بعد الموت يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت
عليكم مضى تفسيرها والتكرير للتاكيد واني فضلتكم عطف على نعمتي على
العالمين. اى عالمي زمانكم اذ امة نبينا صلى الله عليه وآله افضل الامم
كما قال سبحانه كنتم خير امة اخرجت للناس واتقوا احذروا يوما
لا تجزي نفس عن نفس شيئا لا تقضي عنها شيئا من حقوق الله ولا من حقوق
الناس او لا تجزي عنها شيئا من الجزاء فهو مفعول مطلق والجملة نعت يوما
والعايد محذوف اى فيه ولا يقبل قرء ابن كثير وابو عمرو بالتاء الفوقانية
منها شفاعة روى ان اليهود كانوا يزعمون ان اباءهم يشفعون لهم
في القيمة فنفى سبحانه شفاعتهم وليس المراد نفي مطلق الشفاعة وقرينة
الاختصاص بهم ان الكلام معهم واستدل الوعيدية بعموم النكرة في
سياق النفي على نفي الشفاعة لمن مات من اهل الكباير بلا توبة وايدوه
بقوله تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع وبقوله عز من قائل فما تنفعهم
شفاعة الشافعين والجواب اختصاص ذلك بالكفار كيف لا وقد قال
صلى الله عليه وآله ادخرت شفاعتي لاهل الكباير من امتي وعن ائمتنا عليهم السلام
عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال اني اشفع يوم القيمة فاشفع ويشفع
علي فيشفع ويشفع اهل بيتي فيشفعون وان ادنى المؤمنين شفاعة

يشفع

ليشفع في اربعين من اخوانه كل قد استوجب النار ثم تخصيص الشفاعة في
الاية التي نحن فيها لازم للوعيدية ايضا لانهم يثبتون شفاعة النبي
صلى الله عليه وآله لصلحاء الامة ومن مات تائبا بمعنى طلب
زيادة قربهم ورفع درجاتهم فلسنا مخصصين بالتخصيص بل هم شركاؤنا
فيه ولا يؤخذ منها عدل فدية سميت عدلا لمعادلتها المفدى ولا
هم اى الانفس المدلول عليها بالنكرة في سياق النفي ينصرون. نفى سبحانه
دفع العذاب عنهم من جميع وجوهه الاربعة المحتملة لانه اما ان يكون
قهرا او لا والاول النصر والثاني اما ان يكون مجانا او لا الاول الشفاعة
والثاني اما باداء ما عليه من الحق وهو ان يجزي عنه او بغيره وهو ان
يعطي عنه عدلا واذ نجيناكم اى واذكروا اذ نجيناكم من آل فرعون اصل
الال اهل خص بذوي الخطر كالانبياء والملوك يسومونكم يبغونكم
سوء العذاب اى يريدونكم في اشده وافظعه والجملة حال من الضمير
او من الال او منهما معا يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم يستبقونهن
للخدمة والنكاح على وجه الاسترقاق والجملتان بيان للجملة السابقة
او الاولى معطوفة عليها بحذف العاطف بقرينة ذكره في سورة ابراهيم
فسوء العذاب ما فعل من جعل بعضهم للخدمة وبعضهم للحرث ومن
لم يصلح لذلك اخذ منه الجزية روى ان الكهنة والمنجمون قالوا
لفرعون انه سيولد في بني اسرائيل ولد يكون هلاكك وتبديل دينك
على يديه فجمع قوابل مملكته وامرهن بقتل كل ذكر يولد في بني اسرائيل واستبقاء
الاناث ووكل بهن من لا يمكنهن مخالفته ولا الاستخفاء منه وفي
ذلكم بلاء اى محنة ان كانت الاشارة الى صنع آل فرعون او نعمة
ان كانت الى الانجاء لان اصل البلاء الاختبار وهو يكون منه تعالى
تارة بالمحنة وتارة بالنعمة من ربكم صفة بلاء او متعلق به عظيم صفة
بلاء واذ فرقنا بكم البحر فلقناه وفصلنا بين اجزائه بكم او بمسالك
لكم فالباء للالة او السببية او الملابسة فانجيناكم واغرقنا

آل فرعون المراد هو وقومه استغنى بذكرهم عن ذكره لظهور انه اولى بالغرق
وانتم تنظرون اى والحال انكم تنظرون انفلاق البحر لكم عن طرق
يابسة حتى نجوتم وانطباقه على اعدائكم حتى غرقوا عن آخرهم روى انه
باجمعكم
اوحى الى موسى ان يسرى ببنى اسرائيل من مصر فسرى بهم فصبحهم فرعون
فقالوا يا موسى هذا البحر امامنا وفرعون وجنوده خلفنا فقال لهم موسى
عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الارض الآية فقال له يوشع
بم امرت قال امرت ان اضرب بعصاى البحر فضربه فانفلق عن اثنى عشر
طريقا بعدد اسباطهم ليسلك كل سبط طريقا فقالوا انا نخاف ان يغرق
بعضنا ولا نعلم فاوحى الله اليه ان اشر بعصاك يمينا وشمالا فاشار
بها فانفتح بين المسالك كوى فتراءوا وتسامعوا الى ان عبروا باجمعهم
فلما رأى فرعون البحر منفلقا دخله بجنوده فصادف خروج اخر خارج منه
من بنى اسرائيل دخول اول داخل فيه من جنود فرعون فالتطم عليهم واغرقوا
اجمعين واذ واعدنا موسى بعد هلاك فرعون ورجوعه الى مصر وقرء
ابو عمرو وعدنا اربعين ليلة ذا القعدة وعشر ذى الحجة وعد الله
ان يعطيه التورية بعدها فذهب الى الطور واقام عليه تلك الاربعين
فانزلت عليه التورية ثم اتخذتم العجل الذى صاغه السامرى الها معبودا
من بعده من ذهاب موسى الى الطور وتمام القصة يأتى فى تفسير سورة
الاعراف ان شاء الله تعالى وانتم ظالمون انفسكم باتخاذكم لله شريكا
ثم عفونا عنكم حين تبتم من بعد ذلك الاتخاذ لعلكم تشكرون
العفو عنكم واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان اى التورية
الجامعة بين كونها كتابا وفارقة بين الحق والباطل والمراد بالفرقان
المعجزات الفارقة بين المحق والمبطل او الشريعة الفارقة بين الحلال
والحرام لعلكم تهتدون لكى تهتدوا واذ قال موسى لقومه بعد
رجوعه من الطور روى انهم كانوا ستمائة الف لم يسلم من عبادة
العجل الا اثنا عشر الفا يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل الها

فتوبوا الى باريكم خالقكم فاقتلوا انفسكم اما بان يكون قتلها عين توبتهم
او تماما لتوبتهم لخروج تائبنا من حقوق الناس واكثر المفسرين على انهم
امروا بان يقتل بعضهم بعضا كقوله سبحانه اذا دخلتم بيوتا فسلموا على
انفسكم اى سلم بعضكم على بعض فقيل امر البرئ بقتل المجرم وقيل بل امر
المجرمون فقاموا صفين فكان الرجل لا يقدر على قتل ولده وقريبه فارسل
الله عليهم ظلمة شديدة فقاتلوا فيها حتى قتل من الجانبين سبعون الفا
فدعا موسى وهرون فنزلت الظلمة وقبلت توبة من بقى منهم وقيل معنى
اقتلوا انفسكم استسلموا للقتل من ممانعة وقيل امروا ان يقتل كل واحد
منهم كما هو ظاهر اللفظ وقيل المراد بقتل النفس قطع شهواتها كما قيل من لم
يقتل نفسه لم يحيها ذلكم الذى امرتم بفعله خير لكم لانه وسيلة الى
الحيوة الابدية عند باريكم فى ذكره ثانيا تعظيم لذلك الخير فتاب عليكم
يمكن ان يكون من كلام موسى عليه السلام اى ففعلتم ما امرتم بفعله به فتاب
عليكم ويمكن ان يكون من كلامه تعالى انه هو التواب المكثر قبول التوبة
او التوفيق لها او القابل التوبة عن الذنوب العظيمة الرحيم الشديد الرحمة
واذ قلتم ايها القائلون هم السبعون الذين اختارهم موسى للميقات يا موسى
لن نؤمن لك بانك نبى من الله اعطاك التورية وكلمك حتى نرى الله
جهرة معاينة خالصة من الستر فاخذتكم الصاعقة قيل نار من السماء
وقيل صيحة عظيمة فماتوا او بقوا ميتين يوما وليلة وانتم تنظرون
ذلك او ينظر بعضكم الى بعض وفى الآية دليل على انهم سألوا لشدة
جهلهم امرا ممتنعا فعوقبوا بالصاعقة اذ لو سألوا امرا ممكنا لما عوقبوا
كما فى سؤالهم النقل من قوت الى قوت بقولهم لن نصبر على طعام واحد و
اما سؤال موسى على نبينا وعليه السلام الرؤية بقوله رب ارنى انظر اليك
فلا ينافى امتناعها لان طلبها انما كان ليعلم قومه على ابلغ الوجوه
انه لا سبيل لاحد الى رؤيته تعالى كائنا ما كان كما روى عن الامام
ابى الحسن الرضا عليه السلام انهم لما احياهم الله بعد الصاعقة

عليه السلام حين اخذتهم الرجفة اتهلكنا بما فعل السفهاء منا

قالوا لموسى لو سألت الله ان تنظر انت اليه لاجابك الى ذلك ثم تخبرنا كيف
هو فقال لهم يا قوم ان الله لا تدركه الابصار وانما يعرف باياته فقالوا لن نؤمن
لك حتى تسأله ذلك فقال يا رب قد سمعت مقالة بني اسرائيل فاوحى الله
اليه سلني ما سألوك فعند ذلك سأل الرؤية وعلى هذا يسقط احتجاج
الاشاعرة على امكانها بطلبه لها حيث قالوا انه يدل على انه عليه السلام
كان يعتقد امكانها فكيف يسأل ما يمتنع على الله سبحانه ثم قالوا
يلزم ان يكون احاد المعتزلة ممن له طرف من علم الكلام اعلم بهذه المسألة
من ذلك النبي الكريم المعزز بالتكليم حيث علموا امتناعها وهو لا يعلمه
وهذا من اقبح الملل واسخف العقايد وقال المعتزلة انما يلزم ذلك
لو كان طلبه عليه السلام الرؤية لاعتقاده امكانها لا لاسكات قومه وزجرهم
عن طلب المحال ثم قالوا ان اندكاك الجبل وخروره عليه السلام صعقا
عند طلب الرؤية ينادي بامتناعها ولا فطلبه عليه السلام امرا ممكنا جائزا
عليه سبحانه لا يوجب شيئا من ذلك فلجأ بهم الاشاعرة بانه عليه السلام طلب
الرؤية في الدنيا وعلى طريق المقابلة والانطباع او بخروج الشعاع منه
كما هو مذهب الرياضيين
وذلك ممتنع عليه سبحانه وانما الجائز رؤيته تعالى في الاخرة لا على
سبيل المقابلة وخروج الشعاع او الانطباع وللمعتزلة ان يقولوا انتم
تشنعتم علينا بانه يلزم ان يكون احاد الاشاعرة ممن له طرف
من علم الكلام اعلم بمسألة الرؤية من ذلك النبي الكريم المعزز بالتكليم
حيث علم امتناعها في الدنيا وهو لم يعلمه الى اخر ما شنعتم به علينا و
سنتلو عليك بقية الكلام في هذا المقام عند تفسير سورة الاعراف
ان شاء الله تعالى ثم بعثناكم اي احييناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون
ما انعم الله به عليكم من الاحياء وغيره وظللنا عليكم الغمام جعلنا
سترة لكم لما شكوتم حر الشمس ايام اقامتكم في التيه وانزلنا عليكم المن
قيل هو الحلو المعروف الذي يسقط كالطل على شجر البلوط وقيل هو
نوع اخر له طعم العسل الممزوج بالسمن وقيل هو الترنجبين وعن الامام

جعفر الصادق عليه السلام ان المن كان ينزل عليهم من طلوع الفجر الى طلوع الشمس
فمن نام في ذلك الوقت لم ينزل نصيبه والسلوى هو السماني بتخفيف
الميم والقصر نوع من الطيور كان ريح الجنوب تبعثه فيقع عليهم
كلوا من طيبات ما رزقناكم اي قلنا لهم ذلك وما ظلمونا بكفرانهم
تلك النعم الجسيمة ولكن كانوا انفسهم يظلمون • تقديم المفعول
للقصر واذ قلنا ادخلوا هذه القرية هي بيت المقدس باجماع المفسرين
كذا قاله الشيخ ابو علي الطبرسي في مجمع البيان فلا عبرة بما قيل من انها قرية
يقال لها اريحا فكلوا منها حيث شئتم رغدا مر في قصة ادم وادخلوا
الباب باب القرية او باب القبة التي كانوا يصلون اليها سجدا قيل اي
ركعا وقيل ساجدين لله على ما انجاهم من التيه وقولوا حطة خبر مبتدأ
محذوف اي مسألتنا حطة ذنوبنا وهي فعلة من الحط كالجلسة وقيل
امروا ان يقولوا لا اله الا الله لانها تحط الذنوب وعن الباقر عليه السلام
انه قال لشيعته نحن باب حطتكم نغفر لكم خطاياكم بسجودكم ودعائكم
جواب الامر وقرأ ابن عامر تغفر بالتاء الفوقانية ونافع بالياء التحتانية
كلاهما بالبناء للمفعول والباقون بالنون وسنزيد المحسنين • اي من كان
منكم مسيئا فقوله لذلك توبة له ومن كان محسنا فقوله ذلك سبب
لزيادة ثوابه وفي اخراجها عن جواب الامر الى الوعد ايماء الى استعداد المحسن
لها وان لم يؤمر بذلك ولم يفعله فكيف اذا فعله فبدل الذين ظلموا بما
امروا به من القول قولا اخر غير الذي قيل لهم صفة قولا وافاد المبالغة
في المغايرة لكمال المخالفة بين القولين روي انهم قالوا حنطة تجاهلا
واستهزاء وقيل قالوا حطا سمقاثا اي حنطة حمراء فانزلنا على الذين
ظلموا وضع المظهر مكان الضمير للتعليل والمبالغة في الذم رجزا من السماء
عذابا عظيما بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم روي انهم ابتلوا بالطاعون
فمات منهم في ساعة واحدة اربعة وعشرون الفا واذ استسقى موسى لقومه
لما كانوا في التيه واستولى عليهم العطش فقلنا اضرب بعصاك الحجر

شكراً

وكانت العصا من آس الجنة حملها آدم معه منها فتوارثها الانبياء حتى وصلت
الى شعيب فدفعها اليه وهي التي صارت ثعبانا وبها ضرب البحر فانفلق
واللام في الحجر اما للجنس كما روى انه كان يضرع اى حجر كان فينفجر منه الماء
واما للعهد كما روى انه كان حجرا بعينه خفيفا ذراعا في ذراع يحمل معهم
اذا ارتحلوا فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا لكل سبط عين والفاء
فصيحة اى فضرب فانفجرت وحذف المعطوف عليه للدلالة على عدم
تخلف الانفجار كانه حصل عقيب الامر قد علم كل اناس من الاسباط و
الفرق مشربهم عينهم الخاصة بهم كلوا اى قيل لهم كلوا واشربوا من
رزق الله ولا تعثوا في الارض مفسدين العثو مجاوزة الحد شر
غلب في مجاوزته في الفساد ولعل التقييد بالحال بالنظر الى اصل اللغة او
قد يجعل الحال مؤكدة واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد لا يتغير
بل هو على حال واحد كل يوم وارادوا به المن والسلوى ايام اقامتهم في
التيه فادع لنا ربك يخرج لنا جواب الامر مما تنبت الارض اسناد مجازي
ومن تبعيضية من بقلها بيانية وقعت مع مجرورها موقع الحال والبقل
الخضر وارادوا به اطايبه كالنعناع والكراث وقثائها وفومها هو
الحنطة كما روى عن الباقر عليه السلام وعدسها وبصلها قال الله
سبحانه او موسى أتستبدلون تختارون الذي هو ادنى اى اقرب والمراد
الادون فان القرب يستعمل في الخسة كما يستعمل البعد في الشرف
الرفعة فيقال بعيد المحل بالذي هو خير اى بمقابله وهو المن والسلوى
قيل هذا الجواب يدل على انهم لم يطلبوا الجمع وانما طلبوا الابدال وفيه
نظر اهبطوا مصرا انحدروا اليه بلد ولذلك صرف او الى البلد الشهير
صرفه لسكون وسطه يقال هبط الوادى اذا نزل اليه وهبط منه
اذا خرج منه فان لكم ما سألتم من نبات الارض وضربت عليهم
الذلة والمسكنة استعارة اى جعلنا محيطتين بهم احاطة القبة
بمن ضربت عليه فان اليهود في الغالب اذلاء مساكين وباءو رجعوا

وصاروا

او صاروا احقاء بغضب من الله صفة مؤكدة للتعظيم المستفاد من
التنوين ذلك المذكور من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب العظيم
بانهم كانوا يكفرون بآيات الله اى بالمعجزات الباهرة التي اظهرها سبحانه
على يد موسى عليه السلام كفلق البحر وانفجار العيون من الحجر ويقتلون
النبيين كزكريا ويحيى عليهما السلام بغير الحق في اعتقادهم ولم يكونوا معتقدين
حقيقة قتل احد منهم وانما حملهم عليه حب الدنيا واتباع الهوى ذلك
اى ما ذكر من كفرهم بالآيات وقتلهم النبيين بما عصوا وكانوا يعتدون اى
بسبب عصيانهم وعداوتهم فان صغار الذنوب مؤدية الى ارتكاب كبارها
ان الذين آمنوا بالسنتهم ولم تؤمن قلوبهم والذين هادوا اى صاروا
يهودا وتدينوا باليهودية والنصارى والصابئين هم قوم بين النصارى
والمجوس من آمن من هؤلاء الفرق الاربع بالله واليوم الآخر ايمانا
خالصا يطابق فيه اللسان الجنان وعمل صالحا على ما يقتضيه
الشريعة المطهرة فلا خوف عليهم حين يخاف الكفار العقاب ولا
هم يحزنون حين يحزن المقصرون على تضييع العمر في غير صالح العمل وقيل
المراد بالذين آمنوا المتدينين بالاسلام اخلاصا او نفاقا وممن آمن كان
في دينه قبل نسخه وفيه ما لا يخفى ولو حمل هذا القائل من آمن على من
اتصف بالايمان سواء كان على طريقة الثبات عليه او انشائه او احداثه
لكان اقل تكلفا وقيل المراد بالذين آمنوا المخلص وبمن آمن من احدث
الايمان من الفرق الثلاث الاخيرة وانت خبير بانه لو اريد بالشق على
هذا التقدير من جمع بين الايمان الخالص والعمل الصالح كما يقتضيه ظاهره
لكان اقرب فان الايمان الخالي عن العمل الصالح وان كان خالصا لا
يكفي في الامن من الخوف والحزن يوم القيمة ومن في من آمن اما منصوب
المحل بالبدلية من اسم ان مع توابعه او من التوابع لا غير واما مبتدأ
دخلت الفاء في خبره لتضمنه معنى الشرط والجملة خبر ان وعائدها
محذوف اى منهم واذ اخذنا ميثاقكم تذكير لهم بجزء آخر صدر عن

السلام والمراد تأكيد المحافظة على ما في التورية والواو في رفعنا فوقكم الطور
اما عاطفة او حالية بتقدير قد روي ان موسى عليه السلام لما جاءهم
بالتورية وقرء واما فيها من التكاليف الشاقة لم يقبلوها فامر جبرئيل
فقلع الطور وظلله عليهم فقال لهم موسى ان قبلتم والا اسقطه
عليكم فقبلوا خذوا على ارادة القول ما آتيناكم في التورية من الاوامر
والنواهي وغيرها بقوة بجد وعزيمة وسئل الصادق عليه السلام
هل المراد بقوة بدنية او قلبية فقال بهما جميعا ولعله عليه السلام
اراد الجد في القيام بما اشتمل عليه من الاوامر والنواهي اللسانية
والجنانية والاركانية واذكروا ما فيه احفظوه ولا تنسوه و
تفكروا فيه لعلكم تتقون لكي تتقوا المعاصي فتظفروا بالنجاة
عن الوفاء بالميثاق ثم توليتم اعرضتم من بعد ذلك بعد اخذه فلولا
فضل الله عليكم ورحمته لكم بالتوفيق للتوبة او بارسال محمد صلى الله
عليه واله يدعوكم الى الحق لكنتم من الخاسرين بالانهماك في مهاوي
الضلال ولقد اللام موطئة للقسم علمتم الذين اعتدوا منكم
تجاوزوا حدود الله في السبت فانهم امروا بان يتجردوا فيه للعبادة و
يتركوا الصيد فاعتدى جمع منهم بالصيد فيه وكانوا يسكنون قرية
بساحل البحر وكانت الحيتان تجتمع فيها يوم السبت لامنها من الصيد
فيه وتتفرق بعد انقضائه فحفروا حياضا وجعلوا لها جداول من
البحر فكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيحبس فياخذونها يوم الاحد
فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين مطرودين صاغرين نعت قردة او
خبر ثان لكونوا والمراد بالامر لتعقيب سرعة صيرورتهم كذلك عقيب
ارادتنا فجعلناها اي جعلنا تلك الجماعة التي مسخناها كما روي عن
الباقر عليه السلام وقيل الضمير للمسخة والعقوبة وقيل للقرية نكالا
عبرة لما بين يديها وما خلفها لما حضرها وما غاب عنها وقيل
لما قبلها وما بعدها من الامم اذ ذكرت حالهم في زبر الاولين و

قصتهم

قصتهم في الآخرين انتهى وفيه تأمل وموعظة للمتقين منهم او لكل متق
واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة اصل هذه
القصة كما روي عن ائمة اهل البيت عليهم السلام ان رجلا من بني اسرائيل
قتل ابن عمه لامراة اراد كل منهما ان يتزوجها ثم اخفاه القاه على طريق افضل
بسبط من اسباطهم ثم جاء الى موسى عليه السلام يطلب بدمه فامرهم
الله ان يذبحوا بقرة ثم امرهم ان يضربوه ببعضها فيحيى ويخبرهم بقاتله وقتما
عقيب اخبارهم قالوا أتتخذنا هزوا اي تجعلنا هزوا مكان هزء او اهله
او عينه او مهزوا بنا قرء حمزة بسكون الزاء وحفص بضمها مع قلب الهمزة
واوا والباقون كحفص من دون قلب وانما حملوا كلام موسى عليه السلام على الاستهزاء
لانه ادى لرأي جواب غير مطابق لسؤالهم لانه عليه السلام لم يبين
لهم ان ذبحها لاي معنى كما في مجمع البيان واما ما في بعض التفاسير
من انه عليه السلام اخبرهم في اول الامر بالغرض من ذبحها فلم يثبت قال
اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين لان الاستهزاء حال تبليغ امر الله سبحانه
سفه عظيم وجهل كامل والمصدر المسبوك من ان وما بعدها منصوب
بنزع الخافض قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ارادوا ما سنها فقدر
الجواب فحذفوا المضاف او انهم جروا على خلاف الغالب من استعمال لفظة
ما في طلب جنس الشيء وحقيقته فاستعملوها في طلب صفته من كونه
مسنا او فتيا وقيل لما راوا ان البقرة المامور بذبحها على حال عجيبة
خارقة للعادة من احياء الميت بضرب بعضها اجروه مجرى ما لم يعرفوا
حقيقته ثم قال موسى بعد ما دعا ربه وجاء بيان سنها انه يقول
انها بقرة لا فارض ولا بكر لا مسنة ولا فتية عوان نصف
بين ذلك اي بين الفارض والبكر فافعلوا ما تؤمرون امر من جهة موسى
متفرع على اعلامهم بالوصف قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها
قال بعد المناجاة ومجيء الجواب انه يقول انها بقرة صفراء فاقع
لونها تسر الناظرين الفقوع خلوص الصفرة وشدتها وفي

اسناده الى اللون مبالغة كانه قيل صفراء شديدة الصفرة صفرتها
قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي طلبوا زيادة كشف عن حالها سوى
ما سمعوه وعللوا ذلك بقولهم ان البقر تشابه علينا ارادوا ان
ما ذكر من الوصفين كثير الاشتراك بين افراد النوع وانا ان شاء
الله لمهتدون لواصلون الى المطلوب واحتج الاشاعرة بتعليقهم
هذا على ان الحوادث باسرها بارادة الله تعالى وفيه نظر ظاهر على ان
التعليق بالمشية المتبرك به شايع ولو سلم فلا حجة في كلام اليهود قال
انه يقول انها بقرة لا ذلول ليست مذللة بالعمل صفة بقرة اى
غير ذلول تثير الارض اى تكربها ولا تسقى الحرث صفتا ذلول
كانه قيل غير ذلول مثيرة وساقية ولا مزيدة للتاكيد مسلمة سلمها
الله من العيوب او اهلها من العمل او اخلص لها لونها من سلم له كذا اذا
خلص له لا شية فيها الشية في الاصل مصدر وشاه وشيا وشية
اذا خلط بلونه لونا آخر اى لا لون فيها يخالف لون جلدها روى
قرنها وظلفها قالوا الآن جئت بالحق اى بحقيقة تلك البقرة
بما عددته من الصفات بحيث تحققناها وزال اشتباهها بغيرها
او ان المراد انك الآن جئت بما صيرتنا حقا فلعلهم نسبوا
موسى عليه السلام من ان يكون مستهزءا وقولهم هذا يدل على انهم كانوا عالمين
باختصاصها باستجماع تلك النعوت قبل توصيفها بها وعلموا ان في
امرهم بذبحها لحكمة بالغة يحصل بها امر مهم من تعيين القاتل وخطر
ببالهم ان البقرة التي يترتب على ذبحها مثل تلك الحكمة التي لم يعهد
ترتبها على ذبح غيرها لا بد ان يكون مختصة بنعوت لا توجد في غيرها
وكانوا قد راوا بين انعامهم بقرة مستجمعة لتلك النعوت ممتازة
بالاختصاص بها من بين سائر بقرهم فظنوا انها هي البقرة المطلق
منهم ذبحها وكانوا كلما سمعوا وصفا من تلك الاوصاف يزداد ظنهم
قوة حتى افادهم اجتماعها ان ما ظنوه هو الحق وما كادوا يفعلون

لتطويلهم

لتطويلهم وكثرة مراجعتهم او لخوف افتضاح القاتل او لغلاء ثمنها فعن
الرضا عليه السلام انهم طلبوا تلك البقرة الموسومة بتلك
الصفات فوجدوها عند فتى من بني اسرائيل فقال لا ابيعها
الا بملء مسكها ذهبا فاشتروها بذلك وعنه عليه السلام ان بعض اصحابه
سال النبي صلى الله عليه وآله عن شانها فقال صلعم ان فتى من بني اسرائيل
كان بارا بابيه وانه اشترى سلعة فجاء الى ابيه لايفاء ثمنها فوجده
نائما والاقليد تحت راسه فكره ان يوقظه فترك شراءها فاستيقظ
ابوه فاخبره فقال احسنت خذ هذه البقرة فهي عوض عما فاتك ثم
قال النبي صلى الله عليه وآله انظروا الى البر ما بلغ باهله وقد استدل
بهذه القصة على جواز تاخير البيان عن وقت الخطاب فيما ظاهره غير
مراد فان منكر البقرة يعطي اجزاء اى بقرة كانت مع انها كانت معينة
في علمه تعالى كما يقتضيه اجراء الصفات وارجاع الضماير في السؤال
والجواب الى شيء واحد واذ قتلتم نفسا الخطاب للكل وان كان القاتل
احدهم كما يقال قتل بنو فلان فلانا فادارأتم تخاصمتم فيها والاصل
تدارأتم فجئ بهمزة الوصل ووقع الادغام والدرء الدفع والطرح فدفع
احد الخصمين الاخر وحجته او طرح المذنب عليه والله مخرج مظهر
بما امركم به ما كنتم تكتمون مفعول لاسم الفاعل لحكاية الحال
فقلنا اضربوه الضمير للمقتول المدلول عليه بما سبق او النفس و
به ببعضها قيل بلسانها وقيل بذنبها وقيل باحد عظامها كذلك
كما حيا هذا القتيل يحيي الله الموتى يوم القيامة اذ اصل الاحيا
واحد ويريكم آياته دلائل قدرته الكاملة لعلكم تعقلون لكي
يكمل عقولكم بتدبرها ثم قست قلوبكم من بعد ذلك بعد ظهور ما
يوجب لين القلوب من الدلائل كاحياء القتيل فهي كالحجارة في
قساوتها او اشد قسوة لم يقل سبحانه اقسى للمبالغة والدلالة
على اشتداد القسوتين وتفرد قلوبهم بزيادة الشدة وان من الحجارة

لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء بيان
لاشدية قساوة قلوبهم من الحجارة بانها لا تتاثر ولا تنفعل عن امره سبحانه
مع ان من الحجارة ما تتاثر وتنقاد لامر الله فتخرق فيخرج الانهار من
خروقه ومنها ما ليس ذا خروق بل يتشقق فينبع الماء من شقوقه و
ان منها لما يهبط من خشية الله كاندكاك الجبل لما طلب موسى عم
الرؤية بالتماس قومه وقيل المراد ان من الحجارة ما يسقط من العلو
الى السفل انقيادا لامر الله سبحانه لما ركب فيه من الميل الى مركز
العالم وفيه تامل لان هذه الصفة تعم كل الاحجار ومن التبعيضية
تابى ذلك وايضا فالمخاطبون على هذه الصفة ايضا فالتفريع بها غير
لائق وما الله بغافل عما تعملون . قرء ابن كثير ونافع وبكر بالتاء
الفوقانية والباقون بالياء افتطمعون الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله
والمومنين ان يومنوا لكم وقد كان فريق منهم من اسلافهم يسمعون
كلام الله التورية ثم يحرفونه كما فعلوا في نعت النبي صلى الله عليه وآله
من بعد ما عقلوه اى فهموه وهم يعلمون . انهم مفترون والغرض
انهم على نهج اسلافهم واذا لقوا اى منافقوهم الذين امنوا قالوا
امنا بانكم على الحق ورسولكم مبشر به في التورية واذا خلا بعضهم
اى المنافقين الى بعض وهو من لم ينافق قالوا اى غير المنافقين للمنافقين
اتحدثونهم اى تحدثوا المؤمنين بما فتح الله عليكم بما بين لكم
في التورية من نعت النبي صلى الله عليه وآله ليحاجوكم ليحتجوا عليكم
به بالمذكور في كتابكم عند ربكم جعلوا محاجتهم بكتاب الله محاجة عند الله
افلا تعقلون . من كلام اللائمين او متصل بقوله سبحانه افتطمعون
او لا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون . ومنهم اميون جهلة
لا يعلمون الكتاب اى الكتابة او التورية ليطالعوها ويتحققوا
ما فيها الا اماني منقطع والمراد لكن اكاذيب اخذوها عن المحرفين
وان هم الا يظنون . ظنا فويل تحسر وهلاك وحصول

الفائدة

الفائدة صح لابتداء بالنكرة للذين يكتبون الكتاب بايديهم تاكيد
ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ليحصلوا بسببه او بدله
ثمنا قليلا عرضا من اعراض الدنيا الحقيرة الفانية فويل لهم
مما كتبت ايديهم موصولة او مصدرية كاختها في فويل لهم مما يكسبون
وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة اربعين يوما مدة عبادة
العجل او سبعة ايام اذ عمر الدنيا سبعة الاف سنة فلكل الف
سنة يوم واراد والمعدودة القليلة لان الايام اذا قلت تعد فيقال
عشرة ايام وعشرون يوما اما اذا كثرت فلا تعد بالفاظها بل يقال ثلاثة
اشهر وسنة وسنتان ومن هذا القبيل قوله سبحانه دراهم معدودة
اى قليلة فان الدراهم اذا كثرت توزن ولا تعد قل اتخذتم عند الله
عهدا خبرا او وعدا بما زعمتم من القلة قرء ابن كثير وحفص باظهار الذال
والباقون بادغامه فلن يخلف الله عهده اى فاطمانتم وقلتم لن
يخلف الله عهده فالفاء عاطفة او التقدير ان اتخذتم عند الله عهدا
فلن يخلف الله عهده فهي جزائية ام معادلة لهمزة الاستفهام او
بمعنى بل تقولون على الله ما لا تعلمون . هذا الترديد من قبيل
تجاهل العارف بلى اثبات لما نفوه من طول مدة مس النار لهم على
وجه يعمهم وغيرهم من كسب سيئة ذنبا واطلاق الكسب عليه
مع انه استجلاب النفع اما لتحصيلهم به نفعا قليلا او لانه عاجلة او هو
من قبيل قوله سبحانه فبشرهم بعذاب اليم واحاطت به خطيئته استولت
عليه وشملته من جميع جوانبه استعارة من احاطة الاعداء بالمحصور
اذا لم يتوله مفر يؤمه ويتخلص بسببه والخطيئة الذنب لانها
قد تقال على ما يقصد بالعرض لانها من الخطأ وقرء نافع خطيئاته فاولئك
اصحاب النار في الاخرة كما انهم اسبابها في الدنيا هم فيها خالدون
ماكثون ابدا وليس في الاية حجة على خلود صاحب الكبيرة لان كلمة
الشهادة مفرغ عظيم فاين الاحاطة من جميع الجوانب واما تفسير الخلود

اصحابه

هنا بالمكث الطويل فلا يساعد عليه ما هو الظاهر من تطابق الخلودين في
الآيتين والذين آمنوا وعملوا الصالحات العطف يقتضي خروج الاعمال
عن الايمان اولئك اصحاب الجنة في الآخرة كما انهم اصحاب سابقها في
الدنيا هم فيها خالدون جرت عادته سبحانه ان يشفع وعيده بوعده
لطفا منه بعباده وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل اي عهدهم المؤكد
لا تعبدون إلا الله قرأ نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم بتاء الخطاب
والباقون بالياء وهذا خبر بمعنى النهي وهو ابلغ من صريحه وتحتمل
واحسنوا بالوالدين احسانا وذي القربى واليتامى والمساكين و
قولوا للناس قولا حسنا فيه مبالغة وقرأ حمزة والكسائي حسنا
بفتحتين وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة ثم توليتم اعرضتم عن
الميثاق نبذتموه وفيه التفات إلا قليلا منكم وأنتم معرضون
حال مؤكدة او انتم قوم عادتكم الاعراض عن الوفاء بالعهود وإذ
أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم لا يقتل بعضكم بعضا ولا
تخرجون أنفسكم من دياركم باجلاء بعضكم بعضا والتعبير بالنفس للاتصال
النسبي والديني ثم أقررتم بالميثاق وأنتم تشهدون الجملة حالية من فاعل
اقر فلان شاهدا على نفسه او المراد وبعضكم شاهد على بعض ثم
العطف بها للبعد الرتبي والبون البعيد بين ما انتم مرتكبوه من القتل
والاخراج وبين ما اعطوه من الميثاق والاقرار والشهادة ثم أنتم هؤلاء
مبتدأ وخبر عبر سبحانه عنهم بضمير الخطاب اولا وباسم الاشارة المشعر
غيرا وكنك ثانيا للمبالغة فكان شدة تغاير الوصفين ادى الى
تغاير الذاتين تقتلون أنفسكم جملة حالية عاملها معنى الاشارة
او مفسرة للسابقة وتخرجون فريقا منكم من ديارهم حال لونكم
تظاهرون عليهم تتعاونون قرأ عاصم وحمزة والكسائي بتاء واحدة
بالإثم والعدوان حال من الفاعل اي متلبسين بهما او متعلق
بالقتل وان يأتوكم اسارى وقرأ حمزة اسرى تفادوهم تأخذوا

منهم الفدية وهو ضمير شان او راجع الى المصدر المفهوم من تخرجون
محرم عليكم الجملة حالية من فاعل تخرجون اخراجهم اما مبتدأ
خبره محرم او بالعكس او بدل او بيان للمنفصل أفتؤمنون ببعض
الكتاب حيث تفادونهم وتكفرون ببعض وهو تحريم القتل والاجلاء
فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي ذل يقتضي منه في الحيوة
الدنيا كاعطاء الجزية عن يد ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب
وما الله بغافل عما تعملون وقرأ ابو عمرو وحمزة وابن عامر يعملون
بياء الغيبة اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة آثروها
عليها فلا يخفف عنهم العذاب لا في الدنيا بنقص الجزية مثلا و
لا في الآخرة ولا هم ينصرون بدفع ذلك عنهم ولقد آتينا موسى
الكتاب التورية وقفينا من بعده بالرسل ارسلناهم على اثره و
آتينا عيسى ابن مريم البينات المعجزات الواضحات كاحياء الموتى
وابراء الاكمه والابرص وايدناه بروح القدس قرأ ابن كثير باسكان
الدال في كل القرآن ولعل المراد به جبرئيل عم او روح عيسى على نبينا
وعليهم وصف بالطهارة تكريما او عن الشيطان وقيل الانجيل
وقيل اسم الله الاعظم الذي احيى به الموتى أفكلما جاءكم رسول بما لا
تهوى أنفسكم بما لا تحبونه استكبرتم عن اتباعه ففريقا من الرسل
كذبتم كعيسى ونبينا صلوات الله عليهما والفاء سببية او تفصيلية
وفريقا تقتلون كزكريا ويحيى عليهما السلام والمضارع لحكاية الحال استحضارا
لذلك الامر الفظيع ولرعاية الفواصل وايماء الى انكم الآن ايضا
حولتم قتل محمد صلى الله عليه وآله وقالوا قلوبنا غلف مغطاة باغطية
خلقية مانعة عن فقه ما جئت به مستعار من الاغلف وهو من
لم يختن بل لعنهم الله خذلهم وابعدهم عن التوفيق بكفرهم اي بسببه
والا فقلوبهم خلقت على الفطرة متمكنة من قبول الحق فقليلا
ما مزيدة لتاكيد القلة اي فايمانا قليلا يؤمنون وهو ايمانهم

بعض الكتاب ويحتمل كون القلة بمعنى العدم فلما جاءهم كتاب
من عند الله وهو القرآن المجيد مصدق لما معهم من كتابهم واكتفى عن
الجواب بجواب لما الثانية وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا
اي يستنصرون على المشركين بقولهم اللهم انصرنا بنبي آخر الزمان
المنعوت في التورية فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به عنادا وحسدا
ومحافظة على الرياسة فلعنة الله على الكافرين. وضع المظهر
موضع المضمر للتعليل او للام عهدية او ربما لعموم فهي استغرا[قية]
بئسما اشتروا به انفسهم ما بمعنى شيء مميزة للمستكن في بئس واشتروا
نعته ويجوز كونه بمعنى باعوا ان يكفروا بما انزل الله المصدر المخصوص
هو المخصوص بالذم بغيا ظلما وحسدا وهو علة يكفروا لا اشتروا
للزوم الفصل بين المصدر وعامله ان ينزل الله اي حسدا ان ينزل الله
من فضله على من يشاء من عباده فباؤا بغضب على غضب للكفر
والحسد او لتكذيبهم عيسى ومحمدا صلوات الله عليهما وللكافرين عذاب
مهين. اي يراد بهم اذلالهم بخلاف العصاة من الامة فان عذابهم
طهارة لهم من ذنوبهم كما يلقى الذهب المغشوش في النار ليخلص من الغش
واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله اي القرآن او سائر الكتب السماوية
قالوا نؤمن بما انزل علينا اي التورية ويكفرون بما وراءه سواه
والجملة حالية من ضمير قالوا اما بتقدير مبتدء او بدونه وهو الحق
الضمير للموصول والمراد القرآن مصدقا حال والمعنى هو الحق المصدق
لما معهم فالحصر صحيح قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم
مؤمنين. اي كيف يجامع قتلكم الانبياء ادعاء الايمان بما انزل اليكم
بسبب قتل آبائهم اياهم لرضاهم بدعوتهم على مثله ولقد جاءكم موسى
بالبينات الآيات التسع ثم اتخذتم العجل الها من بعده بعد مجيئه
او ذهابه الى الطور وانتم ظالمون. حالية واذ اخذنا ميثاقكم
ورفعنا فوقكم الطور وقلنا خذوا ما آتيناكم بقوة بجد كامل

علم

واسمعوا سماع طاعة وامتثال قالوا بلسان المقال والحال سمعنا
القول وعصينا الامر واشربوا في قلوبهم العجل تداخلها حبه و
رسخ فيها كما الصبغ في الثوب فالكلام استعارة بكفرهم بسبب كفرهم
واعتقادهم الفاسد الذي سوله السامري قل بئسما يأمركم به ايمانكم
بالتورية ان كنتم مؤمنين بها قل ان كانت لكم الدار الآخرة
عند الله حال كونها خالصة خاصة بكم كقولكم لن يدخل الجنة
الا من كان هودا من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين.
فان من تيقن انه من اهل الجنة تمنى ما هو الوسيلة اليها وهو
واجب للخلاص من دار الثواب كما قال امير المؤمنين عليه السلام
لا ابالي سقطت على الموت ام سقط الموت علي ولن يتمنوه ابدا
اذ تمني الموت ان يقولوا ليتنا نموت ولو قالوا ذلك لنقل بما
قدمت ايديهم بسبب ما عملوا من موجبات النار ككفر محمد صلى الله
عليه وآله وتحريف التورية قال المفسرون هنا اخبار بالغيب و
عن النبي صلى الله عليه وآله لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه
فمات مكانه وما بقي يهودي على وجه الارض والله عليم بالظالمين
ولتجدنهم احرص الناس على حيوة التنوين اما للتحقير اي الحيوة
الدنيا او للتنويع اي الحيوة المتطاولة او للابهام اي حيوة غير معلومة
المقدار ومن الذين اشركوا كانه قال الحرص من المشركين وخصهم
بالذكر لزيادة التوبيخ فان حرصهم على الحيوة الدنيوية مع اقرارهم
بالجنة وزعمهم انهم من اهلها ازيد من حرص المشركين على الحيوة مع
انهم ان لا حيوة سواها يود احدهم لو يعمر الف سنة بيان لزيادة
حرصهم ولو مصدرية وما هو الضمير اما لاحدهم او للتعمير بمزحزحه
بمبعده يوم القيمة من العذاب ان يعمر فالمصدر المسبوك فاعل
مزحزحه على الاول اي وما احدهم من يزحزحه من العذاب تعميره
وبدل من المنفصل على الثاني والله بصير بما يعملون فيجازيهم

قل من كان عدوا لجبريل قرء ابن كثير بفتح الجيم واسكان الراء من غير همز
وحمزة والكسائي كسلسبيل وعاصم كجحمرش والباقون كقنديل روى ان
بعض الكفار سال النبي صلى الله عليه وآله عن من ينزل عليه فقال جبرئيل
فقال ذاك عدونا فنزلت والاظهر ان جواب الشرط محذوف تقديره
فليمت غيظا ونحوه فانه اى جبرئيل نزله اى القران على قلبك كانه
سبحانه يقول قل لهم ما قلته لك والا فالظاهر على قلبي هذا ان كان
منه بحكايته ما امر بقوله باذن الله مصدقا حال من المفعول لما بين
يديه لما تقدمه من الكتب وهدى وبشرى للمؤمنين. قل من كان
عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال قرء نافع ميكائل
وابو عمرو وعاصم ميكال كميعاد وافرادهما بالذكر تفخيما لشانهما فان الله
عدو للكافرين. وضع الظاهر موضع ضمير يعود الى اسم الشرط للتصريح
بالعلية والاشعار بكفر من عادا الملائكة والرسل ولقد انزلنا اليك ايات
بينات وما يكفر بها الا الفاسقون. المتمردون اوكلما عاهدوا عهدا
الهمزة للانكار والعطف على مقدر اى كفروا بالايات وكلما عاهدوا نبذه
نقضه فريق منهم بل اكثرهم لا يؤمنون. ولما جاءهم رسول من عند الله
كعيسى ومحمد صلوات الله عليهما مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين اوتوا
الكتاب كتاب الله التورية لما فيها من وجوب الايمان بالرسل المؤيد
بالمعجزات او القران وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون. انه كتاب الله
واتبعوا ما تتلوا الشياطين من الجن والانس او منهما عطف على نبذ و
المضارع لحكاية الحال على ملك سليمان اى عهده اذ شاع في زمانه استراق
السمع والقائه الى الكهنة بعد خلطه باكاذيب كالنوادر ونحوها ويعلمونها
الناس وما كفر سليمان فيه اشعار بكفر الساحر ولكن الشياطين كفروا
باستعمال السحر وقرء حمزة والكسائي وابن عامر بتخفيف لكن ورفع الشياطين
يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين عطف على السحر والتغاير اعتبارا
او المراد نوع اخر اقوى او على ما تتلو ببابل ظرف او حال من الملكين

وهي بلد من توابع الكوفة هاروت وماروت عطف بيان للملكين او بدل
ونزول ذلك عليهما اما لتعليم الناس وما يميزون به بين السحر والمعجزة
او ابتلاء وما يعلمان من احد حتى ينصحانه ويقولا له انما نحن فتنة
ابتلاء من الله فلا تكفر بعمل السحر فان من تعلمه وعمله كفر ومن تعلمه
توقيا عنه لم يكفر فيتعلمون اى الناس المدلول عليهم بكل احد منهما
يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به بما يتعلمون
من احد الا باذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم لانهم يقصدون
به العمل ولقد علموا اى اليهود لمن اشتراه اى اشترى ما تتلوا الشياطين
بكتاب الله ما له في الاخرة من خلاق اى نصيب ولبئس ما شروا
به انفسهم بالمعنيين السابقين لو كانوا يعلمون. ما يترتب عليه
من العذاب العظيم في الاخرة ولو انهم امنوا بما جاء به محمد صلى الله
واتقوا بترك المعاصي لمثوبة من عند الله خير اى لاثيبوا مثوبة
من عنده خير مما اشتروا به انفسهم اذ الفعلية الماضوية هي الاصل
في جواب لو والعدول الى الاسمية للدلالة على ثبات المثوبة و
اما تنكيرها فللدلالة على ان اليسير منها خير لو كانوا يعلمون خيريتها
يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا كان النبي صلى
الله عليه وآله اذا كلم المسلمين بعض المهمات يقولون راعنا يا رسول
الله اى راقبنا وتأن بنا حتى نفهم كلامك وكانت هذه الكلمة كلمة
سب في لغة اليهود فافترصوها وخاطبوا صلى الله عليه وآله بها فنهي
المسلمون عن قولها وامروا بابدالها بانظرنا اى انظر الينا نظر الراعي
والمراقبة واسمعوا احسنوا الاستماع حتى لا تحتاجوا الى طلب
المراعاة وللكافرين عذاب اليم. ما يود الذين كفروا الود محبة
الشيء مع تمنيه من اهل الكتاب بيانية ولا المشركين ان ينزل
عليكم المصدر المسبوك مفعول يود من خير كالوحي والعلم
والنصرة ومن صلة للاستغراق من ربكم ابتدائية والله يختص

برحمته من يشاء فيجعله نبيا ويعلمه الحكمة ويفيض والله ذو الفضل
العظيم ما ننسخ من آية شرطية وقرء ابن عامر ننسخ من انسخ اى نامرك
بنسخها او ننسها نذهبها عن القلوب وقرء ابو عمرو ننسأها اى نؤخرها
نأت جواب الشرط بخير منها او مثلها في نفع العبادة والثواب
وقرء ابو عمرو بقلب الهمزة الفا نزلت لما قال الكفار الا ترون الى محمد
يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه واحتج بالآية من منع النسخ بلا بدل او
بالاثقل وقد نبهنا البحث في زبدة الاصول الم تعلم ان الله على
كل شيء قدير الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله والمقصود الامة
الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض وما لكم من دون
الله من دون الله من ولي ولا نصير ام تريدون منقطعة لا معادلة
للهمزة ان تسئلوا رسولكم وتقترحوا عليه كما سئل موسى من قبل
كما اقترحت اليهود عليه من الاقتراحات المشهورة ومن يتبدل الكفر
بالايمان بترك الوثوق بما عاين من الآيات ويقترح غيرها فقد
ضل سواء السبيل اى وسط الطريق ولا يضل في وسطه الا الاعمى
ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم مصدرية من بعد ايمانكم
كفارا حال من المفعول حسدا مفعول له من عند انفسهم متعلق
بود او بحسدا من بعد ما تبين لهم الحق وعلموه فاعفوا اتركوا العقو
على الكفر واصفحوا اتركوا التوبيخ عليه ايضا حتى يأتي الله بامره
كالامر بالقتال وضرب الجزية وتوفيق بعضهم للاسلام ان الله
على كل شيء قدير واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة امرهم بالصبر
والالتجاء اليه بالعبادة وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه
تجدوا ثوابه عند الله ان الله بما تعملون بصير فلا تضيع عنده
عمل وقالوا اى اهل الكتاب يهودهم ونصاراهم لن يدخل الجنة
الا من كان هودا جمع هائد او نصارى اى قال اليهود لن يدخل
الجنة الا من كان هودا وقالت النصارى لن يدخلها الا من كان نصارى

تلك اى امثال هذه الامنية امانيهم او الاشارة الى الثلث السابقة
وهى ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وان يردوهم كفارا وان لا يدخل
الا هم والامنية افعولة من التمني قل هاتوا برهانكم على هذا الحصر
ان كنتم صادقين بلى من اسلم وجهه لله شرطية او موصولة اى
من اخلص نفسه لله وقصده وهو محسن في عمله فله اجره عند ربه
جواب وخبر ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقالت اليهود ليست
النصارى على شيء صحيح يعتد به وقالت النصارى ليست اليهود
على شيء وهم يتلون الكتاب حالية واللام جنسية كذلك قال
الذين لا يعلمون كعبدة الاصنام والمعطلة مثل قولهم بدل من
كذلك فالله يحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون و
من اظلم ممن منع مساجد الله نزلت لما غزا الروم بيت المقدس وخربوه
او لما منع المشركون النبي صلى الله عليه وآله من دخول المسجد الحرام عام
الحديبية وهي عامة في كل من عطل مسجدا او خربه ان يذكر فيها اسمه
ثاني مفعولي منع او منصوب بنزع الخافض وسعى في خرابها بهدمها
وتعطيلها اولئك ما كان ينبغي لهم ان يدخلوها الا خائفين اى
بخشية وخضوع فضلا عن ان يجترؤا على تخريبها او ما كان الحق ان
يدخلوها الا خائفين ان يبطش بهم المؤمنون فضلا عن منعهم منها و
تخريبها او ما كان لهم ذلك في علمه تعالى وقضائه فيكون وعدا باستخلاصها
منهم وقد انجز وعده لهم في الدنيا خزي قتل وسبي او ذل ضرب الجزية
ولهم في الآخرة عذاب عظيم ولله المشرق والمغرب ناحيتا الارض
والمراد كلها فان منعتم من الصلوة في المسجد فقد جعلتها لكم مسجدا
فاينما ففي اى مكان تولوا وجوهكم الى القبلة فثم وجه الله اى جهته
التي امر بها روى عن ائمة اهل البيت عليهم السلام انها نزلت في صلوة التطوع
على الراحلة وقيل في قوم عميت عليهم القبلة فصلوا الى جهات
مختلفة وخطوا خطوطا فلما اصبحوا تبينوا الخطا ان الله واسع

باحاطة علمه او برحمته يريد التوسعة على عباده عليم بمصالحهم واعمالهم
في كل مكان وقالوا وقرء ابن عامر بغير واو اتخذ الله ولدا فاليهود جعلوا
عزيرا والنصارى عيسى وقال مشركوا العرب الملائكة بناته سبحانه تنزيه
له جل شانه عن ذلك بل له ما في السموات وما في الارض وما جعلوه
اولادا من جملة ما فيهما كل له قانتون منقادون مقرون بعبوديته
عبر سبحانه عنهم اولا بما التي لما لا يعقل وثانيا بالواو والنون ومما
لما يعقل لان الاول مقام الكبرياء والالوهية والعقلاء فيه كالجماد
والثاني مقام الانقياد والعبودية والجمادات فيه بمنزلة العقلاء
بديع السموات والارض اي مبدعهما او وصف بحال المتعلق و
الابداع اختراع الشيء لا عن شيء دفعة واذا قضى امرا اذا اراد ايجاد
شيء فانما يقول له كن فيكون اي احدث فيحدث وهو تمثيل لحصول
ما تعلقت به ارادته تعالى بلا مهلة بطاعة المامور بلا توقف وقرء ابن
عامر بفتح النون وقال الذين لا يعلمون من المشركين والمتجاهلين لولا يكلمنا
الله كما كلم الملائكة او يوحى الينا ان محمدا رسولي او تاتينا آية برهانا
على صدقك قالوا هذا استهانة به وعنادا كذلك قال الذين من قبلهم
من الامم مثل قولهم حيث قالوا ارنا الله جهرة بدل من كذلك تشابهت
قلوبهم هم وسابقوهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون يطلبون اليقين
او يوقنون بالحقائق لا يعتريهم شبهة ولا عناد وفيه اشارة الى انهم
قالوا ذلك لحقارة الآيات او لطلب زيادة تبرك لوم عتوا وعنادا انا
ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا فلا عليك من عنادهم ولا تسئل وقرء
نافع بالبناء للمجهول اي ان حالهم في شديد لفظاعة عن اصحاب الجحيم ما
بالهم لا يومنوا ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع
ملتهم قل لهم ان هدى الله وهو الاسلام هو الهدى لا غيره ولئن
اتبعت اهواءهم بعد الذي جاءك بالوحي من العلم ما لك
من الله من ولي ولا نصير الذين آتيناهم الكتاب اي مؤمنوهم

الذين

آية

يتلونه حق تلاوته بتدبر معناه وصون لفظه عن التحريف والجملة خبر
الموصول اولئك يؤمنون به دون المحرفين ومن يكفر به فاولئك
هم الخاسرون حيث شروا الكفر بالايمان يا بني اسرائيل اذكروا
نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين واتقوا
يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها
شفاعة ولا هم ينصرون ختم سبحانه الكلام معهم بما صدر به
مبالغة في النصح وايذانا بان هذه النعم هي المقصود من القصة
واذ ابتلى ابراهيم وقرء ابن عامر ابراهام ربه بكلمات اي كلفه بتكاليف
شاقة كذبح الولد وقيل هي سنن العشر فاتمهن قام بهن حق القيام
قال اني جاعلك للناس اماما استيناف وبيان الابتلاء قال
ومن ذريتي عطف على الكاف وعطف ما في كلامك على ما في كلام
غيرك شايع بين العرب وتسميه النحاة عطف التلقين اي واجعل بعض ذريتي
اماما ايضا قال لا ينال عهدي الظالمين لان الامامة امانة من
الله والظالم لنفسه او لغيره لا يصلح لها وفي تفسير البيضاوي انها دليل
على عصمة الانبياء من الكبائر قبل البعثة وان الفاسق لا يصلح للامامة
فتدبر كلامه واذ جعلنا البيت مثابة للناس مرجعا يثوبون اليه
لانه ظالم النفس
اي يرجعون او يثابون بزيارته وامنا موضع امن وامن حاجه من
عذاب الآخرة ولا يؤاخذ الملتجي اليه الى ان يخرج فيراد بالبيت كل الحرم
واتخذوا وقرء نافع وابن عامر بصيغة الماضي من مقام ابراهيم مصلى
يصلي في قربه ركعتا الطواف وغيرهما وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل
امرناهما ان طهرا بيتي مما لا يليق به من الاوثان والنجاسات وغيرهما
للطائفين حوله والعاكفين فيه وعنده والركع السجود جمع
راكع وساجد واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا ذا امن
وارزق اهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر
الموصول بدل من اهله للتخصيص قال ومن كفر عطف من آمن

قيل عطفا للمتقين فامتعه بالرزق متاعا قليلا اذ لم يتوصل به
الى نيل المثوبات وقيل متاعا قليلا وهو يستلزم فوت السببية فيما
تضمن معنى الشرط وقرء ابن عامر فأمتعه من امتع ثم اضطره الزه لسبب
كفره الى عذاب النار وبئس المصير لما قاس ابراهيم عليه السلام الرزق
على الامامة فخصه بالمؤمن نبه سبحانه على ان الرزق رحمة دنيوية
تعم الفريقين بخلاف الامامة فانها تقدم ديني لا يناله الا الخواص واذ
يرفع ابراهيم حكاية حال ماضية القواعد من البيت وهي ما يتأسس
بها البناء او ساقاته اذ كل ساق قاعدة لما فوقه واسمعيل شاركه مناولة
حجارته او للبناء معه حال كونهما قائلين ربنا تقبل منا هذا العمل
وفيه دليل على ان قبول العبادة غير اجزائها انك انت السميع لدعائنا
العليم بنياتنا ربنا واجعلنا مسلمين لك مخلصين منقادين لك
في بقية عمرنا كماضيه واجعل من ذريتنا امة مسلمة لك لعل
تخصيصهما ذلك ببعض الذرية لعلمهما ان بعضهم يكونون ظلمة كما
شوهد في الجم الغفير من بني امية وبني العباس فارادا ان لا يكون دعاؤهما
مردودا غير مستجاب وقيل للبعض لعلمهما بان الحكمة الالهية لا
يقتضي الاتفاق على الاخلاص والاقبال الكلي على الله فانه مما يشوش
المعاش ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا وفيه نظر وقد يجعل
من بيانية بتقديم المبين وهو بعيد جدا مع اقتضائه عدم استجابة
دعائهما وارنا من رؤية البصر او المعرفة مناسكنا معابدنا
او ما يتعبد به وتب علينا لما كانت حسنات الابرار سيئات
المقربين صحت توبة الانبياء انك انت التواب الرحيم ربنا وابعث
فيهم في الامة المسلمة رسولا منهم ولم يبعث من ذريتهما معا
الا نبينا صلى الله عليه واله يتلوا عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب
القران والحكمة ما يكمل به نفوسهم علما وعملا ويزكيهم عن الشرك
والمعاصي انك انت العزيز الذي لا يغلب على ما يشاء الحكيم المحكم

لما يريده ومن يرغب عن ملة ابراهيم استفهام انكار للامر الا من سفه نفسه
اذلها واستخف بها ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الاخرة
لمن الصالحين فهو حقيق بالاتباع لا يرغب عنه الا سفيه اذ قال له
ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين تعليل للاصطفاء ووصى
قرء نافع وابن عامر واوصى بها بتلك الملة او بقوله اسلمت لرب العالمين
على تأويله بالكلمة ابراهيم بنيه ويعقوب اي وصى هو ايضا بها بنيه
فقال كل منهما لبنيه يا بني ان الله اصطفى لكم الدين الاسلام فلا
تموتن الا وانتم مسلمون اي لا تكونوا حال الموت الا مسلمين ولعل
تغيير العبارة للدلالة على ان الموت على غير الاسلام لا خير فيه فينبغي
ان لا يحل ام كنتم منقطعة والمراد ما كنتم او متصلة بتقدير أكنتم
غائبين ام كنتم شهداء حاضرين والخطاب لليهود اذ حضر يعقوب
الموت اذ قال لبنيه مريدا تقريرهم على التوحيد والاسلام والثبات
عليهما ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله اباءك
ابراهيم واسمعيل عده في اباءه اما تغليب او لاطلاق الاب على العم
عرفا واسحق الها واحدا بدل من اله اباءك للتصريح بالتوحيد ونفي
توهم ينشأ من تغاير المضاف اليه او منصوب على الاختصاص ونحن له
مسلمون حال من فاعل نعبد او مفعوله تلك امة قد خلت لها
ما كسبت ولكم ما كسبتم لكل عمله ولا تسألون عما كانوا يعملون
من السيئات والحسنات وقالوا كونوا هودا او نصارى قد
تقدم مثله تهتدوا جواب الامر قل بل ملة ابراهيم حنيفا مائلا
عن الباطل الى الحق حال من ابراهيم او الملة بتأويل الدين وما كان من
المشركين فكيف تدعون اتباعه مع شرككم قولوا ايها المسلمون
امنا بالله وما انزل الينا وما انزل من الصحف الى ابراهيم
واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط جمع سبط ويراد بهم
حفدة يعقوب و ذراريهم ونزول الصحف اليهم عنا ابراهيم

كنزول القرآن إلينا وما أوتي موسى وعيسى التوراة والإنجيل وما
أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم فنؤمن ببعض كاليهود
وإضافة بين إلى أحد لعمومه في سياق النفي ونحن له مسلمون مخلصون
فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به الباء مثل أو صلة فقد اهتدوا وإن تولوا
أعرضوا عن الإيمان فإنما هم في شقاق مخالفة ومعاداة
فسيكفيكهم الله وعد بالوقاية والنصرة للنبي صلى الله عليه وآله
أصالة وللمؤمنين تبعا وهو السميع لأقوالكم وأقوالهم العليم بأفعالكم
فهو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين صبغة الله نصبها على المصدر
صبغنا الله صبغة فحذف الفعل وأضيف إلى الفاعل إليها والمراد الفطرة
التي فطر الناس عليها فإنها حلية للإنسان كالصبغ للمصبوغ أو تطهير
القلب بالإيمان لمداخلته له مداخلة الصبغ كان النصارى يغمسون
أولادهم في ماء أصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهيرهم فالكل
أيضا محتملة ومن أحسن من الله صبغة تمييز ونحن له لا لغيره عابدون
عطف على آمنا فجملة الصبغة داخلة في مقول قولوا قل أتحاجوننا أتجادلوننا
في الله في شأنه تعالى كتنزيهه عن الولد وعدم تخصيصه الجنة بكم و
اصطفائه نبيا من العرب لا منكم روي أنهم قالوا كل الأنبياء منا فلو
كنت نبيا لكنت منا وهو ربنا وربكم لا اختصاص له بكم فيصيب برحمته
من يشاء ولنا أعمالنا القبلية وغيرها ولكم أعمالكم فيعامل كل منا و
منكم بمقتضى اعتقاداته وأفعاله ونحن له مخلصون أم تقولون أم
منقطعة وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بالتاء الفوقانية فالمعادلة للهمزة
أتحاجوننا محتملة إن إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط
كانوا هودا أو نصارى قل أأنتم أعلم بما كانوا عليه أم الله وقد
كذبكم بقوله جل شأنه ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ودين المعطوف
عليه دينه اتفاقا ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله كالشهادة
لإبراهيم بالبراءة من الملتين والشهادة لمحمد صلى الله عليه وآله بالنبوة كما

تضمنته كتبهم ومن ابتدائية وما الله بغافل عما تعملون تلك أمة
قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون
كرر للمبالغة في التحذير عما رسخ في الطبائع من الافتخار بالآباء والاتكال
على قربهم عند الله سبحانه سيقول السفهاء من الناس المنكرون لتغيير
القبلة من المنافقين إذا خلوا إلى شياطينهم من اليهود والمشركين ما
ولاهم أي صرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها وهي بيت المقدس قل لله
المشرق والمغرب لا يختص شيء من الأمكنة والجهات بما يمنع تبدله
بغيره يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم برعاية الحكمة وبقضية
المصلحة وكذلك أي كما جعلناكم مهديين جعلناكم أمة وسطا
خيارا خيرين لتكونوا شهداء على الناس إنه سبحانه لم يخل بالهداية
لما أوضح السبل وأرسل الرسل فبلغوا ونصحوا ولكن غلب الشقاء على
الكافرين فأعرضوا عن الآيات واتبعوا الشهوات ويكون الرسول
عليكم شهيدا بخيريتكم وهذه الشهادة وإن كانت لنا لا علينا لأنه
صلى الله عليه وآله لما كان كالرقيب المهيمن علينا عدي بعلى وما
جعلنا القبلة بعد الهجرة التي كنت عليها قبلها وهي الكعبة فإنه صلى الله
عليه وآله كان يصلي إليها بمكة فلما هاجر أمر بالصلوة إلى بيت المقدس أو المعنى
ما جعلنا القبلة التي كنت عليها قبل الهجرة وبعدها إن صح أن قبلته
بمكة كانت إلى بيت المقدس كما روي عن ابن عباس رضي الله عنه فعلى الأول
جعلنا ذو مفعولين والموصول ثانيهما والجعل وعلى الثاني المفعول واحد
والموصول نعت والجعل منسوخ ولا حاجة في الحمل على المنسوخ إلى الالتزام
بتلك الرواية إذ صلوته صلعم في المدينة إلى بيت المقدس إجماعية لا خلاف
لأحد فيها إلا لنعلم من يتبع الرسول في صلوته إلى الكعبة ثانيا على
الأول وأولا على الثاني ممن ينقلب على عقبيه يرجع عن متابعته لضعف
إيمانه أي إنما فعلنا ذلك لنمتحن الناس ونختبرهم والمراد تعلق علمه تعالى
بذلك موجودا وإلا فهو سبحانه لم يزل عالما بما كان وبما يكون وقيل

المراد لا لنشرك مع الرسول والمؤمنين في العلم بذلك وإن كانت ان
المخففة من الثقيلة او نافية واللام بمعنى الا والضمير للجعلة المدلو
عليها بجعلنا او المتابعة المدلول عليها بيتبع لكبيرة ثقيلة شاقة
إلا على الذين هدى الله بالثبات والرسوخ في الايمان والطاعة
وما كان الله ليضيع إيمانكم ثباتكم عليه إن الله بالناس لرؤف
رحيم . فكيف يضيع اجورهم والرافة الرحمة العظيمة البالغة وتقديم
الابلغ لان بلغ افراده رحمته للخواص المقربين والباقي لمن دونهم بحسب
مراتبهم فقدمه سبحانه اشرف مع مراعاة الفواصل قد نرى تقلب
وجهك في السماء تطلعا لما تتوقعه من جعل قبلتك الكعبة كما كان
قبلة ابيك ابراهيم فلنولينك قبلة لنظهرن نصبها بنزع الخافض
كقولهم ذهبت الشام اي فلنصرفنك الى قبلة ترضاها تحبها وتتشوق اليها
فول وجهك اصرفه شطر المسجد الحرام اي صوبه وتلقاءه فنصبه
على الظرفية والحرام المحرم لتحريم القتال فيه واخراج الملتجي اليه والمراد
التوجه الى جهة الكعبة لا الى عينها لقوله وحيث ما كنتم ولاصحابنا
قدس الله ارواحهم اختلاف في معنى الجهة ولنا في تحقيقها رسالة مفردة
وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين اوتوا الكتاب
ليعلمون انه اي الصرف الى الكعبة الحق من ربهم لتضمن كتبهم انه صلى الله عليه وآله
يصلي الى القبلتين وما الله بغافل عما يعملون . قرء ابن عامر وحمزة و
الكسائي بالتاء الفوقانية ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب
بكل آية برهان ما تبعوا قبلتك لان مخالفتهم لك ليست عن شبهة
يزول بالبرهان وانما هي مكابرة وعناد وما انت بتابع قبلتهم و
ما بعضهم بتابع قبلة بعض فان النصارى مصرون على استقبال المشرق
واليهود على استقبال صخرة بيت المقدس ولئن اتبعت اهواءهم
على سبيل الفرض من بعد ما جاءك من العلم بالوحي انك اذا
لمن الظالمين . فيه تاكيد من عشرة اوجه الذين آتيناهم الكتاب

يعرفونه كما اي النبي صلى الله عليه وآله لما اطلعوا عليه من اوصافه
في التورية كما يعرفون ابناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم
يعلمون . حالية الحق مبتدء ولامه جنسية من ربك خبر اي الحق
ما كان منه تعالى لا ما سولته لهم انفسهم فلا تكونن من الممترين . الشاكين
والخطاب له صلى الله عليه وآله والمراد امته ولكل وجهة ولكل جمع
قبلة هو اي ذلك الجمع موليها وجهه ويحتمل العود الى الرب وقرء ابن
عامر مولاها فاستبقوا الخيرات التي تورث سعادة الدارين اينما
تكونوا يأت بكم الله جميعا الى المحشر يوم القيمة إن الله على كل شيء
قدير . ومن حيث ومن اي موضع خرجت مسافرا فول وجهك شطر
المسجد الحرام حال الصلوة وإنه للحق من ربك وما الله بغافل عما
تعملون . ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث
ما كنتم فولوا وجوهكم شطره كرره للمبالغة وللتعليل بقوله جل
شانه لئلا يكون للناس عليكم حجة اي ان الصرف عن الصخرة الى الكعبة
يدفع احتجاج المشركين بانه يدعي انه على ملة ابراهيم مع انه يخالف قبلته
إلا الذين ظلموا منهم اي لا يكون للناس حجة الا للمعاندين ويقولون
رجع الى قبلة قومه ويوشك ان يرجع دينهم فلا تخشوهم واخشوني و
لأتم نعمتي علة لمحذوف اي امرتكم بذلك لعلة اتمامي نعمتي عليكم وارادتي
اهتدائكم كما ارسلنا فيكم رسولا منكم اي ولاتم نعمتي عليكم كما اتممتها
بارسال رسول منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب
والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون . بالفكر والنظر فاذكروني
اذكركم واشكروا لي ما انعمت عليكم ولا تكفرون . بجحد النعم والعصيان
يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر عن المعاصي والصلوة التي هي
راس العبادات ومعراج العبد وقدم الصبر لان التخلية قبل التحلية
إن الله مع الصابرين . ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات
هم بل هم احياء ولكن لا تشعرون بحياتهم وفيه دليل على ان النفوس

جواهر مغايرة لما يحصل من الابدان والتخصيص بالشهداء لاختصاصهم
بالقرب ومزيد الكرامة ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ولنصيبنكم
اصابة اختبار ونقص من الاموال والانفس والثمرات عطف على شيء
وبشر الصابرين • الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا
اليه راجعون • اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك
هم المهتدون • ان الصفا والمروة من شعائر الله من علامات مناسكه
فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما كان على الصفا
صنم يسمى اساف وعلى المروة آخر يسمى نائله وكانوا في الجاهلية اذا سعوا
مسحوهما فلما فتحت مكة وكسرت الاصنام كان المسلمون يأبون ان يطوفوا
بهما فنزلت وليس في نفي الحرج دلالة على عدم وجوبه كما ظنه ابن حنبل ولا
على وجوبه ونحن معاشر الامامية انما استفدنا وجوبه من النصوص الواردة
عن ائمة اهل البيت سلام الله عليهم ومن تطوع خيرا قرء حمزة والكسائي
يطوع يتطوف وليس فيه حجة لابن حنبل اذ الواجب تطوع به ايضا وخير
صفة مصدر محذوف او منزوع الخافض وهو الباء فان الله شاكر
عليم • ان الذين يكتمون كاحبار اليهود ما انزلنا من البينات كالآيات
الشاهدة بنبوة النبي صلى الله عليه وآله والهدى وما يهدي الى وجوب
اتباعه من بعد ما بيناه للناس في الكتاب في التورية اولئك يلعنهم
الله ويلعنهم اللاعنون • الا الذين تابوا واصلحوا ما افسدوا وبينوا ما
بينه الله تعالى في كتابه بهم فاولئك اتوب عليهم وانا التواب الرحيم •
ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اولئك عليهم لعنة الله والملائكة
والناس اجمعين • خالدين فيها في النار بدلالة السياق وفي اللعنة
لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون • يعتذروا او لا ينظر
اليهم بالرحمة والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم • ان في
خلق السموات والارض فردا لا نضلان تعدد افاليمها لا يوجب
تعدد كرتها واما تعدد السموات فكان امرا معروفا بينهم واختلاف

الليل والنهار تعاقبهما والفلك التي تجري في البحر انيثها باعتبار الصفة
بما ينفع الناس مصدرية او موصولة وما انزل الله من السماء من
ماء الاولى ابتدائية والثانية بيانية فاحيا به الارض بعد موتها
بالنبات وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح في الجهات وقرء حمزة و
الكسائي بالافراد والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم
يعقلون • يتفكرون فيها ويتاملونها بعيون عقولهم ومن الناس
من يتخذ من دون الله اندادا كالاصنام والملوك وسائر الرؤساء
بل كل ما يشغل عن الله سبحانه يحبونهم كحب الله والذين
آمنوا اشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا انفسهم باتخاذ الانداد و
مطلقا اذ يرون العذاب يوم القيمة ان القوة لله جميعا وان
الله شديد العذاب ساد مسد مفعولي يرى اذ تبرء الذين اتبعوا
من الذين اتبعوا بدل من اذ يرون ورأوا العذاب حالية بتقدير قد
وتقطعت بهم الاسباب عطف على تبرء او رأوا العذاب وقال
الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرء منهم كما تبرؤا منا رجوعا الى
الدنيا ولو للتمني كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم ثالث
مفاعيل يري وما هم بخارجين من النار ابلغ من يا ايها الناس كلوا
مما بتعيضية او ابتدائية واكل الجميع غير لازم في الارض حلالا طيبا
صفة مصدر محذوف اي كلا حلالا او مفعول كلوا مطابقا نزلت
في قوم حرموا على انفسهم رفيع الاطعمة والملابس ولا تتبعوا خطوات
الشيطان جمع خطوة وقرء نافع وابو عمرو وحمزة باسكان الطاء روي
عن الامامين الباقر والصادق عليهما السلام ان منها الحلف بالطلاق
والنذر بالمعاصي وكل يمين بغير الله تعالى انه لكم عدو مبين مظهر
عداوته كما لا يخفى على ذي بصيرة انما يأمركم بالسوء ما يسوء الانسان
اي يضره والفحشاء ما يستقبحه العقل وان تقولوا على الله ما لا
تعلمون • بيان لعداوته وحصر لاوامره في الشرور واستعير الامر

لتزيينه لها وبعثهم عليها تسفيها لرايهم وتحقيرا لهم وظاهرها دال
على المنع من اتباع الظن الا ما خرج بالدليل واما كون حكم المجتهد في
الفروع ظنيا او قطعيا وقول الاصوليين ان ظنية الطريق لا ينافي
علمية الحكم فقد حققنا الكلام فيه في زبدة الاصول وحواشيها
واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه
اباءنا او لو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ۝
الواو للحال او عاطفة والهمزة للانكار والتعجب وجواب لو محذوف
اي فهم يتبعونهم ومثل الذين كفروا واصروا على كفرهم اي مثل
داعيهم الى الايمان كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء
من دون شعور له بمعنى اللفظ والاصم سواء صم بكم عمي رفعها على الذم [هوم]
فهم لا يعقلون ۝ يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم
واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون ۝ امر المؤمنين بان يتحروا طيب
الرزق ويقوموا بحقوقها من الشكر وعلمهم بان العبادة لا يتم به
انما حرم عليكم الميتة ما مات بغير تذكية شرعية وعندنا
ان جميع الانتفاعات بالميتة اكلا وغيره حرام لادلة خارجة و
ربما ظن دلالة الاية على ذلك ايضا لاضافة الحرمة الى العين
وفيه ان قرينة الاكل سابقا ولاحقا قائمة والدم المراد المسفوح [لقوله تعالى او دما مسفوحا [illegible]]
اما ما يتخلف في الذبيحة بعد القذف المعتاد فحلال عندنا و
لحم الخنزير وما اهل به لغير الله رفع به الصوت عند ذبحه للصنم
كما كانت عادتهم والمراد مطلق ما ذبح له وحصر المحرم في هذه الاربع
انما هو وقت نزول هذه الاية فلا ينافيه تحريم اشياء بعدها او
المراد حصر المحرم في وقت الاختيار لا في الاربعة او فيها مما
استحلوه فمن اضطر الى اكل شيء من هذه الاربعة حال كونه غير باغ
اي غير خارج على امام عادل وقيل غير باغ للذة ولا عاد هو قاطع
الطريق وقيل الذي يتعدى سد الرمق اي يتجاوزه فلا اثم عليه

في

في تناوله ان الله غفور رحيم ۝ في اسقاط الاثم عن المضطر بالغفران
اذ الاضطرار لا ينافي التأثيم ولذلك يأثم المضطر الى قتل شخص ليدفع عن
نفسه قتل الظالم له ان لم يقتله ان الذين يكتمون ما انزل الله
من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا عوضا حقيرا اولئك
ما ياكلون في بطونهم اي ملأها اكل في بطنه واكل في بعض بطنه
الا النار من تسمية السبب باسم المسبب ولا يكلمهم الله يوم القيمة
عبارة عن غضبه عليهم ولا يزكيهم ولا يطهرهم من رجس الاثام بالتوفيق
للتوبة ولهم عذاب اليم مولم اولئك الذين اشتروا الضلالة
بالهدى في الدنيا والعذاب بالمغفرة في الاخرة فما اصبرهم على النار
تعجب من حالهم ذلك العذاب بان الله اي بسبب ان الله نزل الكتاب
بالحق وهم رفضوه بالتكذيب والكتمان وان الذين اختلفوا في
الكتاب الواو حالية واللام جنسية لفي شقاق خلاف بعيد عن الحق
واختلافهم ايمانهم ببعض كتب الله وكفرهم ببعضها ومناط سببية العذاب
هذه الجملة الحالية ليس البر وقرء حمزة وحفص بالنصب ان تولوا وجوهكم
قبل المشرق والمغرب نزلت لما اكثر اهل الكتاب الخوض في امر القبلة
وادعى كل طائفة ان البر هو التوجه الى قبلتهم والمراد ليس البر الذي هو
العمدة في امر الدين صرف الوجه الى جهة دون جهة ولكن البر وقرء
نافع بالتخفيف ورفع البر من امن اي بر من امن بالله واليوم الاخر
والملائكة والكتاب اي جنسه او القران والنبيين واتى المال
يعم سائر الصدقات على حبه حالية اي مع حب المال او حب الله او
الايتاء ذوي القربى فان اعطاءهم صدقة وصلة واليتامى بالدفع
الى الولي لينفقه عليهم او بانفاقه هو عليهم والمساكين الذين لا
يملكون نفقة سنتهم فعلا او قوة وابن السبيل المنقطع ببعد
عن اهله والسائلين الذين الجأتهم الحاجة الى السؤال وفي الرقاب
بان تشترى وتعتق وفي حكمه اعانة المكاتبين واقام الصلوة و

لك الزكوة اوردها بالذكر مع دخولها فى ايتاء المال لما لزيادة الاهتمام
بها او لتخصيصه بالنفل والموفون بعهدهم اذا عاهدوا ويدخل فيه النذر
واليمين والصابرين نصبه على المدح تنويها بشان الصبر فى البأساء
فى الاموال كالفقر والضراء فى الابدان كالمرض وحين البأس وقت
الجهاد اولئك الذين صدقوا فى الدين واتباع الحق واولئك هم المتقون
الذين يحق ان يوصفوا بالتقوى عن النبى صلى الله عليه واله من عمل بهذه
الاية فقد استكمل الايمان يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص
فى القتلى عدوانا فيجب على القاتل ان يمكن ولى الدم من ان يقتص منه
ان اصر على القصاص ولم يختر الدية واستدل الحنفية بالتعبير بالفرض
على ان مقتضى العمد القود ولا دلالة فيه اذ الواجب التخييرى مفروض
ايضا الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى فمن عفى له من اخيه شىء
من العفو وهو العفو عن القتل فقط لا عنه مع الدية والا لم يستقم التعبير
الاتى وشىء مفعول مطلق نائب عن الفاعل والعافى ولى الدم والمعفو له
القاتل والاخ هو المقتول وفى التعبير به اشارة الى ان صاحب الكبيرة
مومن لان القاتل اذا لم يخرج باثم القتل عن الاخوة فى الايمان فكيف بما
دونه وقيل المراد بالاخ ولى الدم سماه سبحانه اخا للقاتل ليشفق عليه
بقبول الدية او العفو بالكلية وربما ظن ان قوله تعالى شىء دليل على
ان بعض الاولياء اذا عفى سقط القود وفى الدلالة نظر ظاهر والذى
عليه فقهاؤنا قدس الله ارواحهم ان عفو البعض لا يمنع طلب الباقين
القود فاتباع اى فليكن من العافى اتباع بالمعروف ان لا يتشدد فى
الطلب وينظره ان كان معسرا ولا يطالبه بازيد من حقه ومن المعفو له
اداء اليه الى العافى باحسان ان لا يمطله وهذا هو المروى عن
الصادق عليه السلام وقيل المراد حث المعفو عنه على الاتباع والاداء
ذلك التخيير بين القصاص والعفو والدية تخفيف من ربكم ورحمة
قد كان لليهود القصاص فقط وللنصارى العفو فقط فمن

اعتدى بعد ذلك بان قتل بعد قبول الدية والعفو كما روى عن الصادق عليه السلام
فله عذاب اليم فى الاخرة ولكم فى القصاص حيوة الظرفان اما خبران
او احدهما والاخر صلة والكلام فى غاية البلاغة جعل سبحانه ضد
الشىء محلا له وعرف القصاص ونكر الحيوة ليدل على ان فى هذا الجنس من
الحكم نوعا من الحيوة عظيما لانه يردع كل من عزم على قتل غيره ففيه حيوة
نفسين ولانهم كانوا يقتلون الجماعة من القاتلين وغيرهم بالواحد والقصاص
يقتل القاتل وحده ويسلم الباقون والاول يقتضى اضمار الحكم لا تخصيص
الحيوة بغير القاتل والثانية بالعكس يا اولى الالباب ذوى العقول
الكاملة لعلكم تتقون فى المحافظة عليه كتب عليكم اذا حضر
احدكم الموت اى اشرف عليكم ووجدت اسبابه ان ترك خيرا اى
مالا وقد يخص بالكثير للرواية عن امير المؤمنين عليه السلام ولم يثبت
صحتها الوصية مرفوعة بكتب ووجه تذكيره لا يخفى وعامل الظرف اما
هى ولا يضر ضعفها بالتاخر لاكتفائه برائحة الفعل ومدلول كتب وهو
اذ الحدثان الفرض عليهم لم يكن وقت حضور موت احدهم فتدبر للوالدين
والاقربين قيل هى منسوخة باية المواريث ولم يثبت ولعل التعبير بكتب
لتاكيد الاستحباب بالمعروف بالعدل وعدم الاجحاف بزيادة البعض
على البعض حقا على المتقين مفعول مطلق للتاكيد اى حق حقا فمن بدله
غيره مما اوصى به بعدما سمعه فانما اثمه اى اثم التبديل على الذين يبدلونه
فانهم هم الذين خالفوا الشرع ان الله سميع عليم وعيد للمبدل فمن
خاف علم من موص وقرا حمزة والكسائى موص للتشديد جنفا عدولا
عن الحق سهوا او اثما بان يكون العدول عمدا فاصلح على نهج الشرع
بينهم اى بين الموصى لهم كما روى عن الباقر والصادق عليهما السلام وقيل
اى بين الموصى والموصى لهم فلا اثم عليه فى هذا التبديل لانه حق ان
الله غفور رحيم للمذنب فكيف يواخذ المصلح يا ايها الذين امنوا
كما كتب على الذين من قبلكم فيه تاكيد وترغيب وتسلية والتشبيه

اما في اصل الصوم او في قلة ايامه او في عدده فقد روي عن ائمة اهل
البيت عليهم السلام ان صوم رمضان كان واجبا على الانبياء السابقين
لعلكم تتقون ۝ المعاصي فان الصوم يكسر الشهوة اياما نصبها بالصيام
ولا يضر الفصل والتعريف لما مر عن قريب فلا حاجة الى اضمار صوموا
معدودات اي قلايل كما تقدم في قوله تعالى وقالوا لن تمسنا النار الا
اياما معدودة فمن كان منكم في شيء من تلك الايام مريضا يتضرر
بالصوم او على سفر اي مسافر او في سفر فعدة اي فعليه صوم عدة من
ايام اخر عوضا عما افطر ايام المرض والسفر وظاهر الاية وجوب
الافطار على المسافر وهو المروي عن ائمة اهل البيت عليهم السلام
والمنقول عن كثير من الصحابة واما القول بتخييره بين الافطار والصوم
العدة وان في الاية شرطا مضمرا او التقدير فعدة من ايام اخر ان افطر
فلا عمل عليه عندنا وقد يظن ان فيها ايماء الى ان من سافر اثناء
اليوم لم يفطر وهو غير ظاهر والذي عليه محققوا اصحابنا المتاخرين
انه ان بلغ موضع الترخص قبل الزوال افطر وعلى الذين يطيقونه
اي يطيقون الصوم بجهد وطاقة اي مشقة شديدة والمراد بهم الشيوخ
والعجايز وذوي العطاش والحوامل المرضعات القليلات اللبن هكذا
روي عن ائمة اهل البيت عليهم السلام فدية طعام مسكين مدا عن كل
يوم افطروه وقرء نافع وابن عامر برواية ابن ذكوان باضافة الفدية الى
الطعام وجمع المساكين وفي المسئلة تفصيل يطلب من كتب الفروع فمن
تطوع خيرا بالزيادة على المد او ضم الادم او نحو ذلك فهو اي التطوع
خير له وان تصوموا خير لكم وظاهره عدم وجوب الافطار على المذكور
وانهم مخيرون بين الصوم والفدية ولكن الصوم ارجح وافضل ولو قلنا
بوجوب الافطار فالمعنى انكم لو لم يكن لكم هذه الاعذار وصمتم لكان ثوابكم
اكثر من ثواب الفدية ولفقهائنا قدس الله ارواحهم في هذه المسئلة
تفصيل يطلب من كتب الفروع ان كنتم تعلمون ۝ ما في الصوم من

الثواب شهر رمضان مبتدء او خبر تقديره مبتدا اي المفروض او الايام
او بدل من الصيام الذي انزل فيه القرآن اي ابتدا انزاله نجوما
الى الارض وجملة واحدة الى سماء الدنيا ثم منها نجوما اليها و
الموصول خبر المبتدا او صفة الخبر او البدل هدى للناس وبينات
من الهدى والفرقان حال لان من القرآن اي هداية لهم الى الاسلام
باعجازه وايات واضحات مما يهدي الى الحق ويفرق بين الحلال والحرام
والحق والباطل فمن شهد منكم الشهر اي حضر فيه ولم يكن مسافرا
او شهد هلاله فليصمه ومن كان مريضا يضره الصوم او على سفر
فعدة من ايام اخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر فلذلك امركم
بالافطار حال المرض والسفر ولتكملوا العدة اي وشرع ما ذكر لتكملوا
العدة التي افطرتموها ولتكبروا الله اي تعظموه على ما هداكم على
هدايتكم او على الذي هداكم اليه ولعلكم تشكرون ۝ واذا سالك
عبادي عني فاني قريب اي فقل لهم اني قريب بل اقرب من حبل الوريد
وهو تمثيل لكمال اطلاعه على افعالهم واحوالهم روي ان اعرابيا قال له
صلى الله عليه وآله اقريب ربنا فنناجيه او بعيد فنناديه فنزلت
اجيب دعوة الداع اذا دعان وحمل على مخلصا في دعائه طالبا لما
فيه صلاحه فليستجيبوا لي اذا دعوتهم الى الايمان والطاعة كما
اجبتهم اذا دعوني وليؤمنوا بي عن الصادق عليه السلام اي
ليتحققوا اني قادر على اعطائهم ما سالوه لعلهم يرشدون ۝ حال
من الضمير اي راجين رشدهم وهو اصابة الحق لما امرهم سبحانه
بالصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم على تكبيره وشكره عقب ذلك
بما يدل على انه خبير باحوالهم سميع لاقوالهم مجيب لدعائهم احل
لكم ليلة الصيام الرفث الجماع وهو في الاصل الافصاح بما
يجب ان يكنى عنه وعدي بالى في قوله سبحانه الى نسائكم لتضمنه
معنى الافضاء كان المسلمون اذا امسوا احل لهم الاكل والشرب

الجماع الى ان يصلي العشاء او يرقد وان عمر بن الخطاب جامع بعد
العشاء فاتى الى النبي صلى الله عليه واله معتذرا فنزلت هن لباس
لكم وانتم لباس لهن استيناف يبين سبب تحليله اي ان الصبر عنهن
صعب لانهن مثل الثياب لكم وانتم مثلها لهن علم الله انكم كنتم تختانون
انفسكم تظلمونها بتعريضها للعقاب فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن
باشروهن وابتغوا واطلبوا ما كتب الله لكم ما قدره
لكم مما لا تعلمونه بعينه من الولد او التلذذ وحده فلا تكونوا غافلين
عن نعمائه في ذلك الوقت ايضا وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم
الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر شبه اول ما يبدو من
الفجر مع ما يلاصقه من طرف الغبش بخيطين ابيض واسود واكتفى
ببيان الخيط الابيض عن بيان الاسود لدلالته عليه ويمكن ان يجعل
في توحيد خيط الغبش قرينة على ان المراد الفجر الصادق اذ الفجر الكاذب
يلاصقه من الغبش خيطان يمينا وشمالا واخران فوقها وتحتا اذ يتوسط
بينه وبين الافق ظلمة كما تشهد به المشاهدة وقد سبب توسطها في
الحبل المتين واستدل بالآية على صحة الصوم جنبا لاقتضائها جواز
المباشرة الى الصبح وبه قال بعض اصحابنا لكنه انما يتم لو كانت الغاية
بعد الجمل غاية للكل لا للاخيرة وحدها وفيه كلام اوردناه في زبدة
الاصول ثم اتموا الصيام الى الليل ولا تباشروهن وانتم عاكفون
في المساجد معتكفون فيها قيل فيه دليل على ان الاعتكاف يكون في
المسجد ولا يختص بمسجد دون مسجد وان الوطي محرم فيه ويفسده وفي
دلالة الآية على كل من الاربعة نظر تلك الاحكام التي ذكرت حدود
الله فلا تقربوها نهى سبحانه عن قرب الحد الفاصل بين الحق والباطل
فضلا عن تخطيه كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله آياته للناس
لعلهم يتقون ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل لا يأكل بعضكم
اموال بعض بوجه غير مباح وتدلوا بها وتلقوا حكومتها الى الحكام

عطف

عطف على المنهي لتأكلوا بالتحاكم اليهم فريقا جملة من اموال الناس متلبسين
بالاثم كاقامة شاهد الزور واليمين الكاذبة وانتم تعلمون انكم مبطلون
حالية يسألونك عن الاهلة سأله عليه السلام بعض الصحابة ما
بال الهلال يبدو ضعيفا كالخيط ثم يزيد حتى يستوي ثم لا يزال ينقص
حتى يعود كما بدا قل هي مواقيت للناس والحج يوقتون امورهم ومعالم
لعباداتهم الموقتة سيما الحج امره صلى الله عليه واله ان يجيبهم بالحكمة
الظاهرة التي تقبلها عقولهم بسهولة واما العلة المذكورة في
علم الهيئة فمع تقدير ثبوتها لا يتيسر اذعانهم بها وليس البر وقرء ابو عمرو
وحفص بضم الباء والباقون بكسرها بان تأتوا البيوت من ظهورها
ولكن البر من اتقى المحارم والشهوات وقرء نافع وابن عامر بتخفيف لكن
وأتوا البيوت من ابوابها كانت الانصار اذا احرموا لا يدخلون
دارا ولا فسطاطا من بابه بل من نقب او فرجة ويعدون ذلك برا
ولعلهم سألوا عن الامرين او ذكر هذا لمناسبة ذكر الحج واتقوا الله
لعلكم تفلحون وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم قيل
نزلت قبل الامر بقتال المشركين كافة وقيل المراد الذين هم بصدد
قتالكم ولا تعتدوا بالابتداء بالقتال او قتال المعاهد والمفاجأة
به قبل الدعوة الى الاسلام ان الله لا يحب المعتدين واقتلوهم
حيث ثقفتموهم واخرجوهم من حيث اخرجوكم وهو مكة وقد اخرج
من لم يسلم يوم الفتح والفتنة التي يفتتن بها الانسان والمراد
الاخراج من الوطن اشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد
الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم قرء حمزة والكسائي
ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم كذلك جزاء الكافرين
يفعل بهم مثل فعلهم فان انتهوا فان الله غفور رحيم يغفر لهم
ما سلف وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة شرك ويكون الدين لله ليس
للشيطان فيه نصيب فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين

لا على المنتهين وتسمية جزاء الظلم باسمه للمشاكلة الشهر الحرام بالشهر الحرام
قاتلهم المشركون عام الحديبية في ذي القعدة وكرهوا ان يقاتلوهم
فيه في سنة اخرى فنزلت اي هذا الشهر وهتكه بذلك الشهر وهتكه
والحرمات قصاص اي كل حرمة يجب المحافظة عليها يجري فيها القصاص
فكما هتكوا حرمة هذا الشهر فافعلوا بهم مثله فمن اعتدى عليكم
فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا ان
الله مع المتقين وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم
الى التهلكة بالاسراف وتضييع وجه المعاش وبالكف
عن الغزو وعن الانفاق فيه فانه يسلط العدو على اهلاككم واحسنوا
ان الله يحب المحسنين • واتموا الحج والعمرة لله عن الصادق عليه السلام
يعني بتمامهما اداءهما واتقاء ما يتقي المحرم فيهما فان احصرتم عن
الاتمام وانتم محرمون الحصر المنع بالمرض والعدو والمراد هنا عند
اصحابنا الاول وعند الشافعي الثاني وعند ابي حنيفة الاعم فما
استيسر من الهدي اي فعليكم ما تيسر لكم من الهدي بدنة او بقرة او شاة
يبعث به مع نائبه ويواعده وقتا يذبح او ينحر فيه ولا تحلقوا رؤسكم
حتى يبلغ الهدي محله حتى تعلموا انه وصل الى المكان الذي يجب ان ينحر
فيه او يذبح وهو منى يوم النحر ان كان حاجا ومكة ان كان معتمرا واما
ان كان الحصر بالعدو فمكان ذبحه مكان الحصر عند اصحابنا والشافعي
وعنده ان بلوغ الهدي محله ذبحه او نحره حيث يحل حلالا كان وحرما فمن
كان منكم مريضا يضره تاخير الحلق او به اذى من راسه لكثرة القمل
في شعره ففدية فعليه فدية اذا حلق من صيام او نسك عن
الصادق عليه السلام قال مر رسول الله صلى الله عليه وآله على كعب بن
عجرة الانصاري والقمل يتناثر من راسه فقال اتؤذيك هوامك فقال
نعم يا رسول الله فانزل الله هذه الاية فمن كان منكم مريضا الخ فامر
رسول الله صلى الله عليه وآله بحلق راسه وجعل عليه صيام ثلثة ايام

او صدقة

او الصدقة

او الصدقة على ستة مساكين لكل مسكين مدان او النسك وهو شاة فاذا
امنتم اي كنتم امنين من الاحصار غير ممنوعين من الحج فمن تمتع بالعمرة
اي استمتع وانتفع بالتقرب بها الى الله منتهيا الى الحج او استمتع بعد
الاحلال منها باستباحة ما كان محرما عليه الى ان يحرم بالحج فما استيسر
من الهدي وهو هدي التمتع ينحره او يذبحه بمنى يوم النحر بعد الرمي وقبل
الحلق والتقصير فمن لم يجد الهدي فصيام فعليه صيام ثلثة ايام
في الحج في ايامه ويجب تواليها الا ما استثني ويستحب جعلها سابع ذي
الحجة وثامنها وتاسعها بشرط اعتقاد عدم وجدانه يوم النحر ويجوز تاخيرها
طول ذي الحجة الا ما استثني وسبعة اذا رجعتم الى اهليكم واصحابنا
الواو للجمع لا بمعنى او كاملة
عن الباقر عليه السلام
ينفقه اما الى الهدي او الصوم

العقول لحثهم على التقوى ثم اكد عليهم وحرّضهم على ان يكون المقصود بها
هو الله فلهذا خص اولى الالباب بهذا الخطاب ليس عليكم جناح
حرج واثم ان تبتغوا في ان تطلبوا ايام الحج فضلا من ربكم رزقا وربحا
بالبيع والشراء فان الحج لا ينافي التجارة فاذا افضتم من عرفات دفعتم
مع العلمية والتانيث لان تنوينها للمقابلة فاذكروا الله بالثناء
والدعاء او بصلوة المغرب والعشاء عند المشعر الحرام وصف بالحرام
لحرمته واذكروه كما هداكم حسبما هداكم الى هذه المناسك العظيمة
او اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة وان كنتم هي المخففة من
المثقلة من قبله قبل الهدى لمن الضالين ثم افيضوا من [illegible]

احسن الى الناس ثم لا تجز
لا يقفون بعرفات ترفعا
الله فلا نخرج منه فالمع

والاخروية بالحوراء وعذاب النار بامرأة السوء لم يثبت وان ثبت
فهو تمثيل لا تخصيص اولئك اشارة الى الفريق الاول وقيل اليهما
لهم نصيب مما كسبوا مما دعوا اي من جنسه او من اجله والله
سريع الحساب واذكروا الله بالتكبير في ايام معدودات هي ايام
التشريق والتكبير عندنا لمن كان بمنى ناسكا عقيب خمس عشرة صلوة
اولها ظهر يوم النحر واخرها صبح اليوم الثالث من ايام التشريق كما
تضمنته الروايات عن اصحاب العصمة سلام الله عليهم وصورته
على المشهور الله اكبر ثلثا لا اله الا الله والله اكبر والحمد لله على ما
هدانا وله الشكر على ما اولانا ورزقنا من بهيمة الانعام واكثر
اصحابنا على ان الامر في الاية للاستحباب والمرتضى وابن الجنيد على الوجوب
فمن تعجل في النفر من منى في يومين بان نفر في الثاني عشر بعد
الزوال وقبل الغروب وبعد رمي الجمار ذلك اليوم كما روي عن ائمة
اهل البيت عليهم السلام فلا اثم عليه ومن تاخر الى الثالث عشر فنفر
فيه بعد رمي الجمار ولو قبل الزوال فلا اثم عليه والغرض من هذا
التخيير الرد على الجاهلية فبعضهم اثم المتعجل وبعضهم اثم المتاخر
لمن اتقى اي التخيير المذكور ثابت لمن اتقى الصيد والنساء في احرامه
واما من لم يتقهما فلا بد له من التاخير هذا هو المشهور بين علمائنا
واتقوا الله واعلموا انكم اليه تحشرون ومن الناس من يعجبك
يحسن في نفسك قوله ما يقوله في الحيوة الدنيا من امورها و
المعاش فيها واظهار المحبة والطاعة لك ويشهد الله على ما في
قلبه يستشهد الله على مطابقة قلبه لسانه وهو الد الخصام
شديد العداوة والجدال للمسلمين واذا تولى عنك وقيل اذا صار
واليا سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك بافساده وظلمه الحرث
والنسل الزروع والمواشي والله لا يحب الفساد لا يرضى واذا
قيل له على وجه النصيحة اتق الله اخذته العزة بالاثم حملته الانفة

على الاثم الذي امر باتقائه من قولهم اخذته بكذا اى حملته عليه والزمته
به فحسبه جهنم ولبئس المهاد الفراش ومن الناس من يشرى
نفسه ابتغاء مرضات الله يبيعها يبذلها في الجهاد والامر
بالمعروف والنهى عن المنكر طلبا لرضاه سبحانه والله رؤف
بالعباد يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم في الاسلام
لله والطاعة له بامتثال اوامره ونواهيه فتحه ابن كثير ونافع والكسائي
وكسره الباقون كافة كلكم حال من الفاعل ولا تتبعوا خطوات
الشيطان انه لكم عدو مبين فان زللتم وقعتم في الزلل من
بعد ما جاءتكم البينات الايات والحجج فاعلموا ان الله عزيز
غالب لا يعجز عن الانتقام حكيم لا ينتقم الا بالحق هل ينظرون
استفهام فيه معنى النفي الا ان يأتيهم الله اى عذابه في ظلل جمع
ظلة وهي ما اظلك من الغمام السحاب والملائكة الذين هم
الواسطة في التعذيب وقضى الامر اتم امر اهلاكهم عدل عن المضارع
ليتقن الوقوع ح والى الله ترجع الامور سل يا محمد بنى اسرائيل
كم اتيناهم خبرية او استفهامية من اية بينة معجزة باهرة
او اية من الكتاب ظاهرة يشهد بالحق ومن يبدل نعمة الله اياته
بالتحريف والتاويل الزائغ من بعد ما جاءته فان الله شديد
العقاب زين للذين كفروا الحيوة الدنيا المزين الشيطان
ويسخرون من الذين امنوا يستهزؤن بهم ومن اتباعه
والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة فوقية مكانية او عقلية
والله يرزق من يشاء بغير حساب كان الناس امة واحدة
متفقين على الحق ثم اختلفوا او سواء في الجهل والكفر فبعث
الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم اى مع جملتهم
لا مع كل منهم الكتاب اللام جنسية بالحق حال من الكتاب
اى متلبسا به ليحكم اى الله او الكتاب بين الناس فيما اختلفوا فيه

وما اختلف

وما اختلف فيه في الكتاب الا الذين اوتوه لا ازالة الخلاف
وهم عكسوا الامر فجعلوا المزيح للخلاف سببا لاستحكامه من
بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم حسدا وظلما لحرصهم على
الدنيا فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه لما وقع فيه
الاختلاف من الحق بيان لما باذنه بلطفه متعلق بهدى والله
يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ام حسبتم ايها المؤمنون
ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم حالهم
التي هي مثل في الشدة مستهم البأساء والضراء استيناف لبيان
المثل وزلزلوا ازعجوا ازعاجا شديدا حتى يقول الرسول حكاية
الحال والذين امنوا معه متى نصر الله استبطاء له الا ان نصر الله
قريب استيناف لاسعافهم بطلبتهم يسألونك ماذا ينفقون قل ما
انفقتم من خير من مال فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين
وابن السبيل سأل عمرو بن الجموح وكان شيخا ذا مال فقال يا
رسول الله بماذا اتصدق وعلى من اتصدق فنزلت جوابا عن السؤال
الثاني تنبيها على ان الاهم الحري بالسؤال هو المصرف وعن الاول
بقوله ما انفقتم من خير قيل الاية واردة في الزكوة ثم نسخت بيان
مصارف الزكوة هنا كلامه والاعتراض عليه ليس فيها ما ينافي فرض
الزكوة لينسخ به غير وارد وما تفعلوا من خير فان الله به عليم
كتب عليكم القتال وهو كره مصدر اخبر به للمبالغة اى مكروه لكم
وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو
شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون يسألونك اى المشركون على
سبيل التشنيع والتعيير عن الشهر الحرام قتال فيه بدل اشتمال من
الشهر روي انه صلى الله عليه واله بعث سرية في جمادى الاخرة قبل بدر
عيرا وقتلوا واحدا واسروا اثنين في غرة رجب وهم يظنونه من جمادى
فقال المشركون استحل محمد الشهر الحرام وكتبوا اليه في ذلك يعيرونه به

قل قتال فيه مبتدأ مخصص بالوصف كبير خبره اى ذنب كبير وصدّ منع
مبتدأ مخصص بالوصف ايضا وهو عن سبيل الله اى عن الاسلام
وكفر به اى بالله والمسجد الحرام عطف على المجرور واعادة الجار غير لازمة
كما عليه بعض محققى النحاة ووقع مثله فى قوله تعالى تساءلون به و
الارحام واخراج اهله منه وهم النبى صلى الله عليه وآله والمؤمنون
اكبر عند الله خبر عن الصد وما بعده اى مما فعلتموه انتم ايها
المشركون من هذه الافعال المعدودة اعظم مما فعلته السرية خطأ
واتباعا لظنهم والفتنة التى ارتكبتموها من الكفر والاخراج اكبر من
القتل اللام اما جنسية او عهدية اى قتل ذلك الواحد ولا يزالون
يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ومن يرتدد منكم
عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم فى الدنيا
لبطلان ما انتجوه بها والآخرة بسقوط الثواب واولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون كسائر الكفرة ان الذين آمنوا والذين هاجروا
وجاهدوا فى سبيل الله كرر الموصول لتعظيم الهجرة والجهاد وكانهما
مستقلان فى تحقيق الرجاء نزلت فى تلك السرية لما قيل انهم ان سلموا
من الاثم فلا اجر لهم اولئك يرجون رحمت الله اى هم حقيقون بها
والله غفور لما قصروا فيه من الاحتياط رحيم باجزال الثواب
يسألونك وهو فى الاصل مصدر بمعنى الستر لانه يستر العقل
عن الخمر
والميسر مصدر ايضا كالموعد سمى به القمار لانه اخذ مال الغير بيسر
قل فيهما فى تعاطيهما اثم كبير ومنافع من التفريح والطرب وتقوية
للناس
الطبيعة ومصادقة الفتيان وكسب المال ومجالسة الامراء والسلا
واثمهما اكبر من نفعهما اى المفاسد التى تنشأ منهما اعظم من المنافع
المتوقعة والعقل السليم يحكم بان ما رجحت مفاسده على مصالحه
فهو واجب الاجتناب ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو هو
نقيض الجهد اى ما تيسر لكم بذله كذلك يبين الله لكم الآيات

لعلكم تتفكرون فى الدنيا والآخرة فى امور الدارين ويسألونك
عن اليتامى قل اصلاح لهم خير كانوا اذا اجتنبوا مخالطة اليتامى
والاهتمام بشأنهم فنزلت فمخالطتهم لاصلاحهم خير من مجانبتهم وان
تخالطوهم فاخوانكم فيه نوع حث على مخالطتهم والله يعلم المفسد
من المصلح وعيد ووعد لمن خالطهم لافساد واصلاح اى يعلم
امره فيجازيه عليه ولو شاء الله لاعنتكم اى لكلفكم بما فيه مشقة
عليكم ان الله عزيز حكيم غالب عليم بما يقتضيه ولا تنكحوا المشركات
حتى يؤمن لا تتزوجوا بهن والنهى يعم الوثنيات والكتابيات لقوله
سبحانه وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله
الى قوله سبحانه عما يشركون وقد اجمع اصحابنا على تحريم نكاح من عدا
الكتابيات دواما ومتعة واختلفوا فى نكاحهن متعة والاكثر
جوازه ولامة اى مملوكة مؤمنة خير من مشركة حرة ولو اعجبتكم
بمحاسنها ولا تنكحوا المشركين لا تزوجوهم المؤمنات حتى يؤمنوا
ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم اولئك المشركون و
المشركات يدعون الى النار الى الكفر المؤدى اليها والله اى
اولياؤه وهم المؤمنون وحذف المضاف للتفخيم يدعوا الى
الجنة والمغفرة الى ما يؤدى اليهما باذنه بتوفيقه وتيسيره و
يبين آياته للناس لعلهم يتذكرون ويسألونك السائل ابو
الدحداح فى نفر من الصحابة عن المحيض مصدر كالمجئ ذكر سبحانه
ستة سؤالات ولعل تصدير الثلثة الاخيرة بالواو وخلو الاول
عنها لوقوع الثلثة الاول فى اوقات متفرقة ووقوع ثالثها مع
البواقى فى وقت واحد فجئ بها بحرف الجمع وقد وهم البيضاوى فى
هذا المقام كما بينته فى كتاب مشرق الشمسين قل هو اذى مستقذر
مؤذ فاعتزلوا النساء فى المحيض اجتنبوا مجامعتهن ولعل النهى
انما كان عن وطيهن لا عن ترك مساكنتهن ومواكلتهن كعادة

المحيض و لا لا يرطابقه الجواب ولا تقربوهن حتى يطهرن تاكيد للحكم
وبيان لغايته وقرء حمزة والكسائي بالتشديد وظاهره ان عليه
الاعتزال الى الغسل وقرء الباقون بالتخفيف وظاهره ان غايته
انقطاع الدم والخلاف في ذلك مشهور وقد بسطنا فيه الكلام
في مشرق الشمسين وقوله تعالى فاذا تطهرن فاتوهن من حيث
امركم الله يؤيد الاول والامر للاباحة نحو واذا حللتم فاصطادوا اي من المأتى الذي امركم
الله بتجنبه حال الحيض وقيل اي من الجهات التي تحل فيها الوطي
لا ما يحرم كوطيهن وهن صائمات او محرمات او معتكفات وقيل من المأتي الذي
احله الله لكم وهو الفرج ان الله يحب التوابين عن الذنوب في
يحب المتطهرين عن الاقذار البدنية كجماع الحائض ونحو وقيل
التوابين عن الكبائر والمتطهرين عن الصغائر نساؤكم حرث لكم
مواضع حرث اذ النطفة كالبذر الملقى في الارض وقيل الحرث الكسب
اي تحرثون منهن الولد واللذة فاتوا حرثكم انى شئتم من اي موضع
اردتم وهو دليل من اباح وطي المراة وقيل المراد الاتيان في القبل
من اي الجهتين اردتم فهو رد لقول اليهود ان من جامع امراته في القبل
من جهة الخلف صار ولده احول وقدموا لانفسكم اي ادخروا
الاعمال الصالحة وقيل هو طلب الولد الصالح وقيل التسمية عند
الجماع واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه فيثيب المطيع ويعاقب
العاصي وبشر المؤمنين بالنعيم الدائم ولا تجعلوا الله عرضة
لايمانكم اي معرضا لها بابتذال اسمه تعالى وكثرة الحلف به وسماه في
المحقرات ولذلك ذم مكثر الحلف بقوله سبحانه ولا تطع كل حلاف
مهين او حاجزا ومانعا لما حلفتم عليه من فعل الخير لقوله صلى الله عليه وآله
لعبد الرحمن بن سمرة اذا حلفت على يمين فرايت غيرها خيرا منها فات الذي
هو خير ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس علة للنهي على الاول
اي نهاكم لارادة بركم وتقويكم واصلاحكم لان الحلاف مجترئ على الله

درهم

الابتذال ضد الصيانة ١٢

فلا يصلح ان يكون برا ولا متقيا ولا مصلحا وبيان للمحلوف عليه على الثاني
والله سميع لايمانكم عليم بمقاصدكم لا يؤاخذكم الله في الدنيا
بالكفارة والتعزير ولا في الاخرة بالعذاب باللغو في ايمانكم
اي الصادرة عنكم بلا قصد كقول لا والله وبلى والله في اثناء
المحاورة او حال شدة الغضب من غير قصد اليمين والظرف متعلق
بالمصدر او الفعل ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم باليمين الصادر
عن قصد والله غفور حيث لا يؤاخذكم باللغو حليم حيث لا يعجل
مؤاخذتكم على يمين الجد للذين يؤلون من نسائهم اي يحلفون ان لا
يجامعوهن ابدا او ازيد من اربعة اشهر والتعدية بمن لتضمين معنى
البعد تربص اربعة اشهر مبتدا مؤخر او فاعل الظرف اي لهم
التثبت في هذه المدة وابتداؤها عندنا من حين حكم الحاكم بها لا من حين
الايلاء ولا يطالبون فيها بفيئة ولا طلاق اما بعدها فيجبره الحاكم
ويضيق عليه في المطعم والمشرب حتى يختار احدهما فان فاؤا اي رجعوا
عن اليمين والفيئة تتحقق بوطيها مع القدرة عليه وبالعزم عليه
ووعدها به مع العجز عنه في الحال فان الله غفور رحيم يغفر لهم
هذا الذنب ويرحمهم بعدم المؤاخذة عليه فان هذا الحلف محرم
وان عزموا الطلاق وصمموا عليه فان الله سميع عليم يسمع طلاقهم
ويعلم ضمائرهم وفيه اشارة الى انه لا بد من التلفظ به وقد احتج بهذه
الاية من قال من اصحابنا بعدم وقوع الايلاء بالمتمتع بها اذ لا طلاق
لها وهو مبني على ان عود الضمير الى بعض العام مخصص له كما هو مذهب
بعض الاصوليين وقد ذكرنا دلائل الطرفين في زبدة الاصول
والمطلقات المراد المدخول بهن اذا لم يكن حاملات ولا صغيرات
ولا آيسات لقوله واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن ١٢ يتربصن خبر بمعنى الامر للتاكيد بانفسهن لما كان صبر
النساء عن الرجال الى انقضاء ايام العدة لا يخلو من صعوبة لان
انفسهن طامحات اليهم امرن ان يقمعن انفسهن ويحملنها على التربص

ثلثة قروء جمع قرء بفتح وبضم ويطلق على الطهر والحيض وقد اجمع اصحابنا
على انه هنا بمعنى الطهر وجمع الكثرة قد ينوب عن جمع القلة في كلام البلغاء
واما التوجيه استعمالا للعدة وتطويلا كما مر الرجعة رجالها وحرصا
على انفاق الزوج ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر ليس الغرض تعليق
نفي الحل على الايمان بل الغرض ان المؤمنات لا يجترن على ذلك
الكتمان وبعولتهن احق بردهن الى النكاح في ذلك في زمان
التربص وضمير بعولتهن اخص من مرجعه الشامل للرجعيات والبائنات
وهل يخصص المرجع فيه خلاف نبيناه في زبدة الاصول ان ارادوا
اصلاحا لا اضرارا بالمرأة وليس الغرض تعليق جواز الرجوع على ذلك
بل المنع من قصد الاضرار ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف اي لهن
حقوق على الرجال مثل حقوقهم عليهن والمماثلة في وجوب تلك الحقوق
واستحقاق المطالبة بها لا في جنسها وللرجال عليهن درجة زيادة
في الحقوق وشرف وفضل والله عزيز غالب قادر على الانتقام
ممن خالف احكامه حكيم لشرعها بحسب المصالح الطلاق اي الصحيح
منه مرتان اي تطليقتان على التفريق يتخلل العود فالجمع والارسال
بان يقول انت طالق مرتين او ثلثا او انت طالق طالق غير صحيح بل لا
بد من تخلل العود وهو مذهب اصحابنا وبعضهم على صحته واحدة فقط
فالمراد بالتثنية مطلق التكرير كما في قوله جل شانه فارجع البصر كرتين
وقولهم لبيك وسعديك او الغرض ان الطلاق الرجعي تطليقتان بعد
الرجوع بعد كل منهما اما الثالثة فلا رجوع بعدها وعلى الاول فالمعنى
بقوله تعالى فامساك بمعروف بحسن المعاشرة او تسريح باحسان تخيير
المطلقين بعد وقوع الطلاق الصحيح لغير المرسلين امساكهن بالرجعة
في الرجعي والعقد في البائن وبين تسريحهن وعلى الثاني تخيرهم بين
الرجعة وبين التسريح بالطلقة الثالثة او بعدم الرجوع الى ان
تبين ولا يحل لكم ايها الازواج ان تاخذوا مما آتيتموهن من المهر

إلا أن يخافا اي الزوجان انتقال من الخطاب الى الغيبة وقرء ابن
حمزة يخافا بالبناء للمفعول الا يقيما حدود الله اي احكامه من
مواجب الزوجية فان خفتم ايها الحكام الا يقيما حدود الله
فلا جناح عليهما فيما افتدت به من عوض الطلاق لا على الرجل في
اخذه ولا على المراة في اعطائه تلك حدود الله فلا تعتدوها
لا تتعدوها ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون
لانفسهم بتعريضها للعقاب فان طلقها طلاقا ثالثا بعد
الطلقتين المتفرقتين فلا تحل له من بعد اي من بعد الطلاق
الثالث حتى تنكح زوجا غيره بالنكاح الدائم فلا يكفي المنقطع للرواية
عن اصحاب العصمة سلام الله عليهم ولقوله تعالى فان طلقها اي
الزوج الثاني اذ لا طلاق للمتعة فلا جناح عليهما عليها وعلى
زوجها الاول ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله بعد
المراجعة وتلك حدود الله اشارة الى ما شرعه سبحانه من
حقوق الزوجية والطلاق والرجعة واحكامها يبينها لقوم
يعلمون اي يفهمون واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي
اشرفن على انتهاء عدتهن كما يقال بلغ فلان البلد اذا اشرف
على دخوله فامسكوهن راجعوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف
ولا تمسكوهن ولا تراجعوهن ضرارا اي للاضرار بهن لتعتدوا
عليهن بالجائهن الى الافتداء فهو علة للاضرار ومن يفعل
ذلك فقد ظلم نفسه بتعريضها للعقاب ولا تتخذوا آيات
الله هزوا بالتهاون بها وعدم الاهتمام بشانها واذكروا
نعمت الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة
من القران والسنة يعظكم به الضمير للموصول والجملة حال
من المستتر في الماضي واتقوا الله واعلموا ان الله بكل
عليم تاكيد وتهديد واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن

اى انقضت عدتهن فلا تعضلوهن ايها الاولياء او ايها الازواج او
ايها الناس والمراد لا تمنعوهن ان ينكحن ازواجهن اى خطابهن من تسمية
الشىء بما يؤول اليه او ازواجهن الاولين من تسمية الشىء بما كان عليه
ان كان الخطاب لغيرهم اذا تراضوا اى الخطاب والنساء وهو ظرف
للنكاح او ترك العضل بينهم اى فيما بينهم من دون اعلامكم بالمعروف
بما يستحسنه الشرع ويقتضيه المروة وفيه دلالة على عدم تحريم
العضل عن غير الكفؤ ولا دلالة فى الاية لا تزوج نفسها كما ظن
وان سلمنا نزولها لما عضل معقل بن يسار اخته عن مراجعة زوجها
بل ظاهرها نهى الولى عن منع المراة من التزويج بالكفؤ كما عليه جمهور
اصحابنا ذلك اشارة الى جميع ما مضى والخطاب للجمع بارادة القبيل
او لكل واحد يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الاخر لانه
هو المتعظ والمنتفع ذلكم اى العمل بما ذكر ازكى لكم انفع واطهر
والله يعلم ما فيه صلاحكم وانتم لا تعلمون والوالدات يعم
المطلقات وغيرهن وخاص بهن لان الكلام فيهن يرضعن اولادهن
امر استحباب عبر عنه بالخبر للتاكيد حولين كاملين لمن اراد ان
يتم الرضاعة فيه دلالة على جواز النقص عن الحولين واصحابنا
جوزوا النقص الى ثلثة اشهر والزيادة الى شهرين ولعله للضرورة
وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف فى مقابلة الارضاع
لا تكلف نفس الا وسعها فلا يجب على الوالد ما ليس فى وسعه لا
تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده تفصيل للاية اى
لا تكلف كل منهما بسبب الولد ما ليس فى وسعه وقرء ابن كثير وابو عمرو
لا تضار بالرفع بدلا عن لا تكلف وعلى الوارث عطف على وعلى المولود
اى وعلى وارث الاب مثل ذلك اى مثل ما كان على الاب من الرزق
والكسوة واطلاق الوارث مشكل لعدم وجوب نفقة الولد عندنا
على غير الابوين فلا يجب اجرة الرضاع فلعل المراد بالوارث الولد المرتضع

فان ارادا فصالا قبل اكمال الحولين وبعده والاول اظهر فصالا صادرا عن تراض منهما
وتشاور بعد مشاورة اهل الخبرة فلا جناح عليهما ولعتبر تراضيهما والتشاور
مراعاة صلاح الطفل وقصد احدهما اضراره وان اردتم ان تسترضعوا
المراضع اولادكم اى لاولادكم فلا جناح عليكم فى ذلك الاسترضاع
اذا سلمتم الى تلك المراضع ما اتيتم ما اردتم ايتاءه لهن كقوله تعالى
اذا قمتم الى الصلوة بالمعروف صلة سلمتم اى من غير مطل والتقييد
بالشرط للحث على اعطاء الاجرة لا لعدم جواز الاسترضاع قبل التسليم
ولا يبعد ان يكون المراد اذا سلمتم بعد انقضاء مدة الارضاع واتقوا
الله واعلموا ان الله بما تعملون بصير حث وتهديد والذين
يتوفون منكم ويذرون ازواجا الموصول مبتدا وجملة يتربصن بانفسهن
خبره والعايد محذوف تقديره بعدهم اربعة اشهر وعشرا والاية
تعم الصغيرة والكبيرة والمدخول بها وغيرها والحامل والحائل والحرة
والامة وتنصيف عدتها للقياس على تقدير كونه حجة باطل هنا لان
العلة مستنبطة فلا يخصص الكتاب اما الحامل فعدتها عندنا ابعد
الاجلين للرواية عن ائمة اهل البيت سلام الله عليهم فاذا بلغن اجلهن
بانقضاء العدة فلا جناح عليكم ايها المسلمون فيما فعلن فى انفسهن
من التعرض للخطاب والتزويج بهم وفى تقييد ذلك بقوله سبحانه
بالمعروف اى على الوجه الذى لا ينكر شرعا دلالة على انهن لو فعلن فى
انفسهن ما ينكر شرعا فعلى المسلمين منعهن والا كانوا آثمين والله
بما تعملون خبير ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة
النساء التعريض التلويح بما لم يوضع للمطلوب حقيقة ولا مجازا
كقول السائل جئت لاسلم عليك والاية تعم المتوفى عنها وغيرها وليست
مخصصة بالمتوفى عنها كما ظن وسبق ذكرها لا يوجب التخصيص بها نعم
هى مخصصة بغير الرجعية اذ لا يجوز لغير الزوج التعريض لها اجماعا
او اكننتم اضمرتم فى انفسكم فى قلوبكم ولم يجر على السنتكم وان كان

لا اثم فيه

صريحًا علم الله انكم ستذكرونهن ولا تصبرون على السكوت عنهن لرغبتكم
فيهن فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن سرًا اى جماعًا كان يقول الخاطب
كل ليلة مثلاً عبر عنه بالسر لانه مما يسر الا ان تقولوا قولاً معروفا.
كالوعد بحسن المعاشرة مثلاً فانه وعد لا بسر فالاستثناء متصل و
جعله منقطعًا ضعيف لادائه الى قولك لا تواعدوهن الا التعريض
وهو غير موعد كما قيل ويحتمل ان يكون المستثنى منه محذوفا اى لا تواعدوهن
مواعدة ابدًا الا مواعدة معروفة ولا تعزموا عقدة النكاح ذكر
العزم للمبالغة فى النهى عن العقد فى العدة حرامًا اذ قصد المحرم محرم
حتى يبلغ الكتاب اجله حتى ينتهى ما كتب عليها من العدة واعلموا
ان الله يعلم ما فى انفسكم من العزم على المحرمات فاحذروه ولا
تعزموا عليها واعلموا ان الله غفور لمن عزم على الذنب لم يفعله
ولفاعله ايضًا حليم. لا يعاجلكم بالعقوبة لا جناح عليكم لا
تبعة من مهر ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن اى قبل وطيهن
وقرء حمزة والكسائى تماسوهن بضم التاء ومد الميم فى جميع القرآن
او تفرضوا الا ان تفرضوا او حتى تفرضوا بالمضارع بمعنى الى
اى الا ان تكونوا قد فرضتم ويجوز ان يكون او بمعنى الواو اى ولم تفرضوا
لهن فريضة مفعول به او مفعول مطلق والمعنى لا تبعة على المطلق
من مهر اذا طلق قبل الدخول ولم يسم لها مهرًا ومتعوهن عطف على
مقدر اى فطلقوهن على الموسع الذى له سعة فى المال قدره وعلى
المقتر الذى معاشه ضيق قدره متاعًا تمتيعا بالمعروف بما
يقتضيه المروة ويحسن شرعًا وجمهور اصحابنا على ان الغنى تمتع
بالدابة والثوب المرتفع او عشرة دنانير والمتوسط فى الغنى بالثوب
المتوسط او خمسة دنانير حقًا صفة متاعًا او مصدر مؤكد على
المحسنين الى انفسهم بامتثال الاوامر الالهية وان طلقتموهن
من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما

الذين يحسنون

فرضتم اى فلهن نصف ما فرضتم لما ذكر حكم المفوضة اتبعه بحكم
قسيمها وهو قرينة على ان الجناح المنفى هو تبعة المهر الا ان يعفون
اى المطلقات او يعفوا الذى بيده عقدة النكاح وان تعفوا
اقرب للتقوى وهو ولى المطلقة ويحتمل ان يراد به الزوج اى
يعفو عما يصل اليه بالتشطير فيعطيها المهر كلا ولا تنسوا
الفضل بينكم الخطاب اما للزوج مع المرأة او للازواج ويحتمل
تعميم الخطاب اى العفو من كل احد اى لا تنسوا ان يتفضل بعضكم
على بعض ان الله بما تعملون بصير. لا يضيع تفضلكم حافظوا
على الصلوات باداءها فى اوقاتها والمداومة عليها والصلوة الوسطى
وقيل هى صلوة العصر والعامة يروون فيه حديثا ويوجه بانها
وسط صلوة اليوم والليلة وقيل هى المغرب لانها وسط بالعدد وقيل
العشاء لوقوعها بين جهريتين واقعتين فى طرفى النهار وقيل الصبح
لوقوعها فى الحد المشترك بين النهار والليل وقوموا لله قانتين اى
داعين كما روى عن الباقر والصادق عليهما السلام واستدل بعض
اصحابنا بهذا الامر على وجوب القنوت فى الصلوة وقد انهينا البحث
فيه فى الحبل المتين فان خفتم من عدو او غيره فرجالا او ركبانا فصلوا
راجلين او راكبين فاذا امنتم فاذكروا الله صلوا صلوة الامن
او اشكروه على الامن كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون. قبل تعليمه جل
شانه والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية نصبها
ابن عامر وابو عمرو وحمزة وحفص بتقدير ليوصون وصية ورفعها
الباقون بتقدير ووصية الذين يتوفون لازواجهم متاعا نصبه
بيوصون بالوصية الى الحول غير اخراج بدل والمعنى يجب على الذين
يتوفون ان يوصوا لازواجهم ان يمتعن بعدهم حولا بالسكنى فى
بيوتهم وقد نسخ هذا الحكم بقوله تعالى اربعة اشهر وعشرا وتقدمه
تلاوة لا ينافى تاخره نزولا فان خرجن من منزل الزوج

فلا جناح عليكم ايها الناس فيما فعلن في انفسهن كالتطيب وترك
الحداد من معروف والله عزيز حكيم وللمطلقات متاع بالمعروف
حقا على المتقين اثبت للمطلقات المتعة بعد ايجابها للمطلقة
قبل المس وهو يعم الوجوب كالاتفاق على الرجعية وغيرها كذلك اشارة
الى ما سبق من احكام الطلاق والعدة يبين الله لكم اياته لعلكم
تعقلون تفهمونها الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم
الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا تعجيب وتقرير لمن سمع لقصتهم
وقد يخاطب به من لم ير ولم يسمع قيل هم اهل داوردان وقع فيها طاعون
فهربوا منها فاماتهم الله ثم احياهم او قوم من بني اسرائيل دعاهم ملكهم
الى الجهاد ففروا فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم ان الله لذو
فضل على الناس حيث احياهم اولئك ليعتبروا وقص عليكم حالهم لتستبصروا
ولكن اكثر الناس لا يشكرون وقاتلوا في سبيل الله اذ علمتم ان
الفرار من الموت غير مخلص واعلموا ان الله سميع لما يقوله المتخلفون
وغيرهم عليم بما يضمرونه من ذا الذي يقرض الله يقدم العمل الذي يطلب
به الثواب قرضا حسنا مقرونا بالاخلاص فيضاعفه له فيضاعف
جزاءه نصبه عاصم لمعنى الاستفهام وقرء ابن كثير فيضعفه بالرفع و
التشديد اضعافا كثيرة مفعول ثان لتضمين المضاعفة معنى التصيير
والله يقبض ويبسط يقتر ويوسع واليه ترجعون فيجازيكم بما قدمتم
الم تر الى الملا من بني اسرائيل الملا جماعة يجتمعون للتشاور لا واحد له كالقوم و
من بعد موسى بعد وفاته اذ قالوا لنبي لهم هو يوشع وقيل غيره ابعث
لنا ملكا اقم لنا اميرا نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم اورد
توقع جبنهم مستفهما تقريرا وتثبيتا ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا
قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا
كانوا يسكنون بين مصر وفلسطين فاخرجهم ومن معه من العمالقة واخذ
ديارهم وسبوا اولادهم فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا

منهم والله عليم بالظالمين لانفسهم في ترك ما وجب عليهم من الجهاد
وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا انى
يكون من اين يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم
يؤت سعة من المال قال ان الله اصطفيه عليكم وزاده بسطة
في العلم والجسم كان القائم بجنابه اذا مد يده الى فوق عادلك
راسه والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع يوسع على الفقير
ويغنيه عليم بمن يليق بالملك وقال لهم نبيهم لما طلبوا منه حجة
على اصطفاء الله طالوت وتمليكه عليهم ان اية ملكه ان ياتيكم
التابوت الصندوق من التوب وهو الرجوع لرجوع ما يخرج منه اليه
غالبا فيه في التابوت او في الاتيان به سكينة من ربكم سكون لكم
وطمانينة فان التورية كانت فيه وكان موسى على نبينا وعليه السلام
يقدمه عند القتال فتسكن نفوس بني اسرائيل ولا يفرون وبقية
مما ترك ال موسى وال هرون قيل كان فيه رضاض الالواح وعصى موسى
وثيابه وعمامة هرون واقحام الال للتفخيم تحمله الملائكة قيل كان قد رفعه
الله بعد موسى فنزلت به الملائكة وهم ينظرون اليه ان في ذلك لاية
لكم ان كنتم مؤمنين من تتمة كلام نبيهم او ابتداء خطاب من الله
فلما فصل طالوت بالجنود انفصل بهم عن بلده لقتال العمالقة
وكان الوقت صيفا فسلكوا مفازة وسالوا ان يجري الله لهم نهرا
قال ان الله مبتليكم معاملكم معاملة المختبر بنهر فمن شرب
منه فليس مني ليس من اشياعي ومن لم يطعمه لم يذقه فانه مني و
لعل طالوت علم ذلك من النبي او بالوحي ان كان نبيا الا من اغترف
غرفة بيده استثناء من قوله فمن شرب فشربوا منه الا قليلا منهم
فكرعوا منه ولم يقتصروا على الغرفة روي ان من اقتصر منهم على الغرفة
كفته لشربه واداوته ومن لم يقتصر غلب عليه العطش واسودت
شفته ولم يقدر ان يمضي وهكذا هو شان الدنيا وطالبها فلما

جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا اى قال بعضهم لبعض لا
طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده لكثرتهم وقوتهم قال الذين يظنون
انهم ملاقوا الله اى الخلص الذين يتيقنوا لقاء الله وتوقعوا ثوابه
كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله بحكمه وتيسيره و
الله مع الصابرين ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا
افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين
فهزموهم باذن الله بنصره وقتل داود جالوت روى انه كان صغيرا
يرعى الغنم فاوحى الله الى نبيهم انه الذى يقتل جالوت فارسله وآتاه
الله الملك ولم يجتمع بنو اسرائيل قبل داود على ملك والحكمة النبوة
وعلمه مما يشاء كالسرد وكلام الطير ولولا دفع الله الناس بعضهم
ببعض بنصر المسلمين على الكفار لفسدت الارض بفسادهم ولكن
الله ذو فضل على العالمين تلك آيات الله اشارة الى ما قصه
جل شانه من هذه القصة نتلوها عليك بالحق الذى لا شك فيه لاهل
الكتاب والمورخين وانك لمن المرسلين تلك الرسل فضلنا بعضهم
على بعض بما خصصناه بمنقبة لم يعطها للآخر منهم من كلم الله هو موسى ع
او مع نبينا صلى الله عليه وآله فقد كلمه وهو قاب قوسين او ادنى و
كلم موسى على نبينا وعليه السلم وهو في الطور وبين المقامين بون بعيد
ورفع بعضهم درجات وهو نبينا صلى الله عليه وآله والابهام لتفخيم
شانه كانه العلم المعين لهذا الوصف المستغنى عن التعيين وقد
فضله على غيره بوجوه عديدة ومراتب متباعدة كالدعوة العامة للثقلين
والمعجزات المتكثرة الباهرة المترقية الى الفلكيات والباقي بعضها بقاء
الدهر ونسخ شريعته جميع الشرايع مع امتناعها من النسخ الى غير ذلك من
الفضائل العلمية والعملية المجاوزة حد الحصر والاحصاء وآتينا
عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس خصصه بالتعيين
وجعل اعطاء المعجزات سبب تفضيله لافراط اليهود والنصارى في

تحقيق

تحقيره وتعظيمه ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد الرسل
من بعد ما جاءتهم البينات المعجزات الواضحات ولكن اختلفوا
فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله مشية اجبار كرره للتاكيد
ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد باعطاء الاختيار وعدم الاجبار
والتفضل بالتوفيق وعدم التفضل به لانه غير واجب عليه تعالى يا ايها
الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه فتحصلوا
ما تنفقونه او تفتدون به من العذاب ولا خلة حتى يعينكم اخلاؤكم
ولا شفاعة الا لمن اذن الله وفتح الثلاثة ابن كثير وابو عمرو والكافرون
هم الظالمون اى التاركون للانفاق الواجب عليهم من الزكوة ونحوها
هم الذين ظلموا انفسهم او وضعوا المال في غير موضعه فوضع الكافرين
موضعه كما في آية الحج تغليظا وتاكيدا الله لا اله الا هو الخبر معبود
بالحق ولا اولا حاجة الى تقدير الحي المراد به هنا الذى يعلم ويقدر القيوم
الدائم القيام بتدبير الخلق لا تاخذه سنة ولا نوم السنة الفتور
الذى يتقدم النوم وتقديمها وقياس الترقي العكس على ترتيب الوجود ولان
النوم غالب قوى والسنة عارض ضعيف وعدم اخذ القوى ابلغ في التفخيم
فالترقي حاصل له ما في السموات وما في الارض يشمل ما هو داخل في
حقيقتهما وما هو خارج متمكن فيهما من الملائكة والانس والجن والمواليد
والعناصر وقد يجعل دليلا سمعيا على ان المجردات لا وجود لها والا لكان
بيان عظمته بمالكيته للاشياء ناقصا مقصورا على الماديات في
المتحيزات مع ان المجردات اشرف واعلى وربما يدعى انه ابلغ من قوله له
السموات والارض وما فيهن لتكرار صيغة العموم ودخول السماء
والارض نوع من المملوكية وهى ابلغ من التصريح واندراج الارض و
ما فيهما في مالكيته مرتين بلا تكلف خلافا للكلام الآخر فتامل من
ذا الذى يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ما
قبلهم وما بعدهم او بالعكس وامورهم الدنيوية والاخروية او ما

يحسونه وما يعقلونه او ما يدركونه وما لا يدركونه والضمير لما في
السموات والارض تغليبا او للملائكة والانبياء المدلول عليهم بمن ذا
ولا يحيطون بشيء من علمه من معلوماته الا بما شاء ان يعلموا
وسع كرسيه السموات والارض الكرسي لغة ما يقعد عليه و
لا يفضل عن مقعد القاعد ولعل المراد به فلك البروج المحيط بالسموات
السبع وما فيهن كما يراد بالعرش فلك الافلاك وفي الحديث ما قد
يرشد الى ذلك ولا يؤده ولا يثقله حفظهما وهو العلي المتعالي عن
الانداد والاشباه العظيم . لا اكراه في الدين قد تبين الرشد
من الغي قد تميز الايمان عن الكفر بالايات الواضحات الرشد الى السعا
العظمى والعاقل اذا تبين له طريق الحق سلكه والاكراه الزام الشخص بما
لا يراه خيرا فمن يكفر بالطاغوت الشيطان او الاصنام او كلما عبد من
دون الله او صد عن عبادته ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى
استعارة لتمسك المحق بما اداه اليه النظر الصحيح لا انفصام لها لا انقطاع
والله سميع للاقوال عليم بالنيات الله ولي الذين امنوا محبهم ومتولي
امورهم يخرجهم بهدايته وتوفيقه من الظلمات ظلمات الجهل واتباع
الهوى الى النور الى الهدى ومجانبة الهوى والجملة خبر ثان او حال من المستكن
في الخبر والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الذي
اعطوه بالفطرة الى الظلمات من الكفر وفساد الاستعداد اولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون . الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه
تعجب من محاجة نمرود وحماقته ان اتاه الله الملك لان اتاه الله
الملك فابطره ذلك وايتاء الله الملك له بمعنى اقداره عليه وتمكينه
منه ولا قبح فيه لينكر اذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت وقرأ حمزة
رب بحذف الياء قال انا احيي واميت بالعفو عن القتل والقتل قال
ابراهيم معرضا عن الاعتراض على معارضته المموهة الفاسدة الى
ما لا يقدر فيه على التمويه فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات

بها من المغرب فبهت الذي كفر صار مبهوتا والله لا يهدي القوم
الظالمين . الذين ظلموا انفسهم بالامتناع عن قبول الهدى او كالذي
تقديره او رايت مثل الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها ساقطة
جدرانها على سقوفها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها استعظاما
لقدرة الله ان كان مؤمنا واستبعادا ان كان كافرا وانى ظرف بمعنى
متى او حال بمعنى كيف فاماته الله فالبثه ميتا مائة عام ثم بعثه احياه
قال كم لبثت القائل هو الله سبحانه او ملك او نبي قال لبثت
يوما او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك و
شرابك لم يتسنه لم يتغير بمرور الزمان وافراد الضمير لان الطعام و
الشراب كالجنس الواحد قيل كان ناعنبا ولبنا وانظر الى حمارك كيف
تفرقت عظامه او انظر اليه سالما في مكانه بلا ماء ولا علف .
ولنجعلك اية للناس اي وفعلنا ذلك لنجعلك اية وانظر الى العظام
الحمار او عظام الموتى التي احييناها كيف ننشزها كيف نحييها والجملة حال
من العظام وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ننشرها ثم نكسوها لحما
فلما تبين له ذلك الحال قال اعلم ان الله على كل شيء قدير .
وقرأ حمزة والكسائي اعلم على الامر مخاطبة نفسه للتبكيت واذ قال
ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى طلب ذلك ليصير علمه عيانا قال
اولم تؤمن بانى قادر على الاحياء قال له ذلك مع علمه برسوخه
في التصديق ليجيب بما اجاب فيعلم السامعون غرضه قال بلى و
لكن ليطمئن قلبي بانضمام العيان الى العلم قال فخذ اربعة من
الطير قيل طاوسا وديكا وغرابا وحمامة فصرهن فاضممهن اليك
لتتاملهن لئلا يلتبس عليك بعد الاحياء اهن الذي احيوا ام
غيرهن او هل فات بعض الخصوصيات ام لا وقرأ حمزة بكسر الصاد
ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا اي ثم جزئهن وفرقهن على الجبال
قيل كانت اربعة جبال وقيل سبعة ثم ادعهن يأتينك سعيا ساعيات

مسرعات واعلم ان الله عزيز حكيم في افعاله مثل الذين ينفقون
اموالهم في سبيل الله اي مثل نفقتهم كمثل حبة انبتت سبع
سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء
على حسب حال المنفق في اخلاصه وتعبه في تحصيل الحلال والله واسع
لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة عليم بنية المنفق وما انفق
الذين ينفقون في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا
اذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون قول
معروف رد جميل ومغفرة وتجاوز عن الح خير من صدقة يتبعها
اذى والله غني عن الانفاق وانما يعود نفعه اليكم حليم لا يعاجل
عقوبة المن والاذى يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم اي
لا تحبطوا اجرها بالمن والاذى بكل منهما كالذي ينفق ماله رئاء الناس
كابطال المنافق الذي ينفق او مماثلين للذي ينفق فالكاف نصب على
المصدر او الحال ورئاء الناس مفعول له او حال ومصدر فمثله مثل
المرائي في انفاقه كمثل صفوان حجر املس عليه تراب فاصابه وابل
مطر عظيم القطر فتركه صلدا املس نقيا من التراب الذي كان يمكن
ان ينبت بسببه شيء وهذا المرائي جرده بالانفاق الرائي الذي هو
بمنزلة الوابل في تجريه الحجر عن ما له الذي كان يمكن ان يثبت له الاجر
لا يقدرون الضمير للذي ينفق على الجنس والجمع على شيء مما كسبوا
لا يقدرون على تحصيل ثوابه اذ لا ثواب له والله لا يهدي القوم
الكافرين فيه اشارة الى ان الريا والمن والاذى من صفات الكفار
لا بد للمؤمن من ان يجتنبها ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء
مرضات الله وتثبيتا من انفسهم تصديقا بالاسلام و
تحقيقا للجزاء صادرا من اصل انفسهم كمثل جنة بربوة وقرء
ابن عامر وعاصم بربوة بالفتح اي ومثل انفاق هؤلاء في النماء والزكا
كبستان بموضع مرتفع فانه احسن منظرا وازكى ثمرا اصابها وابل

اموالهم

مطر عظيم القطر فاتت اكلها ثمرتها وسكن الكاف ابن كثير ونافع وابو عمرو
ضعفين مثلي ما كانت تثمر فان لم يصبها وابل فطل هو المطر الصغير
القطر اي فيصيبها طل والمراد ان نفقات هؤلاء زاكية عند الله لا
يضيع وان تفاوت ثوابها باعتبار ما ينضم اليها من احوال منفقيها و
الله بما تعملون بصير تحذير من الريا وترغيب في الاخلاص ايود
احدكم استفهام انكار ان تكون له جنة من نخيل واعناب خصهما
بالذكر لشرفهما وكثرة منافعهما تجري من تحتها الانهار له فيها من كل
الثمرات سواهما واصابه الكبر الواو للحال باضمار قد والمراد انه
في كمال الاحتياج الى ذلك البستان فان الفقر في الشيخوخة اصعب
وله ذرية ضعفاء لا يقدرون على الكسب فاصابها عطف على
اصابه اعصار ريح عاصفة تستدير على نفسها وتنعكس من الارض
الى السماء فيه نار فاحترقت والمراد تمثيل من له افعال حسنة
يتوصل بها الى السعادات فضم اليها ما يبطلها من الرياء والمن والاذى
فاستاصلها بالاحباط فصار في القيامة في اعظم الحسرة والاسف
بحال من هذا شانه كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون
يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم من حلاله و
جيده ومما ومن طيبات ما اخرجنا لكم من الارض من الحبوب
والثمار والنقدين وغيرها ولا تيمموا الخبيث منه ولا تقصدوا
الرديء من المال الذي تنفقونه تنفقون حال من فاعل تيمموا ولستم
باخذيه وحالكم انكم لستم باخذيه في حقوقكم لرداءته الا ان
تغمضوا فيه الا ان تتسامحوا فيه من اغمض بصره اذا غضه والمراد بالخبيث اموال
الشبهات التي لا ياخذها من الملوك واشباههم ذو بصيرة الا مع
الاغماض عما فيها من الخباثة المعنوية واعلموا ان الله غني عن
انفاقكم وانما يامركم بذلك لنفعكم حميد بقبوله والاثابة عليه
وهو حميد لا يقبل الا الجيد الشيطان يعدكم الفقر بالانفاق

والوعد في الاصل شايع في الخير والشر ويأمركم بالفحشاء والعرب
يسمي البخل فاحشا والله يعدكم على الانفاق مغفرة منه وفضلا
خلفا افضل مما انفقتم والله واسع الفضل عليم بما ينفقونه يؤتي
الحكمة تحقيق العلم واتقان العمل من يشاء مفعول اول اخر للاهتمام
بالثاني ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا لانه خير الدارين معا
وما يذكر وما يتعظ بما قصصنا من الايات الا اولوا الالباب
ذوي العقول الخالصة من شوايب الوهم واتباع الهوى وما انفقتم
من نفقة قليلة او كثيرة سرا او جهرا في حق او باطل او نذرتم من نذر
فان الله يعلمه فيجازيكم عليه وما للظالمين الذين ينفقون في
الباطل من الباطل وينذرون في المعاصي من انصار يمنع من عقابه
ان تبدوا الصدقات فنعما هي فنعم شيئا هذه الخصلة او ابداؤها
على حذف المضاف وتوبيخ التذكير فهو خير لكم وفتح النون وكسر العين
ابن عامر وحمزة والكسائي وكسرها وسكن العين ابو عمرو وابو بكر وقالون
وان تخفوها وتؤتوها الفقراء لعل ذكر الفقراء مع الابداء يحقق
الفقراء باعلام الناس بحال الاخذ في الفقر وعدمه بخلاف الاخفاء فانه
يحتاج الى الفحص عن حاله فهو اي الاخفاء خير لكم فان صدقة السر افضل
والمشهور بين اصحابنا ان الابداء في الفريضة اولى سيما في المال الظاهر كالانعام والغلة
ولمن هو محل التهمة ونكفر قرئ بالياء والرفع ابن عامر وحفص اي والله
يكفر عنكم من سيئاتكم وابن كثير وابو عمرو وابو بكر بالنون مرفوعا
ونافع وحمزة والكسائي بها مجزوما بالعطف على محل الفاء ومدخولها
والله بما تعملون خبير ترغيب في الاخفاء ليس عليك هداهم هدى
الناس او المنفقين ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من
خير فلانفسكم ونفعه عايد اليكم لا الينا وما تنفقوا من خير
يوف اليكم ثوابه او خلفه في الدنيا وانتم لا تظلمون بنقص ثوابه
للفقراء اي اجعلوا ما تنفقونه او صدقاتكم للفقراء الذين احصروا

وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله
فانظروا ماذا تنفقون ويمكن ان
يكون النفي بمعنى النهي م م

في سبيل الله احصرهم الجهاد او القيام بوظايف العبادة لا يستطيعون
لاشتغالهم ضربا ذهابا في الارض للكسب يحسبهم الجاهل بفقرهم
وفتح السين ابن عامر وحمزة وعاصم اغنياء من التعفف عن السؤال
تعرفهم بسيماهم ايها الناظر اليهم بسيماهم من الضعف وسوء الحال لا يسألون
الناس الحافا الحاحا نصبه على المصدر للنوع اي لسؤالهم الذي
يسألون الناس الحاحا وما تنفقوا من خير فان الله به عليم ترغيب في
الانفاق الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية
مما نزل في شان امير المؤمنين علي عليه السلام روى المخالف والمؤالف
انه عليه السلام انه كان لا يملك الا اربعة دراهم فتصدق بدرهم
ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم جهرا فلهم اجرهم عند ربهم ولا
خوف عليهم ولا هم يحزنون خبر الموصول الذين يأكلون الربوا هو في
الاصل الزيادة وكتب بالواو للتفخيم كالصلوة وزيدت الالف بعدها
تشبيها بواو الجمع لا يقومون من قبورهم في القيمة الا كما يقوم الذي
يتخبطه الشيطان يجعله متخبطا والخبط المشي على غير اتساق ومنه
خبط العشواء من المس اي الجنون والمراد بالصرع وهذا وارد على ما
يزعمه العرب من ان مرض الصرع من الجن اي لا يقومون من قبورهم الا كقيام
المصروع فيسقطون تارة ويمشون على غير الاستقامة اخرى لثقل
ظهورهم بما اكلوه من الربوا قيل يكون ذلك علامة لهم يعرفهم بها
اهل المحشر ذلك العقاب بانهم اي بسبب انهم قالوا انما البيع مثل
الربوا فقاسوا على البيع بجامع هو الافضاء الى الربح وقلبوا التشبيه
للمبالغة عن ابن عباس رضي الله عنه ان الرجل منهم كان اذا حل دينه
فطالب غريمه قال له الغريم زدني في الاجل وازيدك في المال فيتراضيا
على ذلك ويقولون ان الزيادة في ثمن السلعة في البيع والزيادة في
المال بسبب الاجل سواء فذمهم الله وخطاهم واصحابنا مختلفون
في دخول الربوا في ساير المعاوضات كالصلح مثلا ان جعلت

عقداً برأسه وشرطوا تجانس العوضين مع شروط اخرى مبينة في
كتب الفقه واحل الله البيع وحرم الربوا رد سبحانه قياسهم فان تماثلهما
في الافضاء الى الربح لا يوجب تماثلهما في الحكم ففي الاية دلالة
(لان مبنى الشريعة على جمع المختلفات وتفريق المتماثلات)
على عدم جواز العمل بالقياس ودعوى تحريم الربوا قبل نزول هذه
الاية ليكون قياسهم في مقابلة النص ليثبت فمن جاءه موعظة
من ربه في تحريم الربوا فانتهى عن اكله فله ما سلف ما اخذ من الربوا
قبل تحريمه ولا يسترد منه وامره الى الله يجازيه على انتهائه ومن
عاد الى اكل الربا مستحلا له فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
لاستحلالهم ما حرم الله لا لمجرد فعل المحرم كما ظن يمحق الله الربوا يذهب
بركته ويربي الصدقات يضاعف ثوابها او يجعل البركة
فيما اخرجت منه والله لا يحب اي يبغض كل كفار مصر على تحليل
ما حرمه اثيم منهمك في ارتكابه ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
واقاموا الصلوة واتوا الزكوة تخصيصهما بالذكر لمزيد الشرف
فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون • يا ايها
الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا اي ما بقي
منه عند من عاملتموه ان كنتم مؤمنين مصدقين باياتنا
روي انه كان لثقيف مال على بعض قريش فلما حل طالبوهم بربا
فنزلت فان لم تفعلوا واصررتم على اخذه ولم تتركوه فاذنوا فايقنوا
بحرب من الله ورسوله وقرء حمزة وعاصم في رواية ابن عياش فآذنوا
اي اعلموا غيركم وان تبتم وتركتم اخذه فلكم رؤس اموالكم حال
كونكم لا تظلمون باخذ الزيادة ولا تظلمون بالمطل والنقصان
ولما كان مفهوم الشرط انهم اذا لم يتوبوا عن الربوا لم يكن لهم اخذ راس المال
مع انه لهم جعل بعضهم الشرط عدم التوبة عن تحليل الربوا الكفر
المصر على ذلك وصيرورة ماله فيئا وفيه انه خلاف ظاهر الاية
مع عدم الحاجة اليه لان جزاء الشرط استحقاق راس المال من غير

الزكوة م

الظلم

الظلم فهامل وان كان ذو عسرة ان حصل غريم معسر عن اداء راس المال
فنظرة فالحكم نظرة الى ميسرة يسار وضم السين نافع وحمزة وان
تصدقوا بابراء المعسرات وخفف عاصم الصاد خير لكم لكونه
اكثر ثوابا من الانظار ان كنتم تعلمون • ما فيه من الاجر الجزيل و
الذكر الجميل واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله يوم القيمة او يوم
الموت وقرء ابن عامر بفتح التاء وكسر الجيم ثم توفى كل نفس ما
كسبت جزاء ما عملت من خير وشر وهم لا يظلمون • بنقص الثواب
وتضعيف العقاب عن ابن عباس رضي الله عنه انها اخر اية نزلت في
عاش النبي صلى الله عليه وآله بعدها اياما قلائل يا ايها الذين
امنوا اذا تداينتم بدين تنكيره للتعميم اي قليلا كان او كثيرا الى
اجل مسمى معلوم بالايام والاشهر والسنين لا بقدوم الحاج مثلا
فاكتبوه لانه اوثق وادفع للنزاع وهذا الامر للاستحباب وللارشاد
لا للوجوب باجماعنا وليكتب بينكم كاتب بالعدل لا بزيادة ولا
نقص ولا يأب ولا يمتنع كاتب ان يكتب كما علمه الله مثل ما
علمه من كتابة الوثائق وهو من قبيل احسن كما احسن الله اليك فليكتب
وليملل اي يملي الذي عليه الحق لانه المقر المشهود عليه وليتق الله
ربه اي المملل ولا يبخس منه من الحق عليه شيئا فان كان الذي عليه
الحق سفيها ناقص العقل مبذرا او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا
او لا يستطيع ان يمل هو لخرسه او جهله باللغة فليملل وليه بالعدل
واستشهدوا شهيدين من رجالكم من المسلمين فان لم يكونا
رجلين فرجل وامرأتان اي فليشهد بالبناء للمفعول او فالمستشهد
رجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء لعلمكم بعدالتهم ان تضل
احديهما فتذكر احديهما الاخرى علة اعتبار العدد اي لاجل ان
احديهما ان نسيت الشهادة تذكرها الاخرى وفيه اشعار بنقص
عقولهن وقلة ضبطهن وقرء حمزة ان تضل على الشرط فتذكر بالرفع

حجة الوداع

وباي معاملة ثبت فلا يفيد تداينتم عنه
وايضا ففيه تصريح بمرجع ضمير فاكتبوه

ولا ينقص

الذي يلي امره

لان ما بعد الفاء لا يجزم وابن كثير وابو عمرو فتذكر من الاذكار ولا يأب
الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة ويحمل لتحملها وما صلة و
لا تسأموا ان تكتبوه ولا تملوا من كثرة مداينتكم ان تكتبوا الدين
او الكتاب صغيرا كان الدين او كبيرا او مختصرا كان الكتاب
او مطولا الى اجله اى وقت حلوله ذلكم اقسط عند الله اكثر
قسطا واقوم للشهادة اثبت لها واعون على اقامتها وهما مبنيان
من اقام واقسط وهو دليل على ما جوزه سيبويه من بناء افعل من المزيد
في باب الافعال خاصة وادنى ان لا ترتابوا في جنس الدين وقدره
واجله الا ان تكون المعاملة تجارة حاضرة اى حالة غير مؤجلة و
نصبها بالخبرية عاصم ورفعها الباقون على ان الخبر تديرونها بينكم
تتعاطونها فليس عليكم جناح ان لا تكتبوها لبعده عن التنازع و
اشهدوا اذا تبايعتم اى في التجارة الحاضرة او في مطلق البيع والاوامر
في هذه الايات اما للندب او للارشاد ولا يضار كاتب ولا شهيد
يحتمل البناء للمعلوم والمجهول فالنهي عن ترك الاجابة والتغيير في
الكتابة والشهادة او عن الاضرار بهما كان يعجلا عن مهم او لا يعطى
الكاتب جعله والشاهد مؤنة مجيئه من البعد وان تفعلوا
الاضرار فانه فسوق بكم خروج عن الطاعة لاحق بكم واتقوا الله
ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم وان كنتم ايها المتداينون الى
اجل على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان اى فالمستوثق به رهان
مقبوضة فالقبض شرط في صحة الرهن وهو مذهب اكثر اصحابنا
وقرأ ابن كثير وابو عمرو فرهن كسقف واشتراط السفر وعدم الكاتب
خرج مخرج الغالب اذ لا اختلاف في مشروعية الرهن في الحضر مع
وجوده فان امن بعضكم بعضا فاستغنى عن الارتهان فليؤد
الذي اؤتمن امانته سماه امانة لائتمانه عليه وليتق الله ربه
في عدم ادائه وانكاره وبالغ سبحانه في ذلك بجعله امانة وتكرا

الحث على ادائه والاشعار بان في عدم الاداء مخالفة المالك المربي ولا
تكتموا ايها الشهود الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه فاعل
الصفة او مبتدأ وهو خبره والجملة خبر ان والجملة خبر الموصول المتضمن
معنى الشرط واسناد الاثم الى القلب ابلغ في الذم كما ان اسناد
الايمان اليه ابلغ في المدح كانه قيل تمكن في نفسه واستقر في اشرف
اعضائه والله بما تعملون عليم تهديد لله ما في السموات
وما في الارض خلقا وملكا وان تبدوا ما في انفسكم ان تظهروا
ما تضمرونه من المعاصي او تخفوه يحاسبكم به الله في القيمة
فيغفر لمن يشاء ان يغفره له ويعذب من يشاء ان يعذبه رفعهما
عاصم وابن عامر على الاستيناف وجزمهما الباقون على الجزائية
والله على كل شيء قدير آمن الرسول بما انزل اليه من ربه
والمؤمنون عطف على الرسول فالضمير النائب عنه التنوين في
قوله سبحانه كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله يرجع اليه
واليهم معا او مبتدأ فيرجع الى المؤمنين ويصح وقوع كل بخبره خبرا
عنه لا نفرق بين احد من رسله اى يقولون لا نفرق ولما عمت
النكرة في سياق النفي صح دخول لفظة بين وقالوا سمعنا واطعنا
غفرانك ربنا مفعول به او مطلق وحرف النداء محذوف واليك
المصير المرجع في القيمة لا يكلف الله نفسا الا وسعها يدل على
عدم وقوع التكليف بالمحال واما عدم جوازه فمن دليل آخر مبين في
محله لها ما كسبت من خير وعليها ما اكتسبت من شر لا ينتفع بطاعتها
ولا يتضرر بمعصيتها غيرها وتخصيص الكسب بالخير والاكتساب بالشر
لان النفس تميل الى المعاصي وتشتهيها وهي اجد في تحصيلها فزيادة
المباني لزيادة المعاني ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا اى بما
وقع منا نسيانا او خطأ بسبب تفريط في التحفظ وتساهل وقلة مبالا
ربنا ولا تحمل علينا اصرا ثقلا يثقل علينا كما حملته على الذين

مِنْ قَبْلِنَا كبني إسرائيل روى في الصحيح عن الصادق عليه السلام انهم
كانوا اذا اصاب احدهم قطرة بول قرضوا لحومهم بالمقاريض رَبَّنَا
وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ من البلايا العظيمة والمحن الشديدة
التي يقال في العرف انه لا طاقة لاحد على تحملها وَاعْفُ عَنَّا وامح
ذنوبنا وَاغْفِرْ لَنَا واسترها علينا ولا تفضحنا بها وَارْحَمْنَا أَنْتَ
مَوْلَانَا سيدنا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ٥ فان من حق المولى ان
ينصر عبيده ٥ تم تفسير البقرة بتوفيق الله وعونه ٥

سورة آل عمران مكية وايها مائتان

بسم الله الرحمن الرحيم

الم فتح الميم غير ابي بكر بالقاء حركة الهمزة عليها وسكنها هو على الاصل
اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ٥ مر في آية الكرسي نَزَّلَ عَلَيْكَ
الْكِتَابَ بِالْحَقِّ بالصدق او بالحجج المحققة انه من عند الله مُصَدِّقًا
لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ لما قبله من الكتب وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ جملة واحدة
مِنْ قَبْلُ من قبل تنزيل القرآن هُدًى لِلنَّاسِ من امة موسى وعيسى على
نبينا وعليهما السلام وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ سائر الكتب الالهية و
تخصيص الثلاثة بالذكر للتعظيم او سائر ما يفرق به بين الحق والباطل
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ٥ وَاللَّهُ عَزِيزٌ
ذُو انْتِقَامٍ ٥ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ من الخفيات
في الارض وَلَا فِي السَّمَاءِ ولعل تقديم الارض للترقي من الادنى
الى الاعلى ومن العلم بالخفي الى العلم بما هو اخفى فان الامور السماوية
اخفى من الارضية او لان المقصود الاصلي بقرينة السياق علمه
سبحانه بما معرفة في الارض هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ
يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٥ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ
مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ احكمت وحفظت عن الاجمال ولفظة من
للتبعيض واما قوله تعالى كتاب احكمت آياته فالمراد حفظها عن

ركاكة اللفظ وفساد المعنى هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ اصله يرد اليها غيرها و
الافراد للتاويل بكل واحدة او لتنزيلهن منزلة آية واحدة وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ
غير متضحات لا يعرف المقصود منها الا بالفحص والنظر فيظهر بها فضل
العلماء وينالوا باتعاب القرائح فيها معالي الدرجات واما قوله
تعالى كتابا متشابها فمعناه انه يشبه بعضه بعضا في جزالة
اللفظ وصحة المعنى فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ عدول عن الحق فَيَتَّبِعُونَ
مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فيتعلقون بظاهره او بتاويل باطل ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ
طلبا لان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ
على ما يشتهيه انفسهم وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي
الْعِلْمِ ومن وقف على الله فسر المتشابه بما استأثر الله سبحانه بعلمه
يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ استيناف على العطف وخبر على الوقف كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا
من المحكم والمتشابه وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ٥ مدح للراسخين في
رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا من مقالهم والمراد لا تبتلنا ببلاء
يزيغ فيها قلوبنا عن الحق فانه جل شانه منزه عن اضلال عبيده ثم يعذبهم
على ما هو من فعله وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ٥
المتفضل وليس في هذا دليل على انه لا يجب عليه سبحانه شيء فان المعتزلة
لا ينكرون تفضله رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ
اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ٥ وضع المظهر موضع المضمر لما في هذا
الالتفات من الاشعار باستجماع جميع صفات الكمال ينافي الخلف
ولا دليل فيه للوعيدية لان الميعاد وان استعمل في كل من الوعد
والوعيد لا ان ذكره هنا بعد طلب الرحمة يقتضي كونه بمعنى الوعد
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ
شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ حطبها كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ اي شان هؤلاء وحالهم كشان اولئك كَذَّبُوا
بِآيَاتِنَا حال باضمار قد فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ

العقاب قل للذين كفروا هم مشركوا مكة ستغلبون المراد مغلوبيتهم
يوم بدر فالآية من دلائل النبوة وتحشرون الى جهنم وقرء حمزة والكسائي
بياء الغيبة فيهما وبئس المهاد تمة القول او مستأنف قد كان
لكم آية الخطاب لقريش واليهود في فئتين التقتا يوم بدر فئة
تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم يرى المشركون
المسلمين مثلي المشركين وكان المشركون قريبا لفا او مثلي المسلمين و
كانوا ثلثمائة وثلث عشر او يرى المسلمون المشركين وكانوا ثلثة امثالهم
ليثبتوا لهم وثوقا بوعد الله سبحانه لهم بقوله ان يكن منكم مائة صابرة
يغلبوا مائتين وقرء نافع ترونهم على الخطاب رأي العين اي معاينة
والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك اي في التقليل والتكثير
لعبرة لاولي الابصار زين للناس حب الشهوات اي المشتهيات
والمزين الشيطان فان الآية في معرض الذم به من النساء والبنين
والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة
والانعام والحرث بيان للشهوات والقنطار المال الكثير وقيل
مائة الف وقيل ملء مسك ثور والمسومة المعلمة من السومة او المرعية
من السوم والله عنده حسن المآب اي المرجع قل أؤنبئكم بخير
من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها استيناف لبيان ما هو خير وازواج مطهرة مما يستقذر
من النساء ورضوان من الله وضم عاصم الراء والله بصير بالعباد
فيثيب المحسن ويعاقب المسيء الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا
ذنوبنا وقنا عذاب النار الصابرين والصادقين والقانتين
والمنفقين والمستغفرين بالاسحار صفة للمتقين وتوسيط
الواو للدلالة على كمالهم في كل منها شهد الله انه لا اله الا هو
بانزال الآيات الدالة على وحدانيته والملائكة واولوا العلم
فيما بينهم قائما بالقسط مقيما بالعدل حال وافراده بها لعدم
من فاعل شهد
اللبس

اللبس بخلاف جاء زيد وعمرو راكبا لا اله الا هو كرره للتأكيد وليبتني
عليه قوله العزيز الحكيم بدلا من الضمير ان الدين عند الله الاسلام
جملة مستأنفة اي لا دين مرضي عند الله سوى الاسلام وفتح الكسائي همزة
ان على انها بدل من انه وما اختلف الذين اوتوا الكتاب من اليهود
والنصارى فقال بعضهم بحقيقة الاسلام وبشموله وبعضهم خصه
بالعرب وبعضهم نفاه مطلقا الا من بعد ما جاءهم العلم بحقيقته
وشموله بغيا بينهم حسدا وحبا للرياسة ومن يكفر بآيات الله
فان الله سريع الحساب فان حاجوك جادلوك فيه بعد
اقامتك الحجج عليهم فقل اسلمت وجهي لله اخلصت نفسي له ومن
اتبعن عطف على الضمير المرفوع المفصول وقل للذين اوتوا الكتاب
والاميين الذين لا كتاب لهم أأسلمتم اذ وضحت الحجة ام انتم باقون
على كفركم فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا اعرضوا عن الاسلام
فانما عليك البلاغ وقد بلغت لا يضرك توليهم والله بصير بالعباد
وعد ووعيد ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين
بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس وقرء
حمزة يقاتلون فبشرهم بعذاب اليم خبر ان ومنع سيبويه دخول
الفاء في خبرها فحمل الخبر اولئك الذين حبطت اعمالهم في
الدنيا والآخرة كقولك زيد فافهم رجل صالح وما لهم من ناصرين
الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب التورية يدعون الى
كتاب الله ليحكم بينهم الداعي محمد صلى الله عليه وآله والكتاب
القرآن ثم يتولى فريق منهم مع علمهم بوجوب الرجوع اليه وهم
معرضون حال من فريق لتخصيصه والغرض ان عادتهم الاعراض
ذلك التولي والاعراض بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما
معدودات بسبب تسهيلهم امر العقاب وغرهم في دينهم
ما كانوا يفترون كقولهم ان آباءهم الانبياء يشفعون لهم

فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه استعظاما لما يحيق بهم في الاخرة
وتكذيبهم ووفيت كل نفس ما كسبت جزاء ما كسبت وهو يدل على
عدم الاحباط وعدم خلود المؤمن في النار اذ توفيه ايمانه وصالح
اعماله ليس فيها ولا قبل دخولها وهم لا يظلمون ◦ الضمير لكل نفس
اذ المعنى كل انسان قل اللهم الميم عوض يا وهو من خصايص هذا
الاسم لا فادتهم كجامعتها لامه وقطعها همزته وتاء القسم مالك
الملك باجمعه وهو ما حواه دائرة الامكان ونصبه لانه نداء
ثان عند من يمنع جعله وصفا لتوسط الميم تؤتي الملك من تشاء
وتنزع الملك ممن تشاء الملك الاول عام وهذان بعضه
وتعز من تشاء وتذل من تشاء في الدنيا والاخرة بيدك الخير
انك على كل شيء قدير ◦ روي انه عليه السلام لما خط الخندق في
غزوة الاحزاب وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا ظهر في اثناء الحفر
صخرة عظيمة لم تعمل فيها المعاول فاخبروا بذلك النبي صلى الله عليه وسلم
فاخذ المعول وضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتي
المدينة فكبر وكبر معه المسلمون وقال اضاءت لي منها قصور
الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت
لي منها القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال
اضاءت لي قصور صنعاء واخبرني جبريل ان امتي ظاهرة على
كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم
الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة وانها تفتح لكم وانتم
انما تحفرون الخندق من الفرق فنزلت الاية تولج الليل في النهار
وتولج النهار في الليل بالنقص من احدهما والزيادة في الاخر
وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء
بغير حساب كانشاء الحيوانات من موادها وبالعكس وقرء حمزة
ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر الميت بالتخفيف لا يتخذ المؤمنون

او حذف او نقل وسمي متشابها لانه يشبه المحكم وقيل الاشتباه المراد منه
ما ليس بمراد والتشابه في القران انما يقع فيما اختلف الناس فيه
من امور الدين نحو قوله واضله الله على علم واضلهم السامري و
منها ان يحتمل معنيين او ثلثا واكثر فيحمل على الاصوب مثل يد الله
مغلولة وتجري باعيننا ومنها مما يزعم فيه من مناقضة نحو قضاهن
سبع سموات في يومين وقوله في اربعة ايام وقوله في ستة
ايام ومنها ما هو محكم فيه غموضه مثل قوله ليس كمثله شيء وما تبع
ذلك من الغوامض التي يحتاج الى بيانها ويستخلص منها اما بموضوع
اللغة او بمقتضى العقل او بموجب الشرع والحكمة في انزال المتشابه
الحث على النظر الذي يوجب العلم دون الاتكال على الخبر من غير
نظر وذلك انه لو لم يعلم بالنظر ان جميع ما ياتي به الرسول حق يجوز
ان يكون الخبر كذبا وبطلت دلالة السمع وفايدته ثم ان به تمييز
العالم من الجاهل كما قال وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم
ثم انه منزل على لغة ومن عادتهم الاستعارة والمجاز والتعريض
واللحن وقد يكون محكما من وجه ومتشابها من وجه كالمعلوم و
المجهول فتصح الحجة من وجه المعلوم دون المجهول والشبهة ما تصور
بصورة الدلالة واسبابها كثيرة منها اتباع هوى من سبق اليه والثاني
ان يدخل عليه شبهة فيخيله بصورة الصحيح والثالث التقليد و
الرابع ترك النظر والخامس نشو على شيء صار اليه فيصعب عليه
مفارقته وغير ذلك واسال الله المعونة على اتمامه وان يوفقني
لاتمام ما شرعت فيه من كتاب اسباب نزول القران فان
بانضمامهما يحصل جل علوم التفاسير انه ولي ذلك والمنعم بطوله

باب ما يتعلق بابواب التوحيد قوله تعالى هو الذي خلق
لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسويهن سبع
سموات الظاهر يقتضي انه خلق الارض قبل السماء لان ثم

للتعقيب التراخي وقال في موضع ءانتم اشد خلقا ام السماء بناها
والارض بعد ذلك دحاها ليس بينهما تناقض لانه تعالى خلق الارض
قبل السماء غير مدحوة فلما خلق السماء دحاها بعد ذلك ودحوها بسطها
ومنه ادحية النعام لانها تبسطها للتبض فيها ويجوز ان لا يكون معنى ثم
وبعد في هذه الآيات للترتيب في الاوقات والتقديم والتاخير
فيها انما هو على جهة تعداد النعم والاذكار بها كما يقول القائل لصاحبه
اليس قد اعطيتك ثم حملتك ثم رفعت منزلتك ثم بعد هذا كله
اخلصتك لنفسي ويقال بعد بمعنى مع قوله عتل بعد ذلك زنيم
ويقال بمعنى قبل قوله ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر قوله تعالى
ومن آياته ان تقوم السماء والارض بامره بلا دعامة تدعمها ولا
علاقة تعلق بها بل ان الله تعالى يمسكها حالا بعد حال لاعظم دلالة على
انه لا يقدر عليه سواه ولو اجتمعت الجن والانس على امساك تبنة
في الهواء او اثبات تربة على الماء لعجزوا بنى السماء فسواها بلا عمد ولم
تمد باطناب ولا عمد قوله سبحانه خلق السموات بغير عمد ترونها

لقمن

اي ليس لها عمد يسندها لانه لو كان لها عمد لرايتموها فلما لم تر دل
على انه ليس لها عمد ولو كان لها عمد لكانت اجساما عظيمة حتى
يصح منها اقلال السموات ولو كانت كذلك لاحتاجت الى عمد آخر
فكان يتسلسل فاذاً لا عمد لها بل الله يمسكها حالاً بعد حال بقدرته
التي لا توازيها قدرة قادر وقال مجاهد لها عمد لا ترونها وسال
الحسين بن خالد رضي الله عنه عن الرضا عليه السلم عن قوله و
السماء ذات الحبك فقال ع اراد بذلك والارض مددناها والقينا
فيها رواسي لانه لو كان لها عمد لكانت اجساما عظيمة كثيفة لانه
لا يقل مثل السموات والارض الا ما فيه الاعتمادات العظيمة ولو كانت
لذلك لرايناها ولادى الى التسلسل قوله سبحانه وهو الذي خلق

هود

السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ظاهر الآية

يقتضي ان العرش الذي تعبد الله الملئكة بحمله كان مخلوقا قبل السموات
والارض وقد اختاره المرتضى وقال الجبائي في الآية على انه كان
قبل السموات والارض الملئكة لان خلق العرش على الماء لا وجه
لحسنه الا ان يكون فيه لطف لمكلف او يمكنه الاستدلال به فلا بد
اذاً من حي مكلف وقال الرماني لا يمتنع ان يتقدم خلق الله لذلك
اذا كان في الاخبار بتقدمه مصلحة للمكلفين وهو اختيار الطوسي
قوله سبحانه ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل و
النهار لآيات لاولي الالباب وجه الاحتجاج بخلق السموات على
الله تعالى ولم يثبت بعد انها مخلوقة ان تعاقب الضياء يدل على
حدوث الاجسام ثم انها على تقدير كونها مخلوقة قبل الاستدلال
به لان الحجة به قامت عليه من حيث انها لم تنفك من المعاني
المحدثة قوله سبحانه ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا
استدل الرماني بهذه الآية ان السموات غير الافلاك لان الافلاك
تتحرك وتدور والسموات لا تتحرك ولا تدور وهذا غير مرضي لانه
لا يمتنع ان يكون السموات هي الافلاك وان كانت متحركة لان
قوله يمسك السموات والارض ان تزولا معناه لا تزول عن مركزها
الذي تدور عليه ولولا امساكه لهوت لما فيهما من الاعتمادات سفلا
فصل قوله تعالى رب المشرق والمغرب وفي موضع رب
المشرقين ورب المغربين وفي موضع فلا اقسم برب المشارق و
المغارب اراد بالاول موضع الشروق والغروب لان المفعل
من يفعل ويفعل اسم الموضع منها كالمذهب والمدخل اما المشرق و
المغرب فيجوز فيهما كسر العين وفتحها واما الثاني عنى به مشرق
الشتاء ومشرق الصيف وكذلك المغرب وذلك ان مشرق الشتاء
قريب فالليل اطول من النهار وكذلك المغرب واما الثالث عنى به
منازل الشمس في الشروق والغروب لان الشمس ثلثمائة وستين

منزلا تطلع كل يوم من منزل وتغرب من منزل ولذلك القمر الا ان
القمر يجاوز المنازل في شهر واحد والشمس تجاوزها في سنة **قوله**
سبحانه قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وقال في
اربعة ايام سواء للسائلين وقال خلق السموات والارض في ستة
ايام اما قوله في اربعة ايام يريد مع اليومين الاولين لان خلق الرواسي
وغير ذلك من تمام خلق الارض وذلك كما تقول خرجت من
بغداد الى الكوفة في خمسة ايام والى مكة في ثلثين يوما فيكون المبدأ
في جملة الثلثين وانما خلقهما في هذا المقدار مع قدرته ان يخلقهما في
اقل من لمح البصر لان الامور جارية في التدبير على منهاج ولما علم في
ذلك من مصالح الخلق في الترتيب ليدل على صانع حكيم وفي
اظهارهما كذلك مصلحة الملائكة وعبرة لهم **قوله** سبحانه هو الذي
جعل لكم الارض بساطا وقوله الذي جعل لكم الارض فراشا
استدل ابو علي على بطلان ما يقوله المنجمون من ان الارض كرية
الشكل وهذا انما يدل على ان بعضها مسطوح لا جميعها والمنجمون
معترفون بان بعضها مسطوح **قوله** سبحانه افلا ينظرون الى الابل
كيف خلقت الآية لما كانت العرب منفردين عن الناس والسماء لهم
سقفا والارض لهم وطاء والجبال امامهم وهي كهف لهم وحصن و
الابل ملجاهم في الحل والترحال اكلا وشربا وركوبا وحملا نزلت الآية
وليست القبلة باذل على الله تعالى من البقة ولا الطاوس من القردة
فلذلك الابل بالسماء والارض الجبال **قوله** سبحانه هو الذي انشاكم
من الارض هو الذي خلقكم من تراب قال الجبائي معناه خلقكم
من آدم وآدم من تراب . وقال الطوسي معناه خلق اباكم
الذي هو آدم وانتم من ذريته وهو بمنزلة الاصل لنا من طين فلما
كان اصله من الطين جاز ان تقول خلقكم من طين وقال غيره
اي خلقكم من الارض والاول اقوى قال الحسن لم يخلق الله آدم

نوح

الا للارض ان عصى او ان لم يعص لو لم يعص لخرج على غير تلك الحال وقال
غيره يجوز ان يكون خلقه للارض ولغيرها وان لم يعص هو الاقوى
لان ما قاله الحسن لا دليل عليه **فصل** قوله تعالى في خلق آدم
خلقه من تراب وفي موضع من طين لازب وفي موضع من حماء
مسنون وفي موضع من صلصال كالفخار لا تناقض فيها لانها ترجع
الى اصل واحد وهو التراب فجعله طينا ثم صار كالحماء المسنون ثم يبس
فصار صلصالا كالفخار **قوله** سبحانه خلقكم من نفس واحدة ثم خلق
منها زوجها وثم يقتضي المهلة والتراخي وذلك يقتضي ان الله تعالى
خلق الخلق من آدم ثم بعد ذلك خلق حوا الجواب ان ذلك وان
كان موخرا في اللفظ وهو مقدم في المعنى كقول القائل قد رايت ما
كان منك اليوم ثم ما كان منك امس او انه معطوف على معنى واحد
كانه قال من نفس واحدة بمعنى وحدها ثم جعل منها زوجها غير
حوا بل يريد المزوج من نسل آدم من الذكور والاناث فكانه تعالى
قال هو الذي خلقكم من نفس واحدة وهي آدم ثم جعل المزوج من
نسل تلك النفس وهذا متاخر عن خلق النفس الواحدة التي هي ادم
وان سبب دخول ثم للاعتداد بهذه النعمة والذكر لها على سبيل
الامتنان انما كان بعد ذكر خلقنا من نفس واحدة فكانه قال هو
الذي ذكر لكم واعتد عليكم انه خلقكم من نفس واحدة ثم عطف على
هذا الاعتداد والامتنان ذكر نعمة اخرى وهي ان زوج هذه النفس
المخلوقة مخلوقة منها فزمان الخلق للزوج وان كان متقدما فزمان
ذكره والاعتداد به غير زمان وجوده فلا يمتنع ان يكون الترتيب في
زمان الذكر والاعتداد غير الترتيب في زمان الايجاد والتكوين كقولنا
لي عليك من النعمة كذا اليوم ثم كذا امس المراد بثم الواو فانه قد يستعمل
الواو بمعنى ثم وثم بمعنى الواو لان الجميع للانضمام قوله فالينا مرجعهم
ثم الله شهيد معناه والله شهيد وقوله وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج

مؤمنون

قوله سبحانه ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الآية فيها
دلالة على ان الانسان هو هذا الجسم المشاهد لانه المخلوق من
نطفة والمستخرج من سلالة دون ما يذهب اليه معمر وغيره من
انه الجوهر البسيط او شيء لا يصح عليه التركيب الانقسام قوله سبحا
خلقك من تراب اي اصلك من تراب اذ خلق اباه من ترا
ويصير الى التراب وقيل لما كانت النطفة يخلقهم الله بمجرى
العادة من الغذا والغذا ينبت من تراب جاز ان يقال خلقك
من تراب لان اصله من تراب كما قال من نطفة وهو في
هذه الحال خلق سوي حي لكن لما كان اصله كذلك جاز
ان يقال ذلك والوجه في خلق البشر وغيره من الحيوان نقله
من تراب الى نطفة ثم الى علقة ثم الى صورة ثم الى الطفولية ثم
الى حال الرجولية ما في ذلك من الاعتبار الذي هو ادل بحجة
على تدبير مدبر مختار يصرف الاشياء من حال الى حال لان
ما يكون بالطبع يكون دفعة واحدة كالكتابة التي توجدها
بالطبايع من لا يحسن الكتابة فاما انشاء الخلق حالا بعد حال

اعراف

دل على انه عالم مختار قوله سبحانه واذ اخذ ربك من بني
آدم من ظهورهم الآية تعلقت الحشوية بذلك والحقوا به
الخبر الارواح جنود مجندة فقولهم باطل لانه قال من بني
آدم ولم يقل من آدم وقال من ظهورهم ولم يقل من ظهره
وقال ذرياتهم ولم يقل ذريته واي ظهر يحتمل هذه الذرية
واي فضاء يتسع ولفظ الذرية انما يقع على المولود ولا يكون في
الصلب ذرية ويوجب ان يكون الماخوذ منهم ذرية آدم لصلبه
ولا يدخل ابناء الابناء ومن بعدهم لان الذرية انما تطلق على
ولد الصلب وفي ما عداه مجاز يعرف ذلك بدليل آخر دون ظاهر
اللفظ ومعلوم ان الولد يخلق من المني وانما يحدث من الانسان

حالا بعد حال ويستحيل من الاطعمة وكيف يجتمع في صلب واحد
جميع ما يكون من عقبه الى يوم القيمة من المني والاشهاد انما
يصح ممن يعقل ويكون الجواز عنه مستحيلا والله تعالى رفع القلم
عن الصبي حتى يبلغ ولم يلزمه معرفته والذرية المستخرجة من
ظهر آدم اذا خوطبت وقررت لابد ان يكون كاملة العقول
مستوفية التكليف لان ما لم يكن كذلك يقبح خطابهم وتقريرهم
واشهادهم وان كانوا بصفة كمال العقل وجب ان يذكروها ولا
بعد انشائهم وكمال عقولهم تلك الحال فان الله تعالى اخبرنا بانه
انما اقرهم لئلا يدعوا يوم القيمة الغفلة عن ذلك او يعتذروا بشرك
ابائهم وانهم نشأوا بين ايديهم وهذا يدل على اختصاصها ببعض
ذرية ولد آدم وهو الصحيح فانه خلقهم وبلغهم على لسانه سبله
معرفته وما يجب من طاعته فاقروا بذلك لئلا يقولوا انا كنا
عن هذا غافلين وان الله تعالى لما خلقهم وركبهم تركيبا يدل على
معرفته ويشهد بقدرته ووجوب عبادته واراهم العبر والآيات
والدلايل في غيرهم وفي انفسهم كان بمنزلة المشهد لهم على
انفسهم وان لم يكن هناك اشهاد ولا اعتراف على الحقيقة و
يجري ذلك مجرى قوله ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال

آل عمران

لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قوله سبحانه واذ اخذ الله ميثاق
النبيين ميثاقهم ليس يوجب اللفظ ان يكون اخذ الميثاق
عليهم في وقت واحد ومكان واحد بل يكون معناه اخذ
ميثاق امم النبيين بتصديق نبيها والعمل بما جاءهم به ويقال
اخذ العهد بما نصب لهم من الحجج الواضحة والبراهين الساطعة
الدالة على توحيده وعدله وصدق انبيائه ورسله ويمكن ان
يكون ذلك ما روي في تقرير الانبيا عليهم السلم على ولاية علي
على ما بيناه في كتبنا قوله سبحانه واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم

الطور هذا الميثاق هو المعنى في قوله واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل
لا تعبدون الا الله الايات **قوله** سبحانه فطرة الله وقوله من
النذر الاولى وقوله وما وجدنا لاكثرهم من عهد وقوله لا تبديل
لخلق الله فليس فيها شيء من دعواهم انه مسح ظهر آدم واستخرج منه
الذرية واشهدها على نفوسها واقرارها بمعرفته وقد بينا فساده في
الاية الاولى **فصل** قوله تعالى وقلنا يا آدم اسكن انت و
زوجك الجنة روي ان الله القى على ادم النوم واخذ منه ضلعا
فخلق منه حوا وروي انه خلقها من فضل طينته ٠ قال الرماني
وجماعة من المفسرين ليس يمتنع ان يخلق الله حوا من جملة جسد
آدم بعد ان لا يكون جزءا مما لا يتم كون الحي حيا الا معه لان ما هذه
صفته لا يجوز ان ينقل الى غيره او يخلق منه حيا اخر حيث يودي
الى ان لا يصل الثواب الى مستحقه لان المستحق لذلك الجملة باجمعها

احزاب

قوله سبحانه ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه لا يجوز ان يكون
لانسان واحد قلبان لا يودي الى ان لا ينفصل انسان من انسانين
لانه ربما يريد باحد قلبيه ما يكرهه بالقلب الاخر ويشتهي ما لا يشتهي
الاخر ويعلم ما لا يعلم الاخر فيصير كشخصين وقال بعضهم يجوز ان يكون
للانسان قلب كثير الاجزاء ويمتنع ان يريد ببعض الاجزاء ما يكرهه
بالبعض لان الارادة والكراهة ان وجدنا في جزء من القلب
فالحالتان الصادرتان عنهما يرجعان الى الجملة وهي جملة واحدة
فاستحال وجود معنيين ضدين في حي واحد ويجوز ان يكون
معنيان مختلفان او مثلان في جزئين من القلب ويوجبان
الصفتين للحي الواحد وكذلك المعنيان في القلبين اذا كان مما
يوجد منهما يرجع الى حي واحد الا ان السمع ورد بالمنع من ذلك
قوله سبحانه والف بين قلوبهم لما كان الجمع على تناكل جمعت
قلوبهم على تناكل فيما تحبه وتنازع اليه كان قد الفت ومنه قيل

هذه الكلمة تا بلف مع هذه والا نا تلف **قوله** سبحانه الا من اتى الله
بقلب سليم اي سليم من الفساد والمعاصي وانما خص القلب بالسلامة
لانه اذا سلم القلب سلم ساير الجوارح من الفساد من حيث ان
الفساد بالجارحة لا يكون الا عن قصد بالقلب الفاسد فاذا اجتمع
مع ذلك جهل فقد عدم السلامة من وجهين وقيل سلامة
القلب سلامة الجوارح لانه يكون خاليا من الاصرار على الذنب
قوله سبحانه ويضيق صدري ولا ينطلق لساني اي لا ينبعث
ضيق الصدر يمنع ضيق من سلوك المعاني في النفس لانه يمنع منه
كما يمنع ضيق الطريق من السلوك فيه ولا ينطلق لساني اي لا ينبعث
بالكلام وقد يتعذر ذلك لضيق الصدور وغروب المعاني التي
تطلب للكلام وقيل في قوله وضاقت عليهم انفسهم بمعنى ضيق صدورهم
بالهم الذي حصل فيها **قوله** سبحانه قست قلوبكم من بعد ذلك
فهي كالحجارة او اشد قسوة ظاهرا ويفيد الشك الذي لا يجوز على
الله تعالى الجواب ان او هاهنا للاباحة تقال جالس الحسن او ابن سيرين
والق الفقهاء او المحدثين او دخلت للتفصيل ويكون معناها ان قلوبهم
قست فمنها ما هو كالحجارة في القسوة ومنها ما هو اشد قسوة منها
نحو قوله تعالى وقالوا كونوا هودا او نصارى وفي معناه قال بعضهم كونوا
هودا وهم اليهود وقال بعضهم او نصارى وهم النصارى ومثله وكم
من قرية اهلكناها فجاءها باسنا بياتا او هم قائلون او دخلت على سبيل
الابهام فيما يرجع الى المخاطب وان كان الله تعالى عالما بذلك غير شاك
فيه والمعنى انها كاحد هذين لا يخرجان عنهما كقولهم ما اطعم الا حلوا
او حامضا فيبهمون على المخاطب مما يعلمون انه لا فائدة في تفصيله او
بمعنى بل قوله فارسلناه الى مائة الف او يزيدون قالوا كانوا مائة الف
وبضعا وارعين الفا وقوله فكان قاب قوسين او ادنى **شاعر**
فوالله لا ادري اسلمى تقولت ٠ ام البدر ام كل الى حبيب ٠ او بمعنى الواو

قوله ان تاكلوا من بيوتكم او بيوت آبائكم معناه وبيوت آبائكم وقوله ولا
يبدين زينتهن الا لبعولتهن او آبائهن الآية حرير قال الحلاد لو
كانت له قدرًا كما اتى ربه موسى على قدر قوله سبحانه كذلك
سلكناه في قلوب المجرمين الها كناية عن القرآن ومعناه اقررناه
في قلوبهم باخطاره ببالهم لتقوم الحجة عليهم ولله لطف يوصل به
المعنى والدليل الى القلب فمن ذكره ادرك الحق به ومن اعرض
عنه كان كمن عرف الحق وترك العمل به في لزوم الحجة والفرق بين
ادراك الحق بسلوكه في القلب وبين ادراكه بالاضطرار اليه في
القلب ان الاضطرار اليه يوجب الثقة به فيكون صاحبه عالما به
واما سلوكه فيكون مع الشك فيه قوله سبحانه لهم قلوب لا يعقلون
بها الى قوله في الصدور فيها دلالة على ان العقل هو العلم لان معنى
يعقلون بها يعلمون بها مدلول ما يرون من العبرة وفيها دلالة على
ان القلب محل العقل والعلوم لانه تعالى وصفها بانها هي التي تعمى وانها
التي تذهب عن ادراك الحق فلولا ان التبيين يصح فيها لما وصفها
بانها تعمى كما لا يصح ان يصف اليد والرجل بذلك قوله سبحانه
فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور رد
على من قال ان العقل في الدماغ والصحيح ان محل العلم والعقل
القلب لان الناك في الشي يجد التعبير من جهة القلب كما ان
المريد يجد التعبير من جهته قوله سبحانه واذ يريكموهم اذ التقيتم في
اعينكم قليلا ويقللكم في اعينهم اي يخيلونهم باعينهم قليلا من غير
رؤية على الصحة لجميعهم وذلك بلطف من الطافه تعالى مما يصد به
عن الرؤية من قيام ساتر بعضهم ولا يستر بعضًا آخر قال ابن مسعود
رايناهم قليلا حتى قلت لمن كان الى جانبي اتراهم سبعين رجلا
فقال هم نحو المائة وكانوا الفا قوله سبحانه وجعلنا نومكم سباتا
السبات من صفات النوم اذا وقع على بعض الوجوه وهو النوم الثقيل

شرا

اعراف

يقال لمن وصف بكثرة النوم انه مسبوت وبه سبات ولا يقال ذلك
في كل نائم والسبات الراحة والدعة ومنه السبت للفراغ من الخلق
قالت اليهود ابتداء الخلق يوم الاحد والفراغ في يوم السبت وقال
النصارى بل كان يوم الاثنين الى السبت والفراغ يوم الاحد
وقال المسلمون بل كان في يوم السبت والفراغ في يوم الخميس
وجعلت الجمعة عيدا وقيل السبت القطع والخلق لمعنى قوله وجعلنا
نومكم سباتا اي ليس بموت لان النائم قد يعتقد من علومه وقصوده
واحواله اشياء كثيرة والله تعالى منّ علينا بالنوم المضاهي للموت وليس
بمخرج عن الحياة والادراك فجعل التاكيد بذكر المصدر قائما مقام
نفي الموت ووجه آخر انه جعل نومنا ممتدا لما في ذلك من المنفعة
والراحة والنوم اليسير لا يكسب شيئا من الراحة بل يصحبه في الاكثر
القلق والانزعاج والهموم قوله سبحانه واذ زاغت الابصار
وبلغت القلوب الحناجر والقلب اذا زال عن موضعه مات
صاحبه المراد انهم جبنوا ومن شان الجبان عند الهول ان ينتفخ
سحره والرئة اذا انتفخت رفعت القلب ونهضت به الى نحو الحنجرة
ذكره الفراء والكلبي وابو صالح عن ابن عباس والقلوب توصف
بالوجيب في احوال الجزع شاعر كان قلوب ادلائها معلقة بقرون
الظبا ويكون المعنى كادت القلوب من شدة الرعب تبلغ الحناجر
فالغي ذكر كادت لوضوح الامر فيها ولفظه كادت للمقاربة قوله
سبحانه ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء و
نداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون المعنى مثل واعظ الذين كفروا و
الداعي لهم الى الايمان والطاعة كمثل الراعي الذي ينعق بالغنم وهي
لا تعقل معنى دعائه انما تسمع صوته ولا تفهم غرضه ويجوز ان يقوم
قوله مقام الداعي لهم كما تقول العرب فلان يخافك خوف الاسد
وهذا المعنى مضاف الى الاسد بيت فلست مسلما ما دمت حيا

احزاب

على ذ يد تسليم الامير مثل الذين كفروا كمثل الغنم الذي لا تفهم ما اراد
الناعق اضاف المثل الثاني الى الناعق وهو في المعنى مضاف الى
المنعوق به تقول العرب طلعت الشعرى اى نجمها وانتصب العود
على الحربا المعنى انتصب الحربا على العود قال كان لون ارضه سماوه اراد
كان لون سمائه ارضه • قال ابو النجم • قبل دنو النجم من جوزائه • ومثل
الذين كفروا ومثلنا او ومثلهم ومثلك يا محمد كمثل الذي ينعق
اي مثلهم في الدعاء والتنبيه والارشاد كمثل الناعق والغنم فحذف
المثل الثاني اكتفاءا بالاول مثل قوله وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر و
اراد الحر والبرد ابو ذويب عصيت اليها القلب اني لامرها • مطيع فما
ادري ارشد طلابها • اراد ارشد ام غي • ومثل الذين كفروا في
دعائهم الاصنام وعبادتهم لها كمثل الراعي الذي ينعق بغنمه ويناديها
نداء ودعاه ولا تفهم معنى كلامه فشبه من يدعوه الكفار من
المعبودات بالغنم من حيث لا تعقل الخطاب ولا تفهمه ولا نفع
عندها فيه ولا مضره فصل قوله تعالى ولو انزلنا ملكا لقضي
الامر اى لو انزلنا ملكا في صورته لقامت الساعة ووجب استيصالهم
ثم قال ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا اي في صوره رجل لان ابصار
البشر لا تقدر على النظر الى صورة ملك على هيئته للطف الملك وقلة
شعاع ابصارنا ولذلك كان جبرئيل ياتي النبي عليه السلم في صورة
دحية الكلبي وكذلك الملئكة الذين دخلوا على ابرهيم في صورة الاضياف
حتى قدم اليهم عجلا سمينا لانه لم يعلم انهم ملئكة وكذلك لما تسوروا
المحراب على داود الملكان كانا على صورة رجلين يختصمان اليه قوله
سبحانه اذ قالت الملئكة يا مريم اقنتي الآية قال الجبائي ظهور
الملئكة لمريم انما كان معجزة لذكرياء لان المريم لم تكن نبية لقوله وما
ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم وقال ابن الاخشيذ كان
ذلك اظهار النبوة عيسى كما كان ظهور الشهب والغمامة وغيرهما معجزة

آل عمران

للنبي صلعم ويجوز عندنا ان يكون معجزة لها وكرامة وان لم تكن نبية لان اظهار
المعجزات عندنا انما تدل على صدق من ظهرت على يده سواء كان نبيا
او اماما او صالحا على انه يحتمل ان يكون الله قال ذلك لمريم وقد يقال قال
الله لها وان كان بواسطه كما تقول قال الله كذا وكذا وان كان على لسان
النبي قوله سبحانه ما كذب الفواد ما راى انما جاز ان تصور الملئكة
في صورة البشر مع ما فيه من الايهام لانه قد اقترن به دلالة وكان
فيه مصلحة تجري مجرى السراب الذي يتخيل انه ماء من غير علم بانه
ماء قوله سبحانه عليها ملئكة غلاظ شداد معناه غلاظ في الاخلاق
شداد في القوى وان كانوا رقاق الاجسام لان الظاهر من حال
الملك انه روحاني فخروجه عن الروحانية كخروجه عن صورة الملئكة
قوله سبحانه لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون وقوله سبحانه
بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون قال جماعة ان
الملئكة كلهم رسل الله وقال الرماني في قوله جاعل الملئكة رسلا
ظاهر الآية يقتضي العموم وعمومه يقتضي انهم لا يعصونه في صغير
ولا كبير قوله سبحانه الله يصطفي من الملئكة رسلا ومن الناس ادخل
من للتبعيض فدل على ان جميعهم لم يكونوا انبياء وكما انه لما قال ومن
الناس دل على ان جميع الناس لم يكونوا انبياء وذهب اصحابنا الى ان
فيهم رسلا وفيهم من ليس برسول فلو كانوا جميعا رسلا لكانوا جميعا
مصطفين لان الرسول لا يكون الا مختارا مصطفى كما قال ولقد
اخترناهم على علم على العالمين فالرسل منهم لا يجوز عليهم فعل القبيح ولا
دليل على ان جميعهم بهذه الصفة قوله سبحانه قالوا اتجعل فيها من
يفسد فيها يدل على زيادة التثبيت في نفوسهم انه يعلم الغيب و
انما قالوا ذلك لما راوا من الجان او قالوا استعظاما لفعلهم او لان الله
كان قد اخبرهم او قالوا على وجه الايجاب ان خرج مخرج الاستفهام
او على وجه التوجع والتالم وقيل انما سالوا على وجه التعرف والاستفادة

٤٠

وانما ارادوا بذلك غير الانبياء والمعصومين وكانه تعالى قال اني جاعل
في الارض خليفة يكون له ولد ونسل يفعلون كيت وكيت فقالوا
اتجعل فيها من يفسد فيها يريدون الولد ويحتمل ان يكون قوله من
يفسد فيها يريدون البعض لا الكل كما تقال بنو شيبان يقطعون
الطريق اي بعضهم قوله سبحانه سبحانك لا علم لنا يحتمل وجهين
قال ابن عباس تنزيها لله ان يكون احد يعلم الغيب والثاني انهم
ارادوا ان يخرجوا الجواب مخرج التعظيم لله فكانهم قالوا تنزيها لك عن
القبايح قوله سبحانه كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون اي ملكة لا يخفى
عليهم شيء من الذي تفعلونه فيثبتون ذلك كله وعلمهم بذلك اما
باضطرار كما نعلم انه يقصد الى خطابنا وامرنا ونهينا واما بالاستدلال
اذا راوه وقد ظهر منه الامور التي لا تكون الا عن علم وقصد نحو
رد الوديعة وقضاء الدين والكيل والوزن مما يتعهد فيه اهل الحقوق
قال الحسن يعلمون ما تفعلون من الظاهر دون الباطن وقيل هو
على ظاهر العموم لان الله يعلمهم اياه قوله سبحانه عليها تسعة عشر
كلام مجمل لا يعرف تسعة عشر احاد ام عشرات ام مايزام الوف
وكذلك قوله ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية قال ابن
عباس وقتاده والضحاك عدة الملكة الموكلين بالنار في التورية و
الانجيل تسعة عشر فكان ذكر هذا العدد تصديقا للنبي ع فصل
وما جعلنا اصحاب النار الا ملكة اي خزنته قوله سبحانه فالت ان
جاء بعجل حنيذ فلما راى ايديهم لا تصل اليه انما عرف انتفاء الشهوات
عنهم وانهم لا ياكلون ولا يشربون ولا يتناكحون ولا يتوالدون وليس
لهم ذرية بالاجماع وبهذه الاية قوله سبحانه ومن يقل منهم اني اله من
دونه فذلك نجزيه جهنم بين انهم ليسوا مجبولين على اعمالهم قوله سبحانه
من كان عدوا لله وملئكته ورسله وجبريل وميكال انما افرد ذكر
جبريل وميكال من الملكة ذكرا لفضلهما وتعظيما لشانهما كما قال فيهما فاكهة

ونخل ورمان وكقوله ويعلمه الكتاب والحكمة والتورية والانجيل ولما تقدم
من قصتهما قبلها وهذه الاية نزلت فيهما وفيما جرى من ذكرهما ثم ان
اليهود لما قالت ان جبريل عدونا وميكال ولينا خصا بالذكر لئلا يزعم
اليهود ان جبريل وميكال مخصوصان من جملة الملكة وغير داخلين في
جملتهم فنص الله عليهما لابطال ما يتاولونه من التخصيص قوله سبحانه
حتى اذا جاء احدهم الموت توفته رسلنا قال الحسن هو ملك الموت
واعوانه وانهم لا يعلمون اجال العباد حتى ياتيهم ذلك من قبل الله
بقبض ارواح العباد قوله سبحانه قل يتوفاكم ملك الموت قال الحسن
ان ملك الموت لا ينبغي ان يكون واحدا لانه جسم والجسم لا يصح ان
يكون في الاماكن الكثيرة في حالة واحدة وتاولوا هذه الاية انه اراد
بملك الموت الجنس دون الشخص الواحد كما قال والملك على ارجائها
اراد جنس الملكة قوله سبحانه وما انزل على الملكين ببابل هاروت
وماروت المعلقان كيف يعلمان السحر وكيف لا يراهما الا السحرة
ويحمل ما على الجحد والنفي فكانه تعالى قال واتبعوا ما تتلوا الشياطين
على ملك سليمان وما كفر سليمن ولا انزل الله السحر على الملكين و
لكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ويكون قوله ببابل هاروت
وماروت يعني رجلين من جملة الناس هذان اسماهما وانما ذكرا
بعد ذكر الناس تمييزا وتبيينا ويكون الملكان المذكوران اللذان
نفى عنهما السحر جبريل وميكال لان سحرة اليهود ادعت ان الله
انزل السحر على لسان جبريل وميكائيل الى سليمن فاكذبهم الله بذلك
ويجوز ان يكون هاروت وماروت كفرا وكان ابن عباس يقرء
وانزل على الملكين بكسر اللام ويقول متى كان العلجان ملكين انما كانا
ملكين وفيه جواب سيجيء ان شاء الله فصل قوله تعالى فسجدوا الا
ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه يدل على انه لم يكن من الملكة
لان الجن جنس غير الملائكة كما ان الانس غير جنس الجن وقوله الا ابليس

سبا

استثناء من غير جنسه نحو قوله فانهم عدو لي الا رب العالمين وقوله
مالهم به من علم الا اتباع الظن ويكون الا بمعنى لكن وتقديره
لكن ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين **قوله سبحانه**
اهولاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم
قال جماعة ان الملئكة من الجن فلو كانت كذلك لم يكن لقولهم
بل كانوا يعبدون الجن ونفى عبادتهم اياه معنى وقال ابن
عباس كان ابليس من الملئكه وقال الطوسي ان اخبارنا يدل
على ان ابليس كان من جملة الملئكه وانما كفر بامتناعه من
السجود وقال ابن جريج وقتاده في قوله وقالوا اتخذ الرحمن
ولدا سبحانه بل عباد مكرمون الى قوله ومن يقل منهم انى اله
من دونه عنى بالاله ابليس لانه الذي ادعى الالهية من
الملئكه دون غيره وذلك يدل على انه كان من الملئكه وقيل
انه طايفة من الملئكه يسمون جنا من حيث كانوا خزنة الجنه
وقيل سموا بذلك لاجتنابهم عن العيون وقوله وجعلوا بينه
وبين الجنة نسبا ومن راعى هذه الطريقه قال من قال ان
ابليس له ذرية وهم يتوالدون وياكلون ويشربون عول
على خبر غير معلوم وهذا فاسد لان الله تعالى اثبت له الذرية
في قوله افتتخذونه وذريته اولياء من دوني **قوله سبحانه**
ابى واستكبر وكان من الكافرين يدل على بطلان قول من
قال انه كان يعبد الله وانما جاز ان امره بالسجود له وان لم
يامره بالعباده له لان السجود مرتب في التعظيم بحسب ما يراد
به **قوله** سبحانه ءاسجد لمن خلقت طينا وقوله خلقتني من نار
وخلقته من طين وجه الشبهه الداخلة على ابليس ان الفروع
ترجع الى الاصول فتكون على قدرها في التكبير والتصغير فلما
اعتقد ان النار اكرم اصلا من الطين [illegible] انه اكرم ممن خلق

اعراف

من طين وذهب عليه بجهله ان الجواهر كلها متماثلة وان الله يصرفها
بالاعراض كيف شاء مع كرم جوهر الطين وكثرة ما فيه من المنافع
التي تقارب منافع النار او توفى عليها قال الجبائي الطين خير
من النار لانه اكثر منافع للخلق من حيث ان الارض مستقر الخلق
وفيها معايشهم ومنها تخرج انواع ارزاقهم لان الخيريه في الارض
او في النار انما يراد بها كثرة المنافع دون كثرة الثواب **قوله**
سبحانه لاحتنكن ذريته الا قليلا اي لاقودنهم الى المعاصي
كما تقاد الدابة بحنكها اذا شد فيه حبل تجر به الا قليلا الذين
لا يتبعونه وانما ظن ابليس هذا الظن بانه يغوي اكثر الخلق
لان الله كان قد اخبر الملئكة انه سيجعل فيها من يفسد فيها
فكان قد علم بذلك وقال الحسن لانه وسوس الى آدم فلم
يجد له عزما فقال بنوا هذا مثله في ضعف العزيمة وهذا معترض
لان آدم لم يفعل قبيحا ولم يترك واجبا **قوله** سبحانه لاتينهم من
بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم لم يقل
على وجه الداخله وقال ابن عباس ولم يقل من فوقهم لان
رحمة الله تنزل عليهم من فوقهم ولم يقل من تحت ارجلهم لان
الاتيان منه يوحش وقال ابن عباس وقتاده و
ابرهيم والحكم والسدي وابن جريج اي من قبل دنياهم وآخرتهم
ومن جهة حسناتهم وسياتهم وقال مجاهد من حيث يبصرون
وقال البلخي وابو علي من كل جهة يمكن الاحتيال بها **قوله**
سبحانه فبعزتك لاغوينهم اجمعين اي لاخيبنهم من ثواب
الثواب **قال الشاعر** ومن يغو لا يعدم على الغي لايما ثم استثنى
قال الا عبادك منهم المخلصين مع حرصه على اغواء الجميع من حيث
انه ليس [illegible] يقبلون منه وانه ليس له عليهم
سلطان الا بالاغواء [illegible] لا يقبل [illegible] صرفه عن

٦٢

ذلك اياسه منه قوله سبحانه وما كان له عليهم من سلطان وقوله
وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي قال الجبائي
ليس له عليهم قدرة على ضر ونفع اكثر من الوسوسة والدعاء الى الفساد
فاما على ضر فلا لانه خلق ضعيف متخلخل لا يقدر على الاضرار بغيره
قوله سبحانه وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من
الجن فزادوهم رهقا وذلك انهم كانوا في الجاهلية اذا سافروا في
وادي نادوا والجن نعوذ برب هذا الوادي ثم قالوا اجلس سفهاكم
فتقول الجن نحن لا نملك لهم ضرا ولا نفعا وهم يفزعون منا فكانوا
يجترون على الانس يرهقونهم ويحرقونهم وكيف يتسلط من لا
يقدر على نفع ولا ضر او كيف يسلطه الله على عبيده ليضلهم عن الحق
ثم يكلفهم ولا يجيء منه فعل في غير محل القدرة وانه جسم شفاف
وليس منه سوى ارادة المعاصي وتزيين الشهوات والدعاء الى
المنكرات قوله سبحانه فوسوس اليه الشيطان وقوله من شر
الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس ووسواس
الشيطان دعاؤه الى معصية الله بقول خفي ويقارن دعاءه انه
يريد بذلك نفعه ويجوز ان يصل وسواسه الى قلب العبد بآلة
لطيفة ويجوز ان يكون اذا تكلم بذلك في نفسه اعلمناه الله كما لو
تحدث انسان في نفسه جاز ان يعلمه الله قال روبه وسوس
يدعو مخلصا رب الفلق والوسوسة يكون من الجن والانس
الشيطان اسم لكل بعيد من الخير قوله شياطين الجن والانس
ورأى النبي رجلا يتبع حماما في طيرانه فقال شيطان يتبع شيطانا
قوله سبحانه واذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم
من الناس الآية المعنى ان ابليس حسن للمشركين اعمالهم وحرضهم
على قتال محمد وخروجهم من مكة وقوى نفوسهم وقال لا غالب
لكم اليوم من الناس واني جار لكم لانهم خافوا بني كنانة مما كان بينهم

فاراد ابليس ان يسكن خوفهم فلما تراءت الفئتان نكص ابليس على عقبيه
قال ابن عباس وقتاده والسدي وابن اسحق ظهر لهم في صورة سراقة
بن مالك بن جعشم الكناني في جماعة من جنده وقال لهم هذه كنانة
قد اتتكم بجندها فلما راى الملائكة نكص على عقبيه فقال الحارث بن
هشام الى اين يا سراق فقال اني ارى ما لا ترون وهو قول ابي جعفر
وابي عبد الله ع وقيل انه راى جبرئيل بين يدي النبي وقال ابو علي
الجبائي حوله الله على صورة انسان علما للنبي ص فيما يخبر به وقال الحسن
والبلخي انما هو يوسوس من غير ان يحول في صورة انسان قوله سبحانه
وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين وما جاء في الحديث
مرفوعا اعوذ بالله من همزه ونفثه فالهمزات دفعهم بالاغواء الى
المعاصي والهمز شدة الدفع ومنه سميت الهمزة للالف لانه يخرج من
اقصى الحلق باعتماد شديد قوله سبحانه من بعد ان نزغ الشيطان
بيني وبين اخوتي وقوله واما ينزغنك من الشيطان نزغ نزغ الشيطان
وسوسته ودعاؤه الى معصية الله وايقاع العداوة بين الناس قوله
سبحانه يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان اي ان الشيطان يكون بالدعاء
الى المعاصي من الجهة التي يميل اليها النفوس وتشتهيها وانما جاز ان
نهى الانسان بصيغة النهي للشيطان لانه ابلغ في التحذير من حيث
يقتضي انه يطلبنا بالمكروه ويقصدنا بالعداوة فالنهي له يدخل فيه النهي
لنا عن ترك التحذير منه قوله سبحانه انما يامركم بالسوء والفحشاء الآية
من الشيطان هو دعاؤه الى الفعل قوله سبحانه ولا تجد اكثرهم
شاكرين اخبار من ابليس ان الله تعالى لا يجد اكثر خلقه شاكرين قال
ابو علي يمكن انه علمه من جهة الملائكة باخبار الله اياهم وقال الحسن يجوز
انه اخبر عن ظنه ذلك كما قال ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لانه
لما اغوى آدم قال ذريته هذا اضعف وظن انهم يتبعونه ويتابعونه
قوله سبحانه قال اهبط منها قال ابو علي انما علم ابليس ان الله تعالى

نسا

نحل

قال له هذا القول على لسان بعض الملئكة وقال ابن دقيه انه راى معجزة
تدل على ذلك قوله سبحانه ان كيد الشيطان كان ضعيفا قال
الجبای وصف كيده بالضعف لضعف قوته لاوليائه بالاضافة
الى نصرة المومنين وقال الحسن اخبرهم انهم سيظهرون عليهم
فلذلك كان ضعيفا ويقال لضعف دواعي اوليائه الى القتال بانها
من جهة الباطل اذ لا نصير لهم وانما يقاتلون بما تدعوا اليه الشبهة و
المومنون يقاتلون بما تدعوا اليه الحجة قوله سبحانه انه ليس له سلطان
على الذين آمنوا قال الجبائي في الاية دلالة على ان الصرع ليس من
قبل الشيطان لانه لو امكنه ان يصرعه لكان له عليهم سلطان و
اجاز ابو الهذيل وابن الاخشيد ذلك وقال انه يجري مجرى قوله
كالذي يتخبطه الشيطان من المس لان الله تعالى قال انما سلطانه
على الذين يتولونه وانما اراد به سلطان الاغوا والاضلال عن
الحق قوله سبحانه يتخبطه الشيطان من المس مثل عند الجبای
لا حقيقة له على وجه التشبيه بحال من تغلب عليه المرة السود
فتضعف نفسه ويلج الشيطان باغوائه عليه فيقع عند تلك
الحال ويحصل به الصرع من فعل الله وينسب الى الشيطان
مجازا لما كان عند وسوسته وكان ابو الهذيل وابن الاخشيد
يجيزان كون الصرع فعل الشيطان في بعض الناس دون بعض
لان الظاهر من القرآن يشهد به وليس في العقل ما يمنع منه و
قال الجبای لا يجوز ذلك لان الشيطان خلق ضعيف لم يقدره
الله على كيد البشر بالقتل والتخبيط ولو قوي على ذلك لقتل المومنين
الصالحين والداعين الى الخير لانهم اعداؤه قوله سبحانه واني
اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم معناه الاستعاذة
من طعن الشيطان للطفل الذي يستهل صارخا فوقاها الله عز
وجل وولدها عيسى منه بحجاب كما روي ابو هريرة عن النبي وقال الحسن

اعراف

انما استعاذت من اغوا الشيطان قوله سبحانه انه يراكم هو وقبيله من حيث
لا ترونهم انما كانوا يروننا ولا نراهم لان ابصارهم احد من ابصارنا
واكثر ضوا من ابصارنا وابصارنا قليله الشعاع ومع ذلك اجسامهم
شفافة واجسامنا كثيفة فصح ان يرونا ولا يصح منا ان نراهم ولو
تكثفوا لصح منا ايضا ان نراهم وقال ابو علي في الاية دلالة على بطلان
قول من يقول انه يرى الجن من حيث ان الله عم ان لا نراهم قال
وانما يجوز ان يروا في زمن الانبياء بان يكثف الله اجسامهم و
قال ابو الهذيل وابن الاخشيد يجوز ان يمكنهم ان يتكثفوا فيراهم
من يختص بخدمتهم وهذا اقوى قوله سبحانه ومن الشياطين
من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وقوله وآخرين مقرنين
في الاصفاد قال الجبای كثف الله اجسامهم حتى تهيأ لهم تلك
الاعمال معجزا لسليمن قال لانهم كانوا يبنون له البنيان ويغوصون
في البحار ويخرجون ما فيها من اللولو وذلك لا يتاتى مع دقة اجسامهم
قوله سبحانه لا يسمعون الى الملاء الاعلى ويقذفون من كل جانب
دحورا وقوله مقاعد للسمع وقوله واسترق السمع انما جاز ان يقصد
والاستراق السمع مع علمهم بانهم لا يصلون وانهم يحرقون بالشهب
لانهم تارة يسلمون اذا لم يكن هناك من الملئكة شئ وتارة يهلكون
كراكب البحر قوله سبحانه وقال اولياؤهم من الانس ربنا استمتع
بعضنا ببعض قال الزجاج والرماني وجه استمتاع الجن بالانس انهم
اذا اعتقدوا ان الانس يتعوذون بهم ويعتقدون انهم ينفعونهم
ويضرونهم اوانهم يقبلون منهم اذا دعوهم كان في ذلك تعظيم لهم
وسرور ونفع ذكر ذلك وقال البلخي ويحتمل ان يكون قوله استمتع
بعضنا ببعض مقصورا على الانس قوله سبحانه قل اوحي الي انه استمع
نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا بعض
يدل على ان فيهم مومنين قوله سبحانه لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان

انعام

فصل فى الآية دلالة على ان للمؤمنين من الجن ازواجا من الحور

قوله تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده وقوله الم تر ان الله يسبح له ما فى السموات والارض لا يخلوا ذلك من التسبيح المسموع او تسبيح مجهول او من جهة الدلالة ولا يجوز الاول لانه جماد والفرق بين الجماد و الحيوان بالنطق ولو اراد ذلك لقال ولكن لا تسمعون تسبيحهم ولم يقل ولا تفقهون ولا يجوز الثانى لانه تثبيت فساد ما لا يعقل وسوا اثبات ما لا يعقل ونفيه لانهما فى الدلالة والجواز سواء فى جميع الابواب فلم يبق الا من جهة الدلالة ولا خلاف فى ان جميع المخلوقات تسبح الله بالدلالة على ان لها صانعا ومن عادة العرب ان يجعل الدلالة قولا ونطقا وكلاما واشارة والتسبيح هو التقديس عما لا يجوز عليه فى صفاته ولم يزل الله مقدسا منزها قبل خلقه فمن كان من العقلاء عارفا به فتسبيحه لفظا ومعنى وما ليس بعاقل من الحيوان والجماد فتسبيحه ما فيه من الادلة الدالة على وحدانيته وتنزيهه عما لا يليق به ورجوع التقديس الى ما لا يعقل كالكفر الكافر يعود نقصه اليه من غير ان يضر الله منه شئ وكذلك قوله يسبح لله ما فى السموات ويسبح الرعد بحمده يا جبال اوبى معه والطير فيكون معناه اى يسبح اهلها كقوله واسئل القرية **قوله** سبحانه فمكث غير بعيد فقال احطت بما لم تحط به الآية وقوله فبعث الله غرابا وقوله والطير محشورة كل له اواب وقوله وقالت نملة قال ابو على لا يمتنع ان يكون الله خلق فى هذه الحيوانات من المعارف ما تفهم الامر والنهى والطاعة فيما يراد منها والوعيد على ما خالفت وان لم تكن كاملة العقل مكلفه وانما خبر بذلك كما عبر مراهقوا صبيانا لانه لا تكليف الا على الملئكة والانس والجن وقال الطوسى هذا خلاف الظاهر لان الاحتجاج الذى حكاه عن الهدهد احتجاج عارف بالله وبما يجوز عليه وما لا يجوز قوله وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون

الله ثم قال وزين لهم الشيطان اعمالهم ثم قال فصدهم عن السبيل ثم قال فهم لا يهتدون ثم قال الا يسجدوا لله الذى يخرج الخبا فى السموات والارض ويعلم ما يخفون وما يعلنون الله لا اله الا هو رب العرش العظيم والمراد بقوله وقالت نملة اى انه ظهر منها دلالة القول لباقى النمل على التخويف من الضرر بالمقام وان النجاة فى الهرب الى مساكنها ويكون اضافة القول اليها مجازا واستعارة كقول الشاعر فى الفرس • وشكى الى بعبرة وتحمحم او انه وقع من النملة كلام ذو حروف منظومة يتضمن للمعانى المذكورة مثل ما يقع من المجنون والصبى مع زوال التكليف والكمال عنهم و ذلك يكون معجزا لسليمان عم وقالوا هو مثل ضربه الله على لسان النملة لامر اراده لانه لا يستحيى ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها الا انه لما كان عاقبة النمل ان سليمن ان مر عليه حطمه وقيل النمل اسم رجل فى ذلك الزمان كما نسمى بضب وكلب والمراد بقوله فبعث الله غرابا يبحث فى الارض الهمه كما قال واوحى ربك الى النحل **قوله سبحانه** والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه قال مجاهد الصلاة للانسان والتسبيح لكل شئ والصلاة الدعاء والدعا انما يكون لطلب ما يحتاج اليه والتسبيح هو التبعيد عما لا يستحقه فاراد ان كلا من الطير قد علم ما يحتاج اليه ويطلبه ويدعوه وما يجب عليه الاجتناب من مضاره ولا بد ان يكون لها اشارات واسباب يفهم بعضها عن بعض وذلك منطقهم **قوله** سبحانه الم تر ان الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض الآية وقوله والنجم والشجر يسجدان معنى السجود الذل والتواضع تسخيرا للخالق قال سويد بن ابى كاهل ساجد المنخر لا يرفعه خاشع الطرف اصم المستمع وقال امية هو الذى سخر الارواح ينشرها ويسجد الظلم النجم للرحمن والشجر وقال الطوسى سجودهما ما فيهما من الآية الدالة على حدوثها وعلى وجوب الخضوع لله و الذى يليه لما خلق فيهما من الاقوات المختلفة وفى النبات والثمار فلا

نمل

نور

حج

هد

شيء ادعى الى الخضوع والعبادة لمن انعم بهذه النعمة الجليلة مما فيه وقال مجاهد
وابن جرير سجودهما ظلالهما الذي يلقيانها بكرة وعشيا فكل جسم له ظل
فهو يقتضي الخضوع بما فيه من دليل الحدوث وقال الحسن وقتاده
وابن زيد ان المومن يسجد لله طوعا والكافر كرها يعني بالسيف وقال
ابو علي سجود الكره ما بالدليل للتصريف من عافية الى مرض ومن غنى
الى فقر ومن حياة الى موت وقال الزجاج المعنى ان فيمن يسجد لله
من يسهل ذلك عليه وفيهم من يشق عليه فيكرهه كقوله حملته كرها
ووضعته كرها وقيل ان المومن يسجد لله طوعا والكافر في حكم الساجد
كرها بما فيه من الحاجة اليه والذلة التي تدعوا الى الخضوع لله تعالى
قوله سبحانه وهو الذي انزل من السماء ماء فاخرجنا منه خضرا الاية
يدل على بطلان قول الطبايعية ان الماء الواحد والتربة الواحدة
يخرج الله منها ثمارا مختلفة واشجارا متباينة واختلافها يدل على
بطلان قولهم قوله سبحانه الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله
ليريكم من آياته وجه الدلالة من ذلك ان المجري لها مع الرياح هو
القادر الذي لا يعجز ان يرسلها في الوجوه التي يريدون المسير فيها
ولو اجتمع جميع الخلق ان يجروا الفلك في بعض الجهات مخالفا
لجهة الرياح لما قدروا عليه ودخل ابن ميثم على الحسن بن سهل والى
جنبه ملحد قد عظمه الناس فقال له قد رايت سفينة تعبر الناس
من جانب الى جانب بلا ملاح ولا ناصر فقال الملحد ان هذا اصلحك
الله لجنون قال وكيف ذاك قال خشب جماد لا حياة له ولا قوى
ولا عقل كيف يعبر الناس فقال ابن ميثم فايما اعجب هذا او هذا
الماء الجاري يجري على وجه الارض يمنة ويسرة بلا روح ولا
حياة ولا قوى وهذا النبات الذي يخرج من الارض وهذا المطر
الذي ينزل من السماء تزعم ان لا مدبر لها كلها وتنكر ان تكون سفينة
تحرك بلا مدبر وتعبر الناس قوله سبحانه هو الذي يسيركم في البر

والبحر نسبه الى نفسه اما في البحر فلانه بالريح والله المحرك لها دون غيره واما
في البر فلانه كان باقداره وتمكينه وتنبيهه وقال رجل للصادق ع
ما الدليل على الله ولا تذكر لي العالم والجوهر والعرض فقال ع هل ركبت
في البحر قال نعم قال فهل انقطع رجاؤك من المركب والملاحين قال نعم
قال فهل تتبعت نفسك ان ثم من ينجيك قال نعم قال فان ذلك
هو الله قال تعالى واذا مسكم الضر فاليه تجارون قوله سبحانه انا
جعلنا على الارض زينة لها ولم يقل كل ما عليها فيدخل فيها الحيات
والعقارب ونحوها وقال ابن عباس وابي زهره لها كانه يشير
الى النبات خاصة ويقال من النبات والدواب لانها تدل على
الوحدانية الا ترى انه اقسم بالتين والزيتون والشمس والقمر
يس
والطور والذاريات فصل قوله تعالى الذي جعل لكم من الشجر
الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون اي من قدر على ان يجعل في
الشجر الاخضر الذي هو في غاية الرطوبة نارا حامية مع تضاد النار
للرطوبة لا يقدر على الاعادة ثم قال اوليس الذي خلق السموات و
الارض بقادر على ان يخلق مثلهم لان من شان القادر على
الشيء ان يكون قادرا على جنس مثله وجنس ضده قوله سبحانه
واقعة
افرايتم النار التي تورون ءانتم انشاتم شجرتها ام نحن المنشؤن
لا يدل على ان نار الشجر الا من قادر عليه لان الطبع غير معقول فلا
يجوز ان يستند اليه الافعال ولو جاز ذلك لجاز في جميع افعال
الله ولو كان الطبع معقولا لكان ذلك الطبع لا بد ان يكون في
الشجر والله الذي انشا الشجرة وما فيها فقد رجع الى قادر عليه
وان كان بواسطة ولو جاز ذلك لجاز وقوع الفعل ممن ليس
رعد
بقادر عليه منا قوله سبحانه هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا
قال الحسن خوفا من الصواعق التي تكون مع البرق وطمعا في
الغيث الذي يزيل [illegible] القحط وقال قتاده خوفا للمسافر من اذاه

الرحمن
انعام
نور
انبيا

وطمعا القيم في الرزق به وقال مجاهد ويشي السحاب الثقال المعنى ان السحاب ثقال بالماء وقيل خوفا وطمعا ليخافوا من عذابه بالنار ويطمعون في ان يعقب ذلك مطر ينتفعون به **قوله** سبحانه والسماء رفعها ووضع الميزان انما جمع بينهما لما فيهما من التسوية فالكتاب يتضمن علم السنن المستوي بين الشريف والمشروف والميزان يخرج تلك السنن الى العمل واما السماء فلما فيها من الكواكب السيارة وغيرها مستبينا لاصلاح العالم واما قوله سبحانه وانبتنا فيها من كل شيء موزون خص الموزون دون المكيل بالذكر لان غاية المكيل ينتهي الى الوزن فكان الوزن اعم من المكيل ثم انه تعالى اراد بالموزون المقدار الواقع بحسب الحاجة فلا يكون ناقصا عنها ولا زائدا عليها يقال كلام فلان موزون وافعاله مقدرة موزونة وعلى هذا تاول المسلمون ذكر الموازين **قوله سبحانه** فمستقر ومستودع المستقر الموضع الذي يقر فيه الشيء وهو قراره ومكانه الذي ياوي اليه والمستودع المعنى المجعول في القرار كالولد في البطن و النطفة في الظهر **قوله** سبحانه وجعلنا الليل لباسا اللباس ساتر مماس للابس والليل ساتر الاشخاص بظلمته مماس لها بجسمه الذي فيه الظلمة **فصل** قوله تعالى والله خلق كل دابة من ما فمنهم من يمشي على بطنه كالسمك والحيات ومنهم من يمشي على رجلين مثل ابن آدم و الطير ومنهم من يمشي على اربع كالبهايم والسباع ولم يذكر الماشي على اكثر من اربع لانه كالذي يمشي على اربع في مراى العين فترك ذكره لان العبرة تكفي بذكر الاربع وقال البلخي لان عند الفلاسفة ان ما زاد على الاربع لا يعتمد عليه واعتماده على اربع فقط **قوله** سبحانه وجعلنا من الماء كل شيء حي وقوله والله خلق كل دابة من ماء لان اصل الخلق من ماء ثم قلب الى النار فخلق الجن منها والى الريح فخلق الملئكة منها ثم الى الطين فخلق آدم منه وانما قال منهم تغليبا لما يعقل على ما لا يعقل اذا اختلط في خلق كل دابة وقال الحسن من ماء اي من نطفة وجعل قوله

روم
ذاريات
داريات
احزاب

كل دابة خاصا فيمن يخلق من نطفة وقوله وجعلنا من الماء كل شيء حي وقد راى اشيا موات منه هذا كما تقول جعلت من هذا الطين صورة كل شيء فعلى هذا يجوز ان يكون جعلت صورة كل طير وكل سبع ولو قلت لم اجعل من هذا الطين الا صورة كل طير لم يجز ان يكون ههنا مجعول غير صورة الطير **قوله** سبحانه ومن آياته ان يرسل الرياح المختلفة بحسب ما يعلم فيه من المصلحة شمالا وجنوبا وصبا ودبورا لما قدروا عليه فمن قدر على ذلك يعلم انه قادر لنفسه لا يعجزه شيء للعبادة خالصة **قوله** سبحانه وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم وقال فكذبوه فاخذتهم الرجفة لا تناقض بينهما لانه غير ممتنع ان تنضم الى الريح صاعقة في اهلاك قوم عاد فيسوغ ان يخبر في موضع انه اهلكهم بالريح وفي آخر انه اهلكهم بالصاعقة وقد يجوز ان يكون الريح نفسها هي الصاعقة لان كل شيء صعق الناس منه فهو صاعقة وكذلك القول في الرجفة انه غير ممتنع ان يقترن بالصاعقة الرجفة وقد يمكن ان يكون الرجفة هي الصاعقة لانهم صعقوا عندها **قوله** سبحانه ما تذر من شيء اتت عليه الا جعلته كالرميم قالوا ان الماء في عهد نوح لما عم جميع الارض لم ينج من الغرق الا اصحاب السفينة كالريح المسخرة لما اعتصم منها هود وصحبه بحيث لم تهب فيه هذه الريح المهلكة والله تعالى قادر على ان يخص بالريح ارضا دون ارض ويكف عن هود والجواب انه غير ممتنع ان يكف عن هود وصحبه هبوبها وتاثيرا عتمادها كما كف احراق النار عن ابرهيم ببردها في جسمه وان كان حاصلا فيها **قوله** سبحانه انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها وهذه الاشيا جمادات لا تصح تكليفها المراد عرضنا ان اهل السموات واهل الارض واهل الجبال كقوله واسئل القرية وقيل المعنى في ذلك تفخيم شان الامانة وتعظيم حقها وان من عظم منزلتها انها لو عرضت على الجبال والسموات مع عظمها وكانت تعلم بامرها لاشفقت منها غير انه خرج مخرج الواقع لانه ابلغ في

الفقد ود وقال البلخي معنى العرض والاباء اليس هو مما يفهم بظاهر الكلام بل انما اراد تعالى
ان يخبر بعظم شان الامانة وانه وجد السموات مع عظمها لا تحملها وان
الانسان حملها اي احتملها ثم خانها وهذا كقولهم سالت الربع وخاطبت
الدار فقالت كذى ودبما قالوا فلم تجب وقوله ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا
طايعين وقوله لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض
وتخر الجبال هدا قال جرير لما اتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة والجبال
الخشع وقال آخر فقال لي الجراذ جته وكيف يجبر ضر بر ضريرا ومعنى
الاباء الامتناع يقال هذه الارض تابى الزرع والغرس اى لا تصلح لهما فيكون
المعنى فابين ان يحملها اي لا تصلح لحملها لانه لا يصلح لحمل الامانة الا من
كان حيا قادرا عالما سميعا بصيرا قوله سبحانه فما بكت عليهم السماء و

دخان

الارض اي اهلها كقوله حتى تضع الحرب اوزارها ويقال السخا حاتم و
ان الله اراد المبالغة في وصف القوم بسقوط المنزلة كما يقال كسفت
الشمس لفقده واظلم القمر وبكاه الليل والنهار والسماء والارض قال جرير
الشمس طالعة ليست بكاسفة تبكي عليك نجوم الليل والقمرا ويكون
الاخبار عن فقد الانتصار والاخذ بالثار والعرب كانت لا تبكي
على القتيل الا بعد الاخذ بثاره ومعنى الاخلال عن الاختلال بعده
شاعر بكت دارهم من اجلهم فتهلكت دموعي فاي الجازعين الوم
وسئل ابن عباس او تبكيان على احد فقال نعم مصلاه في الارض و
مصعد عمله في السماء وقال المرتضى البكا كناية عن المطر والعرب تشبه
المطر بالبكاء فيكون معنى الآية ان السماء لم تسق قبورهم لانهم كانوا
يستسقون السحاب لقبور من فقدوه قال عدى بن حاتم في وفاة
النبي ان الذي بكت السماء لفقده عميت علينا بعده الانبياء والارض
خاشعة لها يحيا لها والناس لا موتى ولا احياء ابو ذويب كشفت لمصرعه
النجوم وبدرها وتزعزعت اركان بطن الابطح فصل قوله تعالى
فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في [illegible] قال الجبائي في الآية

دلالة على بطلان قول الاصم ونفاه الاعراض قولهم انه ليس ههنا غير الاجسام
لانه قال حتى يخوضوا في حديث غيره فاثبت غير الما كانوا فيه وهو العرض
اخبر متكلم ليناظر ابن الراوندي في اثبات الاعراض فازدحم الناس و
نكص المتكلم فلما بلغ الغاية حصر المتكلم فلم ينظر الخليفة اليه لغضبه عليه فقال
يا امير المؤمنين انشدك هل كنت قبل نكوصي على هذه الصفة ام تجدد حالة
اخرى قال بل تجددت قال هي التي ينفيها هذا الرجل وامير المؤمنين
يعرف من نفسه وناظر بعضهم الصاحب في ذلك فقال الصاحب
هل تحصل منا افعال قال نعم قال هي جواهر او اعراض فبهت و قال
ابو الهذيل للاصم وهو ينفي الحركة خبرني عن قوله الزانية والزاني فاجلدوا
كل واحد منهما مائة جلدة وعن قوله في القاذف فاجلدوهم ثمانين
جلدة ايهما اكثر قال حد الزاني بعشرين قال فتلك الزيادة هي نفس
الجلاد او نفس المجلود او الهواء او الخشب او ثم شيء غير هذا يسمى الجلد
قال لا اقول شيئا من ذلك قال فكانك قلت لا شيء اكثر من لا شيء بعشرين
قوله سبحانه ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار في هذه الآية دلالة
على انه يعلم ما لم يكن لو كان كيف يكون وفيه اشارة الى ان المعدوم
معلوم وقال الموبذ لهشام بن الحكم احول الدنيا شيء قال لا قال فان
اخرجت يدك من الدنيا فثم شيء يردها قال ليس شيء يرد يدك ولا
شيء تخرج يدك قال فكيف اعرف هذا قال يا موبذ انت وانا على طرف
الدنيا فقلت لك يا موبذ انى لا ارى شيئا فقلت ولم ترى فقلت لانه
ليس ههنا ظلام يمنعني فقلت يا هشام انى لا ارى شيئا فقلت ولم
لا ترى فقلت ليس لي ضياء انظر به فهل تكافات المسالتان في
التناقض قال نعم قال فاذا تكافانا في التناقض لم تكافا في الابطال
ان ليس شيء فاشار الموبذ بيده ان اصبت قوله سبحانه وقد خلقتك

مريم

من قبل ولم تك شيئا وقوله اولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل
ولم يك شيئا وقوله ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون وقوله هل اتى على

الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا وقوله كسراب بقيعة يحسبه
الظمان ما حتى اذا جاءه لم يجده شيئا تعلق المثبتون بهذه الآيات وقالت
النفاة انما قال لم يك شيئا ولم يقل ولم يسم شيئا والكون انما يتناول
الموجود دون المعدوم والانسان خلق من نطفة وآدم خلق من
التراب وكلاهما موجودان وخلق الخلق من الآباء والامهات وفي معناه
اخلقوا من غير اصل يرجعون اليه ويقال من غير شيء اي لغير شيء
ومعنى الآيات ان عادة العرب اذا ارادت الاخبار عن خساسة
قدر شيء تصفه بانه لاشيء وليس بشيء لا يقصدون الى انه غير موجود
لانهم يصفون الموجود الحاضر بذلك كما يصفون المعدوم قوله
سبحانه ان زلزلة الساعة شيء عظيم قالت النفاة اي يكون شيء
عظيم قوله سبحانه ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان
يشاء الله وقوله انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فانه
يسوغ للمثبتين ان يستدلوا بهما وكذلك قوله والله على كل شيء
قدير والموجود لا يوصف بالقدرة عليه احد الا على سبيل
الاعادة واشتهر عن اهل اللغة قولهم شيء معدوم فلو كان لفظة
شيء لا يقع الا على موجود لكان هذا القول متناقضا ويجري ذلك
مجرى قولهم موجود معدوم ونحن نعلم الصوت عند تقضيه و
الجسم بعد تجابه قوله سبحانه لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته
خاشعا متصدعا من خشية الله انما خرج مخرج المثل قوله في عقبه
وتلك الامثال نضربها للناس المعنى في خشوع الحجارة انه يظهر
فيها ما لو ظهر من حي مختار قادر كان بذلك خاشعا كقوله جدارا
يريد ان ينقض لان ما ظهر فيه من فعل الحيوان لو ظهر من حي
لدل على انه يريد ان ينقض ليس ان الجدار يريد شيئا في الحقيقة
قوله سبحانه وان منها لما يهبط من خشية الله يريد بذلك
التذلل تسخيرا قال جرير لما اتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة و

حش

والجبال الخشع ويقال يهبط من خشية الله كانه يفعل ذلك لغيره ممن
يعقل لدلالته على الخالق فكانه يقول يدعو الى خشية الله اذا نظر اليه
قالوا سبحان الله كما تقول العرب لما لا ينطق اذا نطق عجبا له فقالوا سبحان الله
قوله سبحانه تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر
الجبال هدا هذا كما تقول العرب هذا الكلام يفلق الصخر ويهد
الجبال ويستنزل الوعول قال الشاعر فلو ان ما بي بالحصى فلق الحصى
وبالريح لم يسمع لهن هبوب . قال ابن عباس وقتاده والضحاك ينفطرن
من فوقهن من عظمة الله وجلاله وقالوا ان السموات تكاد تنفطرن
من فوقهن استعظاما لله للكفر بالله والعصيان له مع حقوقه الواجبة
على خلقه وذلك على وجه التمثيل قوله سبحانه وانه اضحك وابكى و
الضحك والبكا من فعل الانسان قوله فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا و
قوله افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وقوله فاليوم الذين
آمنوا من الكفار يضحكون نسب الضحك والبكاء الينا ولو لم يكن فعلنا لم
يحسن ذلك اما الآية الاولى فمعناها انه اضحك وابكى بان فعل سبب
ذلك من السرور والحزن كما يقال اضحكني فلان وابكاني اي من
سببهما وقال الحسن ان الله هو الخالق للضحك والبكاء والضحك تفتح
اسرار الوجه عن سرور في القلب فاذا هجم على الانسان منه ما لا يملكه
دفعه فهو من فعل الله وكذلك البكاء وقيل اضحك الارض بالنبات
وابكى السماء بالمطر فصل قوله تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء و
القمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب لما اخبر الله
بهذه الاحوال عن النجوم كان اجرى العادة بان يحدث امرا عند طلوع
كوكب او غروبه او اتصاله او مقارنته لكن لا طريق لنا الى العلم بان
ذلك قد وقع وثبت ثم ان تلك العادة يجوز ان تختلف باختلاف
الازمان فلا يفعل ذلك لانه مختار فيها ولا تاثير للكواكب البتة لانها
ليست بحية قادرة تفعل بالاختيار ولا علة موجبة فتؤثر بالايجاب وانما

هي اجسام تسيرها الله كما يريد والدليل على نفي كون الفلك وما فيه من شمس و
قمر وكواكب احيا الاجماع واذا قطعنا على نفي الحياه والقدرة عنها
فكيف تكون فاعلة ثم ان الحرارة الشديدة كحرارة النار تنفي الحياه و
حرارة الشمس اقوى من حرارة النار وما كان بهذه الصفة من الحرارة
يستحيل ان تكون حيا وان كانت قادرة انما تفعل في غيرها على سبيل
التوليد ولا بد من وصلة بين الفاعل والمفعول فيه والكواكب غير مماسة
لنا ولا وصلة بيننا وبينها فكيف تكون فاعلة فينا والهوا لا يجوز ان تكون
آلة في الحركات الشديدة وحمل الاثقال ثم لو كان الهواء آلة تحركنا بها
الكواكب لوجب ان نحس بذلك كما نحس من غير الهواء اذا حركنا
قوله سبحانه والشمس والقمر بحسبان والقمر قدرناه منازل والنجم اذا
هوى فلا تعلق لهم فيها الا انا نعرف ان للنجوم سيرا ومنازل واجتماعا
واحترافات وحركات وحرارة الشمس وكسوفها ونور القمر وخسوفه
وانها تجري بحسابه وان سير كل واحد منها خلاف سير الآخر وان
سير جميعها يجري على مقدار معلوم ونعلم بها عدد السنين والحساب و
بها يقع الفصل بين الايام والليالي الا انه لا مجال للعقل فيه وانما يعلم
ذلك سمعا والخلاف بين المسلمين والمنجمين في موضعين احدهما في
تركيب الافلاك والارض وما يتلوا ذلك والآخر في الاحكام التي
يدعونها ان جميع حوادث العالم نشوا وتوالدا وحدوثا وتغيرا
يتولد عن الكواكب بسببها يحدث حتى ادعوا ان حياة الحيوان و
موتهم وتوالدهم ورزقهم وخيرهم وشرهم متعلق بقواها وان جميع ما
يحدث في الجو من الامطار والثلوج والرعد والبرق والصواعق
وكذلك جميع ما يحدث في الارض من الزلازل والخسف وفي
بطون المعادن وفي عمق البحار منها ولو كان الامر على ما ادعوه لبطل
الامر والنهي وارتفع المدح والذم وبارتفاع ذلك يرتفع العقاب والثواب
وببطلانه تبطل النبوات والشرائع اجمع على انه يجب ببطلان ذلك بطلان

جميع العلوم ولبطلت الفايدة في تعلم علم النجوم لان بتعلمه لا يستفاد شيء اذ لا
يمكن احدا ان يقدم شيئا او يؤخرا الا ما يوجبه النجم فواعلمه او لم يعلمه
قوله سبحانه والسماء ذات البروج ليس فيه انها اثنا عشر او اقل او
اكثر على ان البروج هي القصور فالاية الى بطلان مذهبهم اقرب ثم ان
الاخبار بالغيب من جملة المعجزات ولو كان العلم بما يحدث طريقا نجوميا
لم يعرف المعجز وقد اجمع المسلمين قديما وحديثا على تكذيبهم قوله سبحا
هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وان الاهله مواقيت للناس
والحج وان له منازل لتعلموا عدد السنين والحساب وبالنجم هم يهتدون
فلو كانت الحوادث منها لوجب ذكرها والامتنان بها اذ النعمة بها
اجل ومن المحال ان يمن الله على عباده بما خلق لهم من ضروف
مخلوقاته فيذكر اليسير من الفايدة ويدع ذكر ما هو اجل منه بكثير
تبارك
قوله سبحانه انا زينا السماء الدنيا بمصابيح وهذا خلاف قولهم لان
من ان الكواكب زينت سماء الدنيا قوله سبحانه لا الشمس ينبغي لها
ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون بين
انهما في فلك واحد يسبحون وذلك انه لو كان كل واحد منهما في
فلك لوجب ان يقول وكل في فلكه يسبح قوله سبحانه فالمدبرات
امرا الخصم معترف بان الكواكب لا تدبر شيئا بل تفعل عندهم طبعا ولا
يجوز انها تدبر والخصم لا يعترف بانها تدبر وقد قيل انها الملئكة وذلك
يونس
اولى قوله سبحانه هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا الشمس والقمر
آيتان من آيات الله لما فيهما من عظم النور وغيرهما بغير علامة ولا دعامة
ونور الشمس لما كان اضعف الانوار سماه نور الشمس وضياها نور يغلب
عليه ولذلك لا يقال اضاء الليل بل يقال انار الليل وليلة منيرة ويقولو
نحل
في قلبه نور ولا يقال فيه ضياء قوله سبحانه وعلامات وبالنجم هم
يهتدون وحد النجم وقال فيما تقدم والنجوم مسخرات لان النجوم على ثلثة
اضرب ما يهتدي بها مثل الفرقدين والجدي لانها لا تزول وضرب هي

زينة السماء كما قال وزينا السماء الدنيا بزينة الكواكب فقوله والنجم يريد
النجوم فاجتزا بالواحد عن الجمع كما قال او الطفل الذين لم يظهروا
على عورات النساء والنجم في قوله والنجم الثاقب يريد به الثريا والنجم
اذا هوى يعني نزول القرآن والنجم والشجر يسجدان يريد كلما نجم
من الارض مما لا يقوم على ساق

شعرا

فصل قوله تعالى واذا مرضت
فهو يشفين وقوله وننزل من القرآن ما هو شفاء الطب صحيح وعلمه
ثابت وطريقه الوحي وانما اخذوه عن الانبياء والطريق الى حقيقة
ذلك بالسمع ومعرفة الدوا بالتوقيف وكان الصادقون عليهم
السلم يامرون بعض اصحاب الامراض باستعمال ما يضر من كان
المرض به فلا يضره وذلك لعلمهم بانقطاع المرض وذلك على سبيل
المعجز لهم والصحة والمرض من الله والمرض نوعان مبتدا يخلقه الله
وما يخلقه عند سبب كما قال ابرهيم واذا مرضت اي من تعدي
مني الصادق ع في خبر اني رايت الرجل منهم الماهر في طبه اذا
سالته لم يقف على حدود نفسه وتاليف بدنه وتركيب اعضائه
ومجرى الاغذية في جوارحه ومخرج نفسه وحركة لسانه ومستقر
كلامه ونور بصره وانتشار ذكره واختلاف شهواته وانسكاب
عبراته ومجمع سمعه وموضع عقله ومسكن روحه ومخرج عطشه
وهيج غمومه واسباب سروره وعلة ما حدث فيه من بكم وصم و
غير ذلك لم يكن عندهم اكثر من اقاويل استحسنوها وعلل فيما بينهم
جوزوها ودخل موسى بن جعفر ع على الرشيد فقال له الرشيد
يا بن رسول الله اخبرني عن الطبايع الاربع فقال ع اما الريح فانه
ملك يداري واما الدم فانه عبد عاص وربما قتل العبد مولاه واما
البلغم فانه خصم جدل ان سددته من جانب انفتح من جانب
آخر واما المرة فانها الارض ان اهتزت رجفت بما فوقها فقال
هرون يا بن رسول الله ينفق على الناس من كنوز الله ورسوله قوله

يونس

سبحانه لهم البشرى في الحيوة الدنيا قال المفسرون يعني الرويا الصالحة
وقال النبي ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وقال ابن عباس و
نعلمك من تاويل الاحاديث يريد تعبير الرويا وشكر الله تعالى
يوسف على ذلك فقال وعلمتني من تاويل الاحاديث وقال ابرهيم ع
اني ارى في المنام وقال تعالى لنبيه ع وما جعلنا الرويا التي اريناك و
قال لقد صدق الله رسوله الرويا بالحق وقال الرضا ع رويا الانبياء
وحي و قال المرتضى مجرد منامات الانبياء لا يوجب العمل الا اذا افاد
وحي يسمعه من الملك على الوجه الموجب للعلم اني ساريك في
منامك وقت كذا ما يجب ان تعمل به وذهب النظام الى ابطال
الرويا كلها ما خلا رويا يوسف ورسول الله والدهرية تبطل الرويا
كلها ولم يزل الناس على التصديق بتاويل الرويا في الجاهلية والاسلام
وزعم بعض المتكلمين ان الرويا هي تمني يقع للانسان فيتصور له ما يتمنى
كالانسان يقدر في نفسه شيا فيتمثل له فكرا وتخيلا وسال
رجل معبرا فقال اني رايت كان الشمس والقمر يقتتلان وتناثرت
الكواكب فيما بينهما فقال مع ايهما كنت قال مع القمر فقرا المعبر
وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار
مبصرة كنت مع الظلمة على النور فقتل الرجل مع معوية في صفين
وقال رجل لعلي بن الحسين ع رايت في منامي كاني ابول
في يدي فقال تحتك محرم فنظروا فاذا بينه وبين امراته رضاع و
قال رجل للرضا ع رايت رسول الله ص في المنام يقول لي كيف انتم
اذا دفن في ارضكم بعضي واستحفظتم وديعتي وغيب في ثراكم
لحمي فقال ع انا المدفون في ارضكم وانا بضعة من نبيكم وانا الوديعة

قصص

واللحم الخبر فصل قوله تعالى انما اوتيته على علم عندي لم يقل
قارون اوتيته بعلم وليس في اللغة ان يقال اعطيت كتب على
علم ان يكون العلم سببا للعطية على ان العلم كثير فمن اين لنا ان المراد به

الكيميا ومعنى الآية ان الله اخبر بمثل ذلك عن كل من يوتيه الله مالا
انه يقول مثل ما قال قارون ولما قال انما اوتيته على علم عندي رد
عليه ذلك بقوله بل هي فتنة يعني امتحان لا استحقاق ولا تعلق
في ذلك بقوله عندي لانه يريد ان هذا كما قلته فيما اراه واتوهمه
وقالت المعتزله الكيميا باطل لان اصحابه يدعون قلب الجنس وعندنا
انه من المعجزات ولا يوخذ الا بالوحي مثل الطب والنجوم وقالوا ان
موسى علم قارون منها الثلث وعلم يوشع الثلث وعلم ابن هرون
الثلث فخدعهما قارون ويقال ان موسى ع سالته امراة شيئا
فقال خذي من هذا النبت فاجعليه على المس فانه سيصير ذهبا
فسمع منه قارون ونهاها عن ذلك واعطاها شيئا واشتغل به
وروي عن امير المومنين ع انه قال هي اخت النبوة وعصمة
المروة والناس يتكلمون فيها بالظاهر واني لاعرف ظاهرها و
باطنها وقد نسب الى الائمة ع في ذلك اشياء والله اعلم قوله
سبحانه وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة يحتمل
ان موسى ع كان اخبر قارون بهلاك قوم فرعون فاستسلف
منهم واستعار فلما هلكوا اخلص له جميع ذلك قوله سبحانه
فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا
يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم لا يدل الا على
غناه فصل قوله تعالى ومن شر النفاثات في العقد ليس للسحر
حقيقة لان هذه اللفظة تدل على بطلان معناها وآيات القرآن
تدل على كفر فاعله اذا اعتقد صحته وفسقه ان لم يعتقد قوله
وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر
وقوله وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر
وقوله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم وقوله ولا يفلح الساحر
حيث اتى فمن اعتقد قلب الحيوان من صورة الى صورة و

قصص

انشاء الاجسام على وجه الاختراع وطاعة الجن والشيطان ونحوهما
ومن زخارفهم فقد كفر لانه لا يمكنه مع ذلك العلم بصحة المعجزات
على النبوات لانه اجاز مثله من جهة السحر والذي يحقق من ذلك
وجوه منها التخييلات كفعل المشعبذ يرى الشي بخلاف ما هو بخفه
يده ومنها التوصل بالادوية التي جرت العادة ان عند شربها يحدث
حادث ومنها ان يدخن بما يصل الدخان الى دماغها فيحدث نحو
من ذلك ومنها ان يولد لفعله في مسحور بشرط المماسة ومنها ان
يفعل بالنميمة ما يودي الى الضرر قوله سبحانه من شر الوسواس
الخناس السورة اي من شر الوسوسة التي تكون من الجنة والناس
او قلت من شر ذي الوسواس هو الشيطان كما جاء في الاثر
انه يوسوس فاذا ذكر العبد ربه خنس فاما والناس عطف عليه
كانه قيل من الشيطان الذي هذه صفته او قلت من شر ذي
الوسواس الخناس على العموم ثم فسر بقوله من الجنة والناس
قوله سبحانه حكاية عن يعقوب يا بني لا تدخلوا من باب
واحد وادخلوا من ابواب متفرقة قال ابن عباس وقتادة و
الضحاك والسدي والحسن والبلخي والرماني واكثر المفسرين
انه خاف عليهم العين وقال تعالى في حق نبينا ع وان يكاد
الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم وقال ومن شر
حاسد اذا حسد وقد فسره الصادق ع فقال هو العين و
العين حق وهو قول النبي ع وقد عوذ الحسن والحسين فقال في
عوذته واعيذكما من كل عين لامة والمعوذتين لاجلهما سميتا
وقد اختلف المتكلمون في ذلك فانكره ابو علي وابو القسم و
قال الجاحظ لا ينكر ان ينفصل من العين الصائبة الى الشي
المستحسن اجزاء لطيفة ويوثر فيه كالخاصية ولو كان كما قال لما اختص
ذلك ببعض الاشياء دون بعض ولان الاجزاء جواهر متماثلة و

وقال الحسن والرمانى القاضى ان العين تحصل بالعادة من فعل الله
كما يحصل الشفاء عند الادوية وهو اختيار المرتضى وقال الطوسي
ليس يمتنع ان يكون الله اجرى العادة بضرب من المصلحة انه متى
ما نظر انسان الى غيره على وجه مخصوص اقتضت المصلحة اهلاكه
او امراضه او اتلاف ماله فصل قوله تعالى في لوح محفوظ
قال ابو جعفر بن بابويه اللوح والقلم ملكان والملئكة لا تسمى اقلاما
ولا الواحا وقال الشيخ المفيد اللوح كتاب الله تعالى
كتب فيه ما هو كاين الى يوم القيمة توضيحه ولقد كتبنا في
الزبور من بعد الذكر والقلم هو ما احدث الله به الكتابة
فيه وجعل اللوح اصلا لتعرف الملئكة منه من غيب ووحي
وانما سمي اللوح الذي يكتب فيه لانه محت على تلك الهيئة
وكذلك قوله وحملناه على ذات الواح ودسر ورجل عظيم الالواح
اي اليدين والرجلين ولو عنى به ما ذكروه لعرفه لانه مقصود
مخصوص وانما ينكر الشيء متى ما كان ذا جنس واشباه واصل
اللوح التلالؤ من لاح الشيء يلوح ولاح البرق فمعنى لوح محفوظ
انه قرآن شريف في نظم عجيب يتلالؤ حسنا محفوظا قوله سبحانه
وانه في ام الكتاب انه لا تعلق فيه وام كل شيء اصله يقال ام
القرى ام الولد فامه هاوية وقد فسره الله تعالى فقال محكمات هن
ام الكتاب قوله سبحانه وما من غايبة في السماء فاللوح لا يسمى
كتابا واذا فسر به فالمتعلق به عادل عن الظاهر ثم ان الله
وصفه بذلك في مواضع فقال كتاب انزلناه اليك حم والكتاب
المبين فكانه قال لا غايبة في السماء والارض الا وذلك مبين
في القرآن لقوله ما فرطنا في الكتاب ويدل عليه عقيب الآية ان
هذا القرآن يقص قوله سبحانه وكل شيء احصيناه في امام واللوح
لا يسمى اماما ويسمى القرآن اماما وقد تكلم الناس في كيفية ذلك فقال

البلخي والجبائي والرماني انه علامة جعلها الله للملئكة اذا سمعوها علموا انه احدث
امرا كما قال فقال لها وللارض ايتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طايعين وقال
بعضهم ان الامر خاص في الموجودين الذين قيل لهم كونوا قردة خاسئين
ومن جرى مجراهم لانه لا يومر المعدوم وقال اخرون انه امر للمعدوم
من حيث هو لله معلوم فصح ان يومر فيكون وقال اخرون انها
خاصة في الموجودات من اماتة الاحيا واحيا الموتى وما جرى
مجرى ذلك الجواب الاول صحيح وما سواه معترض عليه وقال
الطوسي انه بمنزلة المثل ومعناه ان منزلة الفعل في السهولة وانتفاء
التعذر كمنزلة ما يقال له كن فيكون كما يقال قال فلان براسه كذا
وقال بيده كذا اذا حرك راسه واومى بيده ولم يقل شيئا في الحقيقة
قال الشاعر امتلا الحوض وقال قطني مهلا رويدا قد ملات بطني
وهذا وجه صحيح فصل قوله تعالى وسع كرسيه السموات و
الارض ان كان اراد كرسيا بعينه فهو كما قال تعالى ويجوز ان يكون
مقدرته وسلطانه يقال فلان كريم الكرسي اي الاصل قال الشاعر
تحف بها بيض الوجوه وعصبة كراسي بالاحداث حين تنوب
ويقال وسع علمه السموات والارض والكراسي العلما والكراسة
جزو من العلم قوله سبحانه ويسئلونك عن الروح قل الروح
من امر ربي اختلف الناس في الروح انه جسم او عرض ولغة
العرب تدل عليهما قولهم كل ذي روح فحكمها كذا وقولهم فيمن
مات خرجت منه الروح وهذه صورة تلحقه الروح وقال البلخي هو
الحياة التي تهيا بها المحل لوجود القدرة والعلم والاختيار واختاره
الشيخ المفيد وقال اكثر المتكلمين انه جسم رقيق هوائي متردد في
مخارق الحيوان بها يتم كون الحي حيا واختاره المرتضى والطوسي
يوضح ذلك قوله فلولا اذا بلغت الحلقوم والبلوغ فعل والفعل لا
يتاتى من العرض وقال يونانى لجهم اخبرني عن معبودك هذا اراايته

قط قال لا قال فلمسته قال لا قال فشممته قال لا قال فذقته قال لا قال فسمعته
قال لا قال فمن اين عرفته قال جهم فهل رايت روحك او شممته او ذقته
او سمعته او لمسته قال لا قال فكيف عرفت ان لك روحا **فصل** قوله ع
فهم في ريبهم يترددون يدل على بطلان قول من يقول ان المعارف
ضرورية لانه تعالى اخبر انهم في شكهم يترددون وهذه صفة الشاك
المتحير في دينه الذي ليس على بصيرة من امره **قوله** سبحانه ثم لم تكن
فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين يدل على بطلان قول من
قال ان المعارف ضرورية لان الله تعالى اخبر عنهم انهم لم يكونوا مشركين
عند انفسهم في دار الدنيا وان الله كذبهم وانهم كانوا كاذبين على الحقيقة
وان اعتقد واخلافه في الدنيا فاما معارفهم في الاخرة ضرورية حاصلة
على وجه هم ملجاؤن اليها فعلى الوجهين جميعا لا يجوز ان يقع منهم القبيح لا
محاله **قوله** سبحانه وهم ينهون عنه وينأون عنه وان يهلكون الا
انفسهم فيها دلالة على قول من قال ان معرفة الله ضرورية وان من لا
يعرف الله ولا يعرف نبيه لا حجة عليه لانه تعالى بين ان هاولا الكفار قد
اهلكوا انفسهم بنهيهم عن قبول القرآن وتباعدهم عنه وانهم لا يعلمون
باهلاك انفسهم بذلك فلو كان من لا يعرف الله ولا نبيه ولا دينه لا حجة
عليه لكان هؤلاء معذورين ولم يكونوا هالكين وذلك خلاف ما نطق
القرآن **قوله** سبحانه وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا في الاية دلالة
على ان المعارف ليست ضرورية لما حسبوا غير ذلك لان الضروريات لا
شك فيها **قوله** سبحانه فاعلم انه لا اله الا هو دال على ان معرفة الله
بالكتاب لانها لو كانت ضرورية لما امر بها **قوله** سبحانه او كالذي مر على
قرية وهي خاوية على عروشها فيها دلالة على فساد قول من يقول ان
المعارف ضرورة لانها لو كانت ضرورة لما حاج ابرهيم للكافر ولا ذكر له
الدلالات على اثبات الصانع وفيها دلالة على فساد التقليد وحسن
المحاجة والجدال **فصل** اعلم ان الله تعالى قد حث على النظر وطرق معرفته

انعام

البقره

فقال افلا ينظرون افلا تبصرون افلا يسمعون افلا يذكرون افلا تعقلون
ان في ذلك لايات لقوم يعقلون ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون
ان في ذلك لايات لقوم يسمعون ان في ذلك لايات لقوم يعلمون
ان في ذلك لآيات للمؤمنين ان في ذلك لايات للمتوكلين ان في
ذلك لذكرى لمن كان له قلب ان في ذلك لعبرة الا تذكرة لمن يخشى اولم
يتفكروا في انفسهم اولم ينظروا الى السماء اولم ينظروا في ملكوت السموات
قل انظروا ماذا في السموات فلينظر الانسان الى طعامه فلينظر الانسان
مم خلق افلا ينظرون الى الابل الم تر الى ربك وقال النبي ع من عرف نفسه
فقد عرف ربه وقال ع اعرفكم بنفسه اعرفكم بربه وقرب الى زين العابدين ع
طهوره في وقت ورده فوضع يده في الاناء ليتوضا فنظر الى السماء فجعل
يتفكر في خلقها حتى اصبح وترى ابرهيم ع في غار فلما خرج منه راى الكواكب
ثم القمر ثم الشمس فقال على سبيل الفكر او قبل البلوغ او على سبيل
الانكار او على سبيل الاستفهام هذا ربي **شاعر** ما راح يوم على حي و
لا ابتكرا الا راى عبرة فيه ان اعتبرا وجاء سوفسطائي الى متكلم مناظرا
وهو راكب فامر المتكلم ان تعيب دابته فلما اراد الانصراف لم يجدها فقال
للمتكلم فقدت دابتي فقال وراكبا جئت فعلك جئت راجلا وتخيل
اليك الركوب وتكون ظانا او ناسيا قال لست بنائم ولا مغلوب فقال
المتكلم كيف تدعي انه لا حقيقة لشيء وان الاشياء ظن وحسبان وان
حال اليقظان كحال النائم قال فوجم السوفسطائي ورجع عن مقاله **قوله**
سبحانه الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن قال ذلك لقوم كانوا
غير مقرين بما اخبروا به من شان الامم قبلهم لان الكثير منهم كان
مقرا بذلك ومن كان منكرا منهم فانه دعي بهذه الاية الى النظر و
التدبر ليعرف بذلك ما عرفه غيره وسال ابن ابي العوجا الصادق ع
دليلا على حدث العالم فقال ع ما وجدت شيئا صغيرا ولا كبيرا الا وضم
اليه مثله صار اكبر وفي ذلك زوال وانتقال عن الحالة الاولى ولو كان

انعام

قد نما لما زال ولا حال لان الذي يزول ويحول يجوز ان يوجد ويبطل فيكون
وجوده بعد عدمه دخولا في الحدث وفي كونه في الازل دخوله في القدم
ولن يجتمع صفة الازل والحدث في شيء واحد وقال ع لابن ابي العوجاء
قد سمع منه لست بمصنوع فلو لم تكن مصنوعا كيف كنت تكون وقيل للرضاء
ما الدليل على حدث العالم قال انت لم تكن ثم كنت وقد علمت انك لم تكون
نفسك ولا كونك من هو مثلك واصغى الباقر ع الى ابتحال بعض المعطلة
ثم قال ارايت ان كان ما تقوله وتتبعه من هذه حقا يضرنا ما نحن عليه
قال لا قال فان كان ما نقوله حقا وما تقوله انت باطلا يمكنك ان
تستقبل العمل بعد الموت قال لا قال فاي الحالين افضل عند رجال
توجد عندك للحاجة اليها او حال تجري وتورث الندم وحسب العاقل
هذا من غزا اولياء الله وخزي اعدائه **شعر** جميع ما تشهده مؤلف
مركب منوع مصنف **فصل** قوله تعالى لم تحاجون في ابرهيم
وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده افلا تعقلون فيها دلالة
على ان العاقل لا يعذر في الاقامة على الدعوى بغير حجة لما فيه من
البيان على الفساد والانتقاض ولان العقل طريق الى العلم فكيف
يضل عن الرشد من قد جعل اليه السبيل **قوله** سبحانه قل تعالوا الى
كلمة سواء بيننا وبينكم الآية لما نزلت هذه الآية قال عدي بن حاتم
ما كنا نعبدهم يا رسول الله فقال ع اما كانوا يحلون لكم ويحرمون
فتاخذون بقولهم قال نعم فقال هو ذاك الصادق ع في هذه الآية و
الله ما صلوا ولا صاموا ولكن احلوا لهم حراما وحرموا عليهم حلالا
فعبدوهم وهم لا يشعرون **قوله** سبحانه واذا قيل لهم اتبعوا ما
انزل الله الآية قال ابن عباس في هذه الآية دعا النبي ص الكفار و
اليهود الى الاسلام فقال بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا الصادق ع من اخذ
دينه من افواه الرجال ازالته الرجال ومن اخذ دينه من الكتاب و
السنة زالت الجبال ولم يزل ان الله تعالى ذمهم على تقليد ابائهم ووبخهم

آل عمران

لقمان

على ذلك ولو جاز التقليد لم يتوجه اليهم توبيخ ولا لوم وقد ذم الله التقليد
في آيات ومن الناس من يجادل في الله بغير علم وما يتبع اكثرهم الا ظنا
فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم قد جاءكم بصائر من ربكم ولا تقف ما ليس
لك به علم ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذي وحكى عن ابرهيم ع ما هذه
التماثيل التي انتم لها عاكفون قالوا وجدنا اباءنا لها عابدين قال لقد كنتم
انتم واباؤكم في ضلال مبين **فصل** قوله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون
وقيل للنبي ص بم عرفت ربك قال بما عرفني ربي قيل وكيف عرفك قال لا
تشبهه صورة ولا يحس بالحواس ولا يقاس بقياس الناس وقال ع
لآخر بالنوم مرة وباليقظة اخرى فلولا مدبر وصانع يأتي باحدهما مرة وبالآخر
اخرى لبقيت على صفة واحدة فلما رايت وزال الصفة الاولى وحدثت
الصفة الاخرى عرفت انه لاجل مدبر صانع فعله وقال ع لآخر بفسخ
العزائم وحل العقود وقال ع اعرفوا الله بالله اي بنصب ادلته على نفسه
وقيل للصادق ع ما الدليل على ان للعالم صانعا قال اكبر الادلة في نفسي
لاني وجدتها لا تعدو احد امرين اما ان اكون خلقتها وانا موجود و
ايجاد الموجود محال واما ان اكون خلقتها وانا معدوم فكيف يخلق لا شيء
فلما رايتهما فاسدين من الجهتين جميعا علمت ان لي صانعا ومدبرا
محمد بن علي الخراساني قال الرضا ع للزنديق الذي ساله عن
الدليل على الله تعالى اني لما نظرت الى جسدي ولم يكن فيها زيادة ولا
نقصان في العرض والطول ودفع المكاره عنه وجر المنافع اليه علمت
ان لهذا البنيان بانيا فاقررت مع ما ارى من دوران الفلك بقدرته
وانشاء السحاب وتصريف الرياح ومجرى الشمس والقمر والنجوم وغير ذلك
من الآيات البينات علمت ان لها مقدرا ومنشئا هشام بن
الحكم قال الصادق ع لرجل من الزنادقة الدليل على الله
وجود الافاعيل التي دلت على ان صانعا صنعها وقال لآخر اني لما رايت
حصنا ملززا املس لا فرج فيه ولا خلل ظاهره من فضة سائلة وباطنه

ذاريات

عرفت الله

من ذهبة ما يعه يفلق منه طاووس وغراب ونسر وعصفور فعلمت ان
للخلق صانعًا ابن جبير عرفت ربي بالظاهر باتقان التصوير والباطن
بنقض التدبير اعرابي ويحك ان البعرة تدل على البعير والروثة
تدل على الحمير واثار القدم تدل على المسير فهيكل علوي بهذه
اللطافة ومركز سفلي بهذه الكثافة اما يدلان على الصانع الخبير اخر جعل
اضدادًا مجموعة فقلت اجمعت بالطبع ام بالصنع فنظرت فلم يكن في
الطبع قبول الافراد فعلمت انها من صنع صانع رايت الورقة والنورة
اكلته النحلة والسرفه فتولد من احدهما خلاف ما تولد من الاخر
فدلني ذلك على انها من صنع حكيم لطيف الاصبغ قال رجل لامير المؤمنين ع
لقد قدم الينا رجل زنديق يتكلم بكلام لا نعرفه وانا نخاف ان يبطل
علينا ديننا فان رايت ان تعلمنا كلامًا نبطل به حجة وندحض به
مقالته فافعل قال فدعا بدواة وبياض وكتب بسم الله الرحمن الرحيم
من علي بن ابي طالب وصي محمد النبي الى عدو الله ومضل عباده
اما بعد فوق ذا العالم الذي تحرفه ۰ عالم اخر وملك يليه ۰ عالم واسع
كبير عظيم ليس نفس تطيق ان تبتليه ۰ اين ما الغيوم والرعد والبرق
اذا بحو لا يرى الغيم فيه ۰ اين ماوي الظلام في مطلع الشمس اذا الصبح
دائمًا يقتضيه ۰ اين ماوى الحرور ايام ۰ قرحين ياتي الشتا ببرد كريه
اين فيض الدود ان نقص الما فيعي اصطبار من يتقيه ۰ اين ماوى
النهار وحندس الليل ۰ اذا الليل ذاهبًا يحتويه ۰ اين ماوى الثلوج ايام
مهج الوهج كربة يعتريه ۰ اين ذا كله يكون اذا ما غ يومًا او اشتكى طالبيه
كل هذا يدل ان لذا الخلق حكيمًا مدبرًا مبتديه ۰ فلما قرا الزنديق
الكتاب هرب قوله سبحانه وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو
اهون عليه اي هين عليه اول خلقه قال ذو الرمة ۰ اخي قفرات
دبيت في عظامه ۰ شفافات اعجاز الكري هو اخضع ۰ يريد خاضع
وقال معن بن اوس لعمرك ما ادري واني لاوجل على اينا تعدو المنية

شعر كتبه امير المؤمنين عليه السلم

الانشا كلها سواء عنده والاعادة وقال ابن عباس وهو اهون عليه

اول وجل ويحتمل انه جواب قوله قال من يحيي العظام وهي رميم قل
يحييها الذي انشاها اول مرة لان الانشا اصعب من الاعادة فصل
قوله تعالى يا ايها الناس ضرب مثل الى قوله قدير وقوله فانظر الى آثار
رحمة الله الى قوله قدير وقوله الا هو العزيز الغفار ان الله على كل شئ
قدير عام فهو قادر على الاشيا كلها على ثلثة اوجه على المعدومات
بايجادها وانشائها وعلى الموجودات بتغيرها وافنائها وعلى مقدور
غيره بان يقدر عليها او يمنع منها وقيل خاص في مقدوراته ولفظ كل
يستعمل التخصيص كقوله تدمر كل شئ واوتيت من كل شئ سال
ابو شاكر الديصاني هشام بن الحكم امن قدرة الله تعالى ان يدخل
السموات والارضين وما بينهما في بيضة لا تكبر البيضة ولا تصغر الدنيا
قال فذكرت ذلك لابي عبد الله ع فقال كم لك من الحواس قلت
خمس قال فايهن اضعف قلت العين قال العين بما تبصر قلت بالناظر
قال فكم مقدار الناظر في راي العين قلت اقل من عدسة قال فابصر
ما ترى امامك صف لي قلت دورًا وقصورًا وانهارًا واشجارًا والسما
والارض قال ان الذي اراك ذلك باقل من عدسة فكذلك يحكم في
البيضة وسئل الصادق ع عن ذلك بعينه فقال ان الله تعالى لا ينسب
الى عجز والذي سالتني لا يكون ۰ وجمع الجهد ددرهم ما وترابا في قارورة
فاستحال دودًا فقال انا خلقت ذلك فبلغ ذلك الصادق ع فقال فليقل
كم هو وكم الذكران منه والاناث وكم وزن كل واحدة منها وليامر الذي
يسعى الى هذا الوجه ان ينصرف الى غيره فانقطع قوله سبحانه كن فيكون
قول من قال ان كن سبب للحوادث التي يفعلها الله تعالى فاسد من
وجوه احدها ان القادر بقدرة اذا قدر ان يفعل من غير سبب فالقادر
للنفس بذلك اولى ومنها ان كن محدثة فلو احتاجت الى كن اخرى لتسلسل
وذلك فاسد ولو استند ذلك الى كن قديمة لوجب قدم المكون لانه
كان يجب ان يكون عقيبه لان الفا يوجب التعقيب وذلك يودي الى القدم

المكونات ومنها انه لو ولدت مثل فعلنا كالاعتماد وانما استعمل القديم تعالى
لفظ الامر فيما ليس بامرها هنا ليدل بذلك على ان فعله بمنزلة المامور
فى انه لاكلفة على الامر فكذلك ههنا لاكلفه على الفاعل قوله سبحانه
هو يحيى ويميت واليه ترجعون قال ابو على فى هذه
الآية دلالة على انه لا يقدر على الحياة الا الله لانه يمدح بكونه قادرا
على الاحيا والاماتة فلو كان غيره قادرا على الحياة لما كان له فى ذلك
مدح ومنها دلالة على كونه قادرا على الاعادة لان من قدر على النشاة
الاولى يقدر على النشاة الثانية قوله سبحانه هو اشد قوة و
قوله من اشد منا قوة يقتضى ان له قوة وان قوته اشد من قوتهم
ويقتضى ان قوته شديدة والشدة انما هى الصلابة ولا يجوز وصف
الاعراض بالشدة والصلابة على الحقيقة وان القوة انما يستعمل
فى الاجسام دون الاجزاء والجوهر المحتمل الاعراض يقال انما هو
ذو قوة شديدة وهو اشد باسا منا على الامر اذا كانت جوارحه
مكتنزة صلبة الاعضاء غير رخوة ومعناه انه تعالى اقوى منهم واقدر
لان لفظة اشد تستعمل على هذا الوجه فيقال هذا اشد بياضا من
هذا كما يقال هذا افضل من هذا وقال امير المومنين ع
فى الدرة اليتيمة ليس بقادر من قارنه ضد او ساواه ند وقال ع
فى خطبة العشرات الحمد لله المتجلى لخلقه بخلقه ويقال القادر
بالحق على الاطلاق من اوجد الاضداد فى الاخلاق. الصانع
الصنع لا بد له من صانع. لاسيما مع كثرة البدايع. وانما تم بلا منازع
فالملك لا يبقى على التمانع قوله سبحانه قل من يرزقكم من السماء

يونس

والارض الى قوله فسيقولون الله فيها دلالة على التوحيد لان
ما ذكره فى الآية يوجب ان المدبر واحد لانه لا يجوز ان يقع ذلك
اتفاقا لاحالة العقل ذلك ولا يجوز ان يقع بالطبيعة لانها فى حكم
الموات لو كانت معقولة فلم يبق بعد ذلك الا ان الفاعل له قادر

عالم يدبره على ما شاء وهو الله تعالى مع ان الطبيعة مدبرة مفعوله فكيف
تكون هى المدبرة قوله سبحانه وخلق كل شئ يحتمل امرين احدهما
ان يكون اراد بخلق قدر فعلى هذا تكون الآية عامة لانه تعالى مقدر
كل شئ او اراد انه احدث كل شئ فعلى هذا يكون خاصا لانه لم
يحدث اشياء كثيرة من مقدورات غيره وما هو معدوم لم يوجد
فصل قوله تعالى انى اعلم ما لا تعلمون ان الله لا يخفى عليه
شئ فى الارض ولا فى السماء لا يخفى على الله شئ الوصف بانه لا يخفى
عليه شئ فى الارض ولا فى السماء وانه يعلم ما لا يعلمه غيره يدل على
انه يعلمه من كل وجه من حيث كان عالما لنفسه والعالم للنفس يجب
ان يعلم كل ما يصح ان يكون معلوما وما تصح ان يكون معلوما لا نهاية
له فوجب ان يكون عالما به وانما يجوز ان يعلم الشئ من وجه دون
وجه من كان عالما بعلم يستفيد العلم حالا بعد حال فاما من كان
عالما لنفسه فلا يجوز ان يخفى عليه شئ بوجه من الوجوه قوله سبحانه
لا علم لنا الا انك انت العليم الحكيم اى انه عالم بغير تعليم بدلالة انهم
اثبتوا لله ما نفوه عن انفسهم بقولهم لا علم لنا الا ما علمتنا ويقال انه
العليم الحكيم اي انه العالم وهو من صفات ذاته فلما بالغ فيه افاد انه
عالم بجميع اجناس المعلومات مما يصح ان يكون معلوما قوله سبحانه

انعام

وهو بكل شئ عليم وقوله يعلم ما فى البر والبحر الآية وقوله وعنده
مفاتح الغيب عام يدل على انه يعلم الاشياء كلها قديمها وحديثها
موجودها ومعدومها قوله سبحانه يعلم خائنة الاعين وما تخفى

مومن

الصدور وقوله يعلم سركم وجهركم وقوله انه يعلم الجهر من القول
ويعلم ما تكتمون فيها دلالة على انه عالم لذاته قوله سبحانه وان الله بكل
شئ عليم معناه انه يعلم جميع المعلومات لكونه عالما لنفسه وفعيل يدل
على المبالغة قوله سبحانه وان الله قد احاط بكل شئ علما معناه ان

الطلاق

معلوماته متميزة بمنزلة ما قد احاط به قوله سبحانه والله بما تعملون محيط

٧٧

قوله اي يحيط علمه بما تعملونه وانه قادر على جزاء ما تعملونه من ثواب او عقاب
سبحانه فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين انما خص المفسدين بانه عليم
بهم على جهة التهديد لهم والوعيد بما يعلم مما وقع من فسادهم كما تقول
القائل انا اعلم بشر فلان وما يجري اليه من الفساد قوله سبحانه ءانتم
اعلم ام الله صورته صورة الاستفهام والمراد به التوبيخ ومثله ءانتم اشد
خلقا ام السماء فان قيل لم قال انتم اعلم ام الله وقد كانوا يعلمونه فكتموه
وظاهر هذا الخطاب لمن لا يعلم الجواب من قال انهم ظنوا فالجواب
ظاهر ومن قال انهم علموا او انما جحدوه نقول معناه ان
منزلتكم منزلة المعترض على ما يعلم ان الله اخبر به فما ينفعه ذلك مع
اقراره فان الله اعلم منه وانه لا يخفى عليه شيء لان ما دل على انه اعلم
دل على انه عالم لنفسه وقوله تعالى ربكم اعلم بما في نفوسكم معنى ذلك ان
معلوماته اكثر من معلوماتهم وقد يقال اعلم بمعنى اثبت فيما به يعلم
فنحن من هذا نقول ان الله تعالى اعلم بان الجسم حادث من الانسان
العالم به وكذلك كل شيء يمكن ان يعلم متغايرة فالله تعالى عالم به على تلك
الوجوه وان خفي على الواحد منا بعضها ومعنى بما في نفوسكم اي بما
تضمرونه وتخفونه عن غيركم فالله اعلم به منكم وفي ذلك غاية التهديد
قوله سبحانه ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين
المعنى انه اعلم به ممن يعلمه لانه يعلم من وجوه يخفى على غيره لانه تعالى
عالم بعلم ما كان وما يكون وما هو كاين الى يوم القيمة وعلى جميع الوجوه
التي يصح ان يعلم الاشياء عليها وليس كذلك غيره لان غيره لا يعلم جميع
الاشياء وما يعلمه لا يعلمه من جميع وجوهه واما من هو غير عالم اصلا
فلا يقال الله اعلم منه لان لفظه اعلم يقتضي الاشتراك في العلم وزيادة
لمن وصف بانه اعلم وهذا لا يصح ممن ليس بعالم اصلا الا مجازا ولا يصح
ان يقال هو تعالى اعلم بان الجسم حادث من كل من يعلمه حادثا الا انه قد
ذكر الوجه الذي يعلم منه وهو انه حادث فان اريد بذلك المبالغة في

نور

نمل

الوصف وان هذه الصفة فيه اثبت من غيره جاز ان يقال فيه ذلك
فصل وقد تعلق من ذهب في حدوث العلم وانه لا يعلم الشيء
قبل كونه بآيات منها ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين
جاهدوا منكم ويعلم الصابرين وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم
وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين
منكم والصابرين الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا لننظر كيف
تعملون قلنا لا يجوز ان يقول مثل ذلك وهو عالم به الجواب انه
لو لم يتقدم العلم بحالهم وحال ما كلفهم لقبح التكليف اصلا لانه انما
يحسن من المكلف ان يامر بما يعلم حسنه وان المكلف يتمكن من فعله
على الوجه الذي كلف فكيف يصح مع هذا ان يكون علمه بحالهم حادثا
بعد التكليف وعند فعلهم ما كلفوا على ان ليس في ظواهر الآيات ما
ينبئ عن كونه غير عالم بما سيكون منهم والعالم بالشيء انما يكون عالما به
اذا علمه على ما هو به فالله تعالى انما يعلم المجاهد مجاهدا اذا جاهد و
يعلمه مؤمنا اذا آمن وليس في ذلك نفي كونه عالما من سيؤمن و
سيجاهد وهو موضع النزاع وقال المرتضى قوله لنعلم يقتضي حقيقته
ان يعلم هو وغيره ولا يحصل علمه مع علم غيره الا بعد حصول الاتباع
فاما قبل حصوله فانما يكون هو تعالى العالم وحده فصح ظاهر الآية
قوله سبحانه اذهب الى فرعون انه طغى الى قوله لعله يتذكر
او يخشى وقوله وان جنحوا للسلم فاجنح لها فلا يوجبان الشك وان
الله تعالى قد علم ان فرعون لا يتذكر ولا يخشى والكفار لا يجنحون الى السلم
ولكنه تعالى اراد ان يطيب بذلك نفوس المخاطبين ويقوي قلوبهم
كما يقول للاجير افرغ من عملك لعلك تاخذ اجرك اي لتاخذه قوله
سبحانه لعلكم تتقون ولعلكم ترحمون فيهما معنى الشك لكنه
للعباد دون الله تعالى قوله سبحانه عسى الله ان يكف باس الذين
كفروا قال الحسن والبلخي والزجاج واكثر المفسرين ان عسى من الله واجب

طه

نسا

٧٨

ووجه ذلك ان اطماع الكريم انجاز وانما الاطماع تقويه احد الامرين على الآخر
دون قيام الدليل على التكافؤ والجواز وخرج عسى في هذا من معنى الشك
لخروجها في قول القائل اطع ربك في كل ما امرك به ونهاك عنه عسى ان
تفلح بطاعتك قوله سبحانه وماكان ربك نسيا اي ليس الله ممن ينسى
ويخرج عن كونه عالما لانه تعالى عالم لنفسه وتقديره ههنا وما نسيك وان
اخر الوحي عنك ويقال وماكان ربك نسيا اي لا ينسيهم كما تقال الملك
والسيد قد نسيتنا فما تذكرنا يعنون انه لا يأتينا منك خير قوله سبحانه

اعراف

فاليوم ننساكم قال ابن عباس نترككم في العقاب كما نسيتم
لقاء اى كما تركتم ذكر لقاء يومكم هذا ويقال اى لم يعملوا الطاعة ولم يؤمنوا
به فينفعهم في الآخرة اى فما اعطاهم الثواب قوله سبحانه نسوا الله
فنسيهم اى تركوا الله في معرفته وعبادته فتركهم عند الجزاء قوله سبحانه
وليبتلي الله ما في صدوركم وقوله وليبلوكم فيما آتاكم وقوله ولنبلونكم
يحتمل امرين احدهما ليعاملكم معاملة المبتلي المختبر لكم مظاهرة في العدل
واخرج كلام المختبر لهذه العلة لانه تعالى عالم بالاشياء قبل كونها فلا يبتلي
ليستفيد علما والثاني ليبتلي اولياء الله ما في صدوركم الا انه اضاف
الابتلاء الى الله عز وجل تفخيما لشانه قوله سبحانه فما اصبرهم على

بقره

النار التعجب لا يجوز على الله تعالى لانه عالم بجميع الاشياء لا يخفى عليه شيء
والتعجب يكون مما لا يعرف سببه وانما الغرض بالآية ان يدلنا على
ان الكفار حلوا محل من يتعجب منه فهو تعجيب لنا منهم وقال الحسن
وقتاده ومجاهد ان ما في قوله فما اصبرهم للتعجب وقال ابن عباس و
ابن جريج وابن زيد والسدي انها للاستفهام على وجه التعجب كانه

توبه

توبيخ لهم وتعجب لنا قوله سبحانه وقل اعملوا فسيرى الله عملكم قال
مجاهد المراد بالرؤية ههنا العلم الذي هو المعرفة لانه عداه الى مفعول واحد
وانما قال سيرى الله على وجه الاستقبال وهو عالم بالاشياء قبل وجودها والمراد
بذلك انه سيعلمها موجودة بعد ان علمها معدومة وكونه عالما بانها ستوجد بعد

جن

كونه عالما بوجودها اذا وجدت لا يجدد حالا له بذلك قوله سبحانه واحصى
كل شيء عددا معناه انه لا شيء يعلمه عالم او يذكره ذاكر الا وهو عالم به ومحصي له
والاحصاء فعل وليس هو بمنزلة العلم فلا يجوز ان يقال احصى ما لا يتناهى كما
يجوز ان يقال علم ما لا يتناهى لان الاحصاء مثل المحصي لا يكون الا فعلا متناهيا
واذا لم يجز ان يفعل من الاحصاء ما لا يتناهى آخره لم يجز ان يقال انه قد احصى
ما لا يتناهى ويجوز ان يقال انه يحصي ما لا يتناهى احصاء دائما لا يتناهى
كما يجوز ان يقال انه يفعل ما لا يتناهى قوله سبحانه فليعلمن الله الذين
صدقوا اي في ايمانهم وليعلمن الكاذبين فيه انما قال فليعلمن مع انه
الاستقبال والله تعالى عالم فيما لم يزل بحدوث المعلوم فلا يصح الصفة الا مع
المستقبل اذ لا يصح عالما بانه حادث لانعقاد معنى الصفة بالحادث وهو اذا
حدث علمه تعالى بنفسه قوله سبحانه كل ذلك في كتاب مبين وكل
شيء احصيناه في امام مبين انما اثبت ذلك مع انه عالم لا يعزب عنه
شيء لما فيه من اللطف للملائكة ان يكون فيه لطف لمن يخبر بذلك قوله
سبحانه وما تسقط من ورقة الا يعلمها الآية قال قطرب
انما يكون ذلك للتاكيد على العباد والتخويف لهم في حفظ اعمالهم عليهم
لان ما لا ثواب فيه ولا عقاب يكون محصيا عنده في كتاب فاعمالكم التي
فيها الثواب والعقاب اولى بالكتاب والاحصاء قوله سبحانه الذي

سجده

احسن كل شيء خلقه وقال ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت
وقال خلقك فسويك فعدلك في اي صورة ما شاء ركبك نظر اعرابي
يوم الجمعة الى الناس وقد اجتمعوا له فقال صورة واحدة وخلق مختلف ما
هو الا صنع حكيم عليم • راى رجل تناثر الاوراق فهجس في خاطره هل
يعلم الله عددها فنزل الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ابن عباس
كانت امراة تصلي خلف النبي وكان بعضهم يتقدم في الصف الاول
لئلا يراها وكان بعضهم في اول الصف اذا ركع قال هكذا ونظر من تحت
ابطه فنزل ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستاخرين لا يعلم الغيب

احد الا هو الفرد الصمد **ابو نواس** كل مستحف بشيء فمن الله ثم الا ترى
شيئا من الله من الاشياء يخفى **قوله** سبحانه لكن الله يشهد بما انزل
اليك انزله بعلمه ولا تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه معناه وهو عالم به
ولو كان المراد بذلك ذاتا اخرى لوجب ان يكون العلم آلة في الانزال
وظاهر اللفظ يقتضي ان الوضع والانزال والحمل بعلمه فيكون آلة له لا ذلك
قضية اللفظ والبا تدخل في الكلام دلالة للالة نحو ضربته بالسيف او
يكون سببا للمسبب نحو وجعته بالضرب او علة للمعلول نحو اسود بالسواد
او مجازا فيكون عبارة عن الفاعل نحو كان ذلك بمرأى ومسمع اى كنت
اسمعه واراه ولا يجوز ان يكون العلم لهذه المذكورات ولا علة لان
العلم انما يكون علة للعالم لا لما علقه به ولا سببا لان العلم لا يوجب هذه
الاشيا وانما يوجب ارادته وفعله فلم يبق الا انه انزله وهو عالم به
كما يقال اعطيت القوم كذى برضى الملك اى وهو راض به فتقوم
البا مع المصدر مقام الابتدا والخبر ثم ان البا التى لا تستقل
الكلام باسقاطها ما الا الصاق مثل كتبت بالقلم والالصاق يستحيل
في العلم وكذلك الانزال **قوله** سبحانه ولا يحيطون بشيء من علمه
يقتضي ان علمه يتبعض لدخول من التي للتبعيض والعدول عن الظاهر
يقتضي ان علمه يتضمن عما يعلمه غيره وما لا يعلمه وانه لا يعلم من علمه الا
بما شاء فلعله لم يشاء ان يعلم علمه اي كونه ولفظه العلم مصدر وهو
متردد بين الفاعل والمفعول يقال فعلت كذا بعلمي ولكن جميع ما يفعله
فلان بعلمك وهذا علم ابي حنيفه فلما استعمل في الاستخبار عن العالم
وعن المعلوم وجب صرفه الى الاصوب الفضل بن شاذان قيل
للرضاء ان قوما يقولون ان الله عز وجل لم يزل عالما بعلم وقادرا بقدرة
وحيا بحياة وقديما بقدم وسميعا بسمع وبصيرا ببصر فقال من قال
بذلك ودان به فقد اتخذ مع الله آلهة اخرى وليس من ولايتنا
على شيء ثم قال لم يزل الله عالما بعلم قادرا حيا قديما سميعا بصيرا لذاته

عما يقول المشركون والمشبهون علوا كبيرا. الصاحب. هو العالم الذات
الذي ليس محوجا. الى العلم والاعلام تبدوا فتشهد. وليس قديما سابقا
غير ذاته. وان كان ابنا الضلال تلددوا **فصل** قوله تعالى
الله لا اله الا هو الحي القيوم الم الله لا اله الا هو الحي القيوم هو الحي لا
اله الا هو هو الذي يحيي ويميت جاء عبد الملك بن ابي العوجا الى
الصادق ع فقال يا با عبد الله ان المجالس بالامانات ولا بد لكل من به
سعال ان يسعل فاذن لي بالكلام فقال تكلم بما شئت فقال الى كم
تدوسون هذا البيدر وتلوذون بهذا الحجر وتعبدون هذا البيت المرفوع
بالطوب والمدر وتهرولون هرولة البعير اذا نفر من فكر فيها او قدر
علم ان هذا اسسه غير حكيم ولا ذو نظر فقال ع ان يكن الامر كما تقول و
ليس كما تقول نجونا ونجوت وان لم يكن الامر على ما تقول وهو كما نقول
نجونا وهلكت فقال ما قولي وقولهم الا واحد فقال ع كيف يكون ذلك
وهم يقولون ان لهم معادا وثوابا وعقابا ويدينون ان للسماء الها وانها
عمران وانتم تزعمون انها خراب فقال ما منعه ان يظهر لخلقه ويدعوهم
الى عبادته حتى لا يختلف منهم اثنان ولم احتجب عنهم وارسل اليهم
الرسل فقال ع ويلك وكيف احتجب عنك من اراك قدرته في
نفسك نشوك ولم تكن وكبرك بعد صغرك وقوتك بعد ضعفك و
ضعفك بعد قوتك وسقمك بعد صحتك وصحتك بعد سقمك
ورضاك بعد غضبك وغضبك بعد رضاك وحزنك بعد فرحك
وفرحك بعد حزنك وحبك بعد بغضك وبغضك بعد حبك و
عزمك بعد ابائك واباك بعد عزمك وشهوتك بعد كراهيتك
وكراهيتك بعد شهوتك ورغبتك بعد رهبتك ورهبتك بعد
رغبتك ورجاك بعد ياسك وياسك بعد رجائك وخاطرك بما لم يكن
في وهمك وعزوب ما لم تكن معتقده عن ذهنك وما زال يعد عليه
قدرته حتى ظننت انه سيظهر **قوله** سبحانه هو الاول والآخر الآية سئل

امير المومنين ع اين كان الله قبل خلق السموات والارض فقال ع اين سوال
عن مكان وكان الله ولا مكان فلما خلق المكان لم يتغير عما كان
وسال نافع المقري الباقر ع اخبرني متى كان الله فرفع راسه اليه
فقال له يا نافع اخبرني متى لم يكن حتى اخبرك متى كان فرجع نافع
يقول الله اعلم حيث يجعل رسالاته وسال امير المومنين ع حبر متى
كان فقال كان ربي قبل القبل بلا قبل ويكون بعد البعد بلا بعد
ولا غاية ولا منتهى لغايته انقطعت الغايات عنه فهو منتهى
كل غاية وفي خطبة امير المومنين ع لم تسبق له حال حالا فيكون
اولا قبل ان يكون آخرا ويكون ظاهرا قبل ان يكون باطنا وقوله ع
ليس عن الدهر قدمه ولا بالناحية امه فصل قوله تعالى
قد سمع الله الآية نزلت في اوس بن الصامت لما ظاهر زوجته
ابن مسعود قال تكلم صفوان بن امية وعبد يا ليل ان
الله يسمع ما نقول فقال احدهما انه يسمع الفد يد دون الهمس و
قال الاخر ان من سمع الفديد سمع الهمس فاخبرت النبي ع بذلك
فنزل وما كنتم تستترون الآيات المفسرون عن امير المومنين ع
في قوله ولقد آتينا داود منا فضلا انه سري داود منفردا الى
جبل للتعبد فكان يناجي ربه فعرض له وحشه فقال الله تعالى
يا جبال اوبي معه والطير فسبحوا الله وهللوه فهجس في ضميره رحمتهم
فاخذ ملك عضده واتى به الى الساحل وركض البحر برجله فانشق
البحر وظهر الحيات فطردهم فابدى صخرة عليها دودة فقال يا داود ان
الله يسمع نفس هذه الدودة في هذا المكان واعلم ان اسماع
الكلام يشتمل في اللغة على ثلثة اوجه على الادراك بحاسة السمع
وهو حقيقة فيه وفي العلم بالكلام على ما ذكر جماعة من المفسرين
واهل العدل من البغداديين في قوله قد سمع الله قول التي تجادلك
في زوجها وقول القائل انا بسميع منك وانا سامع لكلامك ومنه

لفعالك اذا كان يراعي اخباره حتى يصل اليه ويعلمها وفي الكلام الذي
يحصل فائدة يقال كلام فلان مسموع والسلطان يسمع قول فلان
فيتبعون الوصف بالسماع ويستعمل في اللغة ايضا رد الجواب على
ثلثة اوجه في رده بالكلام وفي فعل ما تضمنه السوال كالذي
يسال غيره فعلا فيفعل المسول ما تضمنه سواله فيقال قد اجابه
وان لم يتكلم وفي فعل ما تقتضيه الحال من الافعال وهذا مثل
قول الحاج عند الاستلام اماناتي اديتها وميثاقي تعاهدته
لتشهد لي بالموافاة غدا مودعا لله تعالى وخطابا لله وهو المستمع له و
المجازي به وانما اضافه الى الحجر لانه عمل عنده وعباده فيه وقربه
الى الله به فكانه قال اماناتي في استلامك اديتها
ومعنى لتشهد لي بالموافاة اي ليكون على عندك شاهدا عند الله تعالى
لموافاتي بما ندبت اليه من العبادة المتعلقة بك المفعوله فيك واما
قول الزاير لمشاهد الائمة اشهد انك تسمع كلامي وترد جوابي
فيكون معنى ذلك قول الله تعالى دعا زايرهم واجابه سائلهم
فصار قبوله تعالى من اجلهم كانه قبول منهم ويجري ذلك مجرى
قوله سمع الله لمن حمده في ان معناه القبول لا مجرد الادراك و
منه قولهم خاطبت فلانا فما سمع كلامي اي ما قبله قال الشاعر
دعوت الله حتى خفت الا يكون الله يسمع ما اقول اي لا يقبل
وغير منكر ان يكون الله تعالى يبلغهم دعا زايرهم فيسمعونه على
الحقيقة وقد صح باجماع الطائفة المحقة والاخبار المتواترة انهم بعد
وفاتهم في الجنان وقال الله تعالى ولا تحسبن الذين
قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين وهذا
في الشهداء فكيف في الاوصياء وقول النبي ع من صلى علي عند قبري
سمعته ومن صلى علي في اقطار الارض بلغت فصل
قوله تعالى ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث تكلم الناس في القرآن

فقالت الكفرة هذا افك قديم فشاركهم فيه المجبرة وقالت المشركون ان
هذا الا اختلاق فوافقهم المعتزلة في اللفظ وقالت الزنادقة افك افتراه
فتبعهم الصفاتية اذا قالوا ليس في المصحف قرآن وانما القرآن قايم
بذات الباري وقال الله تعالى ما ياتيهم من ذكر من الرحمن
محدث وقال ما ياتيهم من ذكر ربهم محدث فاعتقد الامامية و
الذكر القرآن قوله في عقبه الا استمعوه وقوله وهذا ذكر مبارك
انزلناه وقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون والمنزل المحفوظ لا يكون
الا محدثا لان القديم لا ينزل ولا يحتاج الى حفظه وقد سماه الله تعالى
في المصحف بما به اسم سانذكرها في اسباب نزول القرآن انشاء الله
كل اسم يدل على حدوثه منها شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن
ليقراه على الناس ان علينا جمعه وقرآنه انزل على عبده الكتاب و
كتاب مسطور عبارات عن الجمع والجمع انضمام الشيء الى غيره تنزيل
الكتاب من الله قادر على ان ينزل آية ونزلناه تنزيلا المنزل لا يكون
قديما والتنزيل انزال شيء بعد شيء وهو من صفات المحدث انا
جعلناه نورا نهدي به من نشاء وكان امر الله مفعولا والمجعول المفعول
هو المحدث نزل الفرقان وقرآنا فرقناه انزل على عبده الكتاب
مفصلا لنزوله متفرقا ما ننسخ من آية او ننسها آيات محكمات هن
ام الكتاب وأخر متشابهات الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه كيف
يكون قديما انه لقول فصل ومن احسن من الله قيلا القول لا يتقدم
على قائله ولا يقارنه بل يكون بحسب اختياره ولقد آتيناك سبعا من
المثاني ابلغكم رسالات ربي تتلى عليكم الرسالة والتلاوة واعطا السبع
المثاني دلالة على حدوثه انا سنلقي عليك قولا ثقيلا الالقاء والثقل
من صفات الحدوث قرآنا عربيا بلسان عربي مبين والعربي من
زمن اسمعيل والعربية محدثة ومن زعم ان الله عربي كفر وما كان
غير الله فهو محدث واعتصموا بحبل الله دلالة على حدوثه مرفوعة مطهرة

بايدي سفرة وصفه بالرفعة والطهارة وانه بايدي سفرة بل هو قرآن
مجيد في لوح محفوظ فلو كان قديما لكان قبل اللوح طس تلك آيات
القرآن وكتاب وصفه بانه انما يظهر بالقراءة والكتابة لا يمسه الا المطهرون
القديم لا يمس وكلم الله موسى تكليما يدل على حدوثه من حيث انه كلم
موسى خاصة دون غيره من الانبياء وكلمه في وقت دون وقت
ولو كان قديما لم يكن في ذلك اختصاص وتمت كلمة ربك صدقا
وعدلا في الآية دلالة على انه محدث لانه وصفه بالتمام والعدل
وذلك لا يكون الا حادثا وهذا ذكر مبارك انزلناه وصفه بالانزال
وبانه مبارك يتبرك به وذلك من صفات المحدثات فليأتوا بحديث
مثله بين له مثلا ما كان حديثا يفترى يدل على انه حادث لان القديم
لا يكون حديثا ومن قبله كتاب موسى بين ان له اولا فاي حديث بعده
يؤمنون ذكر ان له اجزا امير المؤمنين وانما كلامه سبحانه فعل منه انشاه
لم يكن من قبل ذلك كاينا ولو كان قديما لكان الها ثانيا عمران بن الحصين
قال النبي كان الله ولا شيء ثم خلق الذكر وانه ليس فيما
خلق الله شيء اعظم من آية في سورة البقرة الله لا اله الا هو الحي القيوم
وكتب علي بن محمد النقي الى بعض شيعته ببغداد بسم الله
الرحمن الرحيم عصمنا الله واياك من الفتنة فان تفعل فيها ونعمة وان
لم تفعل فهي الهلكة نحن نرى ان الجدال في القرآن بدعة اشترك فيها
السائل والمجيب فتعاطى السائل ما ليس له وتكلف المجيب ما ليس عليه
وليس الخالق الا الله وما سواه مخلوق فالقرآن كلام الله لا تجعل له
اسما من عندك فتكون من الضالين جعلنا الله واياك من الذين
يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون سئل الصادق عن
القرآن فقال كلام الله وقول الله ووحي الله وكتاب الله وتنزيله و
هو الكتاب العزيز الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
تنزيل من حكيم حميد الرضا القرآن كلام الله لا تجاوزوه ولا تطلبوا

الهدى من غيره فضلوا وسئل زين العابدين عن القران وقال ليس
بخالق ولا مخلوق وهو كلام الخالق **شاعر** كلام ربي لا يما روبه
ليس بمخلوق ولا خالق الصاحب قالت فما القول في القران سعد لنا
قلت القران كلام الله ابن تلى قالت فاين دليل الخلق فيه ان
فقلت تركيبه من احرف الجمل وله قد جهلت في قدم القران كمثل
جهل عابد الاوثان . قالت قدم ليس بالرحمن فصار هذا كقديم ثان
فصل قوله تعالى انما قولنا لشيء اذا اردناه الآية الظاهر يقتضي
انه يريد اولا ثم يقول كن لما لم يرده واذا كان كذلك فالارادة تكون
متقدمة عليه وما تقدم عليه غيره فهو محدث ابو سعد الابي
انزل ذكرا محكما كريما ولا يكون منزلا قديما **قوله** سبحانه اذا قضى امرا
فانما يقول له كن فيكون وقوله انما قولنا لشيء اذا اردناه الآية
يكن مستقبل واذا كان مستقبلا انما يوجد في الاستقبال دون
الماضي وذلك يوجب حدوثه والظاهر يدل على انه محدث القول
الذي هو الامر بان يقول كن وقد قضاه والكاف متقدمة على النون
والنون متاخرة عنها والتقديم والتاخير دليل الحدوث ولو كانت
ارادته قديمة وقول كن قديما وجب ان يكون المرادات حاصلة في
القدم او متاخرة عنه وافعاله ماض وحال واستقبال ابن علويه
جل المهيمن ان يجد بمنطق . وتوهم بكهانة الكهان . او ان يعض او يقال
كلامه . يجري بصوت من فم ولسان **قوله** سبحانه ما ننسخ من آية
او ننسها نات بخير منها او مثلها فيه دليل على ان القران غير الله
وان الله هو المحدث له والقادر عليه لان ما كان بعضه جزا من
بعض فهو غير الله لا محاده وفيها دليل على ان الله قادر عليه وما كان
داخلا تحت القدرة فهو فعل والفعل لا يكون الا محدثا وانه لو كان قديما لما
صح وجود النسخ فيه لانه اذا كان الجميع حاصلا فيما لم يزل فليس بعضه بان
يكون ناسخا والاخر منسوخا باولى من العكس **قوله** سبحانه الا له الخلق والامر

الظاهر يوجب كون الخلق والامر له ولا يصح كون القديم له لان القديم لا يصح فيه
الملك والخلق غير الامر ولانه يقال خالق لما ليس بفاعل كما قال ولانت تفري
ما خلقت وبعض الخلق يخلق ثم لا يفري فصح ان الامر غير الخلق ويكون ان
مخلوقا والامر لفظه افعل وهذا لا بد من ان يكون حادثا لتقدم بعض الحروف
على بعض وتواتر حدوثها وبمعنى العمل وهذا ايضا حادث واثبات امر
غير معقول محال ولو كان قديما لم يكن الله به آمرا لانه يصير به فاعلا ولو
صار به امرا لجعل جميع المامورين مامورين وان كانوا معدومين وما
قالت المجبرة في هذه الآية انه افرد الامر بالذكر بعد ذكره الخلق دل
على ان الامر ليس بمخلوق باطل لقوله من كان عدوا لله وملائكته و
رسله وجبريل وميكال ولو كان كذلك لوجب الا يكون جبريل وميكال
من الملائكة ونظيره واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح
قوله سبحانه شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن الظاهر انه انزل
الجميع فيه وقد انزله في عدة اوقات فالجواب انه انزله جملة واحدة
الى سما الدنيا في شهر رمضان ثم فرق انزاله بعد ذلك بحسب ما تدعو
الحاجة اليه وقالوا انزل في فرضه وايجاب صومه على الخلق ويكون فيه
معنى في فرضه كقول القائل انزل الله في الزكاة كذا وكذا يريد في فرضها
وانزل الله في الخمر كذا وكذا اي في تحريمها والصحيح ان قوله
في هذا الموضع لا يفيد العموم والاستغراق وانما يفيد الجنس من
غير معنى الاستغراق فكانه تعالى قال شهر رمضان
الذي انزل فيه كلام من هذا الجنس فاي شيء نزل منه في الشهر فقد
طابق الواقع الظاهر **قوله** سبحانه كتابا متشابها مثاني وقوله واتوا به
متشابها مجاز الآية ليس على انه متشابه في لون او طعم بل في الفضل
كما تقول ما ادري ما اختار من هذه الثياب كلها عندي فاصل
فصل قوله سبحانه ومن كفر فان الله غني حميد
والله الغني وانتم الفقراء وربك الغني ذو الرحمة واستغنى الله والله غني حميد

يا ايها الناس انتم الفقرا الى الله والله هو الغني الحميد وقال عبد الملك بن
ابي العوجا للطاقي اتزعم انه غني قال نعم قال ايكون الغني عندك في
المعقول في وقت من الاوقات ليس عنده ذهب ولا فضة قال
ان كان غنيا من قبل ذهبه وفضته وتجارته فهذا كل ما يتعامل
الناس به منه فاي القياس اكثر واولى من ان يقال غني من احدث
الغني فاغنى به الناس قبل ان يكون شي او من افاد مالا في هبة
او تجارة فقال هذا من كلام ابي عبد الله ع **قوله** سبحانه من ذا
الذي يقرض الله قرضا حسنا يكون مجازا في اللغة لان حقيقته
ان يستعمل للحاجة والله تعالى هو الغني ولا يجوز ان يملك الله تعالى
لانه مالك الاشياء من غير تمليك ولان المالك لا يملك ما هو
مالكه فيكون ذكر القرض في صفة الله تعالى تلطفا في الاستدعا
الى الانفاق في سبيل الله وهو كالقرض في مثله مع اضعافه
وقوله يضاعفه لكم اي يضاعف ثوابه لكم بامثاله وقال متكلم ما
سوى الله اما جسم او عرض فالجسم مفتقر الى الكون لا يوجد
الا معه والعرض مفتقر الى الجسم لا يوجد الا فيه فالاشيا كلها
مفتقرة محتاجة والله هو الغني وحده احتاج اثنان الى واحد
ليصير ثلثه وهكذا الثلثه والاربعة وساير الاعداد والواحد لا
يحتاج الى آخر ليصير واحدا فالخلق كلهم محتاجون الى الله وهو
الغني عنهم بعض الصادقين عليهم السلم ومن بالنعم اولا بجوده
وجزا بعدله وثوابا بلطفه • وقد بين الله تعالى انه مريد وكاره في
ايات منها قوله والله يريد ان يتوب عليكم يريد الله ان يخفف
عنكم يريد الله بكم اليسر يريد الله ليبين لكم يريد الله بكم اليسر
ولا يريد بكم العسر انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت
وقال تعالى ولكن كره الله انبعاثهم كل ذلك كان سيئه عند
ربك مكروها ولكن الله حبب اليكم الايمان وكره اليكم الكفر والفسوق

والعصيان فمن المعلوم انه لا يحبب الا ما يحبه ولا يكره الا ما يكرهه وانه اذا
الطف في تحبيب الايمان بالطافه دل على ما نقوله في اللطف **قوله سبحا**
ولو اننا نزلنا اليهم الملئكه وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شي قبلا
ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله يدل على ان ارادة الله محدثه لان
الاستثنا يدل على ذلك لانها لو كانت قديمة لم يجز هذا الاستثنا كما
لا يجوز ان تقول القايل لا يدخل زيد في الدار الا ان يقدر الله او الا
ان يعلم الله لحصول هذه الصفات فيما لم يزل **قوله** سبحانه وهو على
جمعهم اذا يشاء قدير يدل على حدوث المشية لانه لا يجوز اذا قدر
على شي فعله ويجوز اذا يشا ان يفعل فعله **فصل** قوله تعالى
واذا سالك عبادي عني فاني قريب وقوله ونحن اقرب اليه من
حبل الوريد وقوله واسجد واقترب وقوله وهو معكم اينما كنتم المراد
بها الاخبار عن كونه سبحانه عالما ابدا بخفي احوالنا واسرارنا والمعنى
ونحن اقرب اليه مما يدركه من حبل الوريد في القرب اي انا
اعلم به وقيل نحن اقرب اليه من حبل الوريد لو كان مدركا وقيل نحن
املك به من حبل الوريد في الاستيلا عليه وذلك ان حبل الوريد
في حجر غيره والله تعالى مدرك له بنفسه ومالك له بنفسه **قوله**
سبحانه وقربناه نجيا معناه قربناه من الموضع الذي شرفناه وعظمناه
بالحصول فيه ليستمع كلامه تعالى وقال ابن عباس ومجاهد قرب من
اعلى الحجب حتى سمع صرير القلم وقيل معناه ان محله منا محل من قربه
مولاه من مجلس كرامته لان التقرب منا اليه بالطاعات طلب المنزلة
الرفيعة عنده بفعلها لا قرب المسافة كما يقال فلان قريب من الملك
وان كان بينهما بون بعيد ومنه قوله تعالى والملئكة المقربون ويقال
معناه التقرب الى رحمته ومعنى ذلك ان يفعل الطاعة ليكون بفعلها
اقرب الى ان يغفر لنا ويرحمنا **قوله** سبحانه ما يكون من نجوى ثلثة
الا هو رابعهم وقوله وهو معكم اينما كنتم ان الله مع الصابرين يدل على انه

ليس بجسم هل تعلم له سميا اي مثلا ليس كمثله شيء سئل الصادق ع عن الآية
فقال نور لا ظلمة فيه علم لا جهل فيه حياة لا موت فيه وسئل ابو جعفر الثاني ع
يجوز ان يقال لله تعالى انه شيء فقال ع نعم تخرجه عن حد الابطال وحد
التشبيه ابن حماد وقالوا مثلا وصافا فقد صوروه وقد جسموه فما عرفوه
ولا عبدوه ولا وقروه ولا عزروه العوني جل من ليس له شبه عظيم الا
عظمينا فهو شيء ليس كالاشيا فما تزعمونا قوله سبحانه قل اي شيء اكبر
شهادة قل الله في الآية دلالة على من قال لا يوصف تعالى بانه شيء
لانه لو كان كما قال لما كان للآية معنى كما انه لا يجوز ان يقول القائل
اي الناس اصدق فيجاب بجبرئيل لما لم يكن من جملة الناس بل كان
من الملائكة وقال امير المؤمنين ع قوله فعله من غير مباشرة
وتفهيمه من غير ملاقاة وهدايته من غير ايما وكلامه من غير آلة
ونيته من غير اعتقاد وجهه حيث توجهت وقصده حيث يممت
وطريقه حيث استقمت منك يفهمك وعنك يعلمك ارتبط كل شيء
بضده وقطعه بجمع ما تخيل فالتشبيه له مقارن وما توهم فالتنزيه له
مباين وقيل للصادق ع ان هشاما يزعم ان الله جسم لا كالاجسام
فقال قاتله الله اما علم ان الجسم محدود ابرا الى الله من هذا القول
وفي حديث يونس اما علم ان الجسم محدود متناه وان المحدود
المتناهي يحتمل الزيادة والنقصان وما احتمل الزيادة والنقصان كان
مخلوقا وقال محمد بن الفرج الرخجي كتبت الى ابي الحسن ع
اساله عما قال هشام بن الحكم في الجسم وهشام بن سالم
في الصورة فكتب دع عنك حيرة الحيران واستعذ بالله من
الشيطان ليس القول ما قال الهشامان قالوا فرجعا عن مقالهما
الصاحب. قالت فهل هو ذو شبه وذو مثل. فقلت قد جل عن شبه
وعن مثل. قالت فقل لي جسم ذاك ام عرض. فقلت بل خالق الجنسين
فاشغلي. قالت وما ضر لو ثبته جسدا. فقلت لا تجد الاجسام في الازل

وله ايضا. وآخر قال الله جسم مجسم. ولم يدر ان الجسم شيء محدد. وان الذي
قد حد لا ريب محدث. اذا ميز الامر اللبيب المويد. عجبت لذي التشبيه
كابر عقله. ام العقل عنه حين شبه عازب **فصل** قوله تعالى
الرحمن على العرش استوى العرش السرير ولها عرش عظيم واصول البنا فهي
خاوية على عروشها ومايسط بر وجنات معروشات ومنه العرش
والبنا ومما يعرشون والبسط وكان عرشه على الماء وقوام الامر دعائم
عرش خانه الدهر فانعقر. والملك رأوا عرشي تثلم جانباه آخر اذا ما بنو
مروان ثلت عروشها. واودت كما اودت اياد وحمير زهير تدارككما
الاخلاق قد ثل عرشها وذبيان اذ زلت باقدامها النعل فالعرش محدث
وانه كان ولا مكان وكونه في كان بعد ان لم يكن تغير وكل من تغير فليس
بقديم والعرش محدود ومحال ان يكون على المحدود وبما سد ما ليس
بمحدود وذلك منفي عن الله تعالى. ويقتضي كونه جسما اذ ما ليس بجسم
يستحيل منه الكون في المكان وكونه جسما يوجب حدوثه والكون على
السرير بعد ان لم يكون استقلالا وزوالا ويوجب ان يكون محدثا
وينمط ما قبل الآية وما بعدها لا يشاكل تفسيرها على السرير ومتى فسر على
الملك تشاكل قوله سبحانه على العرش استوى وقوله استوى الى السماء
الاستوا على اقسام استوا في المقدار واستوا في المكان واستوا في الذهاب
واستوا في الانفاق واستوا بمعنى الاستيلاء وهو راجع الى الاستوا
في المكان ويلحق بذلك الاستوا بمعنى الانتصاب تقول استوى فلان
جالسا واستوى قائما وبمعنى الركوب قوله فاذا استويت انت ومن معك
على الفلك وبمعنى التساوي الاجزاء المؤلفة تقول استوى الحائط و
بمعنى التساوي في الامر قوله فلما بلغ اشده واستوى قال الشاعر
قد استوى طالع العشيرة. وهذه كلها من صفات الاجسام لا يجوز على
الباري تعالى والذي يحقق في تاويله ما قال ابن عباس والحسن استوى
امره ولطفه وصعد الى السماء لان اوامره وقضاياه تنزل منها الى الارض

الجبائي اي استولى عليه بان دفعه القرا والقاضي عبد الجبار اي قصد اليها
فخلقها كما يقال كان فلان مقبلا على فلان ثم استوى الي وعلى يكلمني ومر فلان
مستويا الى موضع كذى ولم يعدل قوله ثم استوى الى السما وهي دخان
وقيل استوى تدبيره بتقدم القادر عليه وقيل استوى بمعنى احتوى عليه
يقال استوى فلان على مال فلان وعلى جميع ملكه وقال الصادق
استوى من كل شيء فليس شيء اقرب اليه من شيء وقيل اي لفظه
الرحمن مكتوب على العرش وقيل استولى عليها بالقهر وخلقهن سبع
سموات وكان علوه عليها علو ملك وسلطان لا علو استقال وزوال كقوله
ولما بلغ اشده واستوى الي تمكن من امره وقهر هواه بعقله ثم استوى
الى السماء في نفوذه وتملكه لها ولم يجعلها الله ملكا لخلقه قال البعيث
ثم استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق وقوله الى السماء
ولاسيما هناك لان خلق العرش كان بعد خلق السما كما يقول القائل اعمل
هذا الثوب وانما عزله وقال قوم انما سويهن سبع سموات
بعد ان كانت دخانا وقال آخرون استوى بمعنى استوت السماء كما
قال الشاعر اقول لما استوى في ترابه على اي دين بقتل الناس مصعب
وفائدة التخصيص للعرش انه من اعظم المخلوقات فاذا كان مستوليا
عليه كان بالاستيلاء على غيره اولى قوله سبحانه ثم استوى الى السماء
الاستوى اذا كان بعد الجلوس او الركوب لا يعدى بالى وانما هم
يزعمون انه على العرش ويحتمل ان يكون معناه من يدبر السما ويفعل
عجايبها ولهذا لا يطلق على الباري تعالى انه في مكان قوله سبحانه ءامنتم
من في السماء معناه من في السماء عذابه وملائكته الذين بهم انتقامه
لان عادته ان ينزلها من هناك ولهذا قال ان يخسف بكم الارض
فنبه على ذلك قوله سبحانه اليه يصعد الكلم الطيب صعود الملائكة
اليه غير معقول فمعناه اجازي واقبله والعمل الصالح يرفعه مثل قولهم
رجع الى كلامك واتاني كتابك قوله سبحانه يعرج الملائكة والروح اليه

وقوله يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه يعني الملك يصعد الى
المكان الذي امره الله تعالى ان يعرج اليه يقال فلان يدبر الامر من
الشام الى خراسان اي ما بينهما ثم يعرج اليه اي عاقبة ذلك الامر اليه
ورجع امرنا الى القاضي وعروج الامر ونزوله لا يصح في الحقيقة وانما
جاز هذا القول لانه تعالى جعل ديوان اعمال العباد في السماء والحفظة من
الملائكة فيها فيكون ما دفع هناك قد دفع اليه لانه امر بذلك كما قال ابرهيم
اني ذاهب الى ربي اي الى الموضع الذي امرني ان اذهب اليه قوله
سبحانه رفيع الدرجات ذو العرش الرفعة للدرجات وتجرت صفة
الله تعالى لان القديم تعالى لا يوصف بانه رفيع او شريف لان حقيقتهما
في ارتفاع المكان واشرافه امير المؤمنين قربه قدره وبعد عظمته
ونزوله الى الشيء اقباله عليه واتيانه اياه ايضا له لما يريد اليه يحلو ولا
يحلي ويتداني ولا يتدانى علوه من غير توقل ومجيئه من غير تنقل
قوله سبحانه وسع كرسيه السموات والارض انما اخبر عن صفة
الكرسي فقط ولم يوجب اضافته اليه كونه عليه كما لا يوجب اضافة
الكعبة اليه كونه فيها على انهم يزعمون انه على العرش والكرسي سواه
والوجه في خلق الكرسي اذا قلنا انه جسم هو ان الله تعالى تعبد
حمله الملائكة كما تعبد البشر بزيارة البيت الصاحب انزه رب الخلق
عن حد خلقه وقد زاغ داود في الصفات ومسند فهذا يقول الله
يهوي ويصعد وهذا لديه الله مذ كان امرد تبارك رب الرد والشيب
انهم لاكفر من فرعون فيه واعند فصل قوله تعالى ولمن خاف
مقام ربه جنتان وقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا والمقام
انما هو مصدر ولو كان موضعا لما خوف بمقامه لان الخوف لا يتعلق
المكان حتى يكون ذلك مرغبا في الطاعة صائنا عن المعصية فاذا الابد
فيه من حذف فمعناه ان من خاف مقامه لدي ففعل الطاعة فله الثوا
ولفظة من تقع على الواحد والجمع وجاء في آية واحدة ومن يعص الله ورسوله

قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما والمقام متردد بين المصدر والموضع فهو كلام
مجمل مفتقر الى البيان وقد روى المفسرون عن النبي انه الشفاعة وقيل
للصادق ع ان فلانا يقول بالتشبيه فقال ع ابرا الى الله منه وقال الرضا
من شبه الله بخلقه فهو مشرك ومن وصفه بالمكان فهو كافر ومن نسب
اليه ما نهى عنه فهو كاذب ثم تلا انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون
الصادق ع من زعم ان الله من شئ او في شئ او على شئ فقد اشرك
ثم قال من زعم ان الله من شئ فقد جعله محدثا ومن زعم انه
في شئ فقد زعم انه محصورا ومن زعم انه على شئ فقد جعله محمولا
مضودا لاني منزه عن شبه المشبه مشركم لكنها تموه **فصل**
قوله تعالى عند مليك مقتدر وعند ربكم وما عند الله باق عند على
وجوه فاذا لا يستعمل الا بدليل اما قوله وعنده علم الساعة اي عالم بها
وقوله وعند الله ثواب الدنيا اي المالك له وقوله ان الذين عند
ربك اي في المنزلة الرفيعة كما يقال فلان عندي بمنزلة وان كان
بينهما بعد المشرقين وقوله عند مليك مقتدر اي بحيث لا يملك
الحكم فيه سواه يعني السماء كما يقال عند الملك خصب وامن اي في
المواضع التي لا يملكها سواه وقولهم عند ابي حنيفة كذى وعند الشافعي
كذا اي في مذهبهما قال نحن بما عند ربنا وانت بما عندك راض والرأي
اي مختلف وقوله وكل شئ عنده بمقدار لو حمل على المكان لوجب ان
يريد ان جميع الاشيا في ذلك المكان حاصل بمقدار معلوم او يريد
ان جميع ما عنده في ذلك المكان بمقدار قضاه اي حكمه وعلمه يدل
عليه ما قبله وما تحمل من انثى وذلك الاولى لانه اعم يتناول المعدوم
والموجود دون الماضي والغابر وسال خبرا بابكر عن الله تعالى فقال
اين هو في السما ام في الارض فقال في السما على العرش قال فاري
الارض خالية منه واراه على هذا القول في مكان دون مكان فقال
ابو بكر هذا كلام الزنادقة اعزب عني والا قتلتك فولى الحبر مستهزئا بالاسلام

فاستقبله علي ع فقال قد عرفت ما سالت عنه وما اجبت فانا نقول ان
الله اين الاين فلا اين له وجل ان يحويه وهو في كل مكان بغير
مماسة ولا مجاورة يحيط علما بما فيها ولا يخلو شئ من تدبيره تعالى
ثم قال ان موسى كان يوما جالسا اذ جاءه ملك من المشرق
من عند الله وجاء ملك من السماء السابعة من عند الله وجاء ملك
من الارض السفلى من عند الله فقال موسى سبحان من لا يخلو منه
مكان ولا يكون الى مكان اقرب من مكان فاسلم الحبر **قوله سبحانه**
وهو القاهر فوق عباده وقوله يد الله فوق ايديهم يستعمل الفوق
على سبيل القهر والسلطان يقال يد زيد فوق عمرو ويد الامير فوق
ايدينا وكل شئ قهر فهو مستعمل عليه ولما كان العباد تحت تسخيره و
تذليله وامره ونهيه وصف بانه فوقهم وقد نبهنا الله على ما اراد بقوله
وهو القاهر فوق عباده **قوله** سبحانه يخافون ربهم من فوقهم اي
يخافون عقاب ربهم من فوقهم لانه ياتي من فوق وقيل انه لما
وصف بانه متعال بمعنى قادر لا قادر اقدر منه قيل صفته في
اعلى مراتب صفات القادرين حسن ان يقال من فوقه ليدل
على هذا المعنى من الاقتدار الذي لا يساويه قادر ولو كان صفة
الله تعالى لم يحصل به التخويف **قوله** سبحانه ولو ترى اذ وقفوا على
ربهم المراد بذلك وقوفهم على عذاب ربهم وثوابه وعلمهم بصدق
ما اخبرهم به في دار التكليف والوقوف عليه يسمى علما يقال وقفت
على معنى كلامك واذا كان الكفار لا يعرفون في الدنيا استدلالا
عرفهم الله في الآخرة ضرورة فذلك يكون وقوفهم عليه وقال لهم
ربهم اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا مقرين بذلك مذعنين له قال
لهم حينئذ فذوقوا ما كنتم تكفرون بذلك في الدنيا وقيل اذ وقفوا
على ربهم حبسوا ينتظرهم ما يامر به كقول القائل احبسه علي ولا يجوز
ان يكون المراد به الرؤية لان الآية مختصة بالكفار ولا خلاف في ان

الكفار لايرونه **قوله** سبحانه اولئك يعرضون على ربهم حقيقة
العرض لايجوز على الله تعالى لان العرض في الشاهد انما يصح على من لم
يكن شاهدًا للشئ عالمًا به ولا يخفى على الله خافيه والمراد بذلك انهم
يعرضون للمحاسبة بحيث اعد ذلك العرض في ذلك الموضع عرضًا
عليه كقوله اني ذاهب الى ربي اي حيث امرني ربي **قوله سبحانه**
فما اغنت عنهم الهتهم التي تدعون من دون الله معنى من دون الله
من منزلة ادنى من منزلة عباد الله لانه من الادون وهو الاقرب
الى الجهة **قوله** سبحانه قل اتحاجوننا في الله اي في دينه لانهم
قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان
هودًا او نصارى وقالوا كونوا هودًا او نصارى تهتدوا
قوله سبحانه فان الله مع الصابرين وهو معكم اينما كنتم اي معهم
بالمعونة والنصرة كما تقول اذا كان السلطان معك فلا تبال من
لقيت وحقيقه مع ان يكون للمصاحبة في الجهة وذلك لا يجوز
على الله تعالى **قوله** سبحانه ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين
ذلك اي قبل ان يخلقنا وما خلفنا اي بعد ان نفنينا وما بين
ذلك ما نحن فيه من الحياة وقال ابن عباس والربيع و
قتاده والضحاك وابو العاليه ما بين ايدينا الدنيا وما خلفنا الاخرة
وما بين ذلك بين النفختين **قوله** سبحانه وانا اليه راجعون
قوله واليه يرجع الامر ظاهر الرجوع يوجب الاخبار عن العود الى
حيث خرج منه ولا خلاف انهم لم يكونوا عنده والاية تقتضي
رجوع الجميع اليه وقوله وكنتم امواتًا فاحياكم والكل داخل في
هذا الحكم ولا تقول الخصم به وقال تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرًا
الى الله ورسوله يعني المدينة وقال ابرهيم اني ذاهب الى ربي
اي ارض الشام وقال اليه يصعد الكلم الطيب يعني السموات عند
عند الحفظه وبعد فانه تهديد في ساير الواردة في الباب ثم تردون

الى عالم الغيب او فوات المصيبة نحو وانا اليه راجعون ولو كان به المكان لم يكن
ذلك تسليا لمن نزلت به المصيبة وقال ابو العاليه راجعون
بالاعادة في الاخرة وقيل راجعون الى ان لا يملك لهم ضرًا ولا نفعًا
غيره تعالى كما كانوا في بدى الخلق لانهم في ايام حياتهم قد ملك غيرهم
الحكم عليهم قوله مالك يوم الدين **قوله** سبحانه الى الله مرجعكم جميعًا
وقوله فسيحشرهم اليه جميعًا اي انكم ترجعون اليه احياء بعد الموت اي
الى موضع جزاء جميعًا وقيل معناه ان يعود الامر الى ان لا يملك احد
التصرف في ذلك الوقت غيره تعالى بخلاف الدنيا ولفظ المرجع يكون بمعنى
الرجوع فيكون مصدرًا وبمعنى موضع الرجوع كانه قال اليه موضع
رجوعكم **قوله** سبحانه ولله ملك السموات والارض وما بينهما
واليه المصير معناه انه يؤل اليه امر العباد في انه لا يملك ضرهم ولا
نفعهم غيره عز وجل لانه تبطل مملكة غيره في ذلك اليوم والامر لنا
دون غيرنا كما يقال صار امرنا الى القاضي على معنى قرب المكان وانما
يراد بذلك انه المتصرف فينا **قوله** سبحانه والى الله ترجع الامور
الناس في دار التكليف قد يغير بعضهم ببعض فيعتقدون فيهم
انهم يملكون جر المنافع اليهم وصرف المضار عنهم وقد تدخل عليهم
الشبه لقصرهم في النظر في وجهه فيعبدون الجامدة والهامدة و
يضيف كل هاولا وافعال الله عز وجل فيهم الى غيره فاذا جاءت
الاخرة واضطروا الى المعارف عرفوا انه لا معبود سوى الله فردوا
اليه امورهم وانقطعت امالهم من غيره والى الله ترجع الامور والامور
كلها لله وفي بعض من غير خروج ورجوع حقيقي وقد تقول العرب قد
رجع على من فلان مكروه بمعنى صار منه ولم يكن سبق الى قبل هذا
الوقت وقد عاد الي من زيد كذا وكذا وان وقع منه ابتداء شاعر
فان تكن الايام احسن مرة الي فقد عادت لهن ذنوب اي صار
لها ذنوب لم تكن من قبل بل كان قبلها احسان وقد ملك الله العباد

في دار التكليف اثرًا سقط بانقطاع التكليف فانتهاء الامر الى دار الآخرة
مثل ما ملكه الموالي من العبيد وما ملكه الحكام من الحكم فيجوز ان يريد
الله برجوع الامر اليه انتهاء ما ذكرناه من الامور التي يملكها غيره بتمليكه
الى ان يكون وحده مالكها وقال المرتضى الامر ينتهي الى
ان لا يكون موجودًا قادرًا غيره وتقضي الامور في الانتهاء الى ما كانت
عليه في الابتداء لان قبل انشاء الخلق هكذا كانت الصورة وبعد
افنائهم هكذا تصير وهو رجوع حقيقي لانه عاد الى ما كان عليه متقدمًا
وقال الطوسي يرجع الامر كله اي يذهب الى حيث ابتدأ منه
فرجوع الامر الى الله بالاعادة بعد النشأة الاولى وقال الجبائي ترجع
الامور الى من لا يملكها سواه ويحتمل ايضا ان يكون المراد بذلك ان
تعود المقدورات الباقية الى ما افناه من مقدوراته كالجواهر و
الاعراض ترجع في مقدورات البشر وان كانت باقية لما دل عليه
الدليل من اختصاص مقدورات القدر باستحالة العود اليها من
حيث لم يجز له فيها التقديم والتأخير وهو حكم هو تعالى المتفرد به فصل
قوله تعالى من انصاري الى الله قال السدي وابن جريج اي من
اعواني على هؤلاء الكفار الى معونة الله وذلك مثل قولهم الذود الى
الذود ابل وقوله ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم وقال الحسن من انصاري
في السبيل الى الله لانه دعاهم الى سبيل الله وقال الجبائي
من انصاري لله كما قال قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق
ووجه ذلك ان الغرض يصلح فيه اللام على طريق العلة والى على
طريق النهاية قوله سبحانه بل رفعه الله اليه معناه انه رفعه الى
الموضع الذي يختص الله تعالى بالملك ولم يملك فيه احد منه شيئا وهو
السماء لانه لا يجوز ان يكون المراد به انه رفعه الى مكان هو تعالى فيه
لان ذلك من صفات الاجسام قوله سبحانه كلا انهم عن ربهم
يومئذ لمحجوبون الحجب هو المنع والحاجب المانع ولا يصح القول انهم محجوبون

عن ذات الله تعالى واذا كان الممنوع منه محذوفًا فليست الرؤية باولى من
الرحمة وهذا كما يقول عند سؤال الغير غضب عليه السلطان وبعده
من غيره وليس يأذن له بالدخول عليه كقوله فعليهم غضب من ربهم
غير المغضوب عليهم قل هل انبئكم بشر من ذلك من لعنه الله وغضب
عليه ولا يكلمهم يوم القيمة فمعنى قوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون
عن ربهم بسوء حالهم يبعدون عن رحمته قوله سبحانه وما كان
لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب ليس في الآية اكثر من ذكر
الحجاب وليس فيها انه حجاب له تعالى او انه محل كلامه او كلمه او لم يكلمه
واذا لم يكن في الظاهر شيء من ذلك صرف الى غيره عز وجل ويجوز ان
يفعل كلامًا في جسم محتجب عن المكلم غير معلوم له على سبيل التفصيل
فيسمع المخاطب الكلام ولا يعرف محله على سبيل التفصيل فيقال على هذا
هو مكلم من وراء حجاب وقال الجبائي وما كان لبشر ان
يكلمه الله الا وحيا مثل ما كلم به عباده من الامر بطاعته والنهي لهم عن
معاصيه وتنبيهه اياهم على ذلك من جهة الخاطر والمنام وما اشبههما
وعني بقوله او من وراء حجاب ان يحجب ذلك الكلام عن جميع خلقه
الا من يريد ان يكلمه به نحو كلامه تعالى لموسى لانه حجب ذلك عن
جميع الخلق اولا واما كلامه في المرة الثانية فانه انما اسمع ذلك
موسى والسبعين الذين كانوا معه وحجب عن سواهم وقال المرتضى
المراد بالحجاب البعد والخفاء يقال بيني وبينك حجاب اي استبعد
فهمك ويقال بيني وبين هذا الامر حجب وموانع وسواتر اي طريق
مستبعد فيكون معنى الآية انه لا يكلم البشر الا وحيا بان يخطر في
قلوبهم او بان ينصب لهم ادلة تدلهم على ما يريده او يكرهه منهم
فيكون بذلك مخاطبًا وجعل هذا الخطاب من وراء حجاب حيث لم
يكن مسموعًا كما يسمع الخاطر وقول الرسول فصار الحجاب ههنا كناية عن
الخفاء وعبارة عما تدل عليه الدلالة وقال مجاهد وما كان لبشر ان

يكلمه الله الا وحيا هو داود اوحي في صدره فزبر الزبور او من وراء حجاب وهو
موسى او يرسل رسولا وهو جبرئيل ارسله الى محمد صلعم وقال امير المومنين ع
احتجب عن العقول كما احتجب عن الابصار وعمن في السماء احتجابه كما
عمن في الارض غيا به وزعم الشعبي انه سمع امير المومنين ع رجلا يقول
والذي احتجب بسبع طباقا فعلاه بالدرة ثم قال له ويلك ان الله
اجل ان يحتجب عنه شيء سبحان من لا يحويه مكان ولا يخفى عليه
شيء في الارض ولا في السماء فقال الرجل افاكفر عن يميني قال لا لم
تحلف بالله فيلزمك كفارة وانما حلفت بغيره **فصل** قوله تعالى
ويحذركم الله نفسه النفس الدم ومنه نفست المراة فهي نفساء وكل ما
ليس له نفس سائلة والروح اخرجوا انفسكم والانفة يقال لفلان
نفس والارادة نفسه في كذا قال **ش** المزق فبات له
نفسان شتى همومها فنفس يغريها ونفس يلومها. والعين الذي
يصيب الانسان يقال اصابت فلانا نفس ومقدار الدبغ يقال
اعطني نفسا او نفسين من الدباغ وقالت فيه الحياة كل نفس ذايقة
الموت قال الخليل في كتابه نفس كل شيء عينه وذاته والغيب
اي لا اعلم نفس فلان والعقوبة احذرك نفسي اي عقوبتي الفرا وما
يخدعون الا انفسهم فاقتلوا انفسكم ولكن ظلموا انفسهم انما هو ذكر عايد
اليهم وارادوا ان الاخبار عن الفاعل والمفعول به شيء واحد وهذا
معترض ومعنى الآية لا تخلوا اما ان يكون كما فسره المفسرون او يكون
جسدا ثم الجسد اما ان يكون معلوما او غيره معلوم فغير المعلوم يودي
الى الجهالات والمعلوم تشبيه ولزمهم ان يقولوا بانه ذو اوصال و
اعضاء ولادى الى حدوثه او قدم الاجسام وان يكون ذا اجزاء كثيرة
من تركيب صورة وهيئة متناهيا مماسا لغيره ولا جسم الا وله شبيه
محسوس او موهوم ثم ان التحذير بالجسد لا يصح وانما يقع بفعل بفعله به
كقوله فاتقوا الله واتقوا يوما واذا بطل ان يكون المراد به فلا خلاف في غيره

لانه لا يليق بالا فلم يبق الا اقوال المفسرين قال ابن عباس ويحذركم الله نفسه
عقوبته وقال **ش** قطرب اي ويحذركم الله اياه كقولك في نفس
الجبل ونفس البصرة قال الرضا علي بن موسى رضي الله عنه **قوله** سبحانه تعلم ما
في نفسي ولا اعلم ما في نفسك لو اراد الجسد لوجب ان لا يعلم عيسى ما
في جسد الله جل وعلا من الآلات والضماير وغير ذلك قال الحسن
تعلم ما في نفسي اي في غيبي ولا اعلم ما في غيبك وقال ابن عباس تعلم
سري ولا اعلم سرك فقال اخفاه في نفسه وهو يضمر في نفسه شيئا
قوله سبحانه كتب ربكم على نفسه الرحمة لا يخلو من ان يكون الكاتب
هو المكتوب عليه او يكون الكاتب هو الرب والمكتوب عليه للرحمة غيره
فيكونان اثنين **قوله** سبحانه واصطنعتك لنفسي فذكرهم عايد الى الرب
من الاخبار والفاعل والمفعول فيه واحد **فصل** قوله تعالى
ولتصنع على عيني الظاهر يقتضي ان يكون صنع المخاطب هو موسى ع عينه و
قوله فانك باعيننا يوجب ان يكون النبي صلعم باعينه مكانا له وكذلك قوله
واصنع الفلك باعيننا ويقتضي ان يكون له اكثر من عينين والجمع لا نهاية
له ويجب ان يكون ذا جارحتين وذلك يودي الى تناقض القران و
الخروج عن الاجماع والعين لفظ مشترك بين الباصرة والدينار والجاسوس
والرئيس والنقد ومهب الجنوب ومطر لا يقلع وما يصيب الى الفساد
وعين الشمس والماء والميزان والركبة وغير ذلك ومعنى العناية الشيء
قال **ش** ابن جلد وبعينك اوقدت هند النار عشاء تلوي
بها العليا ويوضع في مكان الذات فيكون تاكيدا وتخصيصا فمعنى قوله
ولتصنع على عيني اي بحفظي ومراعاتي لك يقال سر في عين الله وعين الله
عليك ومنه قوله فانك باعيننا وكذلك واصنع الفلك باعيننا اي
بامرك به وحفظنا لذلك لقوله ووحينا اي على ما اوحينا اليك ويقال
اوحينا اليك ان اصنعها. ويحتمل بما تجري ونحن عالمون بها لان السفينة
لا يمكن ان تتعلق جريها الا بالعين التي هي الباصرة وقال الجبائي معناه باعين

اوليائنا من الملئكة والمؤمنين الذين يعلمونك كيفيه عملها وقيل معناه بعلمنا
وقيل بحيث يراها الراي والله تعالى يراه وقال الاصمعي قال عمر بن الخطاب
ان عليا من عيون الله في الارض وما سوى ذلك لا يجوز لانه لا يفيد
فصل قوله تعالى وان تاذن ربك اي قال قوله
يسمع بالاذن ولا يريد بذلك انه اصغى بالاذن الى قول كما
قول الشاعر بسماع ياذن الشيخ له، وحديث مثل ماذي مشار
قوله سبحانه ويبقى وجه ربك حمل الوجه على الجارحة يقتضي ان
يهلك سايره ويبقى وجهه وقوله لوجه الله وقوله يريدون وجهه
توجب ان يكون وجهه مقصد القوم في طاعته الى وجهه ليقبل
وقوله فثم وجه الله يحتمل ان يكون وجهه حيث يتوجه الانسان
اليه وان يكون وجهه جميع النواحي في الحالة الواحدة لتوجه الناس
الى كل وجه وقوله نطعمكم لوجه الله وقوله الا ابتغاء وجهه وقوله يريدون
وجه الله اي القربة اليه والزلفة عنده كما يقال اكرمته لوجهك اي
لتعظيمك وقوله فثم وجه الله اي فثم الله على معنى التدبير والعلم لا على
معنى الحلول ويحتمل ايات الله ودلايله كما يقال وجه القول في هذه
المسئلة كذى ويحتمل رضا الله وثوابه ويحتمل الجهة ويكون الاضافة
بمعنى الملك والخلق والانشا اي الجهات كلها لله الرضاء فثم وجه الله
قال علي و يستعمل الوجه في الحيا وسمي بذلك لانه اول ما
يظهر و يرى واول الشي آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار
والقصد ومن يسلم وجهه لله وقوله فاقم وجهك للدين القيم وما الوجه
فيه والمذهب والجهة والناحية الشاعر اي الوجوه انجعت قلت لها اي
وجه الا الى الحكم والقدرة والمنزلة لفلان وجه عريض وهو اوجه من
فلان واوجهه السلطان اذا جعل له جاها قال امرؤ القيس ونادمت
قيصر في ملكه فاوجهني وركبت البريدا والرييس هذا وجه القوم وهو
وجه عشيرته وذات الشي انما افعل ذلك لوجهك ومنه وجوه يومئذ

ناضرة ووجوه يومئذ باسرة ووجوه يومئذ ناعمة فجميع ما اضيف الى الوجوه
في ظاهر الاي من النضرة والنظر والرضى لا تصح اضافته اليها وانما اضاف
الى الجملة المفسرون كل شي هالك الا وجهه اي الا هو يدل عليه قوله لو
لم يرد نفسه لم يقل ذو الجلال والاكرام فصل قوله تعالى يد الله
فوق ايديهم اي نعمه فيما امتن به عليهم من الاسلام فوق نعمتهم الانقياد
له والايمان به لانه عقيب قوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد
الله فوق ايديهم اي عقد الله في هذه البيعة فوق عقدهم لانهم بايعوا الله
ببيعة نبيه وقيل قوة الله في نصرة نبيه فوق نصرهم وقيل يد الله ثابته
في هدايتهم فوق ايديهم بالطاعة ولو كان له يد فوق ايديهم من جهة
المكان لم تكن له في ذلك تشريف وتخصيص ابن عباس قال يهودي
ان الله تعالى كان يوسع علينا ويعطينا فقد امسك يده عنا يعني المطر
فاجابهم الله بقوله غلت ايديهم اي منعوا من الانفاق وضربوا بالبخل و
لعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان وقيل انهم قالوا على سبيل الاستهزا
ان اله محمد ارسل يديه الى عنقه اذ لم يوسع عليه وعلى اصحابه فرد
الله عليهم بقوله بل يداه مبسوطتان اي نعمه ويحتمل انهم وصفوا لله بما
يقتضي تناهي مقدوره فجرى ذلك مجرى قولهم يد فلان منقبضة ويده
لا تنبسط وتشهد بذلك وقوله لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير
ونحن اغنياء قال تكذيبا لهم بل يداه مبسوطتان اي انه
ممن لا يعجزه شي ومعنى اليد القدرة ايضا يقال مالي بهذا الامر يد ولا
يدان اي لا اقدر عليه ولا يراد اثبات قدره على الحقيقه بل يراد اثبات
كون القادر قادرا وقوله والذي بيده عقدة النكاح معناه من يملك ذلك
وقوله بما كسبت ايديكم اراد الجملة دون التبعيض قوله سبحانه لما خلقت
بيدي يجري مجرى قوله لما خلقت انا وانما قال بيدي على وجه تخصيص
الاضافة لخلقه الى تعالى والتثنيه اشد مبالغة يقال هذا ما كسبت يداه
وهذا فعله بيديه كما يقال فعله بنفسه ومنه قولهم يداك اوكتا وان كان في

ذنوبهم ماهو من افعال القلوب وكيف خلق آدم بجارحتين وانه محتاج
اليهما وانه يفعل بالالات وانه يتجزى لان اليدين اثنان ليس بواحد
ومعنى قوله بل يداه اي نعمتاه دينا ودنيا وقيل نعم الدنيا ونعيم الآخرة
لان اولها يوجب ذلك وقد فسره الله تعالى في قوله ولا تجعل يدك مغلولة
الى عنقك **بيت** بسط اليدين بما في رحل صاحبه • جعد اليدين بما في
رحله قطط • وعلى زعمهم يوجب ان تكونا مبسوطتين لا مقبضتان
للتخصيص بذلك ويوجب كونهما مركبة ذات اصابع ليتضح معنى البسط
وقد تمدح بذلك والخلق مثله فلا فايدة فيه **قوله** سبحانه اولم يروا انا
خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما اى عملناه من غير ان نكله الى غيرنا
بمنزلة ما يعمله العباد بايديهم في انهم تولوا فعله ولم يكلوه الى غيرهم كما
قال تعالى انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وقال ابن
عباس ومجاهد وقتاده في قوله والسماء بنيناها بايد اي بقوة وقوله اولى
الايدي والابصار معناه القوى فيكون لفظ الايدي تاكيدا لتخصيص
الاضافة **قوله** سبحانه والسموات مطويات بيمينه تستعمل اليمين في
اشياء اما قوله فاما من اوتي كتابه بيمينه اليد اليمنى ولا تجعلوا الله عرضة
لايمانكم القسم قال امرؤ القيس فقال يمين الله مالك حيلة والصرامة
قال الشماخ تلقاها عرابة باليمين والمنزلة الحسنة يقال فلان عندي
باليمين قال ذو الرمة امني افي يمنى يديك جعلتني لك الخيرام
صيرتني في شمالك وعبارة عن الملك هذا ملك يدي قوله مما ملكت
ايمانكم وهذا يرجع الى ان اليمين اراد به الجملة جل ذاته كانه قال مما
ملكتم فيكون مجراه الذات فلو حملناه على الجارحة اقضى التشبيه
المودي الى مناقضة الاصول وان يكون السماء مطويه بيمينه ويودي
الى مناقضة القرآن من حيث اخبر عن حال السماء في ذلك اليوم فقال
يوم تكون السماء كالمهل واذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان
وانشقت السماء فهي يومئذ واهيه اذا السماء انشقت اذا السماء انفطرت

واذا السماء كشطت فكيف يكون السماء مع هذه الاحوال من انشقاق وانفطار
وكونها مهلا ووردة مطوية وانهم رووا ان كلتا يديه يمينا وان الحجر
الاسود يمين الله فباي يمينه تكون مطوية وهو لم يبينه واليد انما فرق
باليمين وباليسار للتمييز فاما اذا كانت كلتا يديه يمينا فلا معنى للقول بانه
فعل كذا بيمينه معنا به الجارحة اذ ليس يقع به التمييز ولعل السموات تكون
مطوية بالحجر الاسود ولا يجوز بمعنى الحسنة لانه لا معنى له في الاية ولا بمعنى
الملك لانه لا يقال كان ذلك بملك يميني ولا بمعنى الحد والصرامة لان ذلك
لا يفيد وانما استعمل في ذلك بالالف فلم يبق الا بالقدرة وبالقسم ودلت
اقوال المفسرين **فصل** قوله تعالى والارض جميعا قبضته يوم
القيمة القبضة لو قرئت على الظاهر لا وجب ان الارض قبضته اي جارحته
ويقتضي انه ليست له قبضة سوى الارض والارض ليست بجارحة له
ولا تخلوا قوله والارض جميعا قبضته من ثلثه اوجه اما ان يكون اخبارا
ان الثاني هو الاول كما يقال زيد اخوك فيقتضي ذلك ان الارض
كفه المجتمع او ان يقال ذلك على سبيل التشبيه للاول بالثاني تفضيلا
كما يقال فلان عيني وهو فوادي وكما يقال فلان اسد وبحر تشبيها له بهما
في الجود والشجاعة ولا يجوز ذلك واما ان يراد انه ملكه او فعله كقولهم
هذه داره وعبده وهذا كسبه وفعله وعلى هذا الوجه فسر ابن عباس و
مجاهد اي ملكه ومنه يقال هذا في قبضتي وقبضت الدار والارض
هذه قبضة اي مجتمعة ومنه قبضة اليد والقوس ومقبض السيف والقبض
ما قبض من الغنائم والفيء والقبض التبخ والعبوس فقبضت قبضه فعلة
منه **قوله** سبحانه الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا
ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا انما هي حيث
تشرق عليه الشمس فيتقلص لانه ما رايت يدا ممتدة تقبض الظل **قوله**
سبحانه اولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن الا
الرحمن ما رايت يدا تمسك شيئا وانما معنى ذلك القدرة على امساكها

سبحانه والله يقبض ويبسط اى يمنع ويعطى **قوله** سبحانه وما من دابة
الا هو آخذ بناصيتها وقوله ان بطش ربك لشديد لا يوصف جل ثناؤه
بالقبض على الشئ فالمعنى في ذلك انها في ملكه **فصل** قوله تعالى
ما فرطت فى جنب الله الجنب العضو المعروف والناحية قال مهلهل كانا
غدوة وبنى ابينا بجنب عنيزة رحيا مدير ولصيق الشئ ومنه الصاحب
بالجنب والسبب ويقام مقام اجل يقال فعلته في جنبه وفى سببه ومن
اجله الا حسم خليلى كفا واذكرا الله فى جنبه وقد لمتما فى غير اثم ولا ذنب
اي فى امرى فالجنب الذي هو الجارحة ولصيق الشئ غير معقول ومعنى
السبب واجل كلام غير مفهوم فمعناه ما فى فرطت فى جنب الله اى فى امره
قاله مجاهد وهو الصحيح لان الجنب يعبر به عن الذات يقال فى جنب
فلان حق وقال ابن عباس فى ذات الله وروى عن
النبي والوصى والسجاد والباقر والصادق والرضا وزيد بن على ع
جنب الله على **قوله** سبحانه يوم يكشف عن ساق ويدعون الى
السجود الآية الساق ذات القدم وكشفت عن ساقيها وساق
الشجرة التي يرتفع عليها ويقال ساق على ساق اى قمر به على شجرة
والشدة يقال قامت الحرب على ساق **فصل** سعيد بن مالك كشفت لهم
عن ساقها وبدا من الشر الصراح فالجارحة لا تجوز لانه لم يقل عن
ساقه ولم يقل من يكشف ونكر الساق ولم يعرفه فلا دلالة على شئ
مما قالوه وما رووه فباطل لا اصل له وليس من الصحاح عند القوم
وذلك كفر شنيع وما فى كشف ساقه مما يوجب معرفتهم بانه ربهم
ويلزمهم التشبيه وابطال ادلة العقول ورفع الاجماع وتناقض
القرآن ولا يجوز بمعنى الشجرة او القمرى لانه غير مفيد فيهما فلم
يبق الا الشدة وهو حال الكفار لقوله فى آخرها وقد كانوا يدعون
الى السجود وروى عن ابن عباس وابن جبير وابن المسيب وقتادة
انه شدة **فصل** قوله تعالى وجاء ربك معناه وجاء امر ربك حذف

المضاف واقام المضاف اليه مقامه والحذف فى امثاله جايز اذا كان هناك
مانع عن الجرى عن الظاهر نحو اسئل القرية وقال الحسن
اي جاء وعد ربك يعنى الاحكام بالثواب والعقاب وقال الضحاك اذا نزل
اهل السموات يوم القيمة كانوا تسعة صفوف محيطين بالارض ومن عليها
قوله سبحانه هل ينظرون الا ان يأتيهم الله فى ظلل من الغمام
والملئكة اشطار الكفار انهم يأتيهم فى الظلل يوجب كونه جسما و
جوهرا يزول ويغيب ويجى ويذهب ويبعد ويقرب ويظهر و
يخفى قال ابن عباس اياته اليهم بوعده ووعيده
وان الله تعالى يكشف عنهم ما كان مستورا عنهم والله معهم فى كل
حال فهم يرون اهوال الغمام وغيره من الملئكة **قوله** سبحانه فاتى الله
بنيانهم اي اتى امره فى خرابه يدل على ذلك قوله فى آخرها فخر عليهم
السقف من فوقهم واتيهم العذاب **قوله** سبحانه نسارع لهم في
الخيرات اي نقدم لهم ثواب اعمالهم لرضانا عنهم ومحبتنا اياهم
كلا ليس الامر كذلك بل نفعله ابتداء فى التعبد لهم **قوله سبحانه**
ان ربك احاط بالناس اي احاط علما باحوالهم وما يفعلونه من طاعة
او معصية وما يستحقونه على ذلك من الثواب والعقاب وهو قادر
على فعل ذلك بهم فهم فى قبضته لا يقدرون ان يخرجوا من مشيته
فصل قوله تعالى وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى
وهي ظالمة وجه التشبيه فيما اخذ من الظالم حق المظلوم بلا مداراة
فان الله تعالى نقلهم الى جهة عقابه بلا محاباة ونقل الشئ الى جهة الاخذ
مجاز وكذلك تاول قوله ان اخذه اليم شديد وقوله ان بطش ربك
لشديد **قوله** سبحانه وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو
معناه ان احل بك الضر لان المس الحقيقى ما يكون بين الجسمين
وذلك لا يجوز عليه لكن لما ادخل الباء للتعدية جرى مجرى ان يقول
يمسك من امسه اما اذا لم يكن متعديا الى مفعولين فيكون كقوله مسنى

الضر قوله سبحانه وان يمسسك بخير جعل المس على الله على وجه المجاز
لان الخير والشر عرضان لا تصح عليهما المماسة واراد تعالى بذلك الترغيب
في عبادته وترك عبادة سواه لانه المالك للنفع والضر دون غيره وانه
القادر عليهما قوله سبحانه وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب
بها الاولون لا يجوز اطلاق المنع في صفات الله تعالى لان المنع وجود ما
لا يصح معه وقوع الفعل من القادر عليه وانما جاز ههنا للمبالغة في انه لا
يصح وقوع الفعل فكانه قد منع منه والحقيقة انا لم نرسل بالآيات لكيلا
يكذب بها هؤلاء كما كذب من قبلهم فيستحقوا المعاجلة بالعقوبة
وقيل قوله الا ان كذب بها الاولون يجوز ان يكون الا زائدة وتقديره
ما منعنا ان نرسل بالآيات ان كذب بها الاولون اي لم يمنعنا ذلك
من ارسالها بل ارسلناها مع تكذيب الاولين ومعنى ان كذب هو
التكذيب كما تقول اريد ان تقوم بمعنى اريد قيامك فصل
قوله تعالى وكان الله شاكرا عليما والشكر هو الاعتراف بالنعمة وذلك
لا يجوز على الله تعالى معناه لم يزل الله مجازيا للشاكر على شكره في جميع
عباده عليما بما يستحقونه على طاعاتهم من الثواب وقيل انما يجوز
الشكر منه معنى الجزاء عليه كما قال تعالى جزاء سيئة سيئة
مثلها والجزاء ليست سيئة ولكن اطلق ذلك لازدواج الكلام وقال
المرتضى انه فاعل بمعنى مفعول كما يقال ردا ساحب بمعنى مسحوب
فالشاكر بمعنى المشكور قوله سبحانه والله شكور حليم الشكور في صفات
الله تعالى مجاز لانه في الاصل هو المظهر للانعام عليه والله تعالى لا يلحقه
المنافع والمضار فيكون معناه انه يعامل المطيع في حسن الجزاء معاملة الشاكر
قوله سبحانه الجبار المتكبر معنى الجبار عزيز لا ينال باهتضام والجبار
مدح البارئ كما يقال وذم للخلق قوله ولم يجعلني جبارا شقيا واما قوله
في صفة النبي وما انت عليهم بجبار قال الفراء اي لا تجبرهم على
الاسلام والصحيح اي لا تجبر عليهم لانه لم يسمع فعال من افعل فصل

قوله تعالى الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر وله الكبرياء
في السموات والارض انما قبح تزكية النفس من الآدمي لانه منقوص
في كل ما يمدح به نفسه ولما قال تعالى انا كريم او رحيم
او عليم نفعه كل الكرم والرحمة والعلم ولا يجتلب بمدح نفسه ولا يدفع
ضرا وجاز ايضا ان يمدح نفسه ليعرفها ايضا خلقه ليعبد ويعظم
قوله سبحانه ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وقوله هذا عطاؤنا
فامنن قال الطوسي انما يقبح الامتنان اذا كان الغرض الازراء بالمنعم عليه
فاما اذا كان الغرض تعريف النعمة وتعدادها واعلامه وجوبها
لقابلها بالشكر فيستحق بها الثواب والمدح فانه نعمة اخرى وتفضل
آخر يستحقون بها الشكر وقال ثعلب اجمع اهل اللغة كلهم ان المن
من الله محمود لانه منه وتفضل واصول النعم كلها منه والمن
من الخلق تقريع وتوبيخ قوله يمنون عليك ان اسلموا الآية قوله
سبحانه ما لكم لا ترجون لله وقارا المراد ههنا سعة مقدوراته و
قال ابن عباس ومجاهد والضحاك اي عظمته ويقال اي لا تخافون
لله عظمة وتوقيرا قال ابو ذويب اذا لسعته الدبر لم يرج لسعها
وخالفها في بيت نوب وكابل النابعة محلتهم ذات الاله ودينهم
قويم فما يرجون غير العواقب قوله سبحانه وانه تعالى جد ربنا قال
ابن عباس جد ربنا عظمته وهذا كقوله بسم الله
وكقوله تبارك اسم ربك وكقوله ويبقى وجه ربك فتكون هذه
زيادات فصل قوله تعالى ان الله لا يستحيي ان
يضرب مثلا وقوله والله لا يستحيي من الحق الاستحياء الانقباض
عن الشيء في اللسان فتاويله ما قال المفضل معناه لا يمتنع وقال
غيره لا يترك وقال تعالى جماعة لا يخشى الا ان يستحيي ويخشى
جاء بمعنى قوله وتخشى الناس والله احق ان تخشاه قوله سبحانه
وما الله بغافل عما تعملون اي ليس الله بساه عن كتمان الشهادة التي

لزمكم القيام بها لله تعالى اعنى اول الآية ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من
الله وقيل انه على عمومه والمعنى انه لا يخفى عليه شئ من المعلومات لا
صغيرها ولا كبيرها فكونوا على حذر من الجزاء على السيات بما تستحقونه
من العقاب **قوله** سبحانه فاذكروني اذكركم والذكر بعد النسيان
قلنا الذكر حضور المعنى في النفس ومعناه فاذكروني بطاعتي اذكركم
برحمتي اذكروني بالشكر اذكركم بالثواب اذكروني بالدعاء اذكركم بالاجابة
ونحو ذلك **قوله** سبحانه ذلك نتلوه عليك قال
الطوسي نكلمك به كما يقال انشاء زيد الكتاب وتلاه عمرو وقال الجبائي
يتلوه عليك بامرنا جبريل **قوله** سبحانه هل يستطيع ربك اختلفوا هل
يجوز ان يوصف الله تعالى بانه مستطيع ام لا فقال بعضهم يجوز لقوله هل
يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء وقال آخرون لا يجوز لانه
يوهم المحال **قوله** سبحانه اولئك الذين لعنهم الله اللعنة الابعاد من رحمة
الله عقابا على معصيته فلذلك لا يجوز لعن البهائم ولا من ليس بعاقل
من المجانين والاطفال لانه سوال العقوبة لمن لا يستحقها فمن لعن حية
او عقربا او نحو ذلك مما لا معصية له فقد اخطا لانه سال الله عز وجل
ما لا يجوز في حكمه فان قصد بذلك الابعاد لا على وجه العقوبة كان
ذلك جائزا **قوله** سبحانه ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى سال عمرو بن
عبد الناقري فقال الله غضب الله عقابه يا عمرو ومن ظن ان الله
يغيره شئ فقد كفر انما يغضب المخلوق الذي ياتيه الشئ ويستفزه
ويغيره عن الحال التي هو عليها الى غيرها فمن زعم ان الله يغيره الغضب و
الرضا ويزول من هذا الى هذا فقد وصفه بصفة المخلوق وسئل
الصادق ع هل لله رضا وسخط فقال نعم ولكن ليس ذلك مما يوجد من
المخلوقين غضب الله عقابه ورضاه ثوابه **قوله** سبحانه فلما اسفونا
انتقمنا منهم قال ابن عباس ومجاهد وقتاده والسدي وابن
زيد معنى اسفونا اغضبونا الا ان الله تعالى يغضب على العصاه بمعنى انه يريد

عقابهم والاسف في الاصل الغيظ من المغتم الا انه ههنا بمعنى الغضب **قوله**
سبحانه يا حسرة على العباد قال ثعلب معناه يا حسرة عليهم
لا علينا ولا على رسلنا **قوله** سبحانه افرايت من اتخذ الهه هواه انما سمي
الهوى الها من حيث ان العاصي يتبع هواه ويرتكب ما يدعوه اليه وقال
الحسن معناه اتخذ الهه بهواه لان الله يعرف بحجة العقل لا بالهوى
وقال ابن عباس معناه افرايت من اتخذ دينه بهواه لانه يتخذه بلا
برهان وقال ابن جبير كانوا يعبدون العزى فاذا وجدوا ما هو احسن
منه طرحوا الاول وعبدوا الآخر **قوله** سبحانه شهد الله انه لا اله الا
هو اي اخبر بما يقوم مقام الشهادة من الدلالات الواضحة والحجج اللائحة
على وحدانيته من عجيب خلقه ولطيف حكمته فيما خلق ويقال
شهد الله اي علم الله وقال ابو عبيدة اي قضاء الله انه لا اله الا هو و
الملئكة واولوا العلم وقال الحسن وعمرو بن عبيد ان في
الآية تقديما وتاخيرا وتقديرها شهد الله انه لا اله الا هو قائما بالقسط
وشهد اولوا العلم انه لا اله الا هو قائما بالقسط واولوا العلم هم المؤمنون
فصل قوله تعالى كل يوم هو في شان الشان الامر العظيم
فمن شانه ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين
وقيل شانه ان يعتق رقابا ويقحم عقابا ويعطي رغابا ويقال شانه
ان يخرج كل يوم ثلثة عساكر عسكر من الاصلاب الى الارحام وعسكر
من الارحام الى الارض وعسكر من الارض الى القبور ثم يرتحلون
جميعا الى الله **قوله** سبحانه سنفرغ لكم ايها الثقلان معناه سنعمل
عمل مجرد من غير شاغل واصل الفراغ الخلو يقال درهم مفروغ
مصبوب في القالب وضربة فريغة واسعة وفرغ الاناء ونحوه ويقال
اي سنفرغ لكم مما وعدناكم من الثواب واوعدناكم من العقاب ويقال
هذا كقولك للرجل وانت غير مشغول سافرغ للنظر في امركم قال جرير
ءالان وقد فرغت الى نمير فهذا حين كنت لها عذابا
قوله سبحانه

في الفاتحه ملك يوم الدين و مالك يوم الدين ولم يجز في سورة الناس مالك
يوم الناس لان صفه ملك يدل على تدبير من يشعر بالتدبير وليس كذلك
مالك لانه يجوز ان يقال مالك الثوب ولا يجوز ملك الثوب ويجوز
ان يقال ملك الروم ولا يجوز مالك فجرت في الفاتحه على معنى الملك
في يوم الجزا و مالك الجزا وجرت في سورة الناس على ملك تدبير
من يعقل التدبير قوله سبحانه ملك الناس انما خص بانه ملك
الناس مع انه ملك الخلق اجمعين للبيان لان مدبر جميع الناس
قادر ان يعيذهم من شر ما استعاذوا منه مع انه احق بالتعظيم من
ملوك الناس قوله سبحانه الحي القيوم قال مجاهد
والربيع والزجاج وقوله قايم على كل نفس بما كسبت قوله سبحانه
اللطيف الخبير اللطافة من صفات الجوهر لانه الجزء المنفرد والرقيق
وانه بخلاف الكثيف والمعنى الصحيح فيه انه لطيف بالتدبير والصنع
سبحانه والله على كل شي وكيل سمى نفسه وكيلا مع انه مالك
الاشيا لانه لما كانت منافعه لغيره لاستحالة المنافع عليه والمضار
صحت الصفه له من هذه الجهة قوله سبحانه والله غالب على امره
والغالب الذي يعلوا غيره لمنعه بنفسه ما يصير اليه في قبضته والله
غالب كل شي بمعنى انه غالب عليه لدخوله في مقدوره ولا يمكنه
الخروج منه قوله سبحانه سبح اسم ربك الاعلى الاعلى معناه
القادر الذي لا قادر اقدر منه وصفة الاعلى منقولة الى معنى الاقدر
حتى لو بطل معنى علو المكان لم يبطل ان يفهم تحقيقها اذ هي غير متضمنه
بغيرها ولم ينقل صفة الارفع وانما يعرف في رفعة المكان واما قول
فرعون انا ربكم الاعلى فانه كذب في دعواه قوله سبحانه ويابى
الله آبا هو المنع لا الكراهية قوله سبحانه وهو العلي العظيم هو الذي يقصر
مقدار ما يكون من غيره عما يكون منه وهو على ضربين احدهما عظيم
الشخص الآخر عظيم الشان ومعناه في صفة الله ان كل شي سواه مقصر عن

صفته بانه قادر فيما يصح ان يكون مقدورًا وعالم بحيث لا يخفى عليه شي و
غني بنفسه عن كل شي لا يجوز عليه الحاجة قوله سبحانه الله اخذت
لفظ اله اسم جنس مثل قولنا شاعر ولفظ الله اسم غالب له تعالى
مثل البيت للكعبة والحقيقه فيهما انه من يستحق العبادة لكونه قادرا
على خلق من ينعم عليه يستحق عليه العبادة وقوله ويذرك والهتك مجاز
وانما قال ذلك لان الكفار كانوا يعبدونها وهم ان
اخطاوا في العبادة فما اخطاوا في اللفظ فقال انه تعالى اله فيما لم يزل ولا
يزال واله الجماد والعقلا ولا يجوز ان يكون تعالى الها للاعراض ولا للجوهر
الواحد لاستحالة ان ينعم عليها ما يستحق به العبادة وانما هو اله الاجسام
الحيوان منها والجماد قوله سبحانه ان تنصروا الله معناه ان تنصروا
دينه بالدعا اليه واضافه الى نفسه تعظيما كما قال من ذا الذي يقرض
الله وقيل معنى تنصروا تدفعوا عن نبيه ينصركم اي يدفع عنكم اعداكم
في الدين عاجلا وعذاب النار آجلا قوله سبحانه بل الله مولاكم
وهو خير الناصرين مع انه لا يعتد بنصر غير الله مع نصرته فمعناه انه ان
اعتد بنصرة غير الله فنصرة الله خير منها لانه لا يجوز ان يغلب وغيره
يجوز ان يغلب وان نصر فالثقة بنصرة الله تحصل ولا تحصل الثقة
بنصرة غيره قوله سبحانه وما النصر الا من عند الله وقد ينصر المؤمنون
بعضهم بعضًا وبعض المشركين بعضا قلنا ان نصر بعض المؤمنين
بعضًا من عند الله لانه بمعونته وحسن توفيقه واما نصر المشركين
بعضهم بعض فلا يعتد به لانه يخذل لان الله من حيث ان عاقبته
الى شر مال من العقاب الدايم قوله سبحانه ان ينصركم الله فلا غالب
لكم اي بالمعونة التي توجب الغلبة لان الله تعالى يقدر على اعطايهم ما
يغلبون به من كل نازعهم ويقلعون كل من ناواهم ومن كان الله
ناصره بالحجة لم يغلبه احد واذا غلب بالحرب فلضرب من المحنة وشدة و
التكليف لو هزم قوم من المؤمنين لجاز ان يقال هم المنصورون اي بالحجة

سبحانه الله نور السموات والارض لم يقل الله نور افى الحقيقة
فهو نور لاي شئ كان ولو اراد على معنى الضيا لوجب ان لا يكون فى
شئ من السموات والارض ظلمه محال لانه دايم لا يزول ولوجب ان
يكون الاستضا به دون الشمس وبين انه خالق النور فقال وجعل
الظلمات والنور فكيف يكون نورا مع كون النور مخلوقا وقال فى آخرها
يهدي الله لنوره من يشاء فلو اراد بذلك الضيا لما كان له معنى وجعل
لنوره مثلا وهو المصباح فى ضعفه وكيف يكون نورا والارض والسما
فى ضوهما ولو كان نورا لوجب ان يكون ذا اجزاء كثيرة لان النور هو
المضى والمضى لا يكون الا ما ان ينفصل منه اجزاء تضى غيره تلك
الاجزاء ولو كان نورا لم يخل من ان يحجبه الظلمة والحجاب او لا يحجبه
شئ فان لم يحجبه شئ وجب ان يكون السموات والارض فى جميع
الاوقات مضية وان حجبه حجاب او منعه مانع كان كساير الانوار
ثم ان ذلك يحقق قول الثنوية فى زعمهم ما الاصلين النور والظلمة
ابن عباس والزجاج الله نور السموات والارض مدبر امرها
السدي بنوره اضات السما والارض الضحاك به تكونت الاشياء
ويقال الله واحد فى سماءه وارضه ويسمى الفرد نورا وقال
الرضاء هاد لاهل السماء وهاد لاهل الارض **فصل**
قوله تعالى لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار تمدح سبحانه
بالاجماع وبما يقتضيه سياق الآية بنفى ادراك الابصار الذي هو
رويتها وهذا التمدح راجع الى ذاته لان الادراك ليس بمعنى فيتمدح
بان لا يفعله على سبيل التفصيل وكل ما تمدح بنفيه على هذا الوجه لا
يكون اثباته الا نقصا وموجبا ذما وهو يتعالى عما يوجب الذم والنقص
الا ترى انه تعالى لما تمدح بنفى الصاحبة والولد والسنة والنوم فى قوله
ما يتخذ صاحبة ولا ولدا ولا تاخذه سنة ولا نوم لم يجز اثبات شئ
من ذلك فى حال من الاحوال الا اقتضا به الذم والنقص كذلك ههنا يوضح

ذلك ان قبل الآية بديع السموات والارض انى يكون له ولد ولم تكن له
صاحبة وخلق كل شئ وهو بكل شئ عليم ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق
كل شئ فاعبدوه وهو على كل شئ وكيل لا تدركه الابصار وهو يدرك
الابصار وهو اللطيف الخبير فتمدح سبحانه بما تضمنته هذه الآيات
من صفاته على حد واحد لا يختلف فيه الحال وكل ما كان نفيه
مدحا فلا يكون اثباته الا ذما عند اهل اللسان الرضاء لا تدركه اوهام
القلوب فكيف تدركه ابصار العيون الصادق اي احاطه الوهم
الا ترى قوله قد جاءكم بصاير من ربكم يقال فلان بصير بالدراهم
والثياب والجواهر والاشعار ابو جعفر الثاني اوهام القلوب ادق
من ابصار العيون انت قد تدرك بوهمك البلدان التي لم تدخلها
ولا تدرك ببصرك فاوهام القلوب لا تدركه فكيف تدركه الابصار
الصاحب قالت نقل لي ابا الابصار تدركه فقلت جل عن الابصار
بالمقل وكتب احمد بن اسحق الى ابي الحسن الثالث يسأله عن
الروية فكتب جوابه ليس يجوز الروية ما لم يكن بين الراى والمرئى هو
ينفذه البصر فتى انقطع الهواء وعدم الضياء لم يصح الروية وفى وجوب
اتصال الضياء بين الراي والمرئي هو ينفذه البصر والله يتعالى عن
الاشياء فثبت انه لا يجوز عليه سبحانه الروية بالابصار وقيل
للرضاء ان رجلا علا راى ربه فى منامه فما يكون ذلك فقال ذاك
الرجل رجل لا دين له ان الله عز وجل لا يرى فى اليقظة ولا فى المنام
ولا فى الدنيا ولا فى الآخرة ابو سعيد الواعظ فى رجال الصوفية
قال امير المؤمنين سلوني قبل ان تفقدوني فقال
له دعلب هل رايت ربك فقال ما كنت اعبد ربا لم اره قال كيف
رايته قال لم تره العيون بمشاهدة العيان ولكن راته القلوب بحقايق
الايمان لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس فصاح دعلب وخر مغشيا
الصادق وقد ساله اعرابي هل رايت ربك حين عبدته فقال لم اكن

واجمعوا على ان النبي قال لا من يرى
ولا يرى وهو بالمنظر الاعلى

اعبد ربا لم اره فقال كيف رايته قال لم تره الابصار بمشاهدة العيان بل رأته القلوب
بحقائق الايمان لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس معروف بالآيات و
الدلالات منعوت بالعلامات لا يجوز في قضيته هو الله الذي لا اله الا هو
فقال الاعرابي الله اعلم حيث يجعل رسالاته قالوا ترى معبودنا جاروا
اذ قال سبحانه لا تدركه الابصار لا يبصر الانسان ما يراه الا اذا
حاذاه او وازاه يراه اذ راه في المكان فقد دان شبر البنان الصاحب
لو كان محسوسا بعيني ناظر لكان ملموسا بكفي زاير **فصل**
قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فقوله وجوه لا يخلوا ما ان
يراد به الوجه او العين او الجملة فالاول لا يجوز لان الوجه لا يرى ولا ينظر
ولا يكون رائيا على الحقيقة فلا يصح حمله على اي وجه صرفت الآية اليه
يدل عليه انه لا يجوز ان تقول رآه وجهي ولا يجوز الثاني لان العين
لا توصف بالنضارة التي هي الاشراق ولان العين في الحقيقة ليست
بناظرة لان الناظر والرائي انما هو الجملة اذ العين آلة ترى بها فلم يبق الا
ان المراد به الجملة ويبين ذلك قوله في نظيره ووجوه يومئذ باسرة
تظن والظن انما يرجع الى الجملة ولا يصح ان يكون المراد حقيقة الوجه من
حيث وصف بالنضارة والبسور اذ ذلك جاء صفة الوجه والجملة توصف
بذلك يقال فلان عبوس كالح وهو بشر بشير وما يشابه ذلك وقوله
يومئذ والخصم لا يثبت ذلك الا في الجنة لانه من الفضائل التي يختص بها
المؤمن وههنا في صفة القيامة وقوله ناظرة النظر التأمل وهو لازم
انظر كيف ضربوا لك الامثال وانظر كيف فضلنا بعضهم على بعض
وقد يتعدى هذا بالجار نحو افلا ينظرون الى الابل اولم ينظروا في
ملكوت السموات والانتظار غير ناظرين اناه وما ينظرها ولا وجهان
وجوه يوم بدر ناظرات • الى الرحمن يأتي بالفلاح • الكميت • وشعث
ينظرون الى بلال • كما نظر الظماء حيا الغمام • البعث • وجوه بهالل الحجاز على
الندى • الى الملك ذكر العارف ناظرة • والمهلة • فنظرة الى ميسرة فناظرة •

بم يرجع المرسلون انظرني الى يوم يبعثون انظرونا نقتبس من نوركم وانظرنا
تجرك القنا والرحمة انظر الي نظر الله اليك وفلان ينظر لفلان وهو
حسن النظر له ولا ينظر اليهم يوم القيامة والاهلاك نظر الدهر الى بني فلان لانهم
فلان **قال الشاعر** نظر الدهر اليهم فابتهلوا • والتحديق نحو الذي طلب الرؤية
لانهم يثبتون النظر دون الرؤية قولهم نظرت الى الهلال فلم اره ومازلت
انظر اليه حتى رايته وانظر حتى ترى ولولا اني كنت انظر لما رايته ونظرت
اليه فوجدته جالسا ولا يقال نظرت الى زيد متغيرا كما يقال رايته متغيرا
والله تعالى راى ولا يقال ناظر لان النظر تقليب الحدقة الصحيحة نحو المرئي
لطلب الرؤية ونظرت اليه نظر راض ونظر غضبان ونظر ازراء ونظر
مؤخر عينه وقد احد اليه النظر ينظرون اليك نظر المغشي عليه **قوله سبحانه**
نظروا اليك باعين محمرة • نظر التيوس الى شفار الجاذر غير ونظرة ذي
شجن وامق اذا ما الركائب جاوزن ميلا • والنظر يتعدى بالى والرؤية
وامثالها بنفسها يقال نظرت اليه ورايته قال الله تعالى •
وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون والقول بذلك يؤدي الى مناقضة
قوله لا تدركه الابصار اذ ذلك عموم لا تخصيص فيه ولانه تمدح به
كما تمدح بقوله وهو يدرك الابصار فهو اذا جار في عموم الاوقات مجراه
لان زوال ما يوجب المدح نقص • ولا يجوز الى ربها ناظرة لها الا ان
التخصيص لا يقع الا بما يشتبه الامر فيه فكيف بما لا تقتضيه • وبمط هذه
الآية وما تعقبه لا ينبي عنه ويبطله لانه قال في نقيضه ووجوه
يومئذ باسرة الآية فلما اوجب الكفار خوف العقاب دون النعم من
الرؤية وجب ان يكون ما اوجبه للمؤمنين انتظار الثواب دون الرؤية
ليتشاكل المعنيان لانه لو قال ان المؤمنين يرونني والكافرين اعذبهم
لم يكن متشاكلا في المعنى بل كان معيبا عند البلغاء وقال الصاحب بن
عباد ناظرة الى ربها اي نعمة ربها لان الآلاء النعم وفي واحدها اربع
لغات يقال الى مثل قفا والى مثل معا والى مثل رمي • والى مثل حسي

قال الاعشى • ابيض لا يرهب الهزال ولا يقطع رحما ولا يخون الا و
التفسير عن ابن عباس والحسن وعمرو ومجاهد وقتادة والاعمش
وابن جريج وابى صالح والضحاك والكلبي وابن مسيب وابن جبير وجوه
يومئذ ناضرة يعنى مشرقة تنتظر ثواب ربها وهو المروي عن النبي ع
وقال امير المؤمنين ع ينظرون اليه فى الآخرة كما ينظرون فى الدنيا
فصل قوله تعالى رب ارنى انظر اليك ليس فى مسالة
التى دلالة على صحة وقوعه ولا جوازه لان السائل يسال عن الجائز والمحال
مع العلم وفقد العلم لاغراض مختلفة ثم انه انما سال لقومه بعد ما اجابهم
فلم يرتدعوا فاختار السبعين الذين حضروا الميقات ليكون سؤال المحضر
منهم قوله يسالك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سالوا
موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة وقوله
اذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة
وانتم تنظرون وقوله فلما اخذتهم الرجفة قال رب لو شئت اهلكتهم
من قبل واياى اتهلكنا بما فعل السفهاء منا فاضافة ذلك الى السفهاء
يدل على انه كان بسببهم وانهم سالوه ما لا يجوز عليه وقال ارنى انظر
اليك والنظر غير الرؤية ويقال ان موسى انما سال ربه ان يعلمه نفسه
ضرورة باظهار بعض اعلام الآخرة التى تضطر الى المعرفة ويستغنى عن
الاستدلال فتزول عنه الدواعى والشكوك والشبهات كما سال ابرهيم
ان يريه كيف يحيى الموتى والسؤال وان وقع بلفظ الرؤية فان الرؤية
تفيد العلم كما تفيد الادراك بالبصر فقال له لن ترانى اى لن تعلمنى على هذا
الوجه الذى التمسته منى وانه اجابه الله تعالى بانه لا يرى بلفظ محكم ظاهر جلى
لا يحتمل التاويل على التخصيص منه ولن ترانى معناه لا ترانى ابدا لان لن
للتابيد ولن يتمنوه ابدا وقوله لن يخلقوا ذبابا ومعلوم انه اذا لم يره موسى ع
فلا مطمع لغيره والآية بالنفى اولى من الاثبات وانه علق رؤيته بما يستحيل
كونه والشئ اذا علق كونه بما يستحيل حصوله استحال كقوله فى الكفرة ولا يدخلون

الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط فكذلك لما علق رؤيته بما يستحيل كونه وهذا
استقرار الجبل فى حال الدك اذ محال سكون الشئ فى حال تحركه وذلك
يوجب استحالة رؤيته فلما اندك الجبل عند سؤاله ذلك كان فيه غاية
الانكار اذ كان ذلك مما اوعد بانه يكاد ان يحدث عند زعمهم ان لله
ولدا قوله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن
منه وبين ان القول بالرؤية يضاهى القول باتخاذ الولد بل يزيد عليه
اذ قال فى اتخاذ الولد تكاد وفى الرؤية حصل فكم بين الامرين فرقا قال
ابو على ولم ينزل عليهم الصاعقة الا بعد هذا السؤال وفى ذلك دلالة على
ان اصل كل سيئة تجويز الرؤية على الله تعالى ويعبر برأى عن خمسة معان
بمعنى ابصر رايت زيدا قائما وبمعنى علم الم تر كيف فعل ربك وبمعنى ظن
انهم يرونه بعيدا وبمعنى اعتقد وانا القوم لا نرى القتل سبة اذا ما
راته عامر وسلول وبمعنى الراى تقول رايت هذا الراي وهذا راي
ابى حنيفة قوله سبحانه فلما تجلى ربه للجبل التجلى هو اظهار الشئ ومنه
جلت الماشطة العروس جلوة وقد فسر قوله لا يجليها لوقتها اى لا يعرفكم
وقتها سواه وتجلى وجلى بمعنى واحد كما يقال تصدق وصدق وتحدث
وحدث والنظر الى الشئ تقول تجلى فلان لفلان اذا نظر اليه وتجلى
البازى للصيد اذا رفع راسه ناظرا اليه فالاول غير جائز على الله تعالى
لان الظهور والكمون تغير وهو من صفات المحدث ولو اراد تعالى ذاته
لم يكن لذلك معنى لان التجلى يكون اما بمقابلة او ظهور فلو اريد به المقابلة
فصار الجبل دكا وجب ان يستقر له مكان فى العرش وغيره بل يصير دكا
وان اراد ظهر لكان لا يصح لانه تعلق نفى الرؤية بان لا يستقر الجبل والمعلوم
انه لا يستقر ان ينكشف له ويرى لان ذلك فى حكم ان يجعل الشرط فى
ان لا يرى ما يوجب ان يرى وذلك متناقض ويحتمل انه لما اظهر الله
للجبل من آيات الآخرة صار الجبل دكا اذ قد بينا ان ظهوره ظهور آياته كما
قال الحسن تجلى ربه بآياته نور العرش وفى رواية تجلى الله علما من اعلام يوم

القيمة فاقلع الجبل ويحتمل ان تكون في الكلام تقديم وتاخير فتكون معناه فلما
تجلى موسى للجبل اي فلما رفع راسه ناظرا اليه جعله ربه دكا وذلك انه
قال انظر الى الجبل فان استقر ونظيره الم تر الى ربك كيف مد الظل و تقديره
الم تر الى الظل كيف مده ربك **قوله سبحانه** واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه
يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه فمن كان يرجوا لقاء
ربه التعلق بظواهرها لا يصح لان اللقا عندهم افضل ثواب الله والله تعالى
حذرهم من لقائه بعد الامر باتقائه وهم متى ما اتقوه لقوه بزعمهم ومتى ما لم
يتقوه لم يلقوه فالتوعد بذلك لا يصح عندهم لانه من افضل الثواب ولو
كان اللقا الروية لراه المومنون والكافر لانه اخبر انهم الذين يعلمون و
يعتقدون انهم ملاقوا الله وعندهم انه انما يراه المستحقون لثوابه وليس
احد يعلم يقينا انه مستحق للثواب فاذا لم يجز ان يعلم احد انه يراه صح ان
الملاقاة غير الروية والملاقات مفاعلة من اللقاء واصله لاستقبال
الشيين احدهما للاخر يقال داري تلقا داره ويستعمل في الروية لاستقبال
الرائي المرئي والظاهر يقتضي انهم يستقبلون الله والله يستقبلهم ولو تركوا
الظاهر سقط تعلقهم واذا كانت الملاقاة استقبال احد الشيين للاخر
فلا معنى للتوعد به لانهما لا يوجبان تحذيرا ولا تخويفا وظاهر اللفظ يوجب
انهم يعلمون انهم يلقونه في الوقت لانه اخبرهم يعلمون انهم ملاقوه ولم
يقل سيلقونه في الاخرة ومتى قلت فلانا يلاقي فلانا فانه يجب للحال و
اذا لم يكن في الوقت كذلك سقط التعلق ولا يرد الى الاستقبال لانه
عدول عن الظاهر واللقا مجاز في الروية لانه يستعمل في ممارسة الشيء و
ان لم يصح الروية عليه يقال لقيت منه شرا وبرحا ولقيت منه الامرين
لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه
فمن يلق خيرا يحمد الله امره ملاق كما لاقى مجير ام عامر وعلى سبيل التوعد
يجب ان يلقى الامير فذ وقوا عالقيم وقال الذين لا يرجون لقاءنا قوله
للذين يظنون انهم ملاقوا الله واعلموا انكم ملاقوه واذا كان مجازا لم يجز رده

اليها الا بدليل ومتى منع الجرى على ظاهره وجب رد المعنى الى ما يصح الجرى
عليه كقوله واسئل القرية فاتى الله بنيانهم وكذلك قوله فاعقبهم نفاقا
في قلوبهم الى يوم يلقونه معناه يوم يلقون جزاه لان المنافقين لا يرون الله
عند احد من اهل الصلاه وكذلك قوله ولو ترى اذ وقفوا على ربهم الى
اخر الاية معناه اذ وقفوا على جزاء ربهم لان الكفار لا يرون الله عند احد
من الامة ويستحيل الروية لموجب كون المرئي جسما كثيفا باكثف من شعاع
العين في محاذاه مخصوصة متوسطا في القرب والبعد من الرائي فلما استحال
عليه ما به تصح الروية استحالت الروية عليه فوجب صرف ما ينفى عنه
من الالفاظ الى غيره وقد فسره الله تعالى بما لا اشكال فيه ان جميع الناس
يلقونه ثم بين كيفية اللقا من سرورا وثبور **قوله** سبحانه قد خسر
الذين كذبوا بلقاء الله حتى اذا جاتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما
فرطنا فيها اي خسر هولا الكفار الذين كذبوا بلقا ما وعد الله به من الثواب
والعقاب وجعل لقاهم لذلك لقاه تعالى مجازا كما تقول المسلمون لمن
مات منهم لقد لقي الله وصار اليه يعنون لقي ما يستحقه من الله كما قال
ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه فقد رايتموه وانتم تنظرون
والموت لا يشاهد اي رايتم اسبابه وانتم تنظرون **فصل** قوله تعالى
للذين احسنوا الحسنى وزيادة الظاهر انه لا دلالة على ما قالوه لان الزيادة
لا تعقل بمعنى الروية فاذا لا يجوز ان يخاطب الله عباده بما ليس في لغتهم
الا مع البيان لذلك وانما يصح ذلك في الشرع من حيث لم يكن لما امر به
في اصل اللغة اسم موضوع وليس كذلك الروية ولا بيان ههنا واما
حمل الاية على حديث مروي عن ابي بكر فاسناده غير مرضي ثم ان رد
ذلك الى مخصوص جائز ما لم يرده اللغة والاصول فاللغة تنفي ذلك
لان الزيادة على الشيء لا تكون الا من جنس ذلك الشيء الا ترى انه لا يجوز
ان تقول له عشرة دراهم وزيادة ثم تكون الزيادة ثوبا وان الزيادة على
الشيء لا تكون افضل من الشيء المذكور بل تكون دونه فلما كانت رويته افضل

من جميع الثواب من الجنة لم يجز ان يكون المراد بلفظ الزيادة الروية وقوله
للذين احسنوا الحسنى مثل قوله للذين اساوا السوا فمعنى الحسنى الثواب
ومعنى السوا العقاب ومعنى الآية مفسر في القرآن في مواضع وهو انه
يعنى به ان المحسن جزاء احسانه وزيادة تحصل له لا يستحقها بفعله كما
قال من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله
فبين ان الزيادة من فضله ولم يقل من رويته ولا معدل عما بينه الله
وقد فسره المفسرون قال ابن عباس والحسن ومجاهد
وقتاده الحسنى الثواب المستحق والزيادة التفضل على قدر المستحق على
طاعاتهم من الثواب وهي المضاعفة المذكورة وقوله فله عشر امثالها
وقال ابو صالح والكلبي نحو ذلك وقيل ما ياتيهم في كل وقت من فضل الله
مجددا الباقر الزيادة هي ما اعطاهم الله من النعم في الدنيا لا يحاسبهم
به في الآخرة امير المومنين الزيادة غرفة من لولوة واحدة لها اربعة ابواب
قوله سبحانه كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ليس في ذكرها
ولا محجوبين اثبات لكونهم غير محجوبين لان اللفظ لا يدل عليه ولا ينبئ
عنه والمتروك ذكره لا يدل على انه بخلاف المذكور بل يكون موقوفا
على الدليل على ان ما ذكر انهم محجوبون عنه في يوم القيمة وعند القوم
لا يراه احد في ذلك الوقت بل الكل محجوبون ولو كان منعا عن الروية
لناقض قوله ولو ترى اذ وقفوا على ربهم فهذه تخبر عن وقوفهم عليه
وتلك تخبر عن كونهم غير محجوبين عنه وياتى لفظ الحجاب فيما هو ابلغ
من الروية يقال فلان محجوب عن الارث اذا كان هناك من لاجله
لا يستحق الارث وفلان محجوب عن ماله اى ممنوع من التوصل اليه
وعلى هذا تاول الآية على ان الاستدلال بالآية مبنى على دليل الخطاب
وهو باطل فصل قوله تعالى ما كذب الفواد ما راى تعلقهم
بذلك فاسد لان التدلى في اول الآية انما هو النزول لا الصعود يقال
ادليت الدلو وتدلى الشئ وتدليت من السطح قوله ولقد راه نزلة اى نزولا

ليعلم ان تدلى بمعنى نزل ولو لم يكن كذلك لم يصح قوله نزلة اخرى والاول النزول
نزله وقوله ولقد راه نزلة اخرى يوجب انه راه مرتين وليس ذلك من مذهبهم
وقوله لقد راى من ايات ربه ولو كان كما زعموا لقال راى ربه وقد فسر
المخالفون قوله لا تدركه الابصار انه في الدنيا وعندنا انه في الدنيا والعقبى
فعلى قول الجميع لا يجوز ان يراه احد في الدنيا فكيف نفسر آية بما يبطل
هذه الآية ونمط الآية يبطل قولهم كما قال وما ينطق عن
الهوى فبين انه وحى والموحى اليه انما هو جبرئيل وبين انه شديد
القوى ذو مرة اى عقل فاستوى اى عقل وهو بالافق الاعلى يعنى
بالسماء العليا ثم دنا فتدلى اى نزل فكان قاب قوسين او ادنى اى كان
جبرئيل من محمد على هذا المقدار فاوحى الى عبده ما اوحى يعنى
جبرئيل الى النبي عليه السلم ما كذب الفواد ما راى لم يكن فيما راى شبهه
يرتاب بها بل كانت روية صحيحة وهذه كلها من صفات الاجسام ثم
قال ولقد راه نزلة اخرى يعنى بها عند سدرة المنتهى وزعموا ان السدرة
في الجنة يجب ان يكون راه في الجنة فتارة يقولون انه راه على العرش و
تارة يقولون انه راه في الجنة على انه لم يقل في الجنة ولكن قال عندها و
معنى ذلك كقوله ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما ثم قال ما زاغ
البصر وما طغى اى لم نزغ في رويته ولم يكن فيه مخطيا ثم قال لقد راى من
ايات ربه الكبرى فبين انه راى الكبرى من آيات ربه وقوله وما كان
لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب لانه بين انه لا يجوز ان يكلم
احدا الا على هذه الوجوه الثلثه فلا يجوز ان يكلمهم مخاطبة ومشافهة
وروى الترمذي في صحيحه قال مسروق دخلت على
عايشة فقلت هل راى محمد ربه فقالت لقد تكلمت بشئ قف له شعرى
فقلت رويدا ثم قتلى قرات لقد راى من آيات ربه الكبرى فقالت اين
يذهب بك انما هو جبرئيل ثم قالت بعد كلام لكنه راى جبرئيل لم يره في
صورته الا مرتين مرة عند سدرة المنتهى ومرة في اجياد له ستمائه جناح قد

سد الانى ابوذر رسول الله صلى الله عليه وآله ارايت ربك فقال عليه السلم
نور انى اراه ابن عباس ما كذب الفؤاد ما راى قال
راه بقلبه وروى المفسرون عن ابن عباس و ابن مسعود والحسن وعايشه
ومسروق وعمرو بن دينار ومعمر وهشام بن عروه نحو ما قلناه من الوجوه
قال الجبائي في قوله لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا الكفار بجسميه فلذلك
جوزوا الروية عليه وكذلك اليهود حيث قالت لن نؤمن لك حتى نرى
الله جهرة وقد يكون الروية فى النوم والروية بالقلب فاذا قال جهرة لم يكن
الا روية العين على التحقيق **قوله** سبحانه واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك
حتى نرى الله جهرة استدل البلخي بهذه الآية على ان الروية لا يجوز على
الله تعالى لانها انكار تضمن امرين ردهم على نبيهم وتجويزهم الروية على ربهم
ويبين ذلك قوله فقد سالوا موسى اكبر من ذلك فدل ذلك على ان المراد
انكار الامرين **فصل** قوله تعالى فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون
اى تعلمون ان الانداد التى تعبدونها من الاصنام وغيرها لا تضر ولا تنفع
ولا تسمع ولا تبصر والمشركون لا يعتقدون ان الاصنام خلقت السماء و
الارض من دون الله والوصف لهم ههنا بالعلم انما هو لتاكيد الحجة عليهم
ليكونوا اضيق عذرا ويقال وانتم تعلمون اي تعقلون ان من كان بهذه
الصفة فقد استوفى شروط التكليف وضاق عذره فى التخلف عن النظر
واصابة الحق كما قال انما يتذكر اولوا الالباب وقال مجاهد المراد
بذلك اليهود والنصارى خاصة ومعنى وانتم تعلمون اى انكم تعلمون فى
التورية والانجيل انه اله واحد شريح بن برهان ان اعرابيا قام يوم الجمل
الى امير المؤمنين عليه السلم فساله عن التوحيد فقال الناس اما تراه فى
تقسيم القلب فقال ع دعوه فان الذى يريد الاعرابى هو الذى نريده
من القوم ثم قال يا اعرابى ان الكلام فى ان الله تعالى واحد على اربعة اقسام
فوجهان منها لا يجوزان على الله تعالى ووجهان يثبتان فيه فاما اللذان لا
يجوزان عليه فقول القائل واحد يقصد به باب الاعداد فهذا ما لا يجوز عليه

لان ما لا ثانى له لا يدخل فى باب الاعداد اما ترى انه كفر من قال ثالث ثلاثة
وقول القائل هو واحد من الناس يريد به النوع من الجنس فهذا ما لا يجوز لانه
تشبيه وجل ربنا عن ذلك واما الوجهان اللذان يثبتان فيه فقول القائل هو
واحد ليس له فى الاشياء شبه كذلك ربنا وقول القائل انه عز وجل احدى
المعنى يعنى به انه لا ينقسم فى وجود ولا عقل ولا وهم كذلك ربنا وقال المتكلمون قولنا
انه واحد على اربعة اوجه الاول واحد ليس بذى ابعاض ولا يجوز عليه
الانقسام والثانى واحد فى استحقاق العبادة والثالث واحد ليس له نظير
والرابع فى الصفات النفسية وقال امير المؤمنين ع وكل
معدود بنفسه مخلوق وكل قايم بسواه معلول **قوله** سبحانه وهو الله في
السموات و الارض اى المنفرد بالتدبير فى السموات وفى الارض لا ان
حل فيهما او فى شئ منهما الا انه لا يجوز ان يقال هو زيد فى البيت والدار
الا ان يكون فى الكلام ما يدل على ان المراد به التدبير كقول القائل فلان الخليفه
فى الشرق والغرب لان المعنى فى ذلك انه المدبر فيهما ويجوز ان يكون خبرا
بعد خبر كانه قال هو الله وهو فى السموات وفى الارض وقال ابو علي
ان قوله وهو الله قد تم الكلام وقوله فى السموات وفى الارض متعلق
بقوله يعلم سركم وجهركم فى السموات وفى الارض لان الخلق انما
يكونون ملائكة فهم فى السماء او الانس والجن فهم فى الارض فهو تعالى
عالم بجميع ذلك لا يخفى عليه خافيه ويقويه قوله ويعلم ما تكسبون وقال
هشام بن الحكم للموبذ اهما فى القوة سواء قال نعم قال فجوهرهما
واحد قال الموبذ لنفسه ان قلت ان جوهرهما واحد عاد الى نعت واحد
وان قلت مختلف اختلفا ايضا فى الهمم والارادات ولم يتفقا فى الخلق
فقال هشام كيف لا اسلم قال هيهات وقال ابو الهذيل لصالح بن عبد
القدوس على اى شئ تعزم يا صالح قال استخير الله واقول بالاثنين فقال
فايهما استخرت لا ام لك **شاعر** لو كان للدهر سواه رب تبينت الملك و
جاء الحرب لو كان فى الخلق له نظير لقيل لفعل هذا عاجز حقير

وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله قال الديصاني لهشام بن الحكم ان في
القرآن هذه الآية قوة لنا فكتب هشام الى الصادق فاجابه قل له ما اسمك
بالبصرة فانه تقول فلان فقل له كذلك ربنا في السماء اله وفي الارض اله و
في البحار اله وفي كل مكان اله قال فاتيته فاخبرته فقال
هذا نقل من الحجاز الفضل بن شاذان قال ثنوي للرضاء اني اقول
ان صانع العالم اثنان فما الدليل على انه واحد فقال ع قولك دليل على انه
واحد بعد اثباتك الواحد فالواحد مجمع عليه والاكثر من ذلك مختلف فيه
قوله سبحانه وما من اله الا الله دخول من فيه يدل على عموم النفي لكل اله
غير الله ولو قال ما اله الا الله لم يفد ذلك وانما افادت من هذه المعنى
لان اصلها لابتداء الغاية فدلت على استغراق النفي لابتداء الغاية الى انتهائها
وقال ثنوي لهشام بن الحكم انا اقول بالاثنين فقال حفظك الله يقدر
احدهما يفعل شيئا لا يستعين بصاحبه قال نعم قال فما ترجوا من اثنين
واحد خلق كل شيء ابو الحسين فاذ شاء تبارك الله العزيز الفرد من ان يرى
ضد له او ند قوله سبحانه ليس كمثله شيء معناه ليس مثله شيء على وجه
من الوجوه وتكون الكاف زائدة تقديره ليس مثل الله شيء من الموجودات
والمعلومات قال اوس وقتلى كمثل جذوع النخيل يغشاهم سبل منهم
وقال المرتضى الكاف ليست زائدة وانما نفي ان يكون لمثله
مثل فاذا ثبت ذلك علم انه لا مثل له لانه لو كان له مثل لكان له امثال
وكان لمثله مثل لان الموجودات على ضربين ما لا مثل له كالقدرة وما له مثل
كالسواد والبياض واكثر الاجناس فله ايضا امثال وليس في الموجودات ما له
مثل واحد فحسب فعلم بذلك انه لا مثل له اصلا من حيث لا مثل لمثله وقال
اي ليس هو شيء فادخل المثل توكيدا كقوله مثل الجنة التي وعد المتقون
اي مثل الجنة لقوله فيها انهار وقالوا للكاف زيادة معنى وذلك ان
التشبيه يقع بمثل وبالكاف فاراد الله تعالى ان يبين انه منزه عن التشبيه
انه كشيء او مثل شيء قوله تعالى ام اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون لو

كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا معنى ذلك انه لو صح الاهان او آلهة لصح بينهما
التمانع فكان يودي ذلك اذا اراد احدهما فعلا واراد الآخر ضده اما ان
يقع مرادهما فيودي الى اجتماع الضدين او لا يقع مرادهما فينتقض كونهما
قادرين او يقع مراد احدهما فيودي الى كون الآخر غير قادر وكل ذلك
فاسد قوله سبحانه قل هو الله احد سال ابو هاشم الجعفري ابا جعفر الثاني
عليه السلم عن معنى الاحد قال المجمع عليه بالوحدانية اما سمعته
يقول ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ثم يقولون
بعد ذلك له شريك وصاحبه ابو الطفيل الكناني سالت رسول الله ص
عن ادنى التوحيد فقال ان الله لا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء وكل ما وقع
في الوهم فهو بخلافه ابن مسعود سالته عن التوحيد فقال ع التوحيد
ظاهره في باطنه وباطنه في ظاهره فظاهره موصوف لا يرى وباطنه
موجود لا يخفى لا يخلو منه مكان ولا يخفى عليه شيء ظاهر غير محدود
وباطن غير مفقود وسئل امير المومنين ع عنه فقال التوحيد ان لا تتوهمه
والعدل ان لا تتهمه وسئل الصادق ع عنه هو ان لا تجوز على ربك
ما جاز عليك والعدل ان لا تنسب الى خالقك ما لامك عليه وسئل
الصادق ع عنه فقال كل ما احاط به وهمك وحد به تفكرك او اصابته
بالحواس فالله جل جلاله بخلاف ذلك فصل قوله تعالى
لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة قولهم ان الله واحد ثلثة اشياء
مناقضة لان الواحد ما لا بعض له وثلثة ما له بعض فكانهم قالوا لا بعض له
وله بعض وتنزل منزلة قول القائل في الشيء الواحد انه موجود معدوم قديم
محدث وكل ما سوى الله فهو غير واحد لانه اما ان يكون بالصفة و
التركيب كالعدد والجمع او بالصفة والصورة كالجوهر والعرض او بالتولد
كالاصل والفرع او بالمكان كالعرض والطول او بالوهم كالعقل والنفس او
بالاعتدال كالطبع والموت او في مقابلة شيء كالمثل والشبه او بالعنصر
كالهيولى والعنصر او بالعدد كالمكان او بالمدد كالزمان او بالحد كالصورة او

لقبوله شي كالخاصية او للوهم كالمشكوك او للوجود والعدم كالضد والوقف و
الواحد على الحقيقة هو الله تعالى وكل مخلوق بنفسه اثنان جسم وروح ومن
اثنين من ذكر وانثى وما ثنين بالطعام والشراب وفي اثنين في الليل والنهار
ومن اثنين من السماء والارض ومع اثنين مع الشمس والقمر ولا يخلو من
اثنين من الحركة والسكون وكذلك من الغنى والفقر والصحة والمرض و
النور والظلمة والبر والبحر والله تعالى واحد وحداني ليس معه ثاني وعن الحسن
بن علي علي قاضي يقول سلوني قبل ان تفقدوني فدعوى لاسئله ثم
قال شعرات راسك شفع ام وتر فتحير الرجل فسئل الحسن عن ذلك
فقال شفع لقوله ومن كل شي خلقنا زوجين والفرد هو الذي لا شريك له
قوله سبحانه الله لا اله الا هو الحي القيوم آية الكرسي رد على جميع الكفرة
فالله رد على الدهرية لان فيه اثبات وانهم قالوا بالنفي اصلا لا اله الا هو
رد على الثنوية لانهم قالوا الله خالق الخير وابليس خالق الشر وهو شريك
الله الحي رد على من عبد صنما او وثنا القيوم رد على اصحاب الطبايع
حيث قالوا بالكمون والظهور لا تاخذه سنة ولا نوم رد على من قال
بالهية عزير وعيسى ورد على جهم فانه قال انه عالم بعلم محدث يحدث
عليه السهو له ما في السموات وما في الارض رد على المفوضة انه خلق
العالم وفوض امره الى شخص محدث وعلى من قال ان الله تعالى
فقير ونحن اغنياء من ذا الذي يشفع عنده رد على من نفى الشفاعة
يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم رد على الجبرية حيث قالوا انه عالم بعلم وقادر
بقدرة ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء رد على الكهنة والمنجمين
فيما يعتقدونه في الكواكب وسع كرسيه السموات والارض رد على
الفلاسفة حيث قالوا العالم ارض وافلاك فقط ولا يؤده حفظهما
رد على اليهود في قولهم ان الله اعيا بخلق اولهم فاستراح يوم السبت
وهو العلي العظيم رد على الثنوية لثبوت التمانع قوله سبحانه وقل
الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا فيكون مربوبا ولم يكن له شريك في الملك فيكون

عاجزا محتاجا الى غيره ليعينه ولم يكن له ولي من الذل اي لم يكن له حليف الفه
لينصره على من يناويه لان ذلك صفة ضعيف عاجز وهذه الآية رد
على اليهود والنصارى حيث قالوا اتخذ الله ولدا وعلى مشركي العرب
حيث قالوا لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك
تملكه وما ملك وعلى الصابئين والمجوس حيث قالوا لولا اولياء الله لذل
الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا والحمد في الآية ليس هو على ان لم يفعل
ذلك وانما حمد على افعاله المحمودة ووجه الى من هذه صفته لان من
اجل ان ذلك صفته كما تقول انا اشكر فلانا الطويل الجميل ليس انك
تشكره على جماله وطوله بل على غير ذلك من فعله قوله سبحانه ولله
الاسماء الحسنى فادعوه بها وقوله قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما
تدعوا فله الاسماء الحسنى انما امره بذلك لان مشركي قومه لما سمعوا
النبي يدعوا ربه تارة بانه الله وتارة بانه الرحمن ظنوا انه الهين حتى
قال بعضهم الرحمن رجل باليمامة فانزل الله هذه الآية
احتجاجا لنبيه صلعم بذلك وانه شي واحد وان اختلف اسماؤه وصفاته
وقال نافع بن الازرق لابن عباس تفتي في النملة والقملة صف لنا
الهك الذي تعبده فقال الحسن بن علي يا نافع من وضع دينه على
القياس لم يزل الدهر في الارتماس مائلا عن المنهاج ظاعنا في
الاعوجاج ضالا عن السبيل قائلا غير الجميل يا ابن الازرق اصف الهي
بما وصف نفسه واعرفه بما عرفه به نفسه لا يدرك بالحواس ولا
يقاس بالناس فهو قريب غير ملتصق وبعيد غير منفصل يوحد ولا
يبعض معروف بالآيات موصوف بالعلامات لا اله الا هو الكبير
المتعال فصل قوله تعالى قالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه هو
الغني المعنيون بذلك طايفتان احدهما كفار العرب فانهم قالوا الملائكة
بنات الله والاخرى النصارى الذين قالوا المسيح ابن الله فكذب الفريقين
فقال في العرب فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون الآيات وقال قتاده

والذي كانت قريش تقول الملائكة بنات الله فنزلت الآية على وجه التقريع
ان تقول كيف يكون لربك البنات يا محمد ولهم البنون مع قوله واذا
بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودًا وقوله اصطفى البنات على البنين
ومن اصطفى الادون على الافضل مع القدرة كان ناقصًا ومن اين
علموا ان الملائكة اناث اشهدوا خلق الله لهم فراوهم اناثا الا انهم من
افكهم ليقولون ولد الله انما يتخذ الولد من يجوز ان يكون مثل ذلك
قد ولد وذلك مستحيل ولذلك استهزئ بمن قال الملائكة
بنات الله فقيل من اشتهن واما جواب النصارى فقد ذكرناه في
الفصل الاول قوله سبحانه وقالوا اتخذ الرحمن ولدا بل عباد مكرمون
لا يجوز عليه تعالى التبني لان التبني اقامة المتخذ لولد غيره مقام ولده لو
كان له فاذا استحال ان يكون له تعالى ولد على الحقيقة استحال ان يقوم
ولد غيره مقام ولده فلذلك لا يجوز ان يشبه بخلقه على وجه المجاز
لما لم يكن مشبهًا به على الحقيقة وحقيقة الولد من ولد على فراشه او خلق من
مائه ولذلك لا يقال تبنى الشاب شيخًا ولا تبنى الانسان بهيمة ولما
استحال ان يكون ذلك صارت هذه الحقيقة مستحيلة فيه ولا يجوز ان
يقال اتخذه ولدا اذا اختصه بضرب من المحبة لان في ذلك اخراج
الشيء عن حقيقته كما ان تسمية ما ليس بطويل عريض عميق جسمًا اخراج له
عن حقيقته قوله سبحانه واتخذ الله ابرهيم خليلا اما الخلة فقد جاز
عليه تعالى لاحد شيئين احدهما ان الخلة اخلاص المودة التي توجب
الاختصاص بتخلل الاسرار فلما جاز ان يطلع الله تعالى ابرهيم على امور
لا يطلع عليها غيره تشريفًا له اتخذه خليلا على هذا الوجه والثاني ان
الخلة بالفتح هي الحاجة قال زهير وان اتاه خليل يوم مسغبة
وانما اختص ابرهيم بذلك لانقطاعه عن الخلق وتوكله على الخالق
فصل قوله تعالى قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا
اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم الايمان هو التصديق بالقلب لا اعتبار بما

يجري على اللسان وهو في وضع اللغة التصديق وليس باسم لافعال الجوارح تقال
فلان يؤمن بكذا وقال الله تعالى لن نؤمن لك حتى نرى الله
جهرة وقال يؤمنون بالجبت والطاغوت وقال وما انت بمؤمن لنا
ولو كنا صادقين اي بمصدق الحق وقال من كل متكبر لا يؤمن
بيوم الحساب وقال وقلبه مطمئن بالايمان وقال اذا جاءك المنافقون
قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين
لكاذبون كذبهم الله مع اظهار الشهادة وقال الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم
وقال الذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء اخبر انهم مؤمنون وان
لم يهاجروا وقال ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات يدل على انه يكون
مؤمنا وان لم يعمل الصالحات وقال ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات فرق
بين الايمان والاعمال وقال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا الى قوله
انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم فسماهم في حال البغي المعصية اخوة المؤمنين
وقال كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من
المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق بعد ما تبين كانما يساقون الى الموت
وهم ينظرون حكى عنهم كراهة الحق والجدال فيه بعد وضوحه مع تسميتهم
بالايمان وقال من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا العمل لا يطلق الا
على افعال الجوارح لانهم لا يقولون عملت بقلبي وانما يقولون عملت بيدي
او برجلي ثم ان هذا مجاز يحمل على الضرورة وكلامنا مع الاطلاق
قال سعيد بن جبير جاء بنو اسد الى النبي ع في سنة جدبة واظهروا
الاسلام يطلبون الخير فاخبر الله سبحانه بذلك ليكون معجزة له فقال قل
لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا اي خضعنا والاسلام هو الاستسلام انس
قال النبي ع الاسلام قبل الايمان وعليه يتوارثون ويتناكحون والايمان عليه
يثابون قوله سبحانه فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير
بيت من المسلمين وقوله ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وقوله
ان الدين عند الله الاسلام يدل على ان الاسلام هو الايمان على الحقيقة

ومتى عرى عنه كان مجازاً قوله سبحانه فان علمتموهن مؤمنات وقوله فتحرير
رقبة مؤمنة انما اراد من اظهر الايمان فقط قوله سبحانه وما يؤمن
اكثرهم بالله الا وهم مشركون قال ابن عباس ومجاهد وقتادة
ما يؤمن اكثرهم بالله في اقراره بانه الخالق الا وهو مشرك بعبادة الاوثان
تقديره انهم ما يصدقون بعبادة الله الا وهم يشركون الاوثان معه
في العبادة وقال الرماني لا تنافي بين ان يؤمنوا بالله من وجه ويكفروا
به من وجه آخر كما قال افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض و
انكره البلخي وقال انما هو في المنافقين يؤمنون في الظاهر ويشركون في
الباطن والمعنى الصحيح انه لا يؤمن اكثرهم الا وهو مشرك في توحيده وعدله

فصل قد استدلت المعتزلة على ان الطاعات من الايمان بآيات
منها قوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا
الصلوة ويؤتوا الزكوة وذلك دين القيمة ولفظة ذلك عبارة عن الواحد
فكيف يكون عبارة عن جميع ما تقدم ثم ان لفظة ذلك كناية عن
التذكير والعبادات التي تقدم ذكرها انما يشار اليها بلفظة تلك وينبغي
ان يكون عدة الشهور في قوله ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً من
الدين ومنها قوله سبحانه بئس الاسم الفسوق بعد الايمان لا يدل على
بطلان حكم الايمان وارتفاع التسمية به وقد قال تعالى وما تفرق الذين
اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة ومعلوم ان التفرق لا يحدث
بعد البينة لم تبطل حكم البينة بل كانت ثابتة على ما كانت عليه وانما
اراد تعالى بعد مجيء البينة ثم ان هذا الاستدلال مبني على القول بالعموم
ونحن نخالف فيه واذا جاز ان يكون لفظ الفسوق مخصوصاً جاز ان يحمل
على حكم الفسوق ومنها قوله سبحانه وما كان الله ليضيع ايمانكم اراد به التصديق
الذي لا يعرف القوم في الايمان سواه والقرآن غير ناطق بان الايمان
المراد به الصلاة ولا معول في مثل ذلك على اخبار احاد ومنها قوله سبحانه
انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الآية لا يقتضي نفي اسم الايمان

من لم يكن بالصفات المذكورة فيها وانما يقتضي التفضيل والتعظيم فكانه تعالى قال
انما افاضل المؤمنين وخيارهم من فعل كذا وكذا كما تقول الرجل من يضبط
نفسه عند الغضب وان كان من لا يفعل ذلك لا يخرج من ان يكون
رجلاً قوله سبحانه حتى اذا ادركه الغرق قال آمنت انه لا اله الا الذي
آمنت به بنو اسرائيل كان ذلك ايمان الجاء لا يستحق به الثواب كما لا
يستحق بالايمان الضروري وهذا كقوله فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا
باسنا قوله سبحانه فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم
يستعتبون انما لا يقبل معذرتهم لانهم ملجاؤن في تلك الحال ولا هم
يستعتبون اي لا يقبل عتبهم ولا يقبل منهم الاعتاب قوله سبحانه
وقد تعلقت الخوارج في تكفير كل عاص بآيات ومنها قوله تعالى ومن لم يحكم
بما انزل الله فاولئك هم الكافرون لفظة من يعم ويخص وانما يعلم
احدهما بدليل قوله سبحانه فانذرتكم ناراً تلظى لا يصليها الا الاشقى
الذي كذب وتولى هذه الآية انما يستفاد بظاهرها ان النار التلظية
الموصوفة بالآية لا يصليها الا من كذب وتولى فليدلوا بعد ذلك على
انه لا نار لله سوى هذه النار الموصوفة ومنها قوله سبحانه وجوه يومئذ
عليها غبرة لا يدل على ان هناك وجوه اقوام ليست بهذه الصفة بل
بصفة اخرى اما ان يكون عليها غبرة بل سمة اخرى او بان يكون عليها
غبرة ولا ترهقها قترة ولو دل ذلك على ما قالوه لوجب ان يدل قوله
يوم تبيض وجوه وتسود وجوه على ان كل من لا يبيض وجهه من
المؤمنين يجب ان يكون مرتداً لانه تعالى قال لهم اكفرتم بعد ايمانكم
والخوارج لا تقول ذلك لان من المعلوم ان ههنا كفاراً من الاصل
ليسوا بمرتدين عن الاسلام ومنها قوله سبحانه يوم تبيض وجوه و
تسود وجوه ليست من الفاظ العموم عند احد فغير ممتنع ان يكون
الله تعالى اراد بعضها او اراد سواداً مخصوصاً يلحق هذه الوجوه وان لم يكن
لاحقاً بها ومنها قوله سبحانه وان جهنم لمحيطة بالكافرين لا يمتنع من ان يكون

محيطة بهم ايضا ومنها قوله سبحانه وهل يجازي الا الكفور لو اقتضى نفي
المجازاة عمن ليس بكفور لاقتضى ان يكون المؤمن غير مجازى بايمانه وطاعته
ويمكن ان يحمل الجزا على الاصطلاح في الدنيا لان الله تعالى اجرى
العادة ان يعاقب بهذا الضرب من جزاء الكفار دون غيرهم كما قال فاعرضوا
فارسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين الآية ومنها قوله
سبحانه لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم والمؤمن عندنا
لا يجوز ان يكفر لانه يؤدي الى اجتماع استحقاق الثواب الدايم و
العقاب الدايم معًا لبطلان التحابط والاجماع يمنع من ذلك فالوجه
فيه لا تعتذروا بالمعاذير الكاذبة فانكم بما فعلتموه قد كفرتم بعد
ان كنتم مظهرين الايمان الذي يحكم لمن اظهره انه مؤمن ومنها
قوله سبحانه ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا
كفرا المراد به من اظهر الايمان وليس كل من اظهر الايمان
يكون مؤمنا على الحقيقة في باطنه عند الله تعالى لجواز ان يكون ما
اظهره نفاقا او واقعا عن تقليد والثواب انما يستحق بالايمان
الحقيقي او يكون بحكم الظاهر كما قال فان علمتموهن
مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار وكما قال فتحرير رقبة مؤمنة
ومنها قوله سبحانه ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا
كفرا قال الحسن وقتادة وعطا نزلت في اليهود كفروا بعيسى و
الانجيل ثم ازدادوا كفرا بمحمد والقرآن وقال ابو العالية
نزلت في اليهود والنصارى كفروا بمحمد بعد ايمانهم بنعته
وصفته ثم ازدادوا كفرا باقامتهم على كفرهم ومنها قوله سبحانه
يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله اي الذين آمنوا باللسان
ظاهرا آمنوا بالجنان باطنا قال مجاهد وابن زيد يعني بذلك
اهل النفاق انهم آمنوا ثم ارتدوا ثم آمنوا ثم ارتدوا ثم ازدادوا
كفرا على كفرهم وقال قتادة عني بذلك الذين آمنوا بموسى ثم كفروا

بان عبدوا العجل ثم آمنوا يعني النصارى آمنوا بعيسى ثم كفروا به ثم ازدادوا
بنبوة محمد والاول اقوى ويكون خطابا للمنافقين وقال الجبائي
والبلخي والزجاج الخطاب لجميع المؤمنين امرهم الله تعالى بان يؤمنوا
به في المستقبل بان يستديموا الايمان ولا ينتقلوا عنه لان الايمان
الذي هو التصديق لا يبقى وانما يستمر بان يجدده الانسان حالا
بعد حال وهذا وجه جيد ومنها قوله سبحانه ان الذين ارتدوا على
ادبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى ليس فيها ما يدل على ان المؤمن
على الحقيقة يجوز ان يكفر لانه لا يمتنع ان يكون المراد من رجع عن
اظهار الايمان بعد وضوح الامر فيه وقيام الحجة عليه بالصحة ومنها
قوله سبحانه ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا
اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا واحسنوا
الايمان الاول هو التصديق والايمان الثاني هو الاطمينان الى
الصواب بفعله مع القدرة ومنها قوله سبحانه الذين آمنوا وتطمئن
قلوبهم بذكر الله وفي موضع انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله
وجلت قلوبهم المراد بالاول انه يذكر ثوابه وانعامه فيسكن اليه
والثاني يذكر عقابه وانتقامه فيخافه ويجل قلبه **باب ما يدخل
في ابواب العدل** مذهب المجبرة في الاصول الخمس الابري
انه يؤدي الى فساد معرفة شيء من طريق الاكتساب ومعرفة الصانع
والملائكة والرسل والكتب واليوم الآخر وارتفاع الامر والنهي و
بطلان التكليف وزوال الحمد والذم وسقوط الثواب والعقاب
واذا لم تقع معرفة من طريق الاكتساب والاستدلال فالادلة باطلة
والمعجزات عبث والهداية فاسدة لان من جبر على معرفة الحق
يعرفه ضرورة ومن جبر على معرفة الباطل لم يعرفه بالاستدلال والاكتساب
واذا فسد الاستدلال فسد معرفة الصانع لحصولها بالاستدلال وهو
مبني على ان الفعل في الشاهد متعلق بالفاعل واذا فسد الاصل لم يكن

الى اثباته سبيل والنبوات انما تعلم من طريق الاكتساب ان يظهر الله على ايديهم
المعجزات فاذا فسد الاصل فسد الفرع ومتى ما صح بطل التكليف والامر و
النهي والحمد والذم والثواب والعقاب ومتى ما بطل ذلك بطلت
النبوات راسا لانها مبنية على هذه الاصول وان الله تعالى اذا خلق بعضهم
كفارا وبعضهم مومنين ولا يقدران على التغيير فلما ذا بعث الانبيا
واذا جاز ان يضل الله الخلق جاز ان يبعث من يضلهم عنه فلم يومن ان
يكون داعيا الى الضلال واذا كان جميع الافعال لله فباي شي يومر و
ينهى ويكلف ويحث ويرغب ويرهب وهو لا يقدر على تقديم
وتاخير ولا نقض وابرام ولا فعل وترك ولئن جاز تكليف من هذا
حاله جاز تكليف الجماد وان الله تعالى فرق بين فعل نفسه وفعل
خلقه فقال هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مومن انا هديناه السبيل
اما شاكرا واما كفورا وقل الحق من ربكم فمن شا فليومن ومن شا
فليكفر قل يا ايها الناس قد جاكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما
يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وقد الزم على افعالهم
فقال ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها من عمل صالحا فلنفسه
ومن اسا فعليها ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غني
حميد فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا
يره من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن كفر فان الله غني عن
العالمين قد جاكم بصاير من ربكم فمن ابصر فلنفسه ومن عمي فعليها من
كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون وذكر ان الجزا
بالاعمال فقال فكلا اخذنا بذنبه من عمل سية فلا يجزى الا مثلها
فلنذيقن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ فاولئك
ما عليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس ليجزي الذين
اساوا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى ولا تزر وازرة وزر
اخرى وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه

الجزاء الاوفى وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين فما كان الله ليظلمهم ولكن
كانوا انفسهم يظلمون ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم فمن شا اتخذ
الى ربه سبيلا فمن شا اتخذ الى ربه مآبا ومن يعمل من الصالحات
وهو مومن فلا كفران لسعيه ومن يعمل سوا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله
يجد الله غفورا رحيما وهل يجازى الا الكفور جزاء بما كانوا يعملون جزاء بما كانوا
يكسبون ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وليجزي الذين اساوا بما عملوا
ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويجزيهم اسوا الذي عملوا ولا تكسب كل
نفس الا عليها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وما اصابكم من مصيبة
فيما كسبت ايديكم واضاف افعالهم الى اعضائهم فقال يعلم خاينة
الاعين فاغسلوا وجوهكم ولا تصعر خدك للناس ما يلفظ من قول
الا لديه ذلك بما كسبت يداك وما تخفي الصدور ويتمتعون ياكلو
كما تاكل الانعام وامرهم بالاوامر فقال آمنوا بالله ورسوله اطيعوا الله
واطيعوا الرسول واولى الامر منكم اقيموا الصلوة واتوا الزكوة واتوا
البيوت من ابوابها واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب
عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد وعدهم
اعملوا ما شئتم وليقترفوا ما هم مقترفون اصبروا وصابروا ورابطوا
واقتلوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد وافعلوا الخير توبوا الى
الله جميعا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا ونهاهم بالنواهي فقال ولا تلقوا
بايديكم الى التهلكة ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون
ولا تكتموا الشهادة لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين ولا تحزن عليهم
ولا تك في ضيق مما يمكرون ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق ولا
تقولوا ثلثة انتهوا خيرا لكم ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب
هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ولا تقولن لشي اني
فاعل ذلك غدا الا ان يشا الله ولا تعثوا في الارض مفسدين
ولا تمش في الارض مرحا ولا تبسطها كل البسط ولا تكن للخاينين

حصيا ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون
ووصف المحسنين بافعالهم فقال قد افلح المؤمنون التائبون العابدون
ان المسلمين والمسلمات مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات
ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين انهم كانوا قبل ذلك محسنين
كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون ان الله
مع الصابرين والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما
غضبوا هم يغفرون ولا يضيع اجر المحسنين انا لا نضيع اجر من احسن
عملا لعلكم تشكرون لعلكم تهتدون لعلكم تتقون لعلكم تعقلون
لعلكم تذكرون وعنف المجرمين وذكر عقوبتهم فقال والسارق
والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله الزاني والزانية
فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ومن يقتل مؤمنا متعمدا
فجزاؤه جهنم ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه وبدا لهم سيئات
ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا يستهزؤن انكم لفي قول مختلف يؤفك
عنه من افك قتل الخراصون ثم انكم ايها الضالون المكذبون
وصرح بمعتقد الانبياء ع فقال عن ادم ربنا ظلمنا انفسنا وعن
نوح رب انهم عصوني وعن موسى رب اني ظلمت نفسي وعن
ابرهيم ءانت فعلت هذا بالهتنا يا ابرهيم وعن يعقوب سولت
لكم انفسكم امرا وعن يوسف اني تركت ملة قوم لا يؤمنون
بالله وهم بالاخرة هم كافرون واتبعت ملة اباي وعن داود
لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وعن سليمن رب اغفر لي
وهب لي ملكا وعن عيسى ما قلت لهم الا ما امرتني به وعن نبينا
قل ان ضللت فانما اضل على نفسي وان اهتديت فبما يوحي الي
ربي وعن الملئكة اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن
نسبح بحمدك ونقدس لك ونسب الكفر اليهم ظاهرا فقال واتخذوا
من دون الله الهة وجعلوا لله شركاء الجن وخرقوا له بنين وبنات بغير

علم وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك
او يخرجوك واشباه ذلك وحكى مقالة الكفار فقال فويل للذين
يكتبون الكتاب بايديهم ثم وويل لهم مما يكسبون وان فريقا منهم يلوون
ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا
ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت ايديهم
السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون
هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم
يعلمون واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها قل
ان الله لا يامر بالفحشاء اتقولون على الله ما لا تعلمون سيقول الذين
اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا وقال الذين
اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء وقالوا لو شاء الرحمن
ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون واذا قيل لهم
انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين امنوا انطعم من لو يشاء
الله اطعمه وذكر امتناعهم عن الحق فقال ولو اننا نزلنا اليهم الملئكة
وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا ولئن اتيت
الذين اوتوا الكتاب بكل اية ما تبعوا قبلتك وان كان كبر عليك
اعراضهم فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في
السماء فتاتيهم باية نبي يلجئهم الى الايمان وعلى ترك الكفر فافعل
ذلك وقوله الم اعهد اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان
افتتح القران بالعدل فقال الحمد لله اي قل الحمد واختتم به فقال
قل اعوذ برب الناس والبسه بن الحباب ان كان يجزي بالخير
فاعله شرا ويجزي المسيء بالحسن فويل لتالي القران في ظلم الليل وطوبى
لعابد الوثن فصل وقلتم ان من الله جور الجائرين وفساد
المفسدين فهو عندكم المريد لشتمه ولقتل انبيائه ولعنة اوليائه وانه
امر بالايمان ولم يرده ونهى عن الكفر واراده وانه قضى بالجور والباطل
ثم امر عباده بانكار قضائه وقدره وانه المفسد للعباد والمظهر في
الارض الفساد صرف الناس عن الايمان وامرهم به وانه يعذب

اطفال المشركين بذنوب آبائهم واستبطائهم ان لم يفعلوا ما لا يقدرون عليه
فقال كيف تكفرون بالله وانه صرف اكثر خلقه عن الايمان ثم قال انى
تصرفون وافكهم وقال انى يؤفكون وخلق فيهم الكفر
ثم قال لم تكفرون ولبس الحق عليهم بالباطل ثم قال لم تلبسون الحق
بالباطل وانه دعى الى الهدى ثم صد عنه وقال لم تصدون عن
سبيل الله وانه منع العباد من الايمان وقال وما منع الناس ان
يؤمنوا اذ جاءهم الهدى وخلق فيهم الكفر وقال فما لهم لا يؤمنون
وانه حال بينهم وبين الطاعة ثم قال وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم
الآخر وانه ذهب بهم عن الحق ثم قال فاين تذهبون
وانه لم يمكنهم من الايمان ولم يعطهم قوة السجود ثم قال فما لهم لا يؤمنون
واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون وانه فعل بعباده الاعراض
عن التذكرة ثم قال فما لهم عن التذكرة معرضين وانه يمكر باوليائه
المحسنين وينظر لاعدائه المشركين لان العبد عندهم مجتهد في طاعته
فبينا هو كذلك وعلى ذلك اذ خلق فيه الكفر ونقله مما يحب الى
ما يسخط وبينما عدوه مجتهد في الكفر به والتكذيب له اذ نقله من
الكفر الى الايمان فهو عندهم لعدوه انظر منه لوليه فليس يثق
وليه بولايته ولا يرهب عدوه من عداوته وانه يقول المرسل
اهد والى الحق من اضللت عنه وانهوا عبادي ان يفعلوا ما شئت
واردت وامروهم ان يرضوا بما قضيت وقدرت لانه عندهم
شاء الكفر واراد الفجور وقضاء الجور وقدر الخيانة الصاحب
وان نفت ما قالوه في الجبر صلة ٭ خشيت جبال الارض منه تهدد
فهذا يقول الله يخلق نسمة ٭ ليشتم كلا انهوا على واجحد ٭ وقالوا اراد
الكفر والفسق والزنا ٭ وقيل النبي الذين تعبدوا ٭ وكلف ما لم يستطع
فعل محقق ٭ على عبده ما شاء ما يتردد ٭ وعاقبه عن تركه الفعل لم يطق
عقابا له بين الجحيم يخلد ٭ يقولون عدلا ان يكلف مقعدا ٭

قائما وعدوا مسرعا وهو مقعد **فصل** قوله تعالى وقد كانوا يدعون
الى السجود وهم سالمون سئل الصادق ع عن هذه الآية فقال مستطيعون
يستطيعون الاخذ بما امروا به والترك عما نهوا عنه وبذلك ابتلوا
وقال امير المؤمنين ع ما احسنت الى احد ولا اسات اليه
لان الله تعالى يقول من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها **قوله**
سبحانه فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا اى اظلم لنفسه ليخوض
على الله كذبا ويضيف اليه ما لا اصل له ٭ ابو هريرة قال قام رجل
من خثعم الى النبي ص فقال يا رسول الله متى يرحم الله عباده قال يرحم الله
عباده ما لم يعملوا بالمعاصي ثم يقولوا هي من الله انس قال النبي ص
سياتي اقوام يعملون بالمعاصي ويقولون هي من الله فاذا رايتموهم
فكذبوهم ثلث مرات ابو الصلت الهروي عن الرضا عن ابيه عن
الصادق ع وقد سئل عن ذنوبنا وذنوب غيرنا فقال ع ليس لنا ما لكم
ولا امانى اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به وسئل الصادق ع
عن افعال العباد فقال كل ما وعد الله وتوعد عليه فهو من افعال
العباد وسئل الرضا فقيل اهي مخلوقة لله فقال لو خلقها لما تبرا
منها وقد قال ان الله برئ من المشركين ورسوله
ولم يرد البراءة من خلق ذواتهم وانما تبرا من شركهم وقبائحهم
قوله سبحانه الذين ان مكناهم معناه اعطيناهم كل ما لا يصح الفعل
الا معه لان التمكين اعطاء ما يصح معه الفعل فان كان الفعل
لا يصح الفعل الا بالة بعلم ونصب دلالة وصحة وسلامة ولطف
وغير ذلك فاعطا جميع ذلك وان كان الفعل يكفي في صحة
وجوده مجرد القدرة فخلق القدرة هو التمكين واتصل بامير المؤمنين ع
ان قوما من اصحاب رسول الله ص خاضوا في التعديل والتجوير
فقال ايها الناس ان الله لما خلق خلقه اراد ان يكونوا كذلك الا
بان يعرفهم ما لهم وما عليهم والتعريف لا يكون الا بالامر والنهي والام

على اداب وضعه واخلاق شريفة
فعلم انهم لم يكونوا صح

والنهي لا يجتمعان الا بالوعد والوعيد والوعد لا يكون الا بالترغيب والوعيد
لا يكون الا بضد ذلك ثم خلقهم في داره واراهم طرفًا من اللذات
الخالصة التي لا يشوبها الم الا وهي الجنة واراهم طرفًا من المكاره التي لا
يشوبها لذة الا وهي النار فمن اجل ذلك يرون نعيم الدنيا مخلوطًا
بمحنها وسرورها ممزوجًا بكدرها وغمومها وسمع الجاحظ هذا
الحديث فقال هو جماع الكلام الذي دونه الناس في كتبهم و
تحاوروه بينهم ثم سمع ابو علي الجبائي فقال صدق الجاحظ
هذا ما لا يحتمله الزيادة والنقصان . العوفي كيفوا من خلو الكيف
فبحسن الواصفونا ثم قالوا خبر الخلق على ما يفعلونا فهم بالخير و
الشر معًا مستمعونا . فعلى ماذا ياتون وعما يالونا . لم هذا بعدنا
بوعد المستهذينا . ايجور الله في الحكم وانتم تعدلونا . جل رب
الناس عن ذاك وذل المجبرونا فصل قوله تعالى ما ترى في
خلق الرحمن من تفاوت وما فيه تفاوت من الكفر والمعاصي
ليس من خلق الله لانه نفى نفيًا عامًا ان يكون فيما خلقه تفاوت
وقال تعالى الذي احسن كل شيء خلقه والكفر ليس
بحسن ولا فعل متقن وقال تعالى الذي اتقن كل شيء اي اوجد
فيه وجهًا من وجوه الحكمة عريًا من ساير القبايح وقال تعالى
وهو الذي خلق السموات والارض بالحق قال الحسن والبلخي و
الجبائي والزجاج والطبري معناه خلقهما للحق لا للباطل وقال تعالى
وما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلا يدل على بطلان
قول المجبره ان كل باطل وسفه وما يخالف الحكمة من فعل الله تعالى
عن ذلك ثم قال . ذلك ظن الذين كفروا ووجدنا
من الافعال ما هو ظلم وعبث وفاعل الظلم ظالم وفاعل الفساد مفسد
وفاعل العبث عابث ووجدنا ايضًا في الافعال ما هو طاعة و
خضوع وفاعل الطاعة مطيع وفاعل الخضوع خاضع ولا يجوز ان يكون

الله مطيعًا ولا خاضعًا وتعلق الصاحب بتفاحة على شجرة واخذ نصفها و
بقي النصف عليها فقال له ابو اسحق الاسفرايني عندك القادر على الشيء
ينبغي ان يكون قادرًا على ضده فقال الصاحب كما قدرت على اخذها
اقدر على ردها الا ان الرطوبة خارجة عنها فلا يقبل وقال ابو حنيفه
رايت موسى بن جعفر وهو صغير السن في دهليز ابيه فقلت اين
يحدث الغريب منكم اذا اراد ذلك فنظر الي ثم قال يتوارى خلف
الجدار ويتوقى اعين الجار ويجتنب شطوط الانهار ومساقط الثمار
وافنية الدور والطرق النافذة والمساجد ولا يستقبل القبله ولا يستدبرها
ويرفع ويضع بعد ذلك حيث شاء فلما سمعت هذا نبل في عيني و
عظم في قلبي فقلت له جعلت فداك ممن المعصية فنظر الي ثم قال
اجلس حتى اخبرك فجلست فقال ان المعصية لا بد ان تكون من العبد
او من ربه او منهما جميعًا فان كانت من الله تعالى فهو اعدل و
انصف من ان يظلم عبده ويأخذه بما لم يفعله وان كانت منهما
فهو شريكه والقوي اولى بانصاف عبده الضعيف وان كانت من
العبد وحده فعليه وقع الامر واليه توجه النهي وله حق الثواب و
العقاب ووجبت الجنه والنار فقلت ذرية بعضها من بعض
والله سميع عليم ونظم هذا المعنى ؞ لم تخل افعالنا اللاتي تذم بها
احدى ثلث خصال حين ناتيها ؞ اما تفرد بارينا بصنعتها
فيسقط اللوم عنا حين ننشيها ؞ اوكان يشركنا فيها فتلحقه
ما سوف يلحقنا من لايم فيها ؞ اولم يكن لالهي في جنايتها
ذنب فما الذنب الا ذنب جانيها ؞ سيعلمون اذا الميزان شال بهم
اهم جنوها ام الرحمن جانيها فصل قوله تعالى سيحلفون
بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون انفسكم والله يعلم انهم لكاذبون
سال غيلان العبدي ابا الهذيل عن الاستطاعة فقال اخبرني عن
هذه الاية هل يخلوا من ان يكون اكذبهم لانهم مستطيعون للخروج وهم

لما يكون له فاستطاعة الخروج فيهم وليس يخرجون لقوله وانهم لكاذبون اي
هم يستطيعون الخروج وهم يكذبون فيقولون لسنا نستطيع ولو استطعنا
لخرجنا فاكذبهم الله على هذا الوجه او يكون على وجه آخر يقول انهم لكاذبون
اي اني اعطيهم الاستطاعة ولم يخرجوا فيكون معهم الاستطاعة على
الخروج ولا يكون الخروج ولا يعقل للاية معنى ثالث وقيل للنظام ان
كانت الاستطاعة لك فخذ لنا هذا العصفور فقال هذا من استطاعة
الباشق واليؤيؤ لا من استطاعتي وقال الكندي لا اقدر
على شيء ولا املك احدًا فقال الشيخ المفيد احكي حكمك على ما لا تملك
قال نعم قال فرقت مالك على المساكين وطلقت زوجتك واعتقت
عبدك ووقفت ملكك • واتي بطرار له اخوال والى البصرة فسال
عن الحكم فقال جرى يضرب خمسة عشر درة وقال ابو عبد الرحمن
بل ثلثين خمسة عشر لطره وخمسة عشر لحوله فقال يا ابا عبد الرحمن
لا ضرب على الحول قال نعم اذا كانا جميعًا من فعل الله
فاجعل الضرب على الطر احق منه على الحول وقال رجل لابي الهذيل
من جمع بين الزانيين يا ابا الهذيل فقال يا ابن اخي اما بالبصرة فانهم
يقولون القوادون واما اهل بغداد يخالفونهم في هذا القول
فما تقول انت فخجل الرجل وقال ابو العتاهية لثمامه وحرك يده من
حرك هذا قال ملعون من اللاعنين فغضب من قوله فقال الان لم يكن
فعلك فما هذا الغضب وقيل لثمامه اترضى بمن خلق المعاصي ربا
قال لا ولا عبدًا ودفع الى عياش برجل رمى فشج راس
بعضهم فقال له لم رميته فقال وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى
فضربه مائة سوط وقال وما ضربت اذ ضربت ولكن الله ضرب
ونزل ابو الاسود الدؤلي في بني قشير فرجموه بالليل فاشتكى منهم
فقالوا الله يرجمك فقال لا تكذبوا على الله فلو ان الله رماني لما اخطاني
ثم قال في ذلك ۞ رماني جاري ظالمًا برمية ۞ فقلت له مهلا فانكر ما اتى

وقال الذي يرميك ربك جاريا • مذ بنك والحوبات تعقب ما ترى •
فقلت له لو ان ربي رميته • رماني لما اخطى الهي ما رمى •
جزا الله شرًا كل من نال سوءة • ويحل فيها ربه الشر والاذى •
وقال يزيد لعلي بن الحسين طلب ابوك شيئا لم يكن له
باهل فقتله الله على يدي من كان له اهلا فما ذنبي في ذلك فقال
قال الله الا لعنة الله على الظالمين افتراه انه لعن قاتله ام نفسه فبهت
الصاحب ۞ نعم الرجال المجبرون لانما • قتل الحسين قضت به الاقدار
فعلام يلعن قاتلوه وانما • قتل الحسين قضى به الجبار • ونظر ابو علي الجبائي
في حال صباه صقرًا فقال ما تقول ان الله تعالى يخلق العدل قال نعم
قال افتسميه بفعله العدل عادلًا قال نعم قال افتقول انه يخلق الجور قال
نعم قال فما انكرت ان يكون بفعله الجور جائرًا قال لا يصح ذلك قال
فما انكرت ان لا يكون بفعله العدل عادلًا فانقطع صقر فجعل الناس
يقولون من هذا الصبي فقيل غلام من اهل جبا فنسب اليه وكان مجبر
يسال اصحاب بشر بن المعتمر ويقول اتحمدون الله على ايمانهم فهم
يقولون نعم فيقول فكانه يحب ان يحمد على ما لم يفعل وقد قال
ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فيقولون له انما ذم من احب ان
يحمد بما لم يفعل مما لم يقدر عليه ولم يدع اليه وهو يتعجب اذ اقبل ثمامة
بن اشرس فقال بشر دونك الرجل فسله فساله عن المسالة فقال
هل يجب عليك ان تحمد الله على الايمان قال لا بل هو
يحمدني عليه لانه امرني به ففعلته وانا احمده على الامر به والتقوية عليه
والدعا اليه فانقطع المجبر فقال بشر شنعت فسهلت وقال المامون
لثمامة خبرني هل ندم مسيء قط على اساءته قال نعم قال فالندم على
الاساءة احسان او اساءة قال احسان قال فالذي ندم هو الذي اساء
او غيره قال هو الذي اساء قال فارى صاحب الخير هو صاحب الشر وقد
بطل قولكم ان الذي ينظر نظر الوعيد هو الذي ينظر نظر الرحمة قال فاني

ازعم ان الذى اسا غير الذي ندم قال فهذا الذي ندم على شئ كان منه ام
من غيره فالخمه وانشد ذو الرمه ٭ وعينان قال الله كونا فكانتا ٭
فعولان بالالباب ما تفعل الخمر فقيل له فعولين خبر الكون فقال لو سبحت
ربحت وانما قلت وعينان فعولان وصفتها بذلك وانما تحرد بذلك
من الخبر فصل قوله تعالى حكاية عن الكفار ما كنا نعمل من سوء
فكذبهم الله تعالى فقال بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون يعترف ابليس
بعصيانه يوم القيمة ويقول انى كفرت بما اشركتمونى ويعاند المجبرى
فيقول والله ربنا ما كنا مشركين فينطق اعضاؤه يوم تشهد عليهم
السنتهم ويقول ابليس وما كان لي عليكم من سلطان ويقول قرينه
من الجن او الانس او الملئكة ربنا ما اطغيته ولكن كان فى ضلال بعيد
وقالت الكفرة ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله هولاء شفعاونا عند الله
والمجبرة تضيف كل سيئة اليه وقالت اليهود يد الله مغلولة وقالت
المشبهة كلتا يديه يمين وقالت النصارى ان الله ثالث ثلاثة وقالت
المجبرة تاسع تسعة وقالت المشركون الملئكة بنات الله وقالت
المجبرة صفات الله قديمة زعم المجبر انه لا يقدر على تحريك دينه ثم يعمل
بالاختيار والنص والتنودى اول من اظهر الجبر فى هذه الامة معوية
وذلك انه خطب فقال يا اهل الشام انا خازن من خزان ربي اعطي
من اعطاه الله وامنع من منعه الله بالكتاب والسنة فقام ابوذر رحمه الله
وقال كذبت والله انك لتعطي من منعه الله بالكتاب
والسنة وتمنع من اعطاه الله فقام عبادة بن الصامت ثم ابو الدرداء
وقالا صدق ابو ذر صدق ابو ذر صدق ابو ذر فنزل معوية عن المنبر
وقال فنعم اذا نعم اذا وفى رواية انه خطب فقال قال الله تعالى
وان من شئ الا عندنا خزاينه فلا تلام نحن فقام الاحنف فقال انا و
الله لا نلومك على ما فى خزائن الله ولكن نلومك على ما انزل الله علينا
من خزاينه واغلقت بابك علينا دونه شاعر اذا اعطى تمرحين يعطي ٭

وان لم يعط قال ابا القضا ٭ يجادر به سفها وجهلا ٭ ويعذر نفسه فيما يشاء
ابو محمد الحسن بن احمد الحسيني زعم السفيه ومن يضاهي قوله ان
الكباير من فعال الخالق ان كان حقا ما تقول فلم قضى حد الزناة وقطع
كف السارق الصاحب ٭ المجبرون يجادلون بباطل ٭ ويغر ما يجدون
فى القرآن ٭ كل يقالته الاله اضلنى ٭ واذا دام امرا كان عنه نهاني ٭
انقول ربكم لقوم آمنوا عملا ٭ وينهاهم عن الايمان ٭ ان كان ذا فتعوذوا
من ربكم ٭ ودعوا تعوذكم من الشيطان وله اياك والجبران تدين به
فان بالجبر قالت الفسقه ٭ نزه الله عن محارمه ٭ ولا تكن من اولئك
الطبقه ٭ لو كان قد قدر الزناء ٭ لما قد رحد الزنا والسرقه ٭ فقال من يرى
اقطعوا يده ٭ وقال فى الملحد اضربوا عنقه فصل قوله تعالى
من هدى الله فهو المهتدي الهدى الارشاد واصله الطريق يقال
هداه الطريق وللطريق والى الطريق وذلك سمي لكل مرشد هاديا
قوله فى التورية وجعلناه هدى وفى القرآن هدى للمتقين وللنار
او اجد على النار هدى ومعنى الدلالة والبرهان اذا ادى الى ذلك
وكان مقيدا مقرونا بها قوله اهدنا الصراط المستقيم وانك لتهدي
الى الصراط والله يهدي من يشاء الى صراط ومعنى النجاة والثواب اذا
اطلق وقوله والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل اعمالهم اولئك
الذين هديهم الله وهذا بعد القتل وقوله يهديهم ربهم بايمانهم
واصلح بالهم بالجنة ومعنى الوصف بذلك والحكم به عليه ولم تريدوا ان
تهدوا من اضل الله يعني تسموا مهتديا من قد سماه الله ضالا شاعر
ما زال يهدي قومه ويضلنا ٭ جهلا وينسبنا الى الكفار ٭ ومعنى زيادة
الالطاف وذلك انه يلطف لمن علم انه يؤمن فياتيه من الاسباب
ما يعلم انه يؤمن بسببه قوله ويهدي اليه من اناب ومن يؤمن بالله
يهد قلبه والذين جاهدوا فينا لنهدينهم ومعنى البيان والتعريف قوله
ان علينا للهدى انا هديناه السبيل وهديناه النجدين واما قول المجبرة انه بمعنى

خلق الايمان فيهم او بان يخلق ما يوجب ذلك من قدرة وغيرها او يحملهم
على ذلك جبرًا او ما جرى مجراه فقاسد لانه لا يقول اهل اللغة لمن
حمل غيره على سلوك الطريق جبرًا انه هداه اليه وانما يقال رده الى
الطريق وحمله عليه واكرهه وامثال ذلك ويجوز هداه الله بمعنى
التمكين او ما يجري مجراه لانه لا يصح التكليف الا مع البيان ولنا ومن
يهتدي برشد ومن يلق دينه بكفر من الاخر فالنار موعده
قوله سبحانه انا هديناه السبيل اما شاكرًا واما كفورًا المعنى اما
ان يختار بحسن اختياره الشكر لله تعالى فيصيب الحق واما ان
يكفر نعمة فيكون ضالا عن الصواب وليس المعنى انه مخير في ذلك
وانما خرج مخرج التهديد كقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر
بدلالة قوله انا اعتدنا للظالمين نارًا وانما المراد البيان بمن انه قادر
عليهما فايهما اختار جوزي عليه بحسبه وفي الآية دلالة على
انه تعالى قد هدى جميع خلقه المكلفين لان قوله انا هديناه
السبيل عام في جملتهم وذلك مبطل قول المجبرة ان الله لا يهدي
الكافر بنصب الدلالة على طريق الحق واجتناب الباطل وليس
كل من ترك الشكر كان كافرًا لان الشكر قد يكون تطوعًا كما تكون
واجبًا ثم ان الله تعالى بين ان ما ذكره على وجه التهديد لكفرهم
بقوله انا اعتدنا للكافرين سعيرًا وذكر ايضًا ما للمؤمنين لايمانهم
فقال ان الابرار يشربون من كاس قوله سبحانه فمنهم من
هدى الله ومنهم من حقت عليهم الضلالة لم يرد نصب الادلة
على الحق لانه تعالى سوى في ذلك بين الكافر والمؤمن كما قال واما
ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى وانما اراد من لطف
تعالى له بما علم انه يؤمن فسمى ذلك اللطف هداية وقيل فمنهم
من هدى الله الى الجنة بايمانه ومنهم من حقت عليه الضلالة قال
الحسن لانهم ضلوا عن طرق الحق وكفروا بالله وقال ابو الهذيل حقت

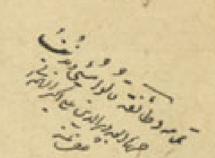
عليه الضلالة عن طريق الجنة بما ارتكبوا من الكفر والضلالة والمراد بالضلالة
ههنا العدول عن الجنة وقد سمى الله العقاب ضلالا في قوله ان
المجرمين في ضلال وسعر قوله سبحانه ان علينا للهدى قال قتاده
ان علينا البيان الطاعة من المعصية وفيه دلالة على وجوب هدى
المكلفين الى الدين وانه لا يجوز ضررهم عنده قوله سبحانه والذي قدر
فهدى التقدير تنزيل الشيء على مقدار غيره فالله تعالى خلق الخلق و
قدرهم على ما اقتضته الحكمة فهدى معناه ارشدهم الى طريق الرشد
من الغي وهكذا كل حيوان الى ما فيه منفعته ومضرته حتى انه اهدى
الطفل الى ثدي امه وميزه من غيره واعطى الفرخ الهداية حتى طلب
الرزق من ابويه والعصفور على صغره يطلب مثل ذلك بهداية الله تعالى
قوله سبحانه والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا اي نرشدهم
السبيل الموصل الى الثواب وقيل لنوفقنهم لازدياد الطاعات فيزداد
ثوابهم وقيل معناه لنرشدنهم الى الجنة قوله سبحانه من يهدي الله فهو
المهتد اي من يحكم الله بهدايته وسميه بها وباخلاصه الطاعة فهو
المهتدي في الحقيقة وفيه دعا الى الاهتداء وترغيب فيه وفيه معنى
الامر به وقيل من يهدي الله الى طريق الجنة فهو المهتدي اليها وقوله
ومن يضلل فلن تجد له اولياء من دونه اي من يحكم الله بضلالته و
يسميه ضالا بسوء اختياره للضلالة فانه لا ينفعه ولاية ولي له ولو
تولاه لم يعتد بقوله لانه من اللغوي الذي لا منزلة له فلذلك حسن
ان سمي لانه بمنزلة ما لم يكن وقيل من يضلله الله عن طريق الجنة واراد
عقابه على معاصيه لم يوجد له ناصر يمنعه من عقابه قوله سبحانه ان
الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقًا الا طريق
جهنم ظاهر الآية ان من كفر بالله ورسوله يعاقبهم الله على كفرهم و
ظلمهم ولا يهديهم الى الجنة بل يدخلهم النار ويحتمل انه لم يكن الله ليفعل
بهم ما يؤمنون عنده في المستقبل عقوبة لهم على كفرهم الماضي واستحقاقهم

حرمان ذلك وانه يخذلهم عن ذلك حتى يسلكوا طريق جهنم ويكون المعنى لم
يكن الله ليوفقهم للاسلام ولكنه يخذلهم عنه الى طريق جهنم جزاء لهم على ما
فعلوه من الكفر **قوله** سبحانه كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم المراد به
الثواب وما يجرى مجراه لانه قد يؤمن الكافر ويتوب الفاجر ويتب العاقد
والآية دليل لاهل العدل **قوله** سبحانه ان الذين لا يؤمنون بآيات الله
لا يهديهم الله يعنى الى طريق الجنة او قلت لا يحكم الله بهداهم لانهم كفار
قوله سبحانه لو هدانا الله لهديناكم انما هو حكاية قول رؤساء
المشركين فى جهنم لقوله فقال الضعفاء للذين استكبروا **قوله سبحانه**
فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة قد قلنا ان الهدى المطلق انما يكون
بمعنى البيان او النجاة وهذه الآية انما وردت فيمن اعيد بعد الممات
الا ترى الى اول قوله كما بدأكم تعودون **قوله** سبحانه والله لا يهدى القوم
الكافرين معناه انه لا يهديهم الى طريق الجنة والثواب لكفرهم ويحتمل
لا يهديهم بمعنى لا يقبل اعمالهم كما يقبل اعمال المهتدين من المؤمنين لان
اعمالهم لا تقع على وجه يستحق بها المدح وقيل لا يحكم بهدايتهم لكونهم
كفارا **قوله** سبحانه والله لا يهدي القوم الظالمين اخبار منه تعالى
انه لا يهدى احدا ممن ظلم نفسه وكفر بآيات الله وجحد وحدانيته
الى الجنة كما انه يهدى المؤمنين **قوله** سبحانه والله لا يهدي الفاسقين
اى لا نحكم للفاسق بانه مهتد ولا يجرى عليه مثل هذه الصفة لانها
صفة مدح **فصل** قوله تعالى ليس عليك هداهم لم يقل
ليس اليك فسقط التعلق وذلك انه اذا قيل عليك
كذى فانما معناه انه يجب عليك كذى كقوله ولله على الناس ولا يلزم
النبي هداية اولئك وانما عليه التبليغ لقوله اولئك الذين هدى الله
فبهداهم اقتده ويفسرون الهدى بالنفقة والثواب ثم قال ولكن الله
يهدي من يشاء قال ابن الاخشيد والزجاج انما علق الهداية بالمشية
لمن كان فى المعلوم انه يصلح باللطف وليس كل احد يصلح به فلذلك جاء
الاختصاص بالمشية وقال الجبائى الهداية فى الآية هو الى طريق الجنة
قوله سبحانه انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء
قالوا كان النبي يحب اسلام ابي طالب ويكره اسلام الوحشي فنزلت
الآية فى ابي طالب ونزل فى الوحشي يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم
فلم يسلم ابو طالب واسلم الوحشي فلو جاز للنبي ان يخالف الله تعالى فى
ارادته لجاز ان يخالفه فى اوامره ونواهيه واذا كان الله لم يرد ايمانه
واراد كفره واراد النبي ايمانه فقد حصل غاية الخلاف بين اراد
الرسول والمرسل ابن زريك ولو لم تكن قد شاطاعا بهم لما اتاهم بها عن ربهم
مطلق الامر وافق ابليس اللعين بزعمكم نعم وفاق المصطفى العلم الطهر
وحين اراد الكفر من معشر فلم دعاهم الى الايمان هذا من الهجر وما جاء
الدنيا الى الرسل حين من توخى بهم ايمانهم سبب الكفر **قوله سبحانه**
هدى للمتقين الايمان ليس يهدي من جهة كونه ايمانا وليس فيه
تخصيص ولا يصح ان يكون هدى على مذهبهم لان العبد عندهم غير
مختار وهدى للمتقين لا يدل على انه ليس بهدى لغيرهم **قوله سبحانه**
من قبل هدى للناس اي بيانا ودلالة على ان الله تعالى هدى الكافر الى
الايمان كما هدى المؤمن **قوله** سبحانه ان تحرص على هداهم فان الله
لا يهدي من يضل من فتح اليا اراد ان الله لا يهدى من يضله اذ قلت ان
من اضله الله لا يهتدي ومن ضم اليا اراد ان من حكم الله بضلاله و
سماه ضالا لا يقدر احد ان يجعله هاديا او قلت ان من اضله الله
لا يقدر احد على هدايته اليها ولا يقدر هو ايضا على ان يهتدى اليها **قوله**
سبحانه اهدنا الصراط المستقيم اللفظ لا ينبئ عن انه يفعل خلافه وانما
يسأله ذلك المؤمنون ولو كان المراد به الايمان لم يكن لسؤالهم ما اعطوه
معنى ولكان الواجب ان يقول ذلك من لم يعطه والظاهر يدل على
الاستقبال وقال مجوسى لامير المؤمنين كيف ادخل فى دين
لم يهتدوا ربه حيث لا يزالون يقولون اهدنا اهدنا فاجابه ان معناه ثبتنا

قوله سبحانه فمن تبع هداي اي جعل الاتباع الى المخلوق ولو كان من الله تعالى
لقال فمن اتبعته هداي قوله سبحانه ويزيد الله الذين اهتدوا هدى
يزيد الذين اهتدوا الى طاعة الله واجتناب معاصيه هدى ووجه
الزيادة لهم فيه ان يفعل بهم الالطاف التي تستكثرون عندها الطاعات
بما بينه لهم من وجه الدلالات والامور الداعية الى فعل الخيرات.
وقيل زيادة الهدى هي ايمانهم بالناسخ والمنسوخ قوله سبحانه ان الله
لا يهدي من هو كاذب كفار معناه انه لا يهدي الى طريق الجنة او لا يحكم
بهدايته الى الحق من هو كاذب على الله بانه امره باتخاذ الاصنام قوله
سبحانه واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى اي ستار
لمن تاب من المعاصي فاسقط عقابه واستر عليه معاصيه اذا اضاف الى
ايمانه الاعمال الصالحة وقال قتادة معناه لزم الايمان الى ان
يموت كانه قيل ثم استمر على الاستقامة وانما قيل ذلك لئلا يتكل الانسان
على انه كان اخلص الطاعة وفي تفسير اهل البيت ع ثم اهتدى الى ولاية
اوليائه الذين اوجب الله طاعتهم والانقياد لامرهم وقال ثابت البناني
ثم اهتدى الى ولاية اهل البيت ع فصل قوله تعالى يهدي الله
لنوره من يشاء اي لدينه وايمانه بان يفعل له لطفا يختار عنده الايمان
اذا علم له اهلا وقيل يهدي الله لنبوته من يشاء ممن يعلم انه يصلح لها
وقيل يحكم بايمانه لمن يشاء ممن آمن به قوله سبحانه ومن لم يجعل الله
له نورا فما له من نور اي من لم يجعل الله له نورا في قلبه ويهديه به فما له
من نور يهتدي به وقيل من لم يجعل الله له نورا يوم القيمة يهديه الى الجنة
فما له من نور يهديه اليها قوله سبحانه قد جاءكم من الله نورا خبر انه
يخص بذلك المتبع لرضوانه والمتبع لرضوانه قد حصل له البيان والايمان
قوله سبحانه فاما الذين كفروا فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا
الظاهر ان يكون الايات زادتهم الرجس بالحقيقة ولا خلاف ان الايات
لا تفعلها في الحقيقة وان الله زادهم رجسا بالآيات نحو ما دعوه وهذا كما

لان عندهم ان الآيات غير موجبة للرجس ولا يصح ان يزيدهم الله الرجس بالايات
وانما يزيدهم ذلك بالقدرة الموجبة لذلك ولا يجوز احد منهم ان يزيدهم
الآيات رجسا قوله سبحانه وما اختلف فيه الا الذين اوتوه وقوله قل لله
المشرق والمغرب يهدي من يشاء الهدى اصله الدلالة وهو من فعله
بلا خلاف فاذا هدى الكل صح وصفه بانه يهدي من يشاء كما لو هدى
البعض صح ذلك فيه ويدل على انه هدى الجميع قوله انا هديناه السبيل
هدى للناس والخصم معترف بان الهدى في الآية بمعنى الدلالة ولولا
لانه بعث النبيين مبشرين ومنذرين وقال اختلفوا
بغيا وعدوا لا جبرا اذ محال ان يقول جاءتهم البينات ولم تاتهم او يقول
كانوا غير متمكنين من النبيين كما انه محال ان يقول اتيت زيدا بكتاب فلم
يقراه بغيا وعدوانا وهو غير متمكن من قراءته قوله سبحانه قل فلله الحجة
البالغة فلو شاء لهديكم على سبيل الجبر ولم يقل لاهتديتم والهداية انما
هو البيان والدلالة لانه هدى الجميع بمعناهما او الفوز والنجاة ولا خلاف
في انه لو شاء لنجى جميعهم ولاثابهم او الايمان والدين ولا يصح ذلك لانه
لا يقال فيمن خبر غيره على امر قد هداه وانما يقال ذلك اذا ارشده اليه و
دله عليه ومعنى الآية انه حكى عن قول الكفار فقال سيقول الذين
اشركوا فجعلهم في قوله انه لو شاء الله ما اشركوا ولا حرموا شيئا كاذبين
فوجب ان يكون الله تكذيبه اياهم فيما ادعوا مريدا لايمانهم كارها لما هم
عليه من الشرك فلما كذبهم قال قل فلله الحجة اذ كانوا اشركوا
من جهة انفسهم من غير ان يكون اراد منهم الشرك او امرهم به او حملهم
عليه اذ لو فعل شيئا من ذلك لكان لهم الحجة عليه فصل
قوله تعالى أئذا ضللنا في الارض واضله الله على علم اعلم ان ضل لازم يقال
ضل الشيء اي ضاع وهلك قوله ضل سعيهم في الحيوة الدنيا ومعنى
العذاب ان المجرمين في ضلال وسعر ومعنى ابطال العمل فلن يضل اعمالهم
ومتعد نحو ضل فلان الطريق اي لم يهتد له قوله ان ربك هو اعلم بمن ضل عن

سبيله وقد جاء اضل على وجوه اضله فلان اهلكه قوله واضل اعمالهم
ومعنى اضل الرجل دابته اي ضلت عنه قال الشاعر هبوني امرًا
منكم اضل بعيره • فالالف للفرق بين ما لا يفارق مكانه وبين ما يفارق
ومعنى انه ضل عنه لا من غيره كما يقولون اضلت فلانه فلانا واذهبت
عقله وهو لا تعرفه لكنه قد ذهب عقله من اجلها وعند دعوتها
اياها انسب اليها ومعنى الحكم عليه بالضلال والتسمية اضله فلان
اى سماه ضالا مثل اكفره اذا نسب عليه قال • الكميت
فطايفة قد اكفروني بحبكم وقوله فما لكم في المنافقين فئتين الاية
وقوله اتريدون ان تهدوا من اضل الله ومعنى الوجدان
اضللت فلانا قوله واضله الله على علم ومعنى ان تفعل ما عنده يضل
العبد او لاجله فينسب ضلاله الى نفسه كقوله رب انهن اضللن
كثيرا من الناس ولا فعل للاصنام ومعنى تشديد الامتحان
مثل ان يسال الرجل شيا نفيسا فاذا بخل به قيل له قد بخلك فلان
يريدون به عيب المسول لا السايل ويقولون افسدت فضتك
في النار اي فسادها عند محنته وقوله وما جعلنا اصحاب النار
الى قوله كذلك يضل الله الظالمين من ان اضلاله للعبد يكون
على هذا الوجه من انزاله آية متشابهة او تكليفه اياه امرا لا يعرفون
الغرض فيه ومعنى الصد عن الخير والرشد والدعاء الى الفساد
مثل قوله واضلهم السامري واضل فرعون قومه وقوله ان الله
لا يستحيي ان يضرب مثلا الى قوله يضل به كثيرا يعني بضرب المثل
ثم قال • وما يضل به الا الفاسقين ولا خلاف انه لا
يضل بضرب المثل احدا وانما يضل المكلف عند ذلك ومعنى
الحرمان قوله ومن يرد ان يضله ويتعدى لفظة اضل الى مفعولين
وهو ياتي مع اداة وبغيرها فيقال اضله الطريق وعن الطريق وقوله
اضلونا السبيلا وقوله ليضل عن سبيله فهذا الاضلال بمعنى الاعراض



عن الحق واذا كان الضلال لفظ مشترك فلا يجوز ان ينسب اليه اقبحها وهو
ما اضافه الى الشيطان بل ينبغي ان ينسب احسنها واجملها وليس شي
من هذا الجنس مضافا الى الله تعالى لانه ليس فيه انه اضل عن الدين
او عن الحق وانما يجي مطلقا غير مقرون بما ضل عنه كقوله يضل من
يشاء واضله الله على علم وقولهم اضله الله جايز بمعنى العذاب والاهلاك
والحكم والتسمية والوجدان والمصادفة ومعنى ان يفعل ما يضل العبد
فيضيفه الى نفسه ولا يجوز بمعنى خلق الضلال فيه او خلق ما يوجبه
من قدره وغيرها كما تقول المجبرة وعند بعضهم يجوز ان يضل بمعنى
التلبيس وعند بعضهم يجوز ان يضل عن الدنيا ابتداء وقال بعضهم لا
يجوز ابتداء وكلها باطل من وجوه وذلك انه لا يقال في اللغة اضله
بمعنى خلق فيه الضلال او خلق فيه ما اوجب الضلال ولا سائر اقوالهم
لان العرب تقول اضله فلان عن الطريق اذا لبس عليه بشبه ولا
يقال لمن رد غيره عن الطريق قهرا انه اضله انما يقال رده وصرفه
ونحوهما والاضلال في الدين لا يجوز من الله تعالى بحال لانه لا يصح التكليف
الا مع البيان والاضلال هو التلبيس والتلبيس والبيان متضادان
ولو اضلهم الله هكذا لم يكن للاحتجاج عليهم بالرسل والكتب واقامة الادلة
والترغيب والترهيب والوعد والوعيد معنى ولا فايدة قوله سبحانه
حكاية عن ابليس ولاضلنهم ولامنينهم ذم ابليس وحزبه من حيث اضل
الناس عن الدين وامرهم بالاستعاذة منه فقال قل اعوذ برب الناس
السورة وقل اعوذ بك من همزات الشياطين واذا قرات القرآن
فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم فلو كان الله يضل عباده عن الدين
كما يضل الشياطين لاستحق من الذمة مثل ما استحقوه ولوجبت الاستعاذة
منه وان يتخذوه عدوا وكيف يجوز ان يذم ابليس وحزبه لامر تعاطى مثله
وهو اوله وآخره وانه اضاف الاضلال عن الدين الى جماعة وذمهم
لذلك فقال وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل ولاضلنهم

ولامنينهم

ولقد اضل منكم جبلاً كثيراً اى ابليس واضل فرعون قومه واضلهم السامري رب
انهن اضللن كثيراً من الناس اى الاصنام وقال الذين
كفروا ربنا ارنا اللذين اضلانا من الجن والانس ليصدونهم عن السبيل
ويحسبون انهم مهتدون وان تطع اكثر من فى الارض يضلوك فهاولاى
الذين ذمهم الله اما ان يكونوا قد ضلوا غيرهم عن الدين فى الحقيقة دون
الله او يكون الله قد اضلهم دونها ولا فهو سبحانه منقول عليهم وعابهم
بما هو فيه دونهم وذمهم بما لم يفعلوه وبهذا الوجه نقول القدرية ويزعمو
ان ابليس وجنوده لم يضلوا احداً عن الدين فى الحقيقة دون الله وانما
اضلهم الله دونها ولا لان ها ولا لا يقدرون على الاضلال بحال و
اذا كان الله مشاركاً لهم فى ذلك كيف يجوز ان يذمهم بفعل هو شريكهم
قد ساواهم فيه وان استحقوا الذمة وجب له مثل ما استحقوه قوله سبحانه
اثنان يبدوا منهما الفعل واحداً يلام عليه ذا و ذلك يحمد وانه بين انه
يضل الظالمين وانه لا يضل الا الفاسقين وانه لا يهدى الكافرين و
الفاسقين والظالمين وانه يضل من هو مسرف مرتاب وانه يهدي
قلب من هو مؤمن وان من يجاهد فيه يهديه سبله فلو كان الله هو
المضل ابتداءً لكان جميع هذه الآيات باطلاً لانه قد يرتد المسلم
ويكفر ويؤمن الكافر ويتوب والضال لا يضل وعلى قضية قولهم
يجب ان نقول انى لا اضل الا المؤمن ولا اهدى الا الكافر وانه نفى
الالهية عما سواه مما كانوا يعبدونه فقال قل هل من شركائكم فلو كان
يضل عن الحق لكان قد ساواهم فى الاضلال وانما لاجله نهى عن
اتباعهم بل ارى عليهم والاضلال فى الدين على سبيل التلبيس انما
يفعله العاجز عن الصد والمنع كالشيطان فانه لو قدر على المنع لما اجتهد
بالحيله والوسوسة والله تعالى غير عاجز فلا يضل عن الدين على سبيل
التلبيس انه انما اضاف ما اضافه الى نفسه من الاضلال مطلقاً غير
مقرون بما اضل عنه ولم يقل فى آية انه اضل او يضل عن الدين وانما قال اضل

او يضل من يشاء واذا ورد مطلقاً كان معناه الاهلاك والابطال كما ان لفظة
ضل اذا وردت كان معناها الهلاك والطلان قوله سبحانه فيضل الله
من يشاء ويهدي من يشاء فى خمسة مواضع من القرآن يعنى يهلك
وينجى ولا يجوز فيها غير ذلك لمقتضى اولاها واخريها ولانه مطلق قوله
سبحانه فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء يحتمل امرين احدهما انه
يحكم بضلال من يشاء اذا ضلوا هم عن طريق الحق والثانى يضلهم عن
طريق الجنة اذا كانوا مستحقين للعقاب ويهدي من يشاء الى طريق
الجنة قوله سبحانه يضل به كثيراً اي بضرب المثل كفروا ولم يقل
يضل عن الدين به الصاحب • يضل عن ثوابه اعداه • وانما صيره جزاه
ولم يرد فى حاله اغواه • بل جلب الانسان ما قد شاه قوله سبحانه
ومن يرد ان يضله ليس فيها انه اضل قوماً او يضلهم ولا انه يريد
ذلك ولم يقل ومن يرد ان يضله عن الدين وانه بين على جهة الجزاء
قوله سبحانه ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء ولم يقل عن الدين
وان هى ترجع الى متقدم ولا مذكور متقدم الا الرجفة قال رب
لو شئت اهلكتهم من قبل قوله سبحانه فلن تجد له سبيلا الى
طريق الجنة والثاني من يخذله الله عقوبة على معاصيه على طريق
الرشاد ولم يوفقه لحرمانه نفسه بسوء اختياره فلن تجد له سبيلا
الى الحق يقصيه اليه قوله سبحانه افرايت من اتخذ الهه هواه و اضله
الله ليس فيه انه اضله عن الدين واضاف الفعل اليه ثم بين ان الله
اضله اي عاقبه قوله سبحانه يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت
والخصم لا يجوز ذلك ويضل الله الظالمين اي يعذبهم قوله سبحانه
ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم
الاضلال الدعاء الى الضلال الذي يقبله المدعو وقال بعضهم انه
لا يصح اضلال احد لغيره وانما يقال ذلك على وجه المجاز ذهب الى
ان الله فعل الضلال فى غيره لانه لا يوصف بانه مضل لغيره اذا اضل المدعو

ومن يضلل الله فما له

باغوائه وقال الرماني هذا غير صحيح لانه يذم بالاستدعاء الى الضلال الذي
لا يقبله المدعو فلذلك فرق بين الاستدعاء من فوصف احدهما
بالاضلال ولم يوصف الآخر به **قوله** سبحانه قل من كان في
الضلالة فليمدد له الرحمن مدا ولم يقل انه يمدهم والمد في الطغيان
غير معقول وانما قال ـــــ مد له في العمر وامده بكذا فالمد
اذا اطلق رجع الى العمر وليس هذا فعل من يريد اضلالهم بل
جميع ذلك دال على انه مريد الخير بهم ومريد منهم الطاعة والرجوع
قوله سبحانه يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به
الا الفاسقين وقوله ويضل الله الظالمين قال الطوسي من اطلق
ان الله تعالى لا يضل ولا يهدي او ان العباد يضلون انفسهم و
يهدونها فقد اخطا ونقول من اضله الله فهو الضال ومن
هداه فهو المهتدي ولكن لا نريد بذلك ما يريد به المخالف مما
يودي الى التجوير الى الله في حكمه لانهم يقولون ان الله يضل
كثيرا من خلقه بمعنى انه يصد عن طاعته ويحول بينهم وبين معرفته
ويلبس عليهم الامور ويحيرهم ويغلطهم ويشككهم ويوقعهم في
الضلالة ويجبرهم عليها ومنهم من يقول يخلقها فيهم ويخلق فيهم
قدرة موجبة لها ويمنعهم الامر الذي به يخرجون منها تعالى الله عما يصفون
ما اقبح الصفات واخبثها وقلنا انه قد اضل قوما وهدى آخرين وانه
يضل من يشاء ويهدي من يشاء غير انه لا يشاء ان يضل الا من ضل
وكفر كما هو مقتضى الآيات وانه لا يشاء ان يضل المومنين المهتدين
المتمسكين بطاعته بل يشاء ان يهديهم ويزيدهم هدى وانه يهدي
المومنين بان يخرجهم من الظلمات الى النور كما قال ـ والذين
اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم وقال ومن يومن بالله يهد
قلبه **فصل** قوله تعالى قل ان ضللت فانما اضل على نفسي و
ان اهتديت فبما يوحي الى ربي اضاف الضلالة الى نفسه ولم يقل

بقضاء ربي وارادته **قوله** سبحانه ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا
يدل على بطلان قول المجبرة ان الله تعالى يفعل المعاصي ويريدها لانه
نسب اضلالهم الى انه بارادة الشيطان على وجه الذم لهم فلو اراد تعالى
ان يضلهم بخلق الضلال فيهم لكان ذلك اوكد وجوه الظلم في اضلالهم
قوله سبحانه انما استزلهم الشيطان وهم ينسبونه الى الله تعالى **قوله سبحانه**
وزين لهم الشيطان اعمالهم اي هو الذي يزين الكفر للكافرين بخلاف
ما يقول المجبرة ان الله هو المزين لهم ذلك وفيها حجة على من قال ان
الله تعالى لم يرد من الكافر الايمان وانه ارسل الرسل نبيه عليهم وعلى زعم
من زعم انه احد الكافرين بالباساء والضراء في الدنيا ليس لما اراد من
صلاحهم لانه بين انه انما فعل بهم ذلك ليتضرعوا وهذه لام الغرض
لان الشك لا يجوز عليه تعالى **قوله** سبحانه واضلهم السامري معناه
انه دعاهم الى عبادة العجل فضلوا عند ذلك فنسب الله تعالى الاضلال
اليه كما ضلوا بدعائه وهذا خلاف مذهبهم **قوله** سبحانه اذ الاغلال
في اعناقهم الى قوله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا كذلك يضل
الله الكافرين قال ـ الحسن معناه كذلك يضل اعمالهم بان
يبطلها وقيل كذلك يضل الله الكافرين عن نيل ثواب الجنة وقيل
كذلك يضل الله الكافرين عما اتخذوه آلهة بان يصرفهم عن الطمع في
نيل منفعة من جهتها **فصل** قوله تعالى والله يريد ان يتوب
عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما وقال يريدون
ان يطفئوا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره وقال يريدون
عرض الدنيا والله يريد الآخرة وقال ـ يريدون ان يخرجوا
من النار وما هم بخارجين منها وقال يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت
وقال وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله قد اخبر
الله تعالى ان ما اراد منهم غير ما ارادوه واخبر انه لا يريد الظلم بوجه من الوجوه
قوله وما الله يريد ظلما للعباد وما الله يريد ظلما للعالمين ما يريد الله ليجعل عليكم

في الدين من حرج واخبر انه لا يحب المعاصي قوله ولا يرضى لعباده الكفر والله لا يحب
الفساد انه لا يحب المعتدين لا يحب الله الجهر بالسوء من القول ولا يامر بالفحشاء
ولكن الله حبب اليكم الايمان وسئل النبي هل يريد الله المعاصي وهو يعاقبها
فاحمر خداه وقال نعم بعث وسمع ابن سيرين رجلا يقول ما فعل فلان
قال هو كما شاء الله فقال ابن سيرين لا تقل كما شاء الله ولكن
قل كما يعلم الله ولو كان كما شاء الله كان رجلا صالحا وقال فضيل بن عياض
لو كانت الامور بالمشية فالناس كلهم مطيعون واستدل جبري بقوله ولو
شاء ربك لامن من في الارض فقال عدلي فاولها وآخرها يفيد دليلك
اما اولها فلولا كانت قرية آمنت وآخرها افانت تكره الناس حتى يكونوا
مومنين **فصل** قوله تعالى وما تشاؤن الا ان يشاء الله كلام
مجمل غير مفسر وهو في القرآن في ثلثة مواضع وجميعه في الطاعات
والطاعة بامره ومشيته والكلام متعلق بما تقدم من ذكر الاستقامة
لانه تعالى قال وما تشاؤن الا ان يشاء الله اي لا تشاؤن
الاستقامة الا والله مريد لها والله يريد الطاعات ولو اراد جميع ما يشاؤن
لادى الى مناقضة القرآن لانه بين ان ارادته خلاف ارادة المخلوق
ذكرناها قبله والحكيم لا يجوز ان يريد القبايح ولا المباح لان ذلك صفة
نقص وهو يتعالى عن ذلك وهذه الآية حجة لنا لانه جعل لنا مشية و
علقها بمشيه وعندهم ان مشية الله تعالى فعله ولا حجة لهم فيه لانه معارض
بالآيات الصريحة في انه تعالى لا يريد القبيح ويمكن حمل الآية على العموم لان
العباد يشاؤن عندهم ما لا يشاؤه الله تعالى بان يريدوا ما علم الله سبحانه
لانه لا يقع بمنع او غيره **قوله** سبحانه فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره
للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا الضمير في قوله يشرح صدره
للاسلام عايد الى اسم الله لقوله افمن شرح الله صدره للاسلام وقوله الم نشرح لك
صدرك والمعنى ان الفعل مسند الى اسم الله في اللفظ وفي المعنى الى المشروح
صدره وانما نسبه الى ضمير اسم الله لانه بقدرته كان وتوفيقه كما قال وما رميت

اذ رميت ولكن الله رمى ويدل على ان المعنى لفاعل الايمان اسناد هذا الفعل
الى الكافر في قوله ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله فكما اسند
الفعل الى فاعل الكفر كذلك يكون اسناده في المعنى الى الفاعل الايمان
ويحتمل ان يكون راجعا الى من وتقديره ان المهدي يشرح صدر نفسه و
يكون تقديره من اراد الله ان يهديه الى طريق الجنة فليطعه ومن اراد
ان يعاقبه فليعصه والارادة واقعة على فعل العبد تقلبه الضيق يوضح
ذلك قوله ومن كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان
ولكن من شرح بالكفر صدرا فالطمأنينة الى الايمان تعلقهم لا محالة لانه ايمان
ثم نسب تعالى شرح صدرهم بالكفر اليهم **قوله** سبحانه من يشاء الله يضلله
ومن يشاء يجعله على صراط مستقيم لا يجوز ان يكون على عمومه لانا قد علمنا انه تعالى
لا يشاء ان يضل الانبياء والمؤمنين ولا يهدي الكافرين كما قال والذين
اهتدوا زادهم هدى وقال يهدي به الله من اتبع رضوانه
وقال ويضل الله الظالمين وقال وما يضل به الا الفاسقين فالمعنى من
يشاء الله يضلله يخذله بان يمنعه الطاقة فاعرض عن الادلة فيكون كالاصم
والاعمى وقيل من يشاء الله اضلاله عن طريق الجنة ونيل ثوابها
يضلله على وجه العقوبة ومن يشاء ان يرحمه يهديه الى الجنة **قوله**
سبحانه ولو شاء الله ما اقتتل الذين ليس فيها اكثر من انه سئل ان يفعلوا
ذلك ما فعلوه فمن اين يدل على انه قد شاء ما فعلوه وليس كل من لا يشاء
شيئا يكون مريدا الضد لان المسلمين لو شاءوا لمنعوا اهل الذمة في دار
الاسلام عن المنكرات فلبسوا لما يقيّ وهم غير راضين ولا مريدين لذلك
قوله سبحانه ولو شاء الله لجمعهم على الهدى لم يقل الى لو شئت من
جميعهم الهدى لامنوا ولم يقل لو شاء لاجمعوا على الهدى وكيفية جمعهم
عليه اما ان يكون جبرا كقول المجبرة او بان يوجد فيهم القدرة الموجبة له
كقول المجبرة او بان يفعل بكل منهم اللطف يوضح ذلك قوله ان نشأ ننزل
عليهم من السماء آية مع قوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة فعلوم ان هذا الايمان

من بعد ايمانه صح

الذي نفاه عنهم عند انزاله هذه الآيات ليس هو الايمان الذي اوجبه بقوله فظلت
اعناقهم اذ لو كانا واحدا لتناقض القولان لان احدهما يقتضي انهم لا يؤمنون
ابدا عند نزول شيء من الآيات والآخر يقتضي ايمانهم عند نزول الآية من
السماء فلا بد من فرق ولا تناقض الكلام فما نفاه فهو الايمان الاختياري
وما اثبته فهو الضروري قوله سبحانه ولو شاء الله ما اشركوا ولو شاء ربك
ما فعلوه الظاهر انه لو شاء ان لا يفعلوا ما فعلوا من الشرك والقتل وليس فيه انه
قد شاء ان يفعلوا ذلك ولو شاء ان يلجئهم الى خلاف ذلك الجاء اذا فعلوه
ولكنه فيه زوال التكليف وارتفاع الامر والنهي وغير ذلك قوله سبحانه
ولو شاء الله ما اقتتلوا قال الحسن هذا اخبار عن قدرته على
الجائهم على الامتناع من الاقتتال او بان يمنعهم عن ذلك وقيل لا يدل
قوله ولو شاء الله ما اقتتلوا على انه قد شاء اقتتالهم لانه اذا احتمل الكلام
وجهين جائز عليه وغير جائز وجب حمله على ما يجوز عليه وهذا كقول
القائل لو شاء السلطان لم تشرب النصارى الخمر ولا نكحت المجوس المحرمات
وليس في ذلك دليل على انه قد شاء قوله سبحانه ولو شاء ربك لجعل
الناس امة واحدة لم تبين على اي وجه جبرا او اختيارا الوزير الالى
اذا فعلت ما اراد ربي ولم احد عنه فما ذا ذنبي يخلق ذنبي واكون آثما
يظلمني ثم اسمى ظالما قوله سبحانه ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة
قال الحسن والجبائي انه اخبار عن القدرة كما قال ولو شئنا
لآتينا كل نفس هداها وقوله ولو شاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم
ببعض قال الجبائي معناه لو شاء الله لفعل بهم ما يختارون عنده الكفر
لكنه لا يفعله لانه مناف للحكم وقال قوم لو شاء الله لجمعهم على ملة واحدة
في دعوة جميع الناس شريعة واحدة مع اختلاف المصالح وقال
الحسين المغربي معناه لو شاء الله لا يبعث اليهم انبياء فيكونوا متعبدين
بما في العقل ويكونون امة واحدة قوله سبحانه ولو شاء ربك لجعل الناس
امة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم على المشية

متهورا

الجاء لا اختيارا وانما اراد ان يخبر بها عن قدرته وانه ممن لا يغالب ولا يعصى
ولفظة المشية في الآية لا يجوز حملها على الاختلاف والذهاب عن الدين
لانه نهى عنه وتوعد عليه فكيف يجوز ان يكون شائيا له ومجبرا العباد
عليه ثم ان الرحمة اقرب الى هذه الكناية من الاختلاف وحمل اللفظ
على اقرب المذكورين اولى وقوله ولذلك خلقهم كناية عن الاجتماع على
الايمان كما قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
وقال لو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ومعناه انه لو شاء ان يدخلهم
اجمعين الجنة فيكونوا في وصول جميعهم الى النعيم امة واحدة ولا يزالون
مختلفين في الدين والذهاب عن الحق فيه وقال ابو مسلم معنى مختلفين
اي ان خلفها ولائي الكافرين يخلف سلفهم في الكفر كما قال وهو الذي
جعل الليل والنهار خلفة وبهذا الاختلاف يريد الله تعالى قوله سبحانه
ولو شاء ربك لآمن من في الارض انما يقتضي اثبات قدرته على تكوين
ذلك الشيء وانه لو شاء ان يؤمن الكل على سبيل الجبر لآمنوا كما قال ان
نشأ ننزل من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين وقد دل على ان
المراد به الاكراه قوله افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين معناه انه
لا ينبغي ان يريد اكراههم لان الله تعالى يقدر عليه ولا يريده لانه
ينافي التكليف ابن عباد ولو اراد ربنا ان يتما وفعل الناس ما قد حتما
لكان فيه طائعا قد علما وكان من عذبه قد ظلما قوله سبحانه ولو
شئنا لآتينا كل نفس هداها لا خلاف انه قادر على هداية الجميع وانه
لو شاء ان يفعله لفعله والنزاع في كيفية ما به يهديهم من جبر او اختيار
والهداية في الآية الثواب يدل عليه عقيبه ولكن حق القول مني
لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين فبين انه قادر على ذلك ولو
شاء لنجى الجميع ولكن وجب فيه ان يملأ جهنم منهم لاستحقاقهم و
يحتمل ان يريد النجاة لقوله فيما قبل ذلك ربنا ابصرنا فيبين انهم سالوا
ردهم بعد ما عاينوا ما كانوا يوعدون فقال ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها

يعني طلبتها وما يتوصل به الى نجاتها **قوله** سبحانه ولو نشاء لطمسنا اعينهم قال الحسن وقتاده
لتركناهم عميا يترددون والطمس محو الشي حتى يذهب اثره والطمس على العين
اذهاب الشق الذي بين الجفنين والطمس على المال اذهابه والطمس على
الكتاب امحاؤه وطمس الريح الاثر وهذا بيان من الله تعالى انهم في قبضته
وهو قادر على ما يريد بهم فليحذروا تنكيله بهم ثم قال زيادة في التحذير
ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم والمسخ قلب الصورة الى خلقه مشوهه كما
مسخ قوم قرده وخنازير والمسخ نهاية التنكيل وقال الحسن وقتاده لمسخناهم
على مقعدهم او على ارجلهم ولو فعلنا بهم ذلك لما استطاعوا مضيا **قوله**
سبحانه افلم ييأس الذين آمنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ظاهره
يدل على انه لو شاء لهديهم الى الايمان الاختياري وما اثبته فهو الضروري
ومعنى افلم ييأس الذين امنوا اى لم يتبين قال سحيم اقول لاهل الشعب
اذ ييسرونني الم تياسوا اني ابن فارس زهدم **قوله** سبحانه وعلى الله
قصد السبيل اي بيان الهدى من الضلال ومنها جاير اي طريق عادل
عن الحق ولو شاء لهديكم اجمعين قال الحسن والبلخي لو شاء بالالجا وقال
الجبائي لو شاء لهديكم الى الجنة **قوله** سبحانه ثم يتوب الله من بعد
ذلك على من يشاء انما علقه بالمشية لان قبول التوبة واسقاط العقاب
عندنا تفضل ولو كان ذلك واجبا لما جاز تعليق ذلك بالمشية كما لم
يعلق الثواب على الطاعة والعوض على الالم في موضع بالمشية **قوله سبحا**
وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء علقت بالمشية لان
منهم من لا يبلغ هذا المعنى الموعود به لانه يجوز ان يموت قبله ويقال
لينقطع الامال الى الله تعالى كما قال لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين
قوله سبحانه ولو اننا نزلنا اليهم الملئكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم
كل شي قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الا خلاف انهم لا يؤمنون الا بمشيته
لانه لا يصح من احد ايمان الا بعد ان يامره بذلك ويريده منه ومتى ما لم
يامره بذلك ولم يرده منه فليس بايمان وفي قوله الا ان يشاء الله وجهان

ان يلجيهم الى ذلك وهو الصحيح ولا يجوز انهم لا يؤمنون ما لم يشاء الله منهم ان
يؤمنوا انه لا يجوز ان يريد المعاصي فانه قد اراد من الجميع الايمان وانه ذكر
ذلك تقريعا لهم ولو اراد انهم انما لا يؤمنون لاني ما شئت منهم الايمان
ومتى شئت آمنوا لكان بينا بذلك عذرهم ولصح احتجاجهم بانه لو شاء
الرحمن ما عبدوا من دونه من شي ولادى الى تناقض القرآن نحو فمن شاء
فليؤمن انا هديناه السبيل **فصل** قوله تعالى ولا تقولن لشي اني
فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله ليس فيه ان افعالنا متعلقه بمشيته لانه
لم يقل حتى تقول ان شاء الله او ما لم يقل الا ان تقول وادعا الحذف
عدول عن الظاهر قال الفراء تجعل حرف الشرط الذي هو ان متعلقا بما
قبله وبما هو متعلق به في الظاهر من تقدير محذوف ويكون التقدير
ولا تقولن لشي اني فاعل ذلك غدا الا ان تقول ان شاء الله لان من
عادتهم اضمار القول في مثل هذا الموضع والموجود منه دلالة على المفقود
وهذا تاديب من الله لعباده حتى يخرجوا من حد القطع ولا شبهة ان
ذلك مختص بالطاعات دون القبيحات ولا يستجير مسلم ان يقول اني
ازني غدا ان شاء الله وقال ابو علي عنى بذلك ان من لا يامن ان يبقى
الى غد فلا يقول اني سافعل غدا كذا وكذا فانه ربما مات او عجز او منع فلا
ياس ان يكون خبره كذبا في معلوم الله فلا يسلم خبره هذا من الكذب الا
بالاستثناء الى المشي . قد قلت ربي يشاء شنا ويسخطه . وانه قد قضى ما
ليس راضيه . وانه قد يكون العبد متبعا . لما شاء ويقضى وهو عاصيه
وانه جايز في عدل خالقنا . تكليف عبد ضعيف لا قوى فيه . وانه ارسل
الداعي ليدعونا . وصد اكثرنا عن امر داعيه . وقال من لم يجب داعي مستبقا .
فسوف ادخله نارا واصليه . كفعل ذي حنق قاس وذي عنت . يعيب جور
القضا منا ويأتيه . يقدر الكفر فينا ثم يسخطه . يقول لم كان ما اقضي واتيه
قوله سبحانه لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله اذا قسموا ليصرمنها مصبحين
ولا يستثنون انما امر بالاستثناء ليكون فرقا من كلام الخالق وكلام

المخلوق يويد ذلك ما قلناه انه لا يجوز ان يقول اني ادفن غدا ان شا الله و
انما جاز في الطاعات والمباحات وقال البلخي معناه ان شا الله
اي امركم الله به لان مشية الله تعالى لفعل عباده هو امره به وقال قوم هو
تاديب لنا كما قال ولا تقولن لشي اني فاعل ذلك غدا الا ان يشا الله
قوله سبحانه حكاية عن شعيب قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في
ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشا الله و
ذكر انه ليس له ان يعود فيها الا ان يشا الله ومتى شا ذلك كان له ان
يعود فيها والخصم لا يجيز للمكلف ان يعود في الكفر ان شا الله ذلك وقوله
فيها كناية عن الملة قوله سبحانه قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا
ان يشا الله لم يقل لا اضر نفسي ولا انفعها ولا يلحقها نفع ولا ضر الا
بمشيته بل نفى الملك للضر والمنفعة فوقع الاستثنا بالملك فوجب
ان تكون المشية مشية الملك لا للضر الذي يملكونه وقد جعل له مالكا
بقوله او ما ملكت يمينك قوله سبحانه وانا ان شا الله لمهتدون
الافعال المستقبلة لا يصح اطلاقها دون تعليقها بمشيته ليخرج الخبر
من ان يكون قطعا وحكما بتا كما ذكرناه وبعد فانه انما يصح ذلك في
الطاعات دون المعاصي قوله سبحانه فان تولوا فان الله لا يحب
الكافرين يعني لا يريد ثوابهم من اجل كفرهم فاذا لا يريد كفرهم
لانه لو اراده لم يكن نفي محبته لهم لكفرهم قوله سبحانه كمثل الشيطان
اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بري منك اني
اخاف الله رب العالمين ليس فيها من قصة برصيصا شي مما يقولون
فيه. العبدي. وهم شبهوا الله العلي بخلقه. وقالوا خلقنا للمعاصي واجبرنا
ولو شا لم يكفروا وقد شا كفرنا. وان شا لم يومن وان شا امنا فصل
قوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها ولا يكلف الله نفسا الا ما اتيها
لا نكلف نفسا الا وسعها والوسع دون الطاقة قال الشاعر كلفتها
الوسع في سيري لها اصلا. والوسع منها دوين الجهد والوجد. وفي ذلك

دلالة على بطلان قول المجبرة من ان الله تعالى يكلف العبد ما لا قدرة له
عليه وقوله فاتقوا الله ما استطعتم ولله على الناس حج البيت من استطاع
اليه سبيلا ما جعل عليكم في الدين من حرج يريد الله بكم اليسر ولا يريد
بكم العسر يريد الله ان يخفف عنكم ولو جاز تكليف ما لا يطاق لجاز
ان يكلف الاعمى النظر والمقعد المشي ولجاز ان يكلفنا الطيران
ولو جاز ذلك لجاز ان يكلف الاشجار والاحجار والنبات والجماد
وسئل الرضا فقيل له هل يكلف الله العباد ما لا يطيقون فقال الله
اعدل من ذلك فقيل هل يستطيعون ان يفعلوا ما لم يقدرهم فقال هم
اعجز عن ذلك. الصاحب. لو كلف العبد بلا استطاعة. ما ذم من
ابدى له اشاعه. ولا اقام للعباد الساعة. اف لهذا القول من شناعة.
قوله سبحانه ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به اي ما يشتد كلفته من العبادات
المتعبة يقال والله ما يستطيع النظر اليك ولا اطيق الاكتحال برويتك
مع انه يراه يدل عليه قوله ولا تحمل علينا اصرا ولا تحملنا من العذاب
ما لا طاقة لنا به في دار الدنيا وانه كلام مبهم ليس فيه دلالة على شي
الصاحب. قالت ايلزم نفسا فوق طاقتها. فقلت حاشاه هذا فعل ذي جهل
قالت شا معاصينا ويوثرها. فقلت لو شاها لم يخش من ذلل قوله سبحانه
انك لن تستطيع معي صبرا لم يرد نفي القدرة وانما اراد ثقله عليه لقوله
وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا ويقتضي انه لا يستطيع الصبر في المستقبل
لان ان اذا دخلت افادت الاستقبال ولم يرد به نفي قدرته عن الصبر
لقوله وكيف تصبر ولا يدل على انه غير مستطيع الصبر في الحال وقد يجوز ان
يخرج في المستقبل من ان يستطيع ما هو في الحال مستطيع له فبان ان الاية
تقتضي خلاف ذلك لانه قد صبر عن المسالة عما لا يعرف ومثل ذلك
يصعب على النفس وقد استقبل موسى الصبر عن المسالة قوله وكيف تصبر
على ما لم تحط به خبرا ولو لم يكن كما قلنا لقال وكيف تصبر وانت مطيق الصبر
وقوله لا تستطيع معي صبرا اي ان الصبر ثقل على طبعك كما يقال للمريض انك

لا يستطيع الصيام ويعبر بالاستطاعة عن الفعل هل يستطيع ربك ان ينزل علينا **قوله**
سبحانه افانت تسمع الصم ليس فيها انهم صم وانهم لا يعقلون وانما فيه ان الصم
لا يسمع وان كانوا يعقلون اوقاتا **قوله** سبحانه ما كانوا يستطيعون السمع
الظاهر يقتضي نفي استطاعتهم السمع والبصر وليس بفعل للعبد ولا يصح ان
يكون له قدرة عليه وقد ذمهم بانهم لا يستطيعون كالاعمى والاصم و
الاعمى والاصم لا يستحقان الذم على كونهما اعمى واصم والسمع والبصر
ليس بمعنى فيكون مقدورا لان الادراك ليس بمعنى ولو ثبت انه معنى
لكان غير مقدور للعبد من حيث يختص القديم تعالى بالقدرة عليه هذا
اذا اريد به نفس الحاسة وهي غير مقدورة للعباد لان الجواهر وما يختص به
الحواس من البنية مما يصح به الادراك ما ينفرد القديم تعالى بالقدرة عليه
ولم يرد الله تعالى نفي الاستطاعة وانما اراد بها نفي القبول عنهم واستثقالهم
له كقول القائل ما استطيع ان اسمع كلام فلان ولا يستطيع فلان ان يراني
ولا ان يسمع بذكري وقوله لا يستطيعون سمعا اي يستثقلون ويقول لمن
يكلف غيره امرا تستطيع ان تذهب لي الى موضع كذا كما حكى الله تعالى
عن الحواريين هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء فهم لم
يشكوا في ان الله تعالى قادر فلو شكوا لكانوا كفارا ولكن ارادوا هل ينزل
علينا مائدة **قوله** سبحانه للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون
يدل على فساد قول المجبرة في الاستطاعة لان الله تعالى اذا اعذر من لا
يستطيع المخافة كان من لا يستطيع لعدم القدرة اعذر **قوله** سبحانه ضرب
الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء فانه جعل ذلك مثلا ولم يخبر ان
جميع الناس كذلك فقال اذا كان عبدا لا يقدر على الانفاق وهل يستوي
هو ومن يقدر على الانفاق وانفق وفي الظاهر نفي القدرة عنه اصلا
ولا يقول القوم بذلك واخبر ان الاخر يقدر على الانفاق فهو ينفق منه
سرا وجهرا وذلك خلاف قولهم **قوله** سبحانه انظر كيف ضربوا لك
الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا ليس فيه ذكر الشيء الذي لا يقدرون

عليه ولا بيان له وانما يصح ما قالوه لو بين انهم لا يستطيعون سبيلا الى معين
فاما ما لم يذكر ذلك فلا متعلق لهم على ان السبيل مما لا يستطاع فلا بد له من
ترك الظاهر فسقط التعلق والمراد بالآية انهم لاجل ضلالهم بضرب المثل وكفرهم
لا يستطيعون سبيلا الى الخير الذي هو النجاة من العقاب والوصول الى الثواب
والمراد بنفي الاستطاعة انهم مشتغلون الايمان وقد يخبر عمن استثقل شيئا
بانه لا يستطيعه **قوله** سبحانه الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري و
كانوا لا يستطيعون سمعا الظاهر ان اولئك لم يستطيعوا السمع الذي هو
ادراك الصوت **قوله** سبحانه سيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون
انفسهم يعني بالايمان الكاذبة والله يعلم انهم لكاذبون اي يستطيعون فلا
يفعلون او لو استطاعوا ما فعلوا فلو كانت الاستطاعة مع الفعل لكانوا
لعجزه وكانوا صادقين **قوله** سبحانه من استطاع اليه سبيلا يدل على ان
الاستطاعة قبل الفعل لان الله تعالى اوجب الحج على المستطيع ومن لا يستطيع
لا يجب عليه وذلك لا يكون الا قبل فعل الحج وقيل اي من وجد الزاد
والراحلة ونحوهما والاستطاعة بالسمع لا يصح للخصم فيه التعلق لان من جوز
تكليف الله تعالى الكافر الايمان وهو لا يقدر عليه لا يمكنه العلم بنفي القبائح
عن الله تعالى واذا لم يكن ذلك يلزمه تجويز القبائح في افعاله واخباره ولا يأمن
ان يرسل كذابا وان يخبر هو بالكذب تعالى عن ذلك **قوله** سبحانه يوم يكشف
عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون الى قوله وهم سالمون والسالم
غير العاجز فلو كانت الاستطاعة مع الفعل لكانوا عجزة اذا لم يفعلوا لان الفعل
معدوم واذا عدم الفعل عدمت الاستطاعة لانها معه **قوله سبحانه**
اياك نعبد واياك نستعين الظاهر يقتضي التماس المعونة من قبله ولا يدل
على تحصيل المعونة بالامور المعينة على الطاعة نحو الصحة والخواطر والتنبيه
والدواعي وغير ذلك فثبت ان الاستطاعة قبل القدرة ولا يدل على ان
القدرة مع الفعل لان الرغبة في ذلك يحتمل ان يسأل الله تعالى من الطافه وما
يقوي دواعيه ويسهل الفعل عليه ما ليس بحاصل ومتى لطف له بان يعلمه ان له في

عاقبته الثواب العظيم زاد ذلك في رغبته وايضا فانه يطلب بقاء كونه قادرا على طاعة
المستقبلة فان تجدد له القدرة حالا بعد حال عند من لا يقول ببقائها او لا يفعل
ما يضادها ويفنيها عند من قال ببقائها قوله سبحانه فمن شاء اتخذ الى ربه
سبيلا يدل على انه قادر قبل ان يفعل قوله سبحانه والذين يظاهرون
من نسائهم الى قوله فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا امر الله تعالى ان يحكم على
المستطيع بصيام شهرين متتابعين وانما يلزمه ذلك بعد العجز عن العتق و
الصوم فثبت ان الاستطاعة قبل الفعل قوله سبحانه ستجدني ان شاء الله
صابرا لا يدل على ان القدرة مع الفعل لانه اخبر انه سيكون صابرا قوله
سبحانه خذوا ما آتيناكم بقوة قال ابو علي اي القدرة التي
خلقها فيكم وفي ذلك دلالة على ان القدرة قبل الفعل قوله سبحانه
واني عليه لقوي امين يدل على ان القدرة قبل الفعل الا ترى انه اخبر
بانه قوي عليه ولم يجئ بعد بالعرش وقال بحادي لمحمد بن سويد
انقول ان الاستطاعة قبل الفعل وما من عام الا ويعلم خلاف
قولك فقال بل يعلم خلاف قولك فانظر فادعى بحمال فقال ان هذا يزعم
انك لا تستطيع حمل هذا الكوز فشتم الحمال لمن يقول هذا الوزير الا في
ما كلف الانسان ما لم يطق . هل كلف الاخرس حسن النطق . او كلف
الاعمى انتقاد الذر . او الاصم سمع صوت الذر قوله سبحانه وعلم آدم
الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء وهذا اقبح
من تكليف ما لا يطاق . الجواب ظاهر الامر ان كان امرا ببعض
التعلق بشرط هو كونهم صادقين عالمين بانهم اذا اخبروا عن ذلك صدقوا
فكانه قال اخبروا بذلك ان علمتموه ومتى رجعوا الى
انفسهم فلم يعلموا فلا تكليف عليهم وقيل انبئوني وان كان ظاهره ظاهر
امر فغير امر على الحقيقة بل المراد به على التقرير والتنبيه على مكان الحجة
وان الله تعالى لما قال للملائكة اني جاعل في الارض خليفة الى قوله ونقدس
لك قال لهم اني اعلم ما لا تعلمون اي اطلع على مصالحكم ثم اراد التنبيه على انه لا يسع

ان يكون غير الملائكة مع انا نسبح ونقدس نطيع ولا نعصي اولى بالاستخلاف في
الارض واذا كان في ذريته من يفسد ويسفك الدماء فعلم آدم جميع
اسماء الاجناس واكثرها ثم قال انبئوني باسماء هؤلاء ان
كنتم صادقين مقررا لهم ودالا على اختصاص آدم بما لم يختصوا به فلما اعترفوا
بذلك قال لهم تعالى الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم
ما تبدون وما كنتم تكتمون شعر الا رب ما حملتني فوق طاقتي
وحوشيت من تكليف ما لا اطيقه فصل قوله تعالى فطرة الله
التي فطر الناس عليها وقوله صبغة الله ومن احسن من الله صبغة وروي
عن النبي عم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه
الخبر تكلم الناس في ذلك فروى زرارة عن الصادق ع انه قال التوحيد
وقال ابو عبيد صبغة الله دين الله وفطرة الله التي فطر الناس عليها و
قال ابن قتيبة يعني بذلك حدث الذر في الاصلاب وقالت
المجبرة اي خلق على كفر او على ايمان وقال محمد بن الحسن
كان هذا في اول الاسلام قبل ان امر الناس بالجهاد والفطرة في اللغة
هو الابتداء يقال فطر ناب البعير وقال مجاهد في قوله والسماء منفطر به
اي منشق وقال غيره فاطر السموات والارض اي مبتدعهما فيكون
معنى الآية والخبر كل مولود يولد على الفطرة اي ابتداء الخلقة كان
الله تعالى لما ابتداهم وابتدعهم فطرهم على العبودية له ونهاهم ان يعبدوا
غيره يدل عليه ما بعد الآية لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم وبين
قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فمنهم من اهتدى ومنهم
من ضل من نفسه او من غيره وقال الفرا سميت صبغة الله لان اليهود
والنصارى كانوا يصبغون اولادهم فيقول الله عز وجل الزموا صبغة الله
وقال بعضهم كانت النصارى اذا اتى على اولادهم سبع
سنين صبغوه في ماء نهر الاردن وكان ذلك لهم بمنزلة الختان للمسلمين
وتزعم النصارى ان المسيح صبغه يوحنا المعمدان وكان يسمى هذا الفعل المعمودية

ان حماد • يقولون فى الله غير الجميل • فقد الحد وافيه ما وجدوه • يولونه
قبح افعالهم • تنزه عنها العلى النزيه • وقالوا يعذبنا فى المعاد على فعله جل
من جوروه قوله سبحانه ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم
غشاوة • الختم فى الشاهد غير مانع من الايمان لانه يفك المختوم من الكتب
والكيس ويحمل منه وانما هو علامة تعرف بها تناول المختوم عليه والمختوم
على قلوبهم اما ان يكونوا قادرين على الايمان قبل الختم او غير قادرين
فان كانوا غير قادرين استحال المنع وان كانوا قادرين عليه قبل فهم
فى حال الختم قادرون وقيل ختم الله على قلوبهم اي شهد عليها بانها لا
تقبل الحق تقول القايل اراك تختم على كل ما تقوله فلان اي تشهد به
وتصدقه وقد ختمت عليك بانك لا تعلم اي شهدت وقيل ختم الله
اخبار عن تكبرهم واعراضهم عن الاستماع لما دعوا اليه من الحق كما
تقول فلان اصم عن هذا الكلام اذا امتنع عن سماعه ودفع نفسه عن
تحمله ويحتمل ان يكون المراد نختم سيختم ويكون الماضي بمعنى المستقبل كقوله
ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار وقيل المعنى فى ذلك انه ذمهم
بانها كالمختوم عليها فى انه لا يدخلها الايمان ولا يخرج عنها الكفر
قال الشاعر لقد اسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي
قوله سبحانه بل طبع الله عليها وقوله وطبع على قلوبهم قيل معناه
ان الله تعالى يجعل نكتة سوداء فى قلب المنافق والكافر لتكون علامة
للملئكة يعرفون بها انه ممن لا يفلح ابدا وقيل اي طبع فيها اثر الذنوب
لتعرفها الملئكة فيتبروا منهم ولا يوالوهم ولا يستغفروا لهم وقيل المراد
بذلك الذم لها بانها كالمطبوع عليها فلا يدخلها خير ولا ينتفي عنها شر
وحال الذم تقتضي صفات المدح قال جرير الستم خير من ركب المطايا
واندى العالمين بطون راح وبعد فان الطبع وقع بعض الكفر فقال
بل طبع الله عليها بكفرهم والخصم لا يقول بذلك ويكون معنى الطبع والختم
العلامة المميزة بين المومن والكافر والمنع انما يصح في القادر لان من ليس بقادر

على الشي غير معقول قوله سبحانه انهم فتية امنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا
على قلوبهم الربط هو الشد فى الاصل ولا تعلق بذلك فى باب الايمان
وليس فيه ما به الربط على قلوبهم وانما فيه الاخبار عن الربط قوله سبحانه
وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفى اذانهم وقرا لا تعلق للخصم
فيه لانهم لما عدلوا عن الحق جعلت الاكنة على قلوبهم والوقر فى اذانهم
عقوبة لهم لاختيارهم ذلك وانه قال ان يفقهوه ولم يقل
لئلا يفقهوه وهذا عدول عن الظاهر والكن على القلب والوقر فى الاذن
غير مانعين من الايمان لان الغطا المسمى الخلب هو فى البطن وله غطاء
والصمم اكد من الوقر وقد يومن الاصم ولا مانع هناك لقوله وما منع الناس
ان يومنوا ونحوها قوله سبحانه لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يومنون
انا جعلنا فى اعناقهم اغلالا فهى الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من
بين ايديهم سدا الاية المنع من الايمان لا يصح على مذهبهم وانما صح
على مذهب من قال بالاختيار واجرى على الظاهر غير موجب المنع
من الايمان لان المغلول والماخوذ عليه يومن وما ذكره جرى على جهة
الذم لهم والتوبيخ وانهم من حيث اعرضوا عن الايمان لم ينتفعوا بالايات
الدالة على الحق تشهد بذلك قوله عقيب الاية بلا فصل سواء عليهم
ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يومنون وعقيب الاية الثانية وان تدعهم
الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا ثم ان المراد بهذه الايات وصف حالهم
فى الاخرة فقوله فى الاغلال والسلاسل كقوله خذوه فغلوه وقوله
اذ الاغلال فى اعناقهم والسلاسل يسحبون وقال فى السد يوم تقول
المنافقون والمنافقات الى قوله من قبله العذاب وقال ونحشرهم يوم
القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما قال السدي ان
ناسا من قريش هموا بقتل النبي فلما جاوه جعلت ايديهم الى اعناقهم
ثم يستطيعوا ان يبسطوا اليه يدا وقال قوم حال الله بينهم وبين ما ارادوه
فعبر عن ذلك بانه غلت ايديهم وقوله اغشيناهم فهم لا يبصرون اي بظلمة الليل

وهم لا يبصرون النبي كما قال واذا قرات القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا
يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا قوله سبحانه على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم
غشاوة ليس فيها انه يفعلها الله تعالى في القلب او يسد بها عن الايمان وانما
اراد بالغشاوة الفهم للكفر ومحبتهم له ولم يقل تعالى انه جعل على قلوبهم
غشاوة بل اخبر انه كذلك قوله سبحانه وجعلنا قلوبهم قاسية اي نمنعهم
الالطاف التي تنبه المؤمنين قوله سبحانه كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا
يكسبون معناه ليس الامر على ما قالوه بل غلب على قلوبهم يقال رانت الخمر
على عقله برين رينا اذا سكر فغلبت على عقله فالرين غلبة الشك على القلب
قال ابو زبيد الطائي . ثم لما راه رانت به الخمر وان لا
يرتبه باتقاء . وقال الحسن وقتادة الرين الذنب على الذنب يميت
القلب وقيل معنى ران غطى وغشى قال البلخي وفي ذلك دلالة على ما تقوله
اهل العدل لان الله تعالى اخبرهم انهم الذين يجعلون الرين على قلوبهم
قوله سبحانه فالف بين قلوبهم فاصبحتم بنعمته اخوانا قالوا اذا كان
الله هو الذي الف بين قلوبهم وانقذهم من النار صح ان افعال الخلق
خلق له قلنا لا يجب ذلك لانا نقول ان النبي ع الف بين قلوب العرب
فانقذهم من النار ولا يجب من ذلك ان يكون افعالهم افعالا للنبي ع
ولا اشتراكا لهم ومعنى فانقذكم من النار انه دعاهم الى الايمان ورغبهم
فلما كان اسلامهم ونجاتهم بمعونته ودعائه كان هو المؤلف لقلوبهم
والمنقذ لهم من النار على هذا المعنى لا انه انشا افعالهم واحدثها ويجوز
ان يقال الف الله بين الكفار فلم يأتلفوا وانقذهم فلم يستنقذوا فيفسد
ذلك كما قال . واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على
الهدى قوله سبحانه واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وعدهم بالحيلولة
بينهم وبين قلوبهم والوعيد لا يقع الا بما ذكروه . والظاهر يقتضي ان يفرق
بين المرء وقلبه حتى لا يتصل احدهما بالآخر لان هذا هو حقيقة الحيلولة و
ليس للايمان فيها ذكر يحول بين المرء وقلبه بازالة عقله وابطال تمييزه وان كان

حيا او يقال لمن فقد عقله وسلب تمييزه انه بغير قلب قال الله تعالى ان في ذلك
لذكرى لمن كان له قلب قال الشاعر ولي الف باب قد عرفت طريقها
ولكن بلا قلب الى اين اذهب . ومعنى المبالغة في الاخبار عن قربه من
عبيده وان الضماير له بادية قوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد
واذا كان عز وجل اعلم بما في قلوبنا منا ويجوز علينا السهو والنسيان
والضلال جاز له ان نقول انه يحول بيننا وبين قلوبنا لان كل شيء
يحول بين شيئين فهو اقرب اليهما فقد بالغ الله تعالى في صفة القرب
ولم يرد به المسافة كما تقول العرب فلان اقرب الى قلبي وزيد مني قريب
يحول بينهما اي يحول بينه وبين ما تدعوه اليه قلبه من القبايح بالامر
والنهي والوعد والوعيد لانا نعلم انه تعالى لو لم يكلف العاقل مع ما فيه من
الشهوة والنفار لم يكن له عن القبيح مانع فكان التكليف حايلا بينه وبينه
من حيث زجر عن فعله ثم ان المؤمنين كانوا يفكرون في كثرة عدوهم
وقلة عددهم فيدخل في قلوبهم الخوف فاعلمهم تعالى انه يحول بين المرء
وقلبه بان يبدله بالخوف امنا ويبدل عدوهم على ضعف . الجبائي
يحول بين المرء وبين الانتفاع بقلبه بالموت فلا يمكنه استدراك ما فات
ويقوي ذلك مقاله في آخر الآية وانه اليه تحشرون . هشام بن
سالم قال الصادق ع يحول بينه وبين ان يعلم ان الباطل
حق ابن دريك وليس يحول الله بين مكلف وطاعته كلا وحوشي من
الخبر قوله سبحانه ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا اي وجدناه
غافلا متبعا هواه يدل على ذلك قوله واتبع هواه وكان امره فرطا
ويقال لا تطع من سميناه غافلا او نسبناه الى الغفلة كقولك كفرناه اي
نسبناه الى الكفر ويقال اي من تركنا قلبه غفلا ولم نسمه بسمة المؤمنين
من الكتابة ويكون ترك السمة اصلا علامة انه على الكفر قوله سبحانه
واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئس ما يامركم به ايمانكم ليس فيها ذكر
للمحبة والعجل لا يشرب وكذلك المحبة ولم يقل ان الله اشرب قلوبهم وذكر انهم

اشربوا ذلك بكفرهم ولفظ المجهول لا حكم له وقد يابى ان يكون له فاعل سوى الموصوف
شاعر لم يخلق الله خلقه عبثا . ولم يدعهم سدى مما صنعوا . ان احسنوا
احسنوا لانفسهم . وان اساوا فعليهم وقعوا قوله سبحانه لهم قلوب لا
يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم اذان لا يسمعون بها
اي كانهم لم يفقهوا بقلوبهم ولم يسمعوا باذانهم ولم يبصروا باعينهم
ما كانوا يؤمرون به كانه صم بكم عمي مسكين الدارى . اعمى اذا
ما جارتي خرجت حتى يواري جارتي الستر واصم عما كان بينهما سمعي
وما في غيره وقر قوله سبحانه وما تغني الايات والنذر عن قوم لا يومنون
قالوا ما للنفي يعني ما تغني عنهم شيا يدفع الضرر اذا لم يفكروا فيها كقولك
وما تغني عنك المال شيا اذا لم سفقه في وجوهه وقالوا ما للاستفهام
كقولك اي شيء تغني عنهم من اجتلاب نفع او دفع ضرر اذا لم يستدلوا
بها قوله سبحانه واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له اراد بالسو
عذابا ونقمه والعذاب يكون سوا ولا يكون اساءة لان الاساءة هي
التي متى فعلها فاعلها فهو مسيء والاساءة الكفر واما السو فقد يكون
حكمة وعدلا والعذاب والنقمة من العدل والحكمة قوله سبحانه
ولا يرضى لعباده الكفر فيه دلالة على ان الكفر ليس من فعل الله ولا بارادته
لانه لو كان مريدا له لكان راضيا به لان الرضا هو الارادة اذا وقعت على
وجه فصل قوله تعالى ساصرف عن اياتي الذين يتكبرون في
الارض بغير الحق الاية . انه ذكر عن نفس الايات وليس للايمان فيها
ذكر والايات في الدلايل والكتاب والامور الماضية واصلها العلامه
صرفهم عن ثواب النظر في ايات الله الذي يستحق صاحبها الثواب ويعني بالايات
الادله ومعجزات الانبيا وكانوا عنها غافلين واراد صرفهم عن زيادة
المعجزات بعد ما تقدم من ايات الانبيا لانه تعالى انما يظهرها اذا علم
انه يؤمن عندها من لم يومن بما تقدم من الايات ويكون الصرف اما
بان لا يظهرها جمله او بان يصرفهم عن مشاهدتها واذا صرفهم عنها فقد صرفها

عنهم وان بعض الجهال في زماننا اعتقد واجاز المعجزات على يدي الكفار المذكورين
فاكذبهم الله بذلك وصرف من رام المنع من ادائها لان من الواجب
على الله تعالى ان يحول بين من رام ذلك وبينه لانه سقض الغرض في البعثه
والله يعصمك من الناس فتكون الايات القران ونحوه والصرف ههنا
الحكم والتسمية والشهادة ومن شهد على غيره بالانصراف عن شيء يجوز ان
يقال صرفه عنه كما قال . ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم يوافقه
قوله ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين ولما علم الله تعالى ان
الذين يتكبرون في الارض بغير الحق سيصرفون عن النظر في اياته والايمان
بها اذا اظهرها على ايدي رسله جاز ان يقول ساصرف عن اياتي الذين
يتكبرون فيريد ساظهر ما ينصرفون بسوء اختيارهم عنه تقول سابخل فلانا
وساحطيه اي اساله ما يبخل ببذله وامتحنه بما يخطي فيه والصرف هو المنع
من ابطال الايات والقدح فيها بما يخرجها عن ان تكون حججا وان الله تعالى
لما وعد موسى وامته باهلاك عدوهم قال . ساصرف عن
اياتي قوله سبحانه ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم لم تقل يصرف على
سبيل الحكم والخبر اذ لو كان على ذلك لادخل عليه الفا . وانما قال على
سبيل الدعا عليهم كقولك خرج زيد لعنه الله ولو كان ذلك خبرا لقال
فلعنه الله . وانه لم يذكر المصروف عنه فالمصروف عنه محذوف غير
مذكور وان ذلك كالجزاء على انصرافهم لان انصرافهم كفر ولا يجوز ان
يجعل الجزاء عليه كفرا آخر . وكل امرئ يجري بما كان ساعيا . آخر حل امرئ
في رشده وغيه . وانما يجري بقدر سعيه قوله سبحانه واذا قرات
القران جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة حجابا مستورا مثل
قوله ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم اكنة الاية . وسبب نزولهما
ان الكفار كانوا اذا سمعوا القران من النبي اذوه ورجموه وشغلوه عن
صلاته كما قال . لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه وقال وما كان
صلاتهم عند البيت الا مكا وتصدية فحال الله بينهم وبين استماع ذلك في

تلك الحال التي كانوا عازمين فيها على اذاه بان القى عليهم النوم اذ قعدوا يرصدونه
ولا يعرفون مكانه وانما فعل ذلك لعلمه بانهم لا يؤمنون كما قال وان يروا
كل آية لا يؤمنوا بها وقالوا ان هذا الا اساطير الاولين ويمكن
انه يضيق صدورهم فلا يفقهون ولا يسمعون لعلمه بانهم لا يؤمنون من غير
ان يكون حائلا بينهم وبين الايمان والحجاب والوقر والاكنة يكون على وجه
الاستعارة والمجاز كما سمى الكفر عمى ويحتمل ان يشبه الكفر الذي في
قلوبهم بالكن وينسب هذا الجعل الى نفسه كما تقول جعلت فلانا فاضلا
وجعلته فاسقا وجعل القاضي فلانا عدلا او فاسقا وان لم يكن من ذلك
شيء قال الشاعر جعلتني باخلا كلا ورب منى اني لسمح كفا منك في اللزب
فصل قوله تعالى في قلوبهم مرض اي حزن وعلة ولو كان الشك
مرضا لكان الشاك مريضا والمؤمن صحيحا فيجب ان يسمى كل كافر مريضا
وكل مؤمن صحيحا واما قول الشاعر وليلة مرضت في كل ناحية .
فما يضيء لها شمس ولا قمر . فانه بالغ في كثرة حزنه وعلته كانه مظلم
وقال ابو عبيدة المرض الشك والنفاق وقال الطوسي
فيكون معناه ان المنافقين كانوا كلما انزل الله آية او سورة كفروا
بها فازدادوا بذلك كفرا الى كفرهم وشكا الى شكهم فجاز لذلك ان
يقال فزادهم الله مرضا لما ازدادوا عند نزول الآيات ومثله حكاية عن
نوح اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعاءي الا فرارا وهم الذين
ازدادوا فرارا عند دعائه ومثله فزادتهم رجسا الى رجسهم والتقدير
في الآية في اعتقاد قلوبهم الذي يعتقدونه في الدين والتصديق بنبيه
مرض وحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه كما قال يا خيل الله
اركبي يعني يا اصحاب خيل الله وكقوله واسأل القرية وانما سمى الشك في
الدين مرضا لان كل فاسد يحتاج الى علاج ومرض القلب اعضل ودواؤه
اعسر والمداواة اقل ثم قال في آخر الآية وماتوا وهم
كافرون فيه بيان ان المرض في القلب ادام الى ان ماتوا على الكفر قوله سبحانه

فزادتهم رجسا الى رجسهم الظاهر لا يقتضي ان الآيات زادتهم رجسا وقد عدلهم
عنها لترك الظاهر وآخر الآية وماتوا وهم كافرون فبين ان رجسهم كان
سبب موتهم كفارا قوله سبحانه ويجعل الرجز على الذين لا يعقلون قال الفراء
الرجز العذاب يجعله على الذين لا يعقلون اي كانهم لا يعقلون شيئا ذما لهم و
عيبا وقال ابن عباس الرجز الغضب والسخط وقال ابو عبيدة
الرجز العذاب وقال الحسن الرجز الكفر اي يجعله بمعنى انه يحكم انهم اهله
ذما لهم وعيبا قوله سبحانه فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم
قاسية القسوة قلة الرحمة وقد يوصف بعض الكفار بانه رقيق
القلب كما انه يوصف بعض المؤمنين بانه قاسي القلب فلا تعلق لها بالكفر
والكفر لا يوجب القساوة لانها انما تحدث عن القدرة الموجبة لذلك دون
الكفر ولانه جعلها كالجزاء على الكفر ولا يجوز ان يجعل الجزاء على الكفر كفرا
آخر لانه يؤدي الى ما لا نهاية له فصل قوله تعالى ان يمسسكم قرح
فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس لا يدل على
انه جعل للكفار دولة على المؤمنين كما جعل للمؤمنين دولة وغلبة عليهم
لانه لا يجوز ان ينصر الله الكفار على المؤمنين كما ينصر المؤمنين على الكفار
ويعني بقوله نداولها بين الناس انه يجعل بعض القوم مبتلى بالآفات
مسرورا والذين اصابهم القرح في غم وحزن والم ويجوز ذلك من الله تعالى
في المؤمنين والكافرين جميعا لان الله تعالى يمحص الكافرين والمؤمنين بمثل هذا
ومعنى الدولة الغنا قوله كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم ومنه حديث
ابي سفيان تداولوها تداول الكرة قوله سبحانه ربنا انك آتيت فرعون
وملأه زينة واموالا في الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك الآية
انما اعطاهم الله تعالى ذلك الانعام عليه مع تعريته من وجوه الاستفساد
وهذا استفهام والاستفهام لا يدل على انه فعل ذلك ثم قال ليضلوا وهذا
بخلاف مذهبه واللام لام العاقبة وهو ما يؤول اليه الامر كقوله فالتقطه
آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا قال الخليل اللام ههنا بمعنى الفاء تقديره فضلوا

وقال البلخي هذا مقدم موخر تقديره ربنا ليضلوا عن سبيلك فلا يومنوا ربنا
اطمس على اموالهم وقيل المعنى فلا يومنون ايمان الجاء حتى يروا العذاب
الاليم وهم مع ذلك لا يومنون ايمان اختيار اصلا قوله سبحانه ولكن
متعتهم واباهم ليس فيه انه متعهم لذلك والامتاع ليس بموجب للنسيان
على مذهبه قوله سبحانه ولا تحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم
انما نملي لهم ليزدادوا اثما قال البلخي ولا تحسبن الذين كفروا ان املانا لهم
رضى بافعالهم وقبول لها بل هو شر لهم لانا نملي لهم وهم يزدادون اثما يستحقون
به عذابا اليما ومثله ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس اي ذرانا
كثيرا من الخلق سيصيرون الى جهنم بسوء افعالهم وجوز الاخفش
في قوله لا تحسبن الذين كفروا انما نملي لهم كسرة لاهل القدر وبجعله
على التقديم والتاخير كانه قال ولا تحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خيرا
لانفسهم فقال بعضهم فكيف يكون هذا والى جنبه ولهم عذاب مهين
قوله سبحانه انما نوخرهم ليوم تشخص فيه الابصار تاخيرهم اما لقوله
ليزدادوا خيرا او لقوله ليزدادوا اثما او يدفع بهم عن الاولياء قوله ولولا
دفع الله الناس وليخرج منهم الولد الصالح او لقوله وما كان الله معذبهم
وهم يستغفرون او انه يبين حلمه او انه انما يعجل من يخاف الفوت قوله
سبحانه ولقد ذرانا لجهنم الآية قال المفسرون اللام لام العاقبة و
ليس بلام الغرض كانه قال ان عاقبة امرهم ازدياد الاثم كما قال فالتقطه
آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقال وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن
سبيله وقال ولا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في
الارض الى قوله ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم قال الشاعر
لدوا للموت وابنوا للخراب • ولا يجوز ان يحمل ذلك على لام الغرض والارادة
لوجهين احدهما ان ارادة القبيح قبيحة ولا يجوز ذلك على الله تعالى
والثاني لو كانت اللام لام الارادة لكان الكفار مطيعين لله من حيث فعلوا
ما اراده وذلك خلاف الاجماع وقد قال الله وما خلقت الجن والانس الا

ليعبدون بيت وليس للانسان الا ما سعى • وكل ساع سعيه سوف يرى
فصل قوله تعالى وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله الاذن
العلم من قولهم آذنت فلانا بكذى واذنت لكذى • وما كان لنفس ان
تموت الا باذن الله بعلمه قوله فقد اذنتكم على سواء والامر فانه نزله على قلبك
باذن الله اي يسهل السبيل اليه وقد جاء الاذن بمعنى التخلية والاباحة لان
الموت ليس الى الانسان فيكون مامورا به او مباحا له وليس ذلك من فعله
ولا خلاف بان الانسان يموت باجله عند الوقت الذي علم الله تعالى قوله سبحانه
وما اصاب من مصيبة الا باذن الله اي يعلم الله فكانه قال لا يصيبكم مصيبة
الا والله تعالى عالم بها قال البلخي معناه الا بتخلية الله بينكم وبين من يريد فعلها
وسال محمد بن سليمن الهاشمي عمر بن فايد عن قوله وما كان لنفس
ان تومن الا باذن الله فقال يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم
فآمنوا خيرا لكم ثم قال ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون كما قال صم بكم
عمي اي انه لا يمكن احد ان يومن باطلاق الله له في الايمان وتمكينه منه
ودعائه اليه بما خلق فيه من العقل الموجب لذلك وقال الحسن وابو علي
اذنه ههنا امره كما قال ابن فايد وحقيقته الاطلاق في الفعل بالامر قوله
سبحانه وما هم بضارين به من احد الا باذن الله يعني بتخلية الله فكانه
افاد ان العباد لا يعجزونه وما هم بضارين به احدا الا ان خلى الله بينهم
وبينه ولو شاء لمنعهم بالقهر زايدا على منعهم بالزجر ويكون الازيادة
فيكون المعنى وما هم بضارين به من احد باذن الله كما يقال لقيت زيدا
الا اني اكرمته اي لقيت زيدا فاكرمته ويكون الضرر المضاف اليه هو ما
يلحق المسحور من الادوية التي يطعمه اياها السحرة والضرر الحاصل نحو هذا
من فعل الله بالعادة لان الاغذية لا توجب ضرا ولا نفعا وان كان
المعرض للضرر من حيث كان الفاعل له هو المستحق للذم وعليه يجب
العوض والضرر المذكور من التفريق بين الازواج انه اذا ارتد احد
الزوجين وكفر وبانت منه زوجته فاستضر بذلك كانوا ضادين له مما حسنوه

له من الكفر الا ان الفرقه لم تكن الا باذن الله وحكمه لانه تعالى هو الذي حكم
وامر بالتفريق بين مختلفي الاديان فلهذا قال وما هم
بضارين به من احد الا باذن الله والمعنى انه لولا حكم الله تعالى واذنه
في الفرقه بين الزوجين باختلاف الملة لم يكونوا ضارين له هذا الضرب
من الضرر الحاصل عند الفرقه وقد روي انه كان من دين سليمان ع
انه من سحر بانت منه امراته قوله سبحانه واما الذين في قلوبهم زيغ
فيتبعون ما تشابه منه ابتغا الفتنه الزيغ هو الميل ومن يزغ منهم ما زاغ
البصر والميل يكون عن الحق وعن الباطل وليس في الآيات ذكر واي الامر في
ذلك بدليل قوله سبحانه فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم لا يخلو من ان يكون
منهم او من الله فان كان منهم فسد مذهبهم وكان قوله ازاغ الله مصروفا
الى الرحمة والثواب قوله سبحانه ربنا لا تزغ قلوبنا هذا سوال ومثله
لا يدل على انه ان يفعل خلافه وبينا جواز مسالته ان يفعل ما فعله لا محة
ولا يفعل خلافه كقوله رب احكم بالحق وذلك دعاء بالتثبت على الهدى
وامدادهم بالالطاف التي معها يستمرون على الايمان ومتى قطع امدادهم
بالطافه وتوفيقاته زاغوا كما يقال اللهم لا تسلط علينا من لا يرحمنا معناه
لا تخل بيننا وبينه فيتسلطه علينا لا تزغ قلوبنا لا تشدد علينا المحنه في
التكليف فيقضي ذلك بنا الى زيغ قلوبنا بعد الهداية لا تزغ قلوبنا عن
ثوابك ورحمتك بعد ان دعوتنا اليه ودللتنا عليه ومعنى هذا السوال
انهم سالوا الله تعالى ان يلطف بهم في فعل الايمان حتى يقيموا عليه ولا يتركوه
في مستقبل عمرهم فيستحقوا بترك الايمان ان تزيغ قلوبهم عن الثواب وان
يفعل بهم بدلا منه العقاب كقوله فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره
للاسلام وقوله اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم وقوله اولئك
الذين كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه وضد هذه الآيات
في قلوب الكافرين الا انه محمولة على الدعاء بان لا يزيغ القلوب عن اليقين و
الايمان ولا يقتضي ذلك انه تعالى سئل ما كان لا يجب عليه فعله لانه غير ممتنع

ان يدعوه على سبيل الانقطاع اليه والافتقار الى ما عنده بان يفعل ما يعلم انه لا بد من
ان يفعله مما اعلم انه واجب ان لا يفعله اذا تعلق بذلك ضرب من المصلحة كما
قال ابرهيم ولا تخزني يوم يبعثون وقال النبي ص وقل رب احكم
بالحق شاعر ومن بعد ما زاغوا ازاغ قلوبهم وغيروا لما غيروا نعمة المثوى
فصل قوله تعالى ربنا لا تواخذنا ان نسينا النسيان من فعل
الله تعالى ولا تكليف على الناسي في حال نسيانه فكيف يامرنا على سبيل العادة
لنا بالدعاء كذلك ثم انه اما ان يكون النسيان من فعلنا او يكون متعدين
بما الزمنا تعالى ما نعلم انه واقع لان مواخذة الناسي مامونة منه تعالى قال قطرب
النسيان ههنا الترك كما قال ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي وكقوله
نسوا الله فنسيهم اي تركوا طاعته فتركهم من رحمته كما يقال لا ينسى من
عطيتك شاعر ولا كنت يوم الروع للطعن ناسيا اي تاركا وقوله اتامرون
الناس بالبر وتنسون انفسكم ويحمل النسيان على السهو ويكون وجه الدعا
بذلك على سبيل الانقطاع الى الله تعالى وان كان مامونا المواخذة بمثله
كقوله رب احكم بالحق ولا تخزني يوم يبعثون قوله سبحانه فلما نسوا ما
ذكروا به الآية هذا كما قال في قصة آل فرعون وبلوناهم
بالحسنات والسيئات قوله سبحانه ان نسينا او اخطانا الخطا ما وقع سهوا
او عن غير عمد اما الاول فقد يجوز ان يريد بالخطا ما يفعل بالتاويل السي
وعن جهل بانها معاص لان من قصد شيا على اعتقاد انه بصفه فوقع
بخلاف ما هو بخلاف معتقده يقال قد اخطا فكانه امرهم بان يستغفروا
مما تركوه متعمدين من غير سهو ولا تاويل ومما اقدموا عليه متاولين و يقال
اخطانا اذنبنا وان كانوا متعمدين وبه عالمين لان جميع المعاصي قد
توصف بانها خطا من حيث فارقت الصواب وان كان فاعلها متعمدا
وكانه امرهم بان يستغفروا مما تركوه من الواجبات ومما فعلوه من القبحات
ليشتمل الكلام على جهتي الذنوب قوله سبحانه قل هل انبئكم بشر من ذلك
مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير

وعبد الطاغوت الآية. قد وبخهم على كفرهم فلا مدخل لكونه خالقًا لكفرهم في
باب ذمهم ولا شيء ابلغ في عدرهم من ان يكون خالقًا لما ذمهم من اجله
وهذا يقتضي ان يكون الكلام متناقضًا واذا اردنا ذم انسان قلنا الا
اخبركم بشر الناس من فعل كذا وصنع كذا فيعد من الاحوال والافعال
قبايحها ولا يدخل في جملتها ما ليس بقبيح والاكثر ما فيها انه خلق وجعل من
يعبد الطاغوت كما جعل منهم القردة والخنازير ولا شبهة في انه تعالى
خلق الكافر غير انه لا يوجب انه خلق كفره وجعله كافرًا والدليل قد دل
على ان ما به يكون القرد قردًا والخنزير خنزيرًا لا يكون الا فعله وهكذا
حكم من كفر ولا يكون قوله وعبد الطاغوت معطوفًا على القردة والخنازير
بل معطوفًا على من لعنه الله وغضب عليه وتقديره من لعنه الله ومن
غضب عليه ومن عبد الطاغوت ومن جعل الله منهم القردة والخنازير
وهو الصحيح لان عبد فعل والفعل لا يعطف على الاسم واما جعلهم قردة
وخنازير عقوبة لهم على افعالهم فجرى ذلك مجرى افعالهم كما ذمهم بان
لعنهم وغضب عليهم من حيث استحقوا ذلك بافعالهم وعبادتهم
الطاغوت قوله سبحانه حكاية عن موسى ربنا اطمس على اموالهم
واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم الى قوله دعوتكما
الطمس على اموالهم لا يوجب نفي الايمان لان مع ذلك يصح منهم
الايمان وكذلك يصح مع الشدة على القلوب لان معناه يحتمل وجهين
اما كن شديد عليهم والشدة راجعة الى المسؤل دون المسؤل له لانه
يقال اشدد هم او شدد قلوبهم وايضًا ان لفظ الشد يختلف باختلاف
ما يتعلق بها من حروف الصفات وبا ماكنها يقال شد كذا وشد عليه
كذى اذا جعله مشدودًا بحبل ونحوه وشدده اذا جعله شديدًا واشد
على فلان مطلقًا اذا حمل عليه قال ابن مرداس اشد على الكتيبة لا ابالي
ويقال شدوا عليهم شدة واحدة اذا حملوا عليهم فيحتمل ان يريد احمل عليهم
قوله سبحانه ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم اضاف التثبيت الى

نفسه والركون الى النبي وجعله من فعله فان جاز العدول عن ذلك جاز
العدول عن الاول ثم انه ثبته ولم يبين وجهه ويجوز ان يثبت العبد
على الطاعة بوجوه وليس يوجب ذلك جبرًا شاعر استاثر الله بالوفا وبالعدل
وولى الملامة الرجلا قوله سبحانه ربنا افرغ علينا صبرًا يعني تثبيتها
تفريغ الاناء من جهة انه نهاية ما يوجبه الحكمة كما انه نهاية ما في
الواحد من الانية وقوله وثبت اقدامنا تثبيت الاقدام يكون
بشيئين احدهما بتقوية قلوبهم والثاني بالقاء الرعب في قلوب اعدائهم
حتى يظهر بينهم الخوف في قتالهم وقيل باختلاف كلمتهم حتى يقع التخاذل
بينهم والصبر والثبوت من فعل العبد لانه يجازى عليهما واما النصر
فعل الله تعالى فصل قوله تعالى والذين كذبوا باياتنا صم وبكم
في الظلمات وصفه بانهم صم وبكم اما ان يكون حقيقة او تشبيهًا فان
كان حقيقة فلا يكونون ملومين عليه على انها غير مانعة من الايمان
وكذلك كونهم في الظلمة فلم يبق الا التشبيه وقد جاء في موضع بانهم
لا يبصرون ولا يسمعون وان على ابصارهم واسماعهم غشاوة قال ابو مسلم
صم بكم عمي فهم لا يعقلون معناه لا يسمعون عن تدبره ولا يتدبرون
ما يسمعون ولا يعتبرون بما يرون بل هم عن ذلك غافلون فكان الله تعالى
يقول في الآخرة اسمع بهم وابصر يوم ياتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين
والمراد به التعجب من قوة ابصارهم واسماعهم في الآخرة لقوله يوم ياتوننا
فيدل على انهم عارفون بالله ضرورة وتجري هذه الآية مجرى قوله لقد
كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد واما
الآيات الاخر ففي حال التكليف وهي الاحوال التي كان الكفار فيها ضلالًا عن
الدين قوله سبحانه ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد
ان يغويكم وهذا على سبيل الشرط ولم يقل انه فعل الغواية وارادها وانما اراد
ان نصح النبي لا ينفع ان كان الله يريد غوايتهم ووقوع الارادة لذلك وجواز
وقوعها لا دلالة عليه في الظاهر ولا خلاف في ان نصيحة النبي لا تنفع من

اراد الله اغواءه ولكن ليس فيها انه يريد اغواءهم او لا يريد وهو محل النزاع على ان
الغواية لفظ مشترك يقال اصبح فلان غاويا اي مريضا وغوى الفصيل اذا انفقد
اللبن فمات واغويت فلانا اهلكته فسوف يلقون غيا الجحيم الشاعر
ومن يغو لا يعدم على الغي لايما هولاء الذين اغوينا هم كما غوينا هذا الاخير لا
يجوز على الله تعالى فكانه قال تعالى ان كان الله يريد ان
يعاقبكم بسوء عملكم فليس ينفعكم نصحي ما دمتم مقيمين على ما انتم عليه وما قبل
الآية يدل على ما قلنا وان القوم استعجلوا عقاب الله فقالوا يا نوح
قد جادلتنا الآيات وقال جعفر بن حرب كان قوم نوح جبرية فقال
الله تعالى على سبيل الانكار عليهم ان كان القول كما يقولون فما ينفعكم
نصحي وقال الحسن ان كان الله يريد ان يعذبكم فليس ينفعكم نصحي عند
نزول العذاب بكم وان آمنتم به لانه لا يقبل الايمان عند نزول العذاب
ولو كان مريدا لاغوائهم لوجب ان يترك نوح نصيحتهم بعدما اعترف
بذلك فلما كان نوح مجدا في النصح لهم مجتهدا في مجادلتهم حتى قالوا يا
نوح قد جادلتنا الاية صح ان الله لم يكن مريدا لاغوائهم عن الدين قوله
سبحانه يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين
بل بدا لهم الى قوله لكاذبون فقوله يا ليتنا نرد ولا نكذب على وجه التمني
وقوله وانهم لكاذبون راجع الى الامر الذي تمنوه لان التمني لا يكون
صدقا ولا كذبا وقع ما تمناه او لم يقع فيكون قوله وانهم لكاذبون
مصروفا الى حال الدنيا ويحمل ايضا على غير الكذب الحقيقي والمعنى انهم
تمنوا ما لا سبيل اليه فكذب املهم وتمنيهم يقال كذب امله واكدى
رجاؤه قال الشاعر كذبتم وبيت الله لا تاخذونها مراغمة ما دام
للسيف قائم وقالوا يا ليتنا نرد هذا هو التمني ثم قال
ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين فاخبروا بما علم الله تعالى
انهم فيه كاذبون وان لم يعلموا من انفسهم مثل ذلك فلهذا اكذبهم
الصاحب قالت فانما الناس ذا لكونها فقلت نحن معا الاصين عن خلاف

فصل قالت فلم لا يكون الله خالقها فقلت لو كان خلقا لكن على
قوله تعالى ولو شاء الله لسلطهم عليكم انما اخبار عن قدرته فحسب ولم يقل
لسلطهم عليكم وكيف يتسلط من لا يقدر وقوله وما كان له عليهم من سلطان
قوله سبحانه انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا انما جعله
متعلقا بكونهم كفارا لان قوله الكافرين ليس باسم جنس وانما هو جزاء كفرهم
ولم يقل ارسلناهم على المؤمنين لانهم معتصمون بحبله والكافرون لما لم
يعتصموا بحبله ولم يقبلوا حجة ارسل الشياطين عليهم اذ خلاهم واياهم
كما يقال ارسلت كلبك على الناس اذا لم تمنعه والآية تدل على فساد
مذهبهم فانه اخبر ان الشيطان تؤزهم قوله سبحانه ومن يعش عن ذكر
الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين يعني في الآخرة بدلالة قوله حتى اذا
جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ثم قال ولن
ينفعكم اليوم اذ ظلمتم وقد جاء في الاخبار ان كل آدمي يدخل جهنم يقرن
بشيطانه الذي كان يقبل منه في دار الدنيا قوله سبحانه وكذلك
نولي بعض الظالمين بعضا اي نكل بعضهم الى بعض في الآخرة فنكل
الذين كانوا يعصون الله بامر هولاء الظالمين واتباع اهوائهم اليهم
ليوقنوا بالاياس من رحمة الله اذ كانوا لا يملكون لهم في الآخرة نفعا و
يدل على انه في الآخرة قوله بما كانوا يكسبون وهو مثل قوله ما تولى و
نصله جهنم اي نكله الى ما كان عبده في الدنيا من الالهة قوله سبحانه
وقيضنا لهم قرناء قال الحسن معناه خلينا بينهم وبين الشياطين
فاغووهم وقال الجبائي القيض احواج بعض العباد
الى بعض كحاجة الرجل الى المراة والمراة الى الرجل وقال قوم القيض
المماثلة المقايضة فالمعنى على هذا انا نضم الى كل كافر قرينا له من الجن مثله
في الكفر في نار جهنم كما قال نقيض له شيطانا وقوله فزينوا لهم ما بين
ايديهم لم يقل ليزينوا وتزيين الفعل انما يصح على مذهبنا قوله سبحانه
وكذلك زينا لكل امة عملهم وقوله ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم

كيف يزين للغير عمل نفسه ومتى ما احدثها فنوا كان مزينا لهم ذلك الا مع غير
مزين ولما قال لكل امة عملهم استغنى عن تزيين ذلك وانهم سيفعلونها
في المستقبل فالكلام مجمل قوله سبحانه وزين لهم الشيطان اعمالهم
التي كفروا بها وعصوا الله فيها فصدهم عن السبيل اي طريق الحق فهم
لا يهتدون اليه لاتباعهم دعا الشيطان وعدولهم عن الطريق الواضح
وكانوا مستبصرين اي عقلا يمكنهم تمييز الحق من الباطل بابصارهم له
وفكرهم فيه قوله سبحانه وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين
الانس والجن وقوله وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين
قال ابو علي اي حكم بانهم اعدا وقال غيره اي خلا بينهم
ولم يمنعهم من العداوة وقيل المراد بذلك ان الله تعالى لما انعم على انبيائه
بضروب النعم وشرفهم بالبعثة حسدهم على ذلك خلق وعادوهم
عليه فيجوز ان يقال بان الله جعل لهم اعدا على وجه المجاز وقيل بينا
انهم اعداوهم كما يقال جعله لصا او خائنا وقيل امرنا ان يسموهم بذلك
قوله سبحانه ونمدهم في طغيانهم يعمهون المد هو الامد في الاجل
يقال مد الله في عمره ولا يقال مد في الطغيان ولم يقل مد في طغيانهم
وانما قال نمدهم ثم قال في طغيانهم يعمهون الطغيان
الفعلان من طغى يطغى اذا تجاوز حده ومنه كلا ان الانسان
ليطغى والطاغية الجبار العنيد ولو تعلق يعمهون بنمدهم لقال يعمهوا
ومعنى الآية انه تركهم في الكفر فلم يعصمهم بالعصمة التي عصم بها المؤمنين
لما عرفهم ومن لهم الكفر من الايمان فاعتصموا بما عرفهم الله من دينه
قوله سبحانه ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم
استدل ابو علي بهذه الآية انه متى كان في معلوم الله انه لو اتاهم
الآيات التي طلبوها لآمنوا عندها وجب ان يفعلها بهم ولولا ان ذلك
كذلك لم يحتج على العباد في منعه اياتهم التي طلبوها اي انما منعتهم اياها
لانهم كانوا لا يؤمنون ولو اتيتهم اياها لقالوا ان هذا سحر مبين وهذا دليل على

وجوب اللطف **فصل** قوله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا لم يقل
لاجل الاصغا ولاجل كذا وقوله ولتصغى عطف وليس بجواب لقوله جعلنا
ولا تعلق للخصم فيه اذ ليس شي منها يحدث عما علقه به على مذهبهم
وانما يصح على مذهبنا قوله سبحانه انا جعلنا الشياطين اولياء الذين
لا يؤمنون معناه انا حكمنا بذلك لانهم يتاخرون على الباطل قوله سبحانه
وجعلوا الملئكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اي حكموا بذلك حكما باطلا
قوله سبحانه وجعلناهم ائمة يدعون الى النار جعل على وجوه الخلق
وجعل الظلمات والنور والامر ما جعل الله من بحيرة والحكم بالشي
وجعلوا الملئكة الذين هم ومعنى الآية انه وصفهم بذلك وحكم به
عليهم او نعني به يوم القيمة كقوله في فرعون فاوردهم النار وقول النبي
في امرئ القيس بيده لوا الشعرا يقودهم الى النار قوله سبحانه وجعلنا
قلوبهم قاسية قال البلخي اي سميناهم بذلك عقوبة على كفرهم ونقض
ميثاقهم وقال في قوله وجعلوا لله شركاء الجن اراد بذلك
انهم سموا لله شريكا ويجوز ان يكون المراد ان الله تعالى بكفرهم لم يفعل
بهم اللطف الذي ينشرح به صدورهم كما يفعل بالمؤمن وذلك مثل
قولهم افسدت سيفك اذا تركت تعاهده وجعلت اظافيرك سلاحك
اذا لم تقصها وجعلته بحيث لا يفلح ابدا وجعلته ثورا وحمارا وقوله عز وجل
الكلم لا يدل على انه جعل قلوبهم قاسية ليحرفوا بل يحتمل ان يكون كلاما
مستانفا ويمكن ان يكون حالا لقوله فبما نقضهم ميثاقهم يحرفون اي
محرفين قوله سبحانه وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رافة ورحمة
وقوله لا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا لا حجة لهم فيه لان الجعل لفظ
مشترك كما بيناه واذا اضيف جعل الشي الى الله تعالى اذا وقع من الارض
تخليته بينه وبينه او بغيه وبين ما يحصل عنه كما تقول احدنا جعلتني
دليلا اذا خلى بينه وبين من اذله قوله سبحانه اولئك الذين كتب في
قلوبهم الايمان معناه جعله بحكمه فكانه مكتوب فيه وقال الحسن بن الاعمال

في قلوبهم بما فعل فيهم من الالطاف وقيل جعل فيها كتابة على سبيل العلامة
للفرق بين المؤمن والكافر كما فعل الطبع والختم لحلق الكافر وخلق الايمان
في قلوبهم لا يتنى كتابة حقيقة ومجازا قوله سبحانه قل لن يصيبنا الا ما كتب
الله لنا قال الحسن اي كل ما يصيبنا من خير او شر فهو مما كتبه
الله في اللوح المحفوظ من امرنا وقال الجبائي والزجاج اي لن يصيبنا في عاقبة
امرنا الا ما كتب الله لنا في القرآن من النصر الذي وعدنا وقال البلخي يجوز
ان يكون كتب بمعنى علم وبمعنى حكم **فصل** قوله تعالى وجعلوا لله شركا
خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم الآية هذه الآية وردت حجة على
الكفار ولو كان المراد ما قالت المجبرة لكان فيها حجة على الله لانه اذا كان
الخالق لعبادتهم الاصنام هو الله فلا يلحقهم اللوم بل يكون لهم ان يقولوا
انك خلقت فينا ذلك فلم توبخنا بفعلك ثم ان الخلق اختراع وافعالنا
مباشرا ومتولدا في محل القدرة قوله سبحانه الله خالق كل شيء اراد
به المبالغة كقوله تدمر كل شيء وتجبى اليه ثمرات كل شيء واوتيت من
كل شيء ومن زعم ان الله تعالى يمتدح بالآية بانه اكثر الخالقين خلقا و
اوسع الفاعلين فعلا حتى ان افعال العباد مخلوقة له اخطا لانه لا مدحة
في خلق الكفر به والفرية عليه وعلى انبيائه والظلم والجور وكل قبيح بل
الذم في ذلك والنقص والخلق يعبر به عن التقدير قوله واذ تخلق
من الطين كهيئة الطير فيكون معناه انه خالق اعمال العباد بمعنى انه مقدر
لها قوله سبحانه خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام
لا مدحة في خلق الكفر والضلال وساير القبايح فلا يدخل فيه افعال
العباد وكان يجب ان يكون افعال العباد مفعولة في ستة ايام وقد
ذكرنا انه بمعنى التقدير قوله سبحانه خلق الانسان هلوعا اذا
مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا لا يدل على انه خلق الجزع والهلع
والمراد انه خلق الانسان ضعيفا عن تحمل الشدايد والصبر على تحمل المحن
وكنى عن ذلك بما الضعف سببه كما قال وخلق الانسان ضعيفا واذا

كان تعالى قد خلق في الانسان النفار عن المضار والشهوة للمنافع جاز ان يقال
انه خلق جازعا من تلك ومانعا من هذه بمعنى انه خلق فيه ما يدعو الى ذلك
قوله سبحانه ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم و
الوانكم لا دلالة لهم فيه لان حمل اللسان على الجارحة حقيقة فلا يحمل على
المجاز ويريد باختلاف الالسنة ما فيها من غنة ولثغة يقتضيهما خلق
الانسان ومخارج الحروف منه قوله سبحانه واسروا قولكم او اجهروا
به انه عليم بذات الصدور الا يعلم من خلق معناه الا يعلم قول من خلق
وسره واحواله ولو اراد ما ظنه المخالف لقال الا يعلم ما خلق لان من لم
يعقل وانما وجب ان يكون تعالى عالما باسرارنا من حيث كان خالقنا
لان الخالق للعباد لا يكون الا قديما عالما لنفسه قوله سبحانه وخلق كل
شيء فقدره تقديرا معناه كل شيء يطلق عليه اسم المخلوق فانه خلقه
لان افعالنا لا يطلق عليها اسم الخلق حقيقة لان الخلق يفيد الاختراع
وانما يسمونها بذلك مجازا على انه لا يعتد بما يخلقه العباد في جنب ما
خلقه الله لكثرة ذلك وقلة ما خلقه العبد او يكون المراد انه قدر
كل شيء وافعال العباد مقدرة لله تعالى من حيث بين ما يستحق عليها
من الثواب او العقاب ولا يستحق شيئا من ذلك يقوي ذلك قوله
فقدره تقديرا قوله سبحانه افمن يخلق كمن لا يخلق الخلق في اللسان
هو التقدير والاتقان في الصنعة وفعل الشيء لا على وجه السهو والمجازفة
بدلالة قوله وتخلقون افكا قوله واذ تخلق من الطير وقوله احسن
الخالقين فاعلمنا ان غيره يسمى خالقا الا انه لو لم يستحق اسم خالق غيره لما قال
احسن الخالقين كما لا يجوز ان يقال انه اعظم الالهة لما لم يستحق الالهية
غيره الا انا لا نطلق هذه الصفة الا فيه تعالى لان ذلك يوهم والوجه
في الآية الرد على عبادة الاصنام والجمادات التي لا تقدر على نفع ولا ضر
يقوي ذلك قوله في آخرها والذين يدعون من دون الله لا يخلقون
شيئا وهم يخلقون اموات غير احياء **فصل** قوله تعالى وكذلك فتنا

بعضهم ببعض قال ابو علي معنى قوله فتنا بعضهم ببعض اي شددنا التكليف على
اشراف العرب وكبرائهم بان امرناهم بالايمان برسول الله ص وبتقديم هولاء
الضعفاء على نفوسهم لتقدمهم اياهم في الايمان وكونهم افضل عند الله
وهذا امر كان شاقا عليهم فلذلك سماه فتنة قوله سبحانه وجعلنا بعضكم
لبعض فتنة قال الحسن معناه كما يقول الاعمى لو شا الله لجعل
لي عينا مثل فلان ويقول العقيم لو شا لاعطى مثل فلان وقال الفرا
كان الشريف اذا اراد ان يسلم وقد سبق الشريف الى الاسلام فيقول
اسلم بعده فكان ذلك فتنة وقيل وجعلنا بعضكم لبعض فتنة للعداوة
التي كانت منهم في الدين والفتنة شدة في التعبد تظهر ما في نفس العبد
من خير وشر وهي الاختبار قوله سبحانه الم احسب الناس ان يتركوا ان
يقولوا امنا وهم لا يفتنون قال مجاهد اي يبلون في انفسهم واموالهم
وقيل اي يصابون بشدايد الدنيا قوله سبحانه ثم لم تكن فتنتهم الا ان
قالوا والله ربنا ما كنا مشركين اصل الفتنة التخليص لما به يظهر الخالص
من الشوايب ومتى صرف عن ظاهره سقط تعلقهم بها على ان الفتنة
الامتحان يقال فتنت الذهب في النار فانا قد فتنا قومك وفتناك
فتونا والفتنة ايضا الاحراق يقال فتنت الرغيف في النار قوله يوم هم
على النار يفتنون ذوقوا فتنتكم قال الشاعر اذا جاء عيسى حرزنا براه
الى النار والعيسى في النار يفتن • ولا يصرف الى الكفر الا بدليل ولا دليل
ههنا يجب صرفه اليه واذا كان معنى الامتحان صح ان الانسان مختار
وامتحان المجبور محال لانه انما جربه ليتبين فيه ما يكون منه من طاعة
او معصية وموالات او معادات واذا كان الممتحن هو الفاعل لجميع
ذلك بطل الامتحان قوله سبحانه وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة
وما جعلنا عدتهم الا فتنة الذين كفروا فعدة الملائكة لا تكون كفرا
للكافر ولا خلاف انهم لا يكفرون لاجل عدتهم وانما يكفرون لغير ذلك
قوله سبحانه ربنا لا تجعلنا فتنة وقوله لا تعني سوالا ولا تعلو السوال

ولا يدل على ان الرسول يفعل ما نهيا او يفعل بخلافه قال امير المومنين لا يقولن
احدكم اللهم اني اعوذ بك من الفتنة لانه ليس احد الا وهو مشتمل على فتنة
ولكن من استعاذ فليستعذ من مضلات الفتن قال الله تعالى
يقول انما اموالكم واولادكم فتنة ومعنى الاية ان الله تعالى يختبرهم
بالاموال والاولاد ليتبين الساخط لرزقه والراضي بقسمه وان كان
اعلم بهم ولكن ليظهر الافعال التي يستحق بها الثواب والعقاب لان بعضهم
يحب الذكور ويكره الاناث وبعضهم يحب تثمير المال ويكره انثلام
الحال قوله سبحانه ولقد فتنا قومك من بعدك اي عاملناهم معاملة
المختبر بان شددنا عليهم في التعبد بان الزمناهم عند اخراج العجل الى
ان يستدلوا على انه لا يجوز ان يكون الها ولا ان يحلوا من الله قوله سبحانه
وليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة لم يذكر ما فيها وجعلها
مضافة الينا ولا يجوز بمعنى الاضلال من حيث توعدهم بها والتوعيد
لا يصح بالاضلال وكيف يصح ان يتوعد بالاضلال من هو ضال على انه
انما توعد المخالف لامره فلو كان بمعنى الاضلال لكان بمثابة ان لو قال
فليحذر من اضللته لمخالفة امري ان اضله قوله سبحانه وان ادري
لعله فتنة لكم وقوله وكذلك فتنا بعضهم وامثالها لا يدل على مذهبهم
ان الله تعالى انما يضلهم بقدرة موجبة للضلال وانه لا يقع اضلالهم
بمثل ما تعلق به قوله سبحانه ومن يرد الله فتنته فلن تملك له
من الله شيئا على اي وجه فسر الفتنة وانما الخلاف في جوازه لانه
لا خلاف انه يريد فتنة العبد بمعنى الامتحان والتكليف وههنا في
العذاب او نحوه كما قال يوم لا تملك نفس لنفس شيئا وانه
لا يريد تطهير قلب من كفر لان تطهيره اما ان يريد به ان يطهره جبرا او
بهذا يبطل التكليف او يريد الحكم بطهارته وغير جايز ان يحكم الله بطهارة
قلب من هو كافر او يريد اثابته وهو لا يريد اثابة الكافر الشاعر
وكم حذر الله العباد قلوبهم • وشيطاهم فاستاثروا الترك للحذر • ولكن اذا ما

ضل قوم على الهدى ⁕ اضلهم الرحمن في السر والجهر فصــــل قوله تعالى
وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون الا
بانفسهم وما يشعرون اى فعلنا بهؤلاء مثل ما فعلنا باولئك الا ان اولئك
اهتدوا بحسن اختيارهم وهؤلاء ضلوا بسوء اختيارهم لان كل واحد منهما
جعل بمعنى صار به كذا الا ان الاول باللطف والثاني بالتمكين من المكر
فصار كانه جعل كذا وانما خص اكابر المجرمين بهذا المعنى لان الاكابر اذا
كانوا في قبضة القادر فالاصاغر بذلك اجدر وقوله ليمكروا فيها اللام
لام العاقبة كقوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وليس لام
الغرض لانه تعالى لا يريد ان يمكروا وقد قال ⁕ وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون وارادة القبيح قبيحة فيكون التقدير
وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليطيعون فكان عاقبتهم
ان مكروا بالمؤمنين وما يمكرون الا بانفسهم اي وبال مكرهم يعود اليهم
ولا يصح ان يمكر الانسان بنفسه على الحقيقة لانه لا يصح ان يخفي عن
نفسه ما يحتال به عليها كما يصح ان يخفي ذلك عن غيره قوله سبحانه
ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين المكر هو ادخال الضرر على الغير حيلة
كان او سلبا من جهة الحيلة والتورية والله يتعالى عن ذلك وليس
المكر من الاضلال بسبيل لانه يستعمل في الحروب وفي امور يستعمل فيها الحيل
وقد يسمى قصد الانسان تدبير مكرا كقوله واذ يمكر بك الذين كفروا وليس
ذلك اضلالهم اياه عن الدين بل هو كما فسره بقوله ليثبتوك والاجماع ان
قوله يمكرون انما هو ما كانوا يكيدون به النبي ص من القصد لاهلاكه واخبر
انه مكر بهم اي اهلكهم من حيث لا يعلمونه او جازاهم على مكرهم فسمي الجزاء على
المكر مكرا كما سمي الجزاء على الاعتداء اعتداء وهذا من باب تسمية الابتداء باسم
العاقبة والعاقبة باسم الابتداء الشاعر واني لاستحيي من الله ان ارى
يخالف قولي الفعل سرا ولا جهرا ⁕ اذ ذاك خوف الله جل ثناؤه ⁕ وهل امن
الانسان من ربه المكرا قوله سبحانه ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون

يعني قولهم قبل الاية قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه ومكرنا مكرا اي جازيناهم على مكرهم
بما دمرناهم وقومهم اجمعين اى اهلكناهم عن آخرهم وقيل ان الله تعالى
ارسل عليهم صخرة عظيمة اهلكتهم بها وقيل اى الجأنا المؤمنين المكر بالكفار
بكل ما يقدرون عليه من الاضرار بهم والجائهم الى الايمان وانما نسبه
الى نفسه لما كان بامره قال ⁕ النبي ع الحرب خدعة كما فعله
بالمشركين عند اجتماعهم على الايقاع به فامر عليا ع بالمبيت على فراشه
والهجرة الى حيث امره الله فاضاف ما فعله وفعله المؤمنون الى نفسه من
حيث كان ذلك بامره وتعليمه كما قال وما رميت اذ رميت الى قوله
واذ يمكر بك الذين كفروا قال الطبري والخطيب في تاريخيهما والقزويني
والثعلبي في تفسيرهما كان مكر الله بيات علي على فراش النبي ص قال الشاعر
ولما سرى الهادي النبي مهاجرا ⁕ وقد مكر الاعداء والله امكر ⁕ ونام علي في
الفراش بنفسه ⁕ وبات ربيط الجاش ما كان يذعر ⁕ فكان مكان المكر
حيدرة الرضى ⁕ من الله لما كان بالقوم يمكر ⁕ فيكون المعنى ان الله تعالى
يرد مكركم عليكم كما يقال ان فلانا اراد ان يخدعني فخدعته وقصد
الى ان يمكر بي فمكرت به وعلى هذا يأول وجزاء سيئة سيئة لان الثاني
لا يكون سيئة وانما يكون جزاء وهكذا في آية الاستهزاء قوله سبحانه
كذلك كدنا ليوسف اي علمنا يوسف من جهة الخفية دون الظاهر
وذلك ان الحكم كان في ايام العزيز من سرق شيئا اخذ برقته و
ملك قوله سبحانه يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا انفسهم
الخداع مشتق من الخدع وهو اخفاء الشيء مع ايهام غيره ومنه المخدع
والخدع التغير انشد ⁕ طيب الريق اذا الريق خدع اي تغير وقد
قال ⁕ ابو عبيدة يخادعون الله معنى يخدعون قوله سبحانه
وخادعت المنية عنه سرا ⁕ ومثل ذلك قولهم قاتله الله وعافاه الله ومعناه
ان المنافق يخادع الله بلسانه خلاف ما في قلبه والله يخادعه بما فيه نجاة
نفسه قال الحسن والزجاج والازهري معنى يخادعون الله انهم يخدعون نبيه

كما قال وان يريدوا ان يخدعوك. وقيل انهم بما يقولون والله يجازيهم على فعلهم
كما قال وان عاقبتم فعاقبوا. وجزاء سيئة سيئة مثلها **قوله** سبحانه انهم
يكيدون كيدًا. اى يحتالون فى دفع الحجج وانكار الآيات واكيد كيدًا
اي اجازيهم على كيدهم وسمى الجزا على الكيد باسمه لازدواج الكلام وقيل
انهم يحتالون لاهلاك النبى واصحابه وانا اسبب لهم النصر والغلبة واقوى
دواعيهم الى القتال فسمى ذلك كيدًا حيث يخفى عليهم وجه ذلك **قوله**
سبحانه حاكيًا عن ابليس رب بما اغويتنى انه كلام ابليس وانه ليس
ممن يقبل قوله وان ابانا آدم هو الصدوق المعتمد قال رب انى ظلمت
نفسى فاعترف انه الظالم لنفسه فيما يتعاطى من ترك المندوب اليه ولم
يضفها الى ربه فقوله اصح وكلامه اثبت وان ابليس قد اعترف فى
الآخرة اضطرارًا فى قوله وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم
فاستجبتم لى فلا تلوموني ولوموا انفسكم ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخى
انى كفرت بما اشركتمون ثم انه لم يقل انك اغويتنى عن الحق وقال
ولا يغرنكم بالله الغرور ولا يفتننكم الشيطان فاخبر اننا مختارون قوله
سبحانه ولو جعلناه ملكًا لجعلناه رجلا وللبسنا عليه ما يلبسون
لا تعلق فيه لانه قال لو فعلت كذا لفعلت وليس يوجب ذلك بانه
يفعله وقد قال فى نظمه لو اردنا ان نتخذ لهوًا لاتخذناه وليس
ذلك بمجوز ان يفعله **قوله** سبحانه وهو شديد المحال فتاويله مثل
ما قلنا فى الكيد والمكر **قوله** سبحانه واما الذين سعدوا الآية ابو
ذو الكلاع الحميرى قال على ع فوضع عمرو بن العاص ان السعيد
من سعد فى بطن امه والشقى من شقى فى بطن امه وانحله الى
النبى ص وقارنه بهذه الآية فتابع ذو الكلاع معوية فانتشر ذلك فى
بنى امية وتابعهم الا عمر بن عبد العزيز فانه لم يقبله فان صح الخبر
فتاويله وتاويل الآية ان السعيد والشقى من يظهر امره فى قبره لان الام كل
ما يرجع اليه قوله فامه هاوية والارض هو المرجع قوله منها خلقناكم وفيها نعيدكم

وقوله الم نجعل الارض كفاتا احيا وامواتا وقال الضحاك المعنى ان الذين سعدوا
بطاعات الله يدخلون الجنه خالدين فيها واستثنا من جملتهم من كان مستحقا
للنار ولو اراد عقابهم ثم اخراجهم منها فكانه قال خالدين منها الامدة ما
كانوا معاقبين فى النار وذلك صحيح لاجماع الامة على جواز اخراج بعض
الاشقيا من النار بعد دخولهم فيها وسمع الحسن قول ابى معشر الكوفى
ان الله خلق خلقا وقال هاؤلاى للجنه وهؤلا للنار فقال الحكم اوجعله
الله فرعه بن عاده موسى بن جعفر ع ليس من العدل ان تشترك اثنان
فى فعل فيعذر القوى ويلام الضعيف وحقيقه السعادة انه يتاتى له ما
يريد الوصول اليه من المنافع ودفع المضار وهذا لا يوجب ما زعموه
قوله سبحانه ربنا غلبت علينا شقاوتنا الغلبة انما تصح من القادر
الحى ولا وجه لاضافة الغلبة الى الشقاوة على ان السعادة والشقاوة انما
يستعمل فى اصابة الخير وحرمانه **قوله** سبحانه ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من
الجن والانس الظاهر انه خلقهم لجهنم ولا يوجب ذلك انه يريد منهم
الكفر وانه يريد العقاب وان لم يرد ما يستحق به ذلك كما يريد التوبة
من الفاسق وان لم يرد ما لاجله يجب التوبة ولام لجهنم لام العاقبة
دون غرض الفعل لانه قال فى آخره اولئك كالانعام بل هم اضل
وكيف نقول ذلك وانما فعلوا ما له خلقوا وكيف نذمهم لفعل ما خلقهم
له واراده منهم ولام كى التى تكون لغرض الفعل يدخل على الافعال دون
الاسماء، وناقض قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فاذا
خلقهم لعبادته فكيف يخلقهم لجهنم واذا كان خلق جميعهم للعبادة فقد شا
من جميعهم العبادة. وما الناس الا للعبادة خلقهم. ولكن تعدى من
تعدى على خبر. ويدل على انه لام العاقبه قوله فالتقطه آل فرعون ليكون
لهم عدوًا وحزنا وآل فرعون لم يلتقطوه لذلك وانما التقطوه لقوله قرة عين
لى ولك **قال الشاعر** فللموت تغدو الوالدات سخالها كما لخراب الدهر
تبنى المساكن **قوله** سبحانه ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك

خلقهم يعني من اسلم من هولاء المختلفين لانهم اذا اسلموا ارتفع الخلاف بينهم و
صاروا متفقين على الخير ولذلك خلقهم لان يرحمهم ابدا وان يرحمهم على
فعل او خلق النصارى ليخالف اليهود وخلق اليهود ليخالف النصارى كما حكى
عنهم وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقال
الحسن انهم يختلفون بالارزاق والاحوال وتسخير بعضهم لبعض قوله سبحانه
واغرينا بينهم العداوة والبغضاء اي اغرى اليهود بمعاداة النصارى في ادعاء
النصارى ان لله ولدا واعتقادهم التثليث واغرى النصارى بمعاداة اليهود
بجحدهم نبوة المسيح وشتمهم امه وقال البلخي يكون الاغراء بين
النصارى خاصة بعضهم لبعض على ظاهر الآية وهو ان الله تعالى نصب
الادلة على ابطال كل فرقة من فرق النصارى فاذا عرفت طايفة منها فساد
مذهب الاخرى فما نصب الله لها من الادلة وان جهلت فساد مقالة
نفسها لتفريطها في ذلك وسوء اختيارها فجاز على هذا اضافة الاغراء الى الله تعالى
قوله سبحانه يا ايها الناس اعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تتقون
معنى تتقون لتتقوا لان لعل بمعنى لام كي وعند المفسرين لعل من الله
واجب فاذا كان خلق جميعهم للتقوى فقد اراد من جميعهم التقوى قوله
سبحانه وهذا كتاب انزلناه مصدق فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون
امر من الله باتقاء معاصيه واتباع نبيه لعلكم ترحمون لكي ترحموا وانما قال
واتقوا لعلكم مع انهم اذا اتقوا رحموا لا محالة لامرين احدهما اتقوا على
رجاء الرحمة لانكم لا تدرون ما توافون في الآخرة والثاني اتقوا
لترحموا ومعناه لكن الغرض بالتقوى منكم طلب ما عند الله من الرحمة
والثواب قوله سبحانه حتى اذا جاء احدهم الموت قال
رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت الآية فيها دلالة على انهم كانوا
يقدرون على الطاعة فتمنوا الرجوع ليعملوا الخير بخلاف ما تقول المجبرة قوله
سبحانه فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا او نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل
يدل على انهم كانوا قادرين على الايمان في الدنيا فلذلك طلبوا تلك الحال ولو

لم يكونوا قادرين لما طلبوا الرد الى الدنيا والى حالهم الاولى ويدل ايضا على بطلان
مذهب الحسين النجار في تكليف اهل الآخرة وهو خلاف القرآن والاجماع
قوله سبحانه لعلكم تهتدون ولعلهم يتذكرون ولعلهم يرجعون ولعلهم
يعقلون ولعلهم يفقهون ولعلهم يذكرون فيها دلالات على ان الله تعالى
اراد منهم المذكورات لان كلها لامات الغرض

فصل

قوله تعالى
وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه قال اكثر
المفسرين انه لو استقام العقلاء على طريقة الهدى واستمروا عليها وعملوا بموجبها
لجازيناهم على ذلك بان اسقاهم ماء غدقا اي كثيرا وفي ذلك ترغيب في الهدى
وقال الفراء معناه وان لو استقاموا على طريقة الكفر لفعلنا
بهم ما ذكرناه تغليظا للمحنة في التكليف ولذلك قال لنفتنهم فيه قوله سبحانه
فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم
بغتة علمنا في الجملة ان هذه الآيات مخصوصة فلا نعتقد فيها تخصيص
وليس يلزمنا اكثر من ذلك ومن تكلف وقال انما فتح ابواب كل شيء
ليفرحوا ويبطروا فيستحقوا العقاب قلنا انصرفنا عنه بدليل كما انصرفنا عن
آيات الجبر والتشبيه ثم ان لفظة الكل هاهنا المراد به التكثير دون العموم
مثل قوله واوتيت من كل شيء وقوله ولقد اريناه اياتنا كلها ويقال هذا
قول اهل العراق واهل الحجاز ويراد به قول اكثرهم قوله سبحانه ولا يحزنك
الذين يسارعون في الكفر انهم لن يضروا الله شيئا يريد الله الا يجعل لهم
حظا في الآخرة الارادة لا تتعلق بالا يكون الشيء وانما تتعلق بما يصح حدوثه
قال ابن اسحق يريد الله ان يحبط اعمالهم بما استحقوه
من المعاصي الكباير وقال غيره ان الله يريد ان يحكم بحرمان ثواب
الذين عرضوا بتكليفهم وهو لايق بمذهبنا لان الاحباط باطل قوله
سبحانه ولو يواخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يوخرهم
الى اجل مسمى يعني انه تعالى لو يواخذ الكفار والعصاة بذنوبهم ويعاجلهم
بعقوباتهم لما ترك على الارض احدا من الظالمين وانما يوخرهم تفضلا منه ليتوبوا

اولما في ذلك من المصلحة لباقي المكلفين ليعتبروا بهم والوجه في تعميم الاهلاك
مع ان فيهم مؤمنين ان الاهلاك وان عمهم فهو عقاب الظالم دون المؤمن
لان المؤمن يعوض عليه على ان ذلك يكون خاصة والتقدير ما ترك عليها
من دابة من اهل الظلم ثم انه لو هلك الا بكفرهم لم يؤخذ الابناء. قوله سبحانه
يا ايها الذين اوتوا الكتاب آمنوا الى قوله فنردها على ادبارها قال ابن عباس
المعني عبد الله بن سلام وغيره فلما اسلموا دفع عنهم وقال ابي بن كعب
الطمس ان نردعن بصائر الهدى ونحول الوجوه الى الاقفاء ويكون المعنى
ان يحول بالمعصية ونسمي بالضلال وقال الحسن ومجاهد
والضحاك والسدي نطمسها عن الهدى فنردها على ادبارها في ضلالتها
ذمّا لها بانها لا تصلح ابدا وان كانوا في الضلالة في الحال فتوعدهم بانهم
متى لم يؤمنوا بالنبي ازدادوا بذلك ضلالا الى ضلالتهم واما ان ييأسهم
ان يؤمنوا من بعد وهو المروي عن ابي جعفر ع ويقال يكون ذلك في القيمة
تقلب وجوههم الى ادبارهم **فصل** قوله تعالى واذا اردنا ان
نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا
الاهلاك على سبيل الامتحان او الاستحقاق حسن وانما يقبح اذا كان
ظلما والله تعالى منزه عن ذلك ولا ظاهر للآية يقتضي ذلك واذا قامت
الدلالة على انه تعالى منزه عن القبايح علمنا ان هذه الآية لم تتعلق الا بالاهلاك
الحسن قوله امرنا مترفيها المامور به محذوف وليس يجب ان يكون
المامور به هو الفسق وان وقع بعده الفسق وهذا كما تقول امرته فعصى
ودعوته فابى والمراد امرته بالطاعة ودعوته الى الاجابة وانه تعالى لم يعلق
الارادة الا باهلاك مستحق بما تقدم من الذنوب والذي حسن قوله اذا
اردنا هو ان في تكرار الامر بالطاعة والايمان اعذارا الى العصاة وانذارا
لهم واثباتا للحجة عليهم حتى يكونوا متى خالفوا بعد تكرار الانذار ممن
يحق عليه القول ويجب عليه الحجة يوضح ذلك قوله قبل الآية وما كنا
معذبين حتى نبعث رسولا ويكون امرنا مترفيها من صفة القرية وصلتها ولا

يكون جوابا لقوله واذا اردنا ويكون تقدير الكلام واذا اردنا ان نهلك قرية
من صفتها انا اذا امرنا مترفيها ففسقوا فيها ولم يأت لها جواب ظاهر في
الآية للاستغناء عنه بما في الكلام من الدلالة عليه نحو حتى اذا جاؤها وفتحت
ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله
الذي صدقنا وعده الآية ولم يأت لاذا جواب في طول الكلام للاستغناء
عنه. قال الهذلي. حتى اذا سلكوهم في قتايدة. شلا كما تطرد الجمالة الشردا
حذف جواب اذا والبيت آخر القصيدة ويكون ذكر الارادة في الآية
ههنا مجرى قولهم اذا اراد التاجر ان يفتقر اتته النوايب من كل جهة و
الخسران من كل طريق وقولهم اذا اراد العليل ان يموت خلط في ماكله و
تسرع الى ما تتوق اليه نفسه وهذا كقوله فوجدا فيها جدارا يريد ان
ينقض ويحتمل الآية على التقديم والتاخير فيكون تلخيصها اذا امرنا
مترفي قرية بالطاعة فعصوا واستحقوا العقاب اردنا اهلاكهم وتشهد
بذلك قوله يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وقوله
واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة فلتقم طايفة منهم معك والطهارة قبل
القيام الى الصلاة وقيام الطايفة معه يكون قبل اقامة الصلاة ويحتمل كانه
قال تعالى واذا اردنا ان نهلك قرية مامورا مترفوها كررنا
الامر عليهم او اعدنا للوعظ لهم او امرناهم ثانيا ففسقوا فيها فحق عليها القول
ويمكن ان يحمل اذا في الآية جواب وهو ان يجعل الفاء في قوله فدمرناها
تدميرا زايدة ويجعل دمرناها جوابا لاذا كقولهم اخوك فجده وزيدا فاضرب
وعمرا فاكرمه ومنه وثيابك فطهر والرجز فاهجر **قوله سبحانه**
سنستدرجهم من حيث لا يعلمون لا يقتضي الكثير من انه يستدرج من
كذب باياته ولم يذكر ما يستدرجه اليه واصله من التدريج وهو الهلاك
ويقال من ذب ودرج وسنيه لا يمكن اجراؤها على السؤال في اوصافه
قال ابن عباس انهم كلما احدثوا خطيئة جدد لهم نعمة وانما يستدرجهم الى
الضرر والعقاب الذي استحق بما تقدم من كفرهم ولله تعالى ان يعاقب المستحق بما

شاء اى وقت شاء لكانه تعالى لما كفروا وبدلوا نعمه وعاندوا رسله لم يغير نعمه في الدنيا
بل امهلهم الى وقت اراد ولو جاز ان يستدرجهم الى الكفر ثم يعذبهم عليه
لجاز ان يعذبهم ابتداء ولو جاز ان يامرهم بالفسق لكانوا بفعله مطيعين
ففسقوا فيها دال على انه انما امرهم بالطاعة فضادوا بمفارقته امره فاسقين
ولو كان امرهم بالفسق ففعلوا ذلك لكانوا بذلك مطيعين والارادة
لاهلاك قوم قد يكون حسنا اذا كانوا مستحقين وقد بين انه لا يهلك احدا
الا بالاستحقاق قوله وما كان ربك ليهلك القرى وما كنا مهلكي القرى

فصل قوله تعالى فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله
ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون ابن عباس
وقتاده في الكلام تقديم وتاخير ولا يعجبك يا محمد ولا يعجب المؤمنين
معك اموال هؤلاء الكفار والمنافقين ولا اولادهم في الحيوة الدنيا انما يريد
الله ليعذبهم بها في الاخرة عقوبة لهم على منعهم حقوقها ومثله فالقه اليهم
ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون المعنى فالقه اليهم فانظر ماذا يرجعون
ثم تول عنهم ومعنى التعذيب بالاموال والاولاد في الدنيا ما هو جعله
للمؤمنين من قتالهم وغنيمة اموالهم وسبي اولادهم وفي ذلك ايلام لهم وقد اخبر
الله تعالى نبيه انه يرزق الكفار الاولاد والاموال لا لكرامة لهم بل للمصلحة
الداعية الى ذلك وانهم مع هذه الحال معذبون بها بالوجه المذكور والمراد
بذلك كل ما يدخل عليهم في الدنيا من الغموم والمصائب باموالهم واولادهم
عقاب وجزاء وهو للمؤمنين محنة وجالبة للعوض ويجوز ايضا ان يراد به ما
ينذر به الكافر قبل موته وعند احتضاره وعند انقطاع التكليف عنه مع
انه من العذاب الدائم الذي قد اعد له واعلامه انه صائر اليه ومنتقل الى
قراره الحسن والطبري المراد بذلك ما الزمه هؤلاء الكفار من الفرائض
والحقوق في اموالهم لان ذلك يوخذ منهم على كره وهم اذا انفقوا انفقوا
بغير نية فتصير نفقتهم غرامة وعذابا من حيث لا يستحقون عليها اجرا
وهذا غير صحيح وقال المرتضى تقدير الاية انما يريد الله ليعذبهم باموالهم

واولادهم الواقع ذلك منهم في الحيوة الدنيا من انفاقهم الاموال في وجوه
المعاصي وحملهم الاولاد على الكفر وليس يجب ان كان مريدا لان تزهق
انفسهم وهم على هذه الحال ان يكون مريدا للحال نفسها على ما ظنوه لان الواحد
منا قد يامر غيره ويريد منه ان يقاتل اهل البغي وهم محاربون ولا يقاتلهم
وهم منهزمون ولا يكون مريدا لحرب اهل البغي للمؤمنين وان اراد قتالهم
على هذه الحال وكذلك قد يقول لغلامه اريد ان تواظب الي في السجن
وانا محبوس وللطبيب صر الي وداوني وانا مريض ولا يريد الحبس ولا
المرض وان كان قد اراد ما هو متعلق بهاتين الحالتين ولا يكون قوله وهم
كافرون حالا لزهوق انفسهم بل يكون كانه كلام مستانف والتقدير ولا
يعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا وتزهق
انفسهم وهم مع ذلك كلهم كافرون صائرون الى النار وتكون الفائدة
انهم مع عذاب الدنيا قد اجتمع عليهم عذاب الاخرة ويكون معنى تزهق
انفسهم على هذا الجواب غير الموت بل المشقة الشديدة **قوله سبحانه** وان
من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته لم يقل الا وقد امن به في الماضي
وانما قال الا ليؤمنن به في مستقبل من الزمان فيجوز ان
يكون ذلك عند نزول عيسى وخروج المهدي ويجوز ان يريد بقوله قبل
موته اذا عاين حالة لان المعاين لم يمت الا وقد عرف ما كان عليه من
هدى او ضلال **قوله** سبحانه سيصلى نارا ذات لهب لما سمع ابولهب
هذه السورة لو كان امن لكان فيه تكذيب الله تعالى وان لم يجب عليه الايمان
فهو خلاف الاجماع الجواب خبر الله تعالى مشروط بانه سيصلى نارا ان لم يؤمن
ويجب علينا ان نعلم ذلك وانه يدل على صدق معجزة النبي **قوله سبحانه**
ذرهم في خوضهم يلعبون ذرهم يخوضوا ويلعبوا اجماع ان الله تعالى لا يطلق
الكفر به والشتم له والفرية عليه فالمجوز له خارج عن الاجماع وقوله يلعبون
ليس بجواب ذرهم **قوله** سبحانه ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم اخبر انه
منعهم من الخروج فليسوا يخلون من ان يكونوا قادرين على الخروج او غير قادرين

فمع غير قادرين محال وان كانوا قادرين وقد منعهم الله فقد صح مذهبنا وبعد
فقوله ولكن كره الله فالله تعالى غير كاره على قاعدتكم فصل قوله تعالى
واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون
نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم قوله وفى ذلكم اشارة الى المقدم ذكره من
انجائه لهم من المكروهات وقالوا انه معطوف على ما تقدم من قوله يا بني اسرائيل
اذكروا نعمتي الآية والبلاء مشترك بين الخير والشر قوله ونبلوكم بالخير
والشر فتنة وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا وهو الاختيار قوله وبلوناهم
بالحسنات والسيئات ومصدر بلى الثوب بلى قال
الراجز والمرء يبليه بلاء السربال ويقال قد ابلى فلان فى الحرب واذا وقعا
على الامرين لم يكن الخصم فى رده الى المحنة باسعد منا فى رده الى النعمة
على انه فى الانعام اولى لقوله واذ نجيناكم فبين انه انجاهم من قتلهم الابناء و
استحيائهم النساء ثم قال وفى ذلكم بلاء اي نعم ولو كان كما
زعموا لم يكن ذلك امتنانا عليهم ولكان موجبا اسقاط اللائمة من فرعون
فيما كان يفعله واما اضافة النجاة الى الله تعالى وان كانت واقعة بسيرهم لو دل على
ما ظنوه لوجب اذا قلنا ان النبي انقذنا من الشرك واخرجنا من الضلالة
ونجانا من الكفران يكون فاعلا لافعالنا ويقال انا نجيتك من كذى وكذى
وخلصتك ولا يريد انه فعل فعله فلهذا صح ان ما وقع بتوفيق الله تعالى
ودلالته ومعونته والطافه قد يصح اضافته اليه تعالى وقوله واذ نجيناكم
من آل فرعون يخاطب بذلك من لم يدرك فرعون فلا نجا من شره هذا
كما يقال قتلناكم يوم عكاظ المعنى واذا نجينا اباءكم واسلافكم والنعم على السلف
نعمة على الخلف قوله سبحانه الله يستهزئ بهم الاستهزاء ما يقصد به
الى عيب المستهزأ به والازراء عليه واذا تضمنت التخطئة والتجهيل والتبكيت
هذا المعنى جاز ان يجري عليه اسم الاستهزاء ويشهد بذلك قوله وقد نزل
عليكم فى الكتاب ان اذا سمعتم ايات الله يكفر بها ويستهزأ بها والآيات لا
يصح عليها الاستهزاء والسخرية وانما المعنى اذا سمعتم ايات الله يكفر بها ويزرا

عليها وقد يقام الشئ مقام ما قاربه فى معناه ليجري عليه اسمه قال الشاعر
سكت الدهر زمانا عنهم ثم ابكاهم دما حين نطق وانه تعالى جازاهم على استهزائهم
فسمى الجزاء على الذنب باسم الذنب كما قال وجزاء سيئة سيئة مثلها وقال
فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وقال وان عاقبتم
فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به وقال عمرو بن كلثوم الا لا يجهلن
احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا والعرب تقول الجزاء بالجزاء والاول
ليس بجزاء ولا شك ان ما وقع منه تعالى ليس باستهزاء على الحقيقة ولكنه
سماه بذلك ليزدوج اللفظ ويخف على اللسان وقيل استهزاؤهم لما رجع
ضرره عليهم جاز ان يقول عقيب ذلك الله يستهزئ بهم والله تعالى
هو الذي يرد استهزاءهم عليهم وان ضرر ما فعلوه لم يتعدهم كما يقال اراد
فلان ان يخدعني فخدعته المعنى ان ضرر خداعه عاد اليه ولم يضرني
وقيل الاستهزاء من الله هو الاملاء الذي يظنونه اغفالا وروي ان
ذلك يكون فى القيمة كما جاء فى التفسير قوله كلما ارادوا ان يخرجوا منها
اعيدوا فيها واستهزاء الله تعالى الاهلاك والتدمير واستهزاء الخلق
السفه والعبث ولا خلاف ان المبتدأ ليس بعقوبة ولا جزاء ويجري هذا
مجرى قوله يخادعون الله وهو خادعهم ويمكرون ويمكر الله ان تسخروا منا
فانا نسخر منكم كما تسخرون قوله سبحانه فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان
كنتم مؤمنين ما الام هؤلاء على ما لم يفعلوا ولم يدركوا وانما ذلك كقولهم
هزمناكم يوم الجفار وفضحناكم يوم النسار اي قتلت اباؤنا اباءكم ثم انما
كانت الابناء راضية بما صنعت الاباء دخلوا معهم فى الغضب وشاركوهم
فيه قوله سبحانه وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل
خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شئ انهم لكاذبون ان الله لا
يواخذ احدا بذنب غيره فلا يصح اذا ان يحتمل احد ذنب غيره كما
قال ولا تزر وازرة وزر اخرى وليس ذلك بمنزلة
تحمل الدية عن غيره لان الغرض فى الدية اداء المال عن نفس المقتول فلا يصح

بين ان يؤديه زيد عن نفسه وبين ان يؤديه عمرو عنه لانه بمنزلة قضاء الدين **قوله**
سبحانه وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم معناه انهم يحملون خطاياهم في انفسهم
التي لا يعملونها لغيرهم ويحملون الخطايا التي ظلموا بها غيرهم فخص لذلك فيهم التفصيل
الذي ذكره الله تعالى **قوله** سبحانه ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمه ومن اوزار الذين
يضلونهم بغير علم وقوله اتهلكنا بما فعل السفهاء منا وقوله اني اريد ان تبوا باثمي
واثمك واشباهها اذا عرض على العقل والكتاب والسنة والاجماع بطل ذلك
ولا يجوز في العقل ان يفعل ما هو ظلم والاخذ بغير الجرم ظلم فهو غير فاعل له و
الحمل المعقول انما هو حمل شي به ثقل • والوزر في اللغة الثقل ومن نقل الحمل
والوزر عن ذلك كان تاركا للظاهر والمعلوم ان من حمل من ثقل غيره يكون
ذلك تخفيفا عنه ولا خلاف انه لا يخفف عن المحمول من اوزارهم لانهم يقولون
ان هولاء لا يحملون من اوزارهم من غير ان يخفف عنهم • ومن اوزار الذين
يضلونهم بغير علم اي من اوزار اضلال الذين يضلونهم مثل قوله واسئل
القرية وفي القران قل ان ضللت فانما اضل على نفسي ولا تكسب كل نفس الا
عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى واشباهها وبالاجماع لا يجوز ذلك من حيث
ان ذلك يوجب التخفيف عنه معناه انهم يحملون مثل اوزارهم لاغوائهم
وذلك انهم فعلوا فعلين ضلوا واضلوا فاستحقوا خطين من العذاب و
تحملوا حملين من الوزر **شاعر** يذنبها توخذ كل وازرة **فصل**
قوله تعالى الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور النور و
الظلمة المذكوران في الاية جايزان تكون المراد بهما الجنة والنار والثواب
والعقاب وقد تصح الكناية عن الثواب والنعيم في الجنه بانه نور وعن
العقاب في النار بانه ظلمة واذا كان المراد بها الجنة والنار ساغ اضافة
اخراجهم من الظلمات الى النور لانه لا شبهة في انه تعالى هو المدخل المؤمن
الجنة والعادل به من طريق النار فلو حمل على الايمان لتناقض المعنى و
لصار تقدير الكلام انه يخرج المؤمن من الكفر الى الايمان واذا كان
الكلام يقتضي الاستقبال في اخراج المؤمن من الظلمات كان حمله على ذكر

طريق الجنة والعدول بهم عن طريق النار اشبه بالظاهر وبعد فلو كان الامر
على ما ظنوه لم صار الله تعالى وليا للمؤمنين وناصرا لهم على ما اقتضته الاية و
الايمان من فعله لا من فعلهم ولو كان خاذلا للكفار ومضيفا لولايتهم الى
الطاغوت اذا كان من فعله ولم فصل بين الكافر والمؤمن في باب الولاية
وهو المتولي للامرين فيهما وفيه كلام كثير **قوله** سبحانه قال اتعبدون ما
تنحتون والله خلقكم وما تعملون اي ما تعملون في الحجارة والخشب وغيرهما
مما كانوا يتخذونه الهة ويعبدونها ولم يرد انكم تعبدون نحتكم الذي هو فعل لكم
بل اراد ما تفعلون فيه النحت كما قال • فاذا هي تلقف ما يافكون
ومثله والق ما في يمينك تلقف ما صنعوا وعصى موسى لم تكن تلقف افكهم
وانما كانت تلقف الاجسام التي هي العصي والحبال ثم انه اخرج الكلام مخرج
التوبيخ لهم لعبادتهم الاصنام فلو كان ذلك من فعله تعالى لما توجه عليهم العتب •
بل يكون لهم الحجة لا عليهم ومتى لم يكن المراد ما تعملون فيه ليصير تقدير الكلام
ما تعبدون الاصنام التي تعملون فيها تنحتونها والله خلقكم وخلق هذه
الاصنام التي • تعملون فيها التخطيط والتصوير لم يكن للكلام معنى ولان اضافة
العمل اليهم بقوله تعملون يبطل تاويلهم الاية لانه لو كان خالقا لها لم يكن عملا لهم
لان العمل انما يكون عملا لمن احدثه فكيف يكون عملا لهم والله خلقه وان قوله
وما تعملون يقتضي الاستقبال وكل فعل لم يوجد فهو معدوم ومحال ان •
يقول تعالى اني خالق للمعدوم • ولو كان كما ظنوه لقال والله خلقكم وخلق •
عبادتكم للاصنام فيكون عاذرا ومزيلا اللوم عنهم لان الانسان لا يذم على ما
خلق فيه والخلق اذا كان بمعنى التقدير فقد يكون الخالق خالقا لفعل غيره
اذا كان مقدرا يقال خلق الاديم اذا قدره وان الله تعالى قال انا ارسلناك •
شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وهذه الاية تدل على بطلان •
الجبر وان الله تعالى لا يريد من الكفار الكفر لانه صرح ههنا انه يريد من جميع
المكلفين الايمان والطاعة **قوله** سبحانه افلا يتدبرون القران ولو كان من عند
غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا هذه الاية تدل على اربعة اشياء احدها على •

بطلان التقليد وصحة الاستدلال في اصول الدين لانه حث ودعا الى التدبر
وذلك لا يكون الا بالفكر والنظر والثاني يدل على فساد مذهب الجبرية
والحشوية ان القرآن لا يفهم معناه الا بتفسير الرسول لانه تعالى حث على
تدبره ليعلموا به • والثالث يدل على انه لو كان من عند غير الله لكان على
قياس كلام الخلق من وجود الاختلاف فيه والرابع يدل على ان التناقض
من الكلام ليس من فعل الله لانه لو كان من فعله لكان من عنده لا من
عند غيره منصور الفقيه • لي حاجة ... فيه من الشر امور • كلما ابصر شخص ظله
يعلى ويفور • لا الجرم غير اني قلت ربي لا يجور قوله سبحانه ولقد ذرانا
لجهنم كثيرا من الجن والانس اللام لام العاقبة والمعنى انه خلق الخلق
كلهم ونصير عاقبة كثير منهم الى جهنم بسوء اختيارهم من الكفر بالله وارتكاب
معاصيه قوله سبحانه وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون دليل
على انه لم يخلق الثقلين الا للعبادة فاللام لام الغرض ولا يجوز ان يكون لام
العاقبة لحصول العلم بان عالما لا يعبدون الله تعالى قوله سبحانه قل اعوذ
برب الفلق من شر ما خلق هذا التعوذ انما هو من شر ما خلق من انواع
خلقه من السباع والهوام وما اشبه ذلك مما يؤدي الناس قوله سبحانه
وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر دلالة على بطلان قول المجبرة في ان
الكافر لا يقدر على الايمان لان الآية نزلت على انه لا عذر للكافرين
في ترك الايمان ولو كانوا غير قادرين لكان فيه اوضح العذر لهم ولما
جاز ان يقال وماذا عليهم لو آمنوا بالله وانهم لا يقدرون عليه ولا يجدون
السبيل اليه ولذلك لا يجوز ان يقال لاهل النار ماذا عليهم لو خرجوا
منها الى الجنة من حيث لا يقدرون عليه ولا يجدون السبيل اليه
وكذلك لا يجوز ان يقال للمريض ماذا عليه لو كان صحيحا ولا للفقير ماذا عليه لو
كان غنيا ابن الصوفي • من راى الظلم قبيحا فعله • لا لنهي الآمر المقتدر •
ثم لا يرمي من موبقه • يزدريها وهي احدى الكبر • قال مثله بشي بين •
قلت في التحصيل كسب الاشعري فصل قوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال

ذرة اعلم ان الله تعالى قد نفى الظلم عن نفسه في الدنيا والآخرة فاما في الدنيا فقوله وما
الله يريد ظلما للعباد ان الله لا يظلم الناس شيئا وما كان الله ليظلمهم ذلك من
انباء القرى نقصها عليك بالحق • الم يأتهم نبأ الذين من قبلهم وما ظلمناهم ولكن
كانوا وما كنا مهلكي القرى • وما كان ربك ليهلك القرى ونحوها واما في
الآخرة فقوله ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد ثم توفى كل نفس ما
عملت ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا ووضع الكتاب وجيء بالنبيين
اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله لا يظلم مثقال ذرة دخل يزيد
بن معوية الشامي على الرضا بمرو وسال عن قول الصادق لا جبر ولا تفويض
بل امر بين امرين فقال من زعم ان الله فعل افعالنا ثم يعذبنا عليها فقد قال
بالجبر ومن زعم ان الله فوض امر الخلق والرزق الى حججه فقد قال بالتفويض و
القائل بالجبر كافر والقائل بالتفويض مشرك • قال فما امر بين امرين فقال
وجود السبيل الى اتيان ما امروا به وترك ما نهوا عنه قال فهل لله ارادة ومشية في ذلك
فقال اما الطاعات فارادة الله ومشيته فيها الامر بها والرضا بها والمعاونة عليها
وارادته ومشيته في المعاصي النهي عنها والسخط لها والعقوبة عليها والخذلان
بها قال فلله فيه القضا قال نعم ما من فعل فعله العباد من خير وشر الا ولله فيه
القضا قال فما معنى هذا القضا قال الحكم عليهم بما يستحقونه على افعالهم من الثواب
والعقاب في الدنيا والآخرة الفقيه الاصفهاني • ايكلف الرب العظيم عباده •
وبه يعذبهم فذا ظلمان • والله ليس بظالم لعباده • وبذلك انطق محكم القرآن •
قوله سبحانه والله لا يحب الظالمين • واذا لم يحب الظالم لم يحب فعل الظلم
لانه انما يحب الظالم لظلمه والمحبة هي الارادة قوله سبحانه وما الله يريد
ظلما للعالمين رد على المجبرة لانه لو اراد ظلم بعضهم لبعض لكان قد اراد ظلمهم
وكذلك لو اراد ظلم الانسان لغيره لجاز ان يريد ان يظلمه هو لانه لا ينفصل
ما لا يريد وقوله وما الله يريد ظلما للعالمين نفي لارادة ظلمهم على كل حال قوله
سبحانه وما كان ربك ليهلك القرى بظلم اي بظلم صغير يكون منهم لانه يقع
مكفرا بما معهم من الثواب الكثير • وقيل بظلم كثير من قليل منهم مع ان اكثرهم المصلحو

لان القليل لا يعتد به في جنب الكثير وقيل ان المعنى نظلم ناسا كما قال ان الله لا يظلم
الناس شيئا بيت جل الله الخالق من ظلم البشر قوله سبحانه وما ربك بظلام
للعبيد ذكره بلفظ المبالغة في نفي الظلم عن نفسه وان كان لا يفعل القليل
منه لانه خرج جوابا للمجبرة وردا عليهم لانهم ينسبون كل ظلم في العالم اليه
فبين انه لو كان كما قالوا لكان ظلاما وانه ليس بظالم. وسئل متكلم ورد على
وزن فقال الذي صيغ للكثير وهو منزه عن الظلم اليسير فقال لانه لو فعل
اقل قليل الظلم لكان عظيما منه لانه غير محتاج اليه مع علمه بقبحه وبانه غني
عنه والقبيح لا يتاتى الا من جاهل او محتاج فلو فعله من غير حاجة اليه
فهو اعظم من كل ظلم فعله فاعل لحاجته اليه فصل قوله تعالى
ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك
قال ابن عباس والحسن الحسنة ما اصاب النبي
يوم بدر من الظفر والغنيمة والسيئة ما اصابه يوم احد من كسر رباعية
وقال ابو العالية وابو القسم ان الحسنة والسيئة الطاعة والمعصية ويكون
المعنى ان الحسنة التي هي الطاعة من امر الله وترغيبه فيها ولطفه لها
والسيئة بخلافه على وجه العقوبة على المعاصي المتقدمة وسماها سيئة كما
قال وجزاء سيئة سيئة مثلها والتقدير ما اصابك
من ثواب حسنة فمن الله لانه الذي عرضك للثواب واعانك عليه
وما اصابك من عقاب سيئة فمن نفسك لانه تعالى نهاك عنها وزجرك
عن فعلها فاذا ارتكبتها كنت الجاني على نفسك ويجوز ان يكون المراد
بالسيئة ما يصيبهم في دار الدنيا من المصائب لانه يجوز ان يكون ذلك
عقابا او بعض يستحقونه. وقوله فمن نفسك قال الحسن
وقتاده والسدي وابن جريج والضحاك اي فبذنبك اضاف المعصية الى
العبد في هذه الآية ونفاها عن نفسه ولو كانت من خلقه لكانت منه
على اوكد الوجوه قوله سبحانه وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله
وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله قال الحسن و

ابو القسم وابو علي هذه حكاية عن المنافقين وقال الزجاج والفراء ان اليهود لما
قدم النبي المدينة فكانت اذا زكت ثمارهم واخصبوا قالوا هذه من
عند الله واذا اجدبوا وحاست ثمارهم قالوا هذا الشوم محمد وقال
ابن عباس وقتاده الحسنة والسيئة هو السراء والضراء والبوس والرخا
والنعمة والمصيبة والخصب والجدب وقال الحسن و
ابن زيد هو النصر والهزيمة وقال ابن زيد قوله من عندك معناه بسوء
تدبيرك. وقال الجبائي والبلخي والزجاج اي نشومك الذي لحقنا بك كما
حكي عن موسى وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه فامر الله
نبيه ان يقول ان جميع ذلك من عند الله والآية معارضة بقوله تعالى
ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب
وهم يعلمون نظم وليس يجري كاسب غير ماجني. اذا ما سواه كان محتمل الوزر
وماذا عليهم قال لو آمنوا ولم. يقل المريض لم مرضت وذي ثمرة. ولكنه ابدى الخطا
تبا بن عن جبس الساس بالقهر فصل قوله تعالى ليقضي الله امرا
كان مفعولا. القضا له اربعة عشر وجها. فقضاهن سبع سموات خلق
اذا قضى امرا فعل. والله يقضي بالحق يفعل. ومنه سمي القاضي للحاكم.
وقضى ربك امر. وقضينا الى بني اسرائيل اعلمنا وهذا ياتي مقرونا بالى
اذ قضينا الى موسى الامر عهدنا فاذا قضيتم مناسككم فرغتم فوكزه موسى
فقضى عليه مات. قضي الامر الذي فيه تستفتيان وحاء امرا مقضيا
كنا امن قبل ان يقضى اتمام فلما قضى موسى الاجل وفى فاقض ما
انت قاض فاصنع ليقضي الله امرا يقدر النبي يقول الله تعالى من لم يرض
بقضائي ولم يشكر لنعماي ولم يصبر على بلائي فليتخذ ربا سواي زرارة
بن اعين قال الصادق اذا كان يوم القيمة جمع
الله الخلائق سالهم عما عهد اليهم ولم يسالهم عما قضى عليهم النبي سيكون في
آخر هذه الامة قوم يعملون بالمعاصي ثم يقولون هذه من الله قضاء وقدر
فاذا لقيتموهم فاعلموهم اني منهم بري واني امير المؤمنين مفتري كاذب فقال له

يا هذا لم قذفت هذا المؤمن فقال يا امير المؤمنين كان من قضاء الله وقدره
فقال كذبت يا عدو الله على الله والله يقضي بالحق وهذا هو الباطل فامر
بحد القذف ثم امر ثانيا حتى اقيم عليه حد الافتراء فلما افاق وقام قال يا امير
المؤمنين جمعت علي بابين ما لم يجمع الله علي فقال ع كذبت يا عدو الله ما
ضربتك الا حدا لله اما الاربعين فلا نكل على الله حين نسبت اليه
قضاء المعصية واما الثمانين فهو حد القذف وقال جميع
الحشوية ومعظم رواة العامة ونقله احمد بن حنبل ان عمر بن الخطاب
اتي بسارق فقال ما حملك على هذا فقال قضاء الله وقدره فضربه عمر
ثلثين سوطا ثم قطع يده فقال قطعت يدك بسرقتك وضربتك بكذبك
على الله وقال ابو مريم الثوري لابي موسى الاسواري ما احسن دينكم
لولا تقولون ان الله يقضي هذه الفواحش ثم يعذب عليها فقال الحسن
هذه حجة الله قامت على لسان ابي مريم اعلموه انا لا نقول هذا انما
يقول السفهاء منا فاسلم ابو مريم وقال ابو محمد الدلابي اقول اذا اعطيت
الكتاب يا رب اني معترف عا فيه ولكن خبرني اهو شي ركبته ام شي
قضاء علي فان كنت فعلت فعدلك اخطا واساء فان تعف فبفضلك وان
تعذب فبعدلك وان كان قضى علي قلت يا معشر الخلايق ابن العدل
الذي كنا نسمع به في دار الدنيا ليس ههنا منه قليل ولا كثير وقال بعض
الناس لو كان الزنا كما قضى الله لكان الرضا به خيرة لاجماع الناس
على قولهم الخيرة فيما يصنع الله **نظم** اصفع المجبر الذي • بقضاء السو
قد رضي • فاذا قال لم فعلت • فقلت هكذا قضى • الملك الصالح **قوله**
ولو قد قضى الله المعاصي بقولكم • لمهد للاتي بها اوسع العذر • ولم يعذر الا عمى
بما قد قضى به • عليه ولا اهل الزمانة والضر • ولكنه لم يعذر السارق الذي
تعدى ولا الزاني ولا شارب الخمر • يكون معاصي الخلق جورا وباطلا • ونسبه
بادينا لذاك من النكر • وحاشاه يبدوا باطلا في قضائه • وقد قال يقضي الحق في
محكم الذكر • ولكن قضاء الله فيها عقابه • عليها وتعجيل النكال الذي يجري •

ايغضب مما قد قضاه مقدر • له ان هذا ليس من قول ذي حجر • فكيف يكون الحمد
والذم لامري • على فعلة لم يحالها ولا يدري **فصل** قوله تعالى
وقضينا الى بني اسرائيل لم يقل قضينا عليهم او قضينا فسادهم وانما قال
قضينا اليهم في الكتاب فهذا القضاء مما حصل في التورية والقضاء بمعنى
الخلق لا يحصل فيها ولا خلاف انه لا يامره وقال لتفسدن
فاضاف اليهم واخبر انهم يفعلون في المستقبل ومعناه انه اخبرهم فيها
بفسادهم مرتين يدل عليه وقضينا اليه ان دابرها ولاي مقطوع مصبحين
الاصبغ بن نباتة والحسن البصري لما قدم امير المؤمنين ع في صفين قام اليه
شيخ ممن شهد الواقعة فقال يا امير المؤمنين اخبرنا عن مسيرنا هذا الى
الشام اكان بقضاء من الله وقدر فقال نعم يا اهل الشام والذي فلق الحبة و
برا النسمة ما وطينا موطيا ولا هبطنا واديا ولا علونا تلعة الا بقضاء من الله
وقدر فقال الشامي عند الله احتسب عناي يا امير المؤمنين وما اظن ان
لي اجرا في سعيي اذا كان قضاء الله علي وقدره فقال ع ان الله قد اعظم لكم
الاجر في مسيركم وانتم سائرون وفي منصرفكم وانتم منصرفون ولم تكونوا في
شي من حالاتكم مكرهين ولا اليها مضطرين ولا عليها مجبرين فقال الشامي
كيف ذاك والقضاء والقدر ساقانا وعنهما كان مسيرنا وانصرافنا فقال ع
يا اخا اهل الشام لعلك ظننت قضاء لازما وقدرا حتما ولو كان كذلك
لبطل الثواب والعقاب وسقط الوعد والوعيد والامر والنهي من الله وما كان
المحسن بثواب الاحسان اولى من المسي ولا المسي اولى بعقوبة المذنب من
المحسن تلك مقالة عبدة الاوثان وخصماء الرحمن وحزب الشيطان
وشهداء الزور واهل العمى عن الصواب وهم قدرية هذه الامة ومجوسها
ان الله امر عباده تخييرا ونهاهم تحذيرا وكلف يسيرا ولم يكلف عسيرا
واعطى على القليل كثيرا ولم يطع مكرها ولم يعص مغلوبا ولم يرسل الانبياء
لعبا ولم ينزل الكتب الى عباده عبثا ولم يخلق السموات والارض وما بينهما
باطلا ذلك ظن الذين كفروا الاية فقال الشامي فما القضاء والقدر اللذان كان

يوجب انه مجنون قوله سبحانه فاذا جاء وعد اوليهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولي بأس
شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا لم نقل ان ذلك بقضاى. فاما
البعث فيجوز ان ارسلهم عليهم بان امرهم بذلك على لسان بعض الانبياء، وذلك
ان بني اسرائيل لما ارسل عليهم من عاقبهم على معاصيهم ولم يذكر الله ان ذلك كان
معصية ولا ذمهم بل هو كالامر من الجهاد والسبي والهدم والاحراق وكل ذلك
يجري مجرى واحد والبعث بمعنى الارسال بالامر والتخلية والتمكين يقال بعث فلان
اعداه على مكارهه ولم يات بمعنى الخبر والقضاء والقدر ابن علوية الاصفهاني
وقضى وقدر كل شى بالذي. قد كان منه به على عرفان. فقضاؤه يجري بسابق علمه
من غير اجبار على العصيان. قدرا قضاه مقدرا بحلاف. ما اوّلته الحدثان والجهال
وكذاكم يوم الحساب بعدله. يجزيهم بالقسط في الميزان. لا يظلمون ولا يجار عليهم
وكفى لهم بالله ذا حسبان قوله سبحانه وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى
الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة دلالة على انه لو كان الله تعالى قضى المعاصي
لم يكن لاحد الخيرة ولوجب عليه الرضا به ومن خالف ذلك كان عاصيا وذلك
خلاف الاجماع محمد بن البرقي وزعمتم ان القضاء اقامة لا ذنب للعدو
فيما جاء فكذا اليهود مع النصارى فاعلموا لعنوا بما فعلوا وكان قضا وكذاك ابليس
اللعين. فقايسوا تجدوا القياس مع القياس سواء فصل قوله تعالى
وقدرنا فيها اقواتها القدر له خمسة معان الاحداث وقدر فيها والكتابة
والاعلام قدرنا انها لمن الغابرين وبيان حال الشي وما يجي منه يقال قدر
الخياط الثوب. وقد يستعمل بمعنى التقدير وروي عن الصادق ع ان
التقدير هو العلم. امير المؤمنين وقد سئل عن القدر فقال بحر عميق فلا تلجوه
وطريق مظلم فلا تسلكوه وسر الله فلا تتكلفوه. وروي ان النبي كان اذا مر
بهدف مائل اسرع المشي ابن بابويه ان عليا ع عدل من عند حائط مائل
الى مكان آخر فقيل يا امير المؤمنين تفر من قضاء الله فقال ع افر من قضاء الله
الى قدر الله وكتب الحسن البصري الى الحسن بن علي يا بني هاشم انتم اللجج الزاخرة
والافلاك الدائرة مثلكم مثل سفينة نوح من تمسك بها نجا وقد اختلفنا في القضاء

سيرنا بهما فقال ع الامر من الله بذلك والحكم به ثم تلا وكان الله قدرا مقدورا ثم قرأ
وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه فقام الشامي فرحا مسرورا لما سمع هذا المقال و
قال فرجت عني فرج الله عنك يا امير المؤمنين فصل
قوله تعالى وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه لا يجوز بمعنى الخلق اذ لو عني به
جاز ان يوجد في الناس من يعبد سواه ولم يقل انه قضى عبادتهم وانما
قال قضى الا تعبدوا ولا يصح ان يقال خلق ان لا يفعلوا كذا وانما يصح ذلك
اذا اردت به الامر والحكم قوله سبحانه واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا
انه قادر على ما يشاء غير محتاج الى الاستعانة بشي من الاشياء من جرأة او تقليل
للفريقين وكيف يقضى ما هو مفعول والمفعول الموجود لا يصح فعله ثانيا وانما
قلل الكفار في اعين المسلمين للجراة وقلل المسلمين في اعين الكفار للتحرز قوله
سبحانه ليقضي الله امرا الذي انه فعل مجهول ولا حكم للمجهول لانه اما ان يكون
فاعله معلوما ولا فاعل له كقوله ولما سقط في ايديهم وقوله والقي السحرة واما
ان يأتي اللفظ على هذه الصيغة فقط نحو عجب بكذا وسر به واشرب قلبه
مع زيد وان اراد به خلق فمعلوم ان الامر لم يكن مخلوقا وقيد وانما خلق
ذلك بعد عزة فالمراد حكم قوله سبحانه قل لن يصيبنا ظاهره انه لا يصيبهم
الا ما كتب لهم ولم يقل عليهم فليس هو من القضاء في شي وانما هو في الثواب
وذلك ان بعده قل هل تربصون بنا فالله تعالى امرهم ان لا يخبروهم انه
لا يصيبهم الا ما كتب لهم من الثواب لان في الخير يقول لها ما كسبت وفي
الشر وعليها ما اكتسبت قوله سبحانه قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين
كتب عليهم القتل الى مضاجعهم كتب بمعنى فرض والقتل لا يفرض على
المقتول ومعنى حكم والحكم انما يكون على سبيل الوجوب ولم يكن هؤلاء
مستحقين للقتل ولا كان قتلهم واجبا فيحكم عليهم بذلك ومعنى الخبر والعلم
فيكون معناه ان من اخبر الله بانه يقتل او من علم انه سيقتل الا انهما لا
يكونان قضاء ولا جبرا ولا يوجبان الافعال والفعل لا يتعلق بواحد منهما ولو
كان خبره وعلمه موجبا للافعال لاوجب ما اخبر به عن افعال نفسه وذلك

والقدر وتحيرنا في الكسب الاستطاعة فاكتب علينا ما عليه مذهب امامك فكتب
بسم الله الرحمن الرحيم من لم يؤمن بقضاء الله وقدره فقد كفر ومن حمل على الله
ذنبه فقد فجر ان الله لا يطاع استكراها ولا يعصى بغلبة وهو القادر على ما اقدرهم
عليه فان ائتمروا بالطاعة فلا حاجز بينهم وبينها فهم لها مستطيعون ولما نهوا عنه
مستطيعون فلا اجبر الله تعالى عباده على الطاعة لسقط عنهم التكليف ولو جبرهم
على المعصية لسقط عنهم العقاب فله المنة على المطيع وله الحجة على العاصي
سبحانه وتعالى عما يشركون وجاء رجل بصري الى الباقر وهو صبي فقال
قد فشا فينا القدر فهربنا اليك فقال ع سل قال ما تقولون
في الحير فقال ع اكتب علم وقضاء وقدر وشاء واراد ورضي واحب قال
زدني فقال ع هذا حرج الينا قال فالشر قال علم وقضاء وقدر ولم يشا ولم يرد
ولم يرض ولم يحب فقال زدني فقال ع هكذا حرج الينا قال فخرج الرجل الى البصرة
فنصب له منبر وخطب عليهم بما افتى فرجع اكثر الناس ابو عبد الله الحسين
القطان قال جمع الحجاج اهل العلم وسالهم عن القضاء والقدر فقال
الشعبي قال علي ع يا ابن آدم من وسع عليك الطريق لم ياخذ عليك المضيق
وقال عمرو بن عبيد قال علي ع اذا كانت الخطية على الخاطي حتما كان
القصاص في القضية ظلما وقال واصل بن عطا قال علي ع ما كان من خير
فبامر الله وما كان من شر فبعلم الله لا بامره وقال بشر قال علي ع ما حمدت الله
عليه فهو منه وما تستغفر الله منه فهو منك وقال الحسن
قال علي ع اتظن ان الذي نهاك دهاك انما دهاك اسفلك واعلاك
وربك البري من ذاك فقال الحجاج لم يجدوا مالم اخذوا الامر ابي ترابا
وقال عمر بن عبد العزيز لرجل ساله عن القدر ان الله لا
يطالب بما قضى وقدر وانما يطالب بما نهى وامر المسترشد بالله اذا
كان القضاء على حتما وكان الامر يجري بالقضاء فكيف الامر في خطاي وسهوي
وتدبير الامور الى سواي ابن ذريك يا امة سلكت ضلالا بينا
حتى استوى اقرارها بجحودها ملتم الى ان المعاصي لم تكن الا بتقدير الاله وجودها

لوضح ذا كان الاله بزعمكم منع الشريعة ان تقام حدودها حاشا وكلا ان
يكون الهنا ينهى عن الفحشا ثم يريدها **فصل** قوله تعالى
انا كل شيء خلقناه بقدر لا خلاف ان كل شيء خلقه بقدر وانما الخلاف
فيما خلقه وانما يعني ان جميع ما خلقه بقدر معلوم بلا تفاوت وانه
خلق الجزاء على الاعمال بمقدار ما يستحقونه لما قبلها قوله ذوقوا مس سقر
قوله سبحانه فكل شيء عنده بمقدار لم يقل انه قدر ذلك وانما يريد
بمقدار ما يجب وبينهما بون بعيد ولم يقل انه قدر جميعه وانما قال كل
شيء عنده مع ان جميع الاشياء في حكمه وعلمه بمقدار ليس فيه زيادة
ولا نقصان عما يجب **قوله** سبحانه وكان امر الله قدرا مقدورا القدر
القدر وهو ما كان على مقدار ما تقدم من غير زيادة ولا نقصان جابر
عن النبي ص قال يكون في آخر الزمان قوم يعملون بالمعاصي ثم
يقولون قدرها علينا الراد عليهم يومئذ كالشاهر سيفه في سبيل الله
حذيفة قال النبي ص لعنت القدرية والمرجئة على لسان سبعين نبيا
قيل وما القدرية قال قوم يفعلون المعاصي ثم يقولون الله قدرها
عليهم النبي ص نودي في القيمة اين القدرية خصماء الله وشهداء ابليس
فتقوم طائفة من امتي يخرج من افواههم دخان اسود وحكى ابو القسم
البلخي ان عبد الله بن الحسن قال لابنه محمد كل خصالك
محمودة الا قولك بالقدر فقال يا ابه فشيء اقدر على تركه او لا اقدر
معناه ان كنت اقدر على تركه فهو قولي وان كنت لا اقدر فلا عتب علي
فقال عبد الله لا اعاتبك ابدا وقارع رجل عمرو بن عبيد في القدر
فقال له عمرو ان الله تعالى قال في كتابه فوربك لنسالنهم اجمعين
عما كانوا يعملون ولم يقل لنسالنهم عما قضيت عليهم او قدرته فيهم او
سببته لهم او اردته منهم وليس بعد هذا الا الاقرار بالعدل او السكوت عن
الجور لا يسال عما يفعل وهم يسالون ومر الحسن البصري بفضل بن برجان
وهو مصلوب فقال ما حملك على السرقة قال قضاء الله وقدره قال كذبت يا لكع

ايقضي عليك ان تسرق ثم يقضي عليك ان تصلب النجاشي • ضربوني ثم قالوا قد
قدر الله لهم شر القدر • واختصم ذو الرمه • ورؤبه عند بلال بن ابي برده في القدر
فقال رؤبه ما فحص طاير افحوصا ولا تقرمص سبع قرموصا الا بقضا من الله وقدر
فقال له ذو الرمه • والله ما قدر الله على الذيب • ان ياكل حلوبة عالة ضرايك فقال
رؤبه افقدرته اكلها هذا كذب على الذيب ثان فقال ذو الرمه الكذب على
الذيب اولى من الكذب على رب الذيب **باب فيما جاء في النبوات فصل**
قوله تعا ولقد كرمنا بني آدم وقوله ولا اقول لكم انى ملك اجمعت الامامية
على تفضيل الانبياء على الملئكة ويقولون ان الائمة افضل منهم ايض واجماعهم
حجة لان المعصومين من جملتهم ونستدل على ذلك ايض بقوله واذ قلنا للملئكة
اسجدوا لآدم لانه يقتضي تعظيمه عليهم وتقديمه واكرامه واذا كان المفضول
لا يجوز تعظيمه وتقديمه على الفاضل علمنا انه افضل من الملئكة قال ان جميع
الانبياء افضل من جماعة الملئكة والدليل على ان تعبدهم بالسجود كان للتعظيم
والتقديم انفة ابليس من السجود وتكبره عند قوله انا خير منه خلقتني من نار
وخلقته من طين وقوله ارايتك هذا الذي كرمت علي ثم ان من اراد تعظيم
آدم نعته باسجاد الملئكة له **قوله** سبحانه ما نهيكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان
تكونا ملكين او تكونا من الخالدين المعنى ان النهي عن تناول الشجرة غيركما وان
النهي يخص الملئكة والخالدين دونكما وليس فيه تفضيل الملئكة **قوله**
سبحانه لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملئكة المقربون
ان هذا القول متوجه الى قوم اعتقدوا ان الملئكة افضل من الانبيا فاجري
الكلام على اعتقادهم كما يقول القايل لغيره لا يستنكف ابي من كذا ولا ابوك وان
كان القايل يعتقد ان اباه افضل ثم انه انما اخر ذكر الملئكة عن ذكر المسيح لان
جميع الملئكة اكثر ثوابا لا محالة من المسيح منفردا وهذا لا يقتضي ان كل واحد منهم
افضل منه والخلاف في ذلك **قوله** سبحانه ولا اقول لكم عندي خزاين الله ولا
اعلم الغيب ولا اقول اني ملك لا يدل على ان حال الملئكة افضل من حال النبي ع
لان الغرض في الكلام انما هو نفي ما لم يكن عليه لا التفضيل لذلك على ما هو عليه الا ترى

وكل من قال ان آدم
افضل من الملئكة ع

انه لما تبرا عن علم الغيب وكون خزاين الله عنده لا يكون فيه تفضيل يوضح ذلك آخر الآية
ولا اقول للذين تزدري اعينكم لن يؤتيهم الله خيرا وهذه منزلة حطيطة وهو على
احوال ارفع منها فما المنكر من ان يكون نفي الملئكة عنه في انه لا يقتضي ان حاله دون
حال الملك بمنزلة نفي هذه المنزلة **قوله** سبحانه وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا
الا ملك كريم استدل الجبائي بذلك على تفضيل الملئكة على البشر لانه خرج مخرج
التعظيم ولم ينكره الله تعا وهذا ليس بشي لان الله تعا حكى عن النسا انهن اعظمن يوسف
لما راين من وقاره وسكونه وبعده عن السو وقلن ليس هذا بشرا بل هو ملك
يعنون ان الملك لا ياكل ولا يشتهي النسا ولم يقصدن كثرة ثوابه على ثواب
البشر وكيف يقصدنه وهن لا طريق لهن الى معرفة ذلك على ان هذا من
قول القايلات اليه بما لا يجوز فكيف يحتج بقولهن وانما لم ينكره الله لانه تعالى علم
انهن لم يقصدن ما قاله الجبائي ولو كن قصدنه لانكر **قوله**
سبحانه ولقد كرمنا بني آدم الى قوله تفضيلا المراد بقوله على كثير ممن خلقنا
انا فضلناهم على من خلقنا وهم كثير ولم يرد التبعيض كما قال ولا تشتروا باياتي
ثمنا قليلا المعنى لا تشتروا بها ثمنا فكل ثمن تاخذونه عنها قليل ولم يرد
التخصيص والمنع من الثمن القليل خاصة • وغير ممتنع ان يكون جميع الملئكة
افضل من جميع بني آدم وان كان في جملة بني آدم الانبيا ع من يفضل كل
واحد منهم على كل واحد من الملئكة وقال الطوسي المراد
بالآية تفضيلهم بالنعم الدنياويه وضروب الملاذ والالطاف وليس المراد
بذلك الثواب بدلالة جواز ابتدائهم بهذا التفضيل والثواب لا يجوز الابتدا
فصل قوله تعالى رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس
على الله حجة بعد الرسل • اتفقت الامامية على ان الانبيا والائمة عليهم السلم
معصومون من الكباير والصغاير قبل النبوة وبعدها وخالفهم الامة باسرها
في ذلك دليلنا ان جميع ما تنزه الانبيا ع عنه يستند الى دلالة العلم
المعجز اما بنفسه او بواسطة والعلم المعجز بمنزلة قوله تعا له صدقت في انك
رسولي فلا بد من ان يكون هذا المعجز مانعا من كذبه فيما يؤديه من الوحي لان

تصديق الكذاب قبيح كما ان الكذب قبيح فاما الكذب في غير ما يؤديه وساير الكباير
فانما دل المعجز على نفيها من حيث كان دالا على وجوب اتباع الرسول وتصديقه
فيما يؤديه لان الغرض في البعثة والتصديق هو ان يمتثل ما ياتون به فما
قدح في الامتثال والقبول يجب ان يمنع المعجز منه. والدليل على ان تجويز
الكباير يقدح فيما هو الغرض بالبعثة من القبول والامتثال وينفر عن القبول
ان من يجوز عليه الكباير لا نامن منه الاقدام على الذنوب ولا تكون انفسنا
ساكنة الى قبول قوله واستماع وعظه وسكونها الى من لا يجوز عليه شيئا
من ذلك على حد سكونها من يجوز عليه الاختيار يوضح ذلك ولا يختلف
ان تكون ذلك في حال النبوة او قبلها وسواء كانت كبيرة او صغيرة
لان الطريقة في الامرين واحد قوله سبحانه الله يصطفي من الملئكة رسلا
ومن الناس وقال ولقد اخترناهم على علم على العالمين و
قال في جماعة منهم وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار تدل على
عصمتهم اجمعين لانه لا يختار ولا يصطفي الا من كان مرضيا معصوما قوله
سبحانه الخبيثات للخبيثين الآية لا يجوز ان يكون عاما الا ترى انا نجد الطيبين
للطيبات مثل آدم وحوا وقوله يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة ونجد
الخبيثات للخبيثين مثل ابي لهب ام جميل قوله تبت يدا ابي لهب وتب
السورة ونجد الخبيثات للطيبين مثل امراة نوح وامراة لوط كانتا تحت
عبدين من عبادنا الصالحين ونجد الطيبات للخبيثين مثل آسية امراة
فرعون قوله رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وكذلك
الحكم ان حملناه على الاولاد فلم يحكم بها الا بدليل نحو قوله انما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وبعد فان كل منفر لا يجوز على
الانبياء والائمة عليهم السلم مثل كفر الوالدين وفسق الازواج لانها يتعدا الى اليهم
وما لا يكون منفرا جاز فيهم مثل كفر اولادهم وازواجهم او فسقهم الا ان الفاحشة
لا يجوز على ازواجهم فانها لازمة لهم وقوله ان ابني من اهلي فقال انه ليس من اهلك
وقوله ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما في التظاهر ثم انه روي عن ابن عباس

ومجاهد والحسن والضحاك وعمار بن ياسر واهل البيت عليهم السلم انهم قالوا المراد به الكلمات
الطيبات للطيبين من الناس والكلمات الخبيثات للخبيثين من الناس يدل عليه
قوله ومثل كلمة طيبة كشجرة وقوله ومثل كلمة خبيثة **فصل** قوله تعالى
قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب
والاسباط فقوله والاسباط لا يدل على انهم كانوا انبياء لان الانزال يجوز ان يكون على
بعضهم من كان نبيا ولم يقع منه الافعال القبيحة والمعصية مثل ما فعلوا مع يوسف
وليس في ظاهر القران انهم كانوا انبياء ويحمل قوله والاسباط على ان يكون المراد انهم
امروا باتباعه كما يقال انزل الله الى امة النبي القران كما قال
وما انزل الينا وان كان المنزل على النبي لكن لما كانوا مامورين بما فيه وصف بانه
انزل اليهم قوله سبحانه ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الاصطفا
لا يليق الا بمن هو معصوم كالانبياء والائمة فكيف قال بعد ذلك فمنهم ظالم
لنفسه فنقول فيهم يرجع بالكناية فيه الى العباد لا الى الذين اصطفوا لانه اقرب
اليه في الذكر فكانه قال تعالى من عبادنا ظالم لنفسه و
مقتصد وسابق بالخيرات قوله سبحانه ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وقوله
يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين يعني
عالمي زمانهم وتفضيله اياهم بان جعل فيهم النبوة والحكمة قوله سبحانه
تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض انما ذكر تفضيل الرسل بعضهم على بعض
لامور منها ان لا يغالط مغالط فيسوي بينهم في الفضل كما استووا في
الرسالة والثاني ان يبين ان تفضيل محمد ع كتفضيل غيره من الانبياء
بعضهم على بعض والثالث ان الفضيلة قد تكون بعد اداء الفريضة
والمراد بالفضيلة هنها ما خص به بعضهم في المنازل الجليلة مثل موسى
بالكلام وعيسى باحياء الموتى ومحمد بارساله الى كافة الخلق والرابع
فضلناهم باعمالهم التي استحقوا بها الفضيلة على غيرهم قوله سبحانه
يختص برحمته من يشاء دال على ان النبوة ليست مستحقة بالافعال لانه لو
كان جزا لما جاز ان يقول يختص بها من يشا كما لا يجوز يختص بعقابه من يشا

من عباده اما اللطف وان كان مستحقاً وهو يختص به من يشاء من عباده فانه
يكون لطفاً على وجه الاختصاص دون الاشتراك وليس كذلك الثواب
قوله سبحانه يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم يقصون عليكم
آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قال الضحاك ذلك
يدل على انه تعالى ارسل رسلاً من الجن وبه قال الطبري واختاره
البلخي وقال ابن عباس هم رسل الانس الى غيرهم من الجن كما قال ولوا
الى قومهم منذرين والاول اقوى قوله سبحانه وما ارسلنا قبلك الا
رجالاً يوحى اليهم قال الحسن ما ارسل الله تعالى امراة ولا رسولاً من الجن
ولا من اهل البادية ووجه اللطف في ارسال الرجال من البشر ان
الشكل الى شكله انس وعنه افهم والانفة منه ابعد لانه يجري مجرى
النفس والانسان لا يانف من نفسه قوله سبحانه كان الناس امة واحدة
فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق
ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه قال ابن عباس والحسن
والجبائي انهم كانوا على الكفر وقال قتاده والضحاك كانوا
على الحق فاختلفوا وانما اخبر الله تعالى على الغالب من الحال واذا قيل اذا
كانوا مختلفين في الحق على اصابة بعضهم له فكيف يجمعهم الكفر قلنا لا يمتنع
ان يكون الكل كفاراً بعضهم بكفر من جهة الغلو وبعضهم من جهة التقصير
كما كفرت اليهود والنصارى في المسيح وعلى هذه الآية سوالات كثيرة
قوله سبحانه وان من امة الا خلا فيها نذير اى من قرون سلفت وليس
يعني غير الناس لان التكليف مقصور على الجن والانس لقوله سنفرغ
لكم ايها الثقلان ولم يخاطب غيرهما واول الآية تدل على انه خاص قوله
وما من دابة في الارض ولا طاير يطير بجناحيه الا امم امثالكم المعنى فيه
وان من امة من البشر المكلفين الا خلا فيها نذير ولان شرايط التكليف
لا يصح حصولها للبهايم والطيور ولذلك شبه الجهال بالانعام ولو كانت
الانعام مكلفة لكان فيها المومن والكافر فصل قوله تعالى

كتب الله لاغلبن انا ورسلي قيل كتب الله في اللوح المحفوظ انا ورسلي اجراه مجرى
القسم فاجابه بجوابه الحسن ما امر الله نبياً قط بحرب الا غلب اما في الحال
او في الاستقبال ويقال لاغلبن انا ورسلي بالحجج والبراهين وقيل في القيمة
قوله سبحانه انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحيوة الدنيا ويوم يقوم
الاشهاد وقد خذلهم حتى قتلوا فنقول النصر الغلبة على العدو وهو على ضربين
نصر بالحجة ونصر بالغلبة في المحاربة بحسب المصلحة وما تقتضيه الحكمة هذا اذا
كان في دار التكليف اما نصرهم ايام يوم القيمة فهو علو كلمتهم وظهور حقهم
بجزيل الثواب اذلال عدوهم بعظيم العقاب قوله سبحانه ومن بغي
عليه لينصرنه الله معناه اما بالغلبة واما باخذ الحق له فالنصرة من الله
للمبغي عليه واقعة لا محالة والخذلان لا يكون الا للظالمين لان الله لا يخذل
اهل طاعته قوله سبحانه ان ينصركم الله فلا غالب لكم ان الله تعالى قد نصر
رسله باقامة الادلة ونصب البراهين والامر بطاعتهم والنهي عن مخالفتهم
ولا يجوز ان ينصرهم بما ادى الى الالجاء وينافي الاختيار فان معها يزول
التكليف الامر والنهي والثواب والعقاب قوله سبحانه لقد نصركم الله
في مواطن كثيرة اخبار بانه نصرهم دفعات كثيرة ولا يدل على انه لم ينصرهم
في موضع آخر وقال البلخي انهم لما انهزموا لم يكونوا منصورين
وكان ذلك منهم خطاً وان وقع مكفراً قوله سبحانه وانهم لهم المنصورون
وان جندنا لهم الغالبون نزل العذاب على الامم في ايام نوح وهود وموسى
وعيسى ونال نبينا عليه السلام ما نال ولم ينزل عليهم لانه خص امته بامان
الى يوم القيمة قوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله
معذبهم وهم يستغفرون قوله سبحانه قل اوحي الى سمي وحياً لان
الملك ستره عن جميع الخلق وخص به النبي المبعوث قوله يوحي
بعضهم الى بعض هذا هو الاصل ثم يستعمل بمعنى الالهام قوله واوحى ربك
الى النحل وبمعنى الامر قوله واذا وحيت الى الحواريين وبمعنى الاشارة قوله
فاوحى اليهم ان سبحوه بكرة وعشياً وبمعنى الكتابة قال الشاعر

كوحي صحايف في عهد كسرى. فاهذا ما لا يجي طمطمي. واما قوله واذا وحيت الى الحواريين
اي الهمتهم وقيل امرتهم وقيل القيت اليهم الآيات التي اريتهم. وقال ابو علي اي
اوحيت اليك ان تبلغهم او الى رسول مقدم والقرآن كله وحي ويجي وحي
غير قرآن مثل قوله امرني ربي بمداراة الناس كما امرني باداء الفرايض ومثل
قول جبريل حين فرغ من غزاة الخندق يا محمد ان الله يامرك ان لا تصلي
العصر الا في بني قريظة **قوله** سبحانه وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا
قال المجاهد ان يكلمه الله الا وحيا هو داود اوحي في صدره فزبر الزبور او
من وراء حجاب هو موسى او يرسل رسولا هو جبريل ارسل الى محمد **قوله**
سبحانه يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين اختلفوا في كيفية هذا الخطاب
فقال الجبائي قال الله تعالى له ذلك على لسان بعض رسله وهو الاليق لانه لا
يصح ان يكلمه الله بلا واسطة في زمان التكليف وقال آخرون كلمه بالانكار
عليه والاهانة له كما قال اخسؤا فيها ولا تكلمون وهذا
ينبغي ان يكون حكاية عما نقول له في الآخرة فقال ابليس مجيبا لهذا الكلام ما
كنت بالذي اسجد لبشر خلقته من صلصال من حما مسنون **قوله سبحانه**
سيقول ثلثة رابعهم كلبهم قالوا ان كلب اصحاب الكهف خاطبهم بالتوحيد
والاعتراف ما اعترفوا به ولذلك تبعهم وهذا خرق عادة يجوز ان
يكون الله تعالى فعله لطفا لهم او معجزة لبعضهم على ما حكي ان بعضهم كان نبيا
وهو رئيسهم فيكون ذلك معجزة له غير انه غير مقطوع به **قوله سبحانه**
حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا معنى ذلك بالتخفيف
ان الرسل ظنت ان القوم كذبوهم ويكون الظن غير العلم وبالتشديد اي
ظنت الرسل ان القوم قد كذبوا اي كفروا والظن هاهنا العلم **قوله سبحانه**
يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم تقرير للرسل في صورة الاستفهام
على وجه التوبيخ للمنافقين عند اظهار فضيحتهم وهتك استارهم على رؤس
الاشهاد وقال الحسن والسدي في قولهم لا علم لنا قالوا ذلك لذهولهم
من هول ذلك المقام فان قيل انهم آمنون لقوله لا يحزنهم الفزع الاكبر ولقوله لا

خوف عليهم كقولك للمريض لا خوف عليك ولا باس عليك ما يدل على النجاة من
تلك الحال وقال ابن عباس ان معناه لا علم لنا الا ما علمتنا فحذف لان ما علمتنا
يدل له الكلام عليه وقال الجبائي معناه لا علم لنا مع علمك اي ليس عندنا
شيء مما تعلمه الا وانت عالم بكل ما غاب وحضر بدلالة قوله انك انت
علام الغيوب **قوله** سبحانه ولا اعلم الغيب وقوله الذين يؤمنون بالغيب
النبي والامام يجب ان يعلما علوم الدين والشريعة ولا يجب ان يعلما الغيب
وما كان وما يكون لان ذلك يؤدي الى انهما شاركا القديم تعالى
في جميع معلوماته ومعلوماته لا تتناهى وانهما يجب ان يكونا عالمين
لانفسهما وقد ثبت انهما عالمان بعلم محدث والعلم لا يتعلق على التفصيل الا
بمعلوم واحد ولو علما ما لا يتناهى لوجب ان يعلما وجود ما لا يتناهى من
المعلومات وذلك محال ويجوز ان يعلما الغايبات والكاينات الماضيات
او المستقبلات باعلام الله تعالى لهما شيئا منها وما روي ان امير المؤمنين ع
كان يعلم انه مقتول وان قاتله ابن ملجم فلا يجوز ان يكون عالما بالوقت الذي
يقتله فيه على التعيين لانه لو علم ذلك لوجب عليه ان يدفعه عن نفسه
ولا يلقي بيده الى التهلكة وان هذا في علم الجملة غير واجب **فصل**
قوله تعالى في قصة آدم ولا تقربا هذه الشجرة. الم انهكما عن تلكما الشجرة الامر
والنهي لا صيغة لهما وقد يؤمر بلفظ النهي وينهى بلفظ الامر فيقال امرته
بان لا يلقى الامير معناه انه نهي عن لقائه ويقال نهيتك عن هجران اخيك معناه
امرتك بمواصلته قال الله تعالى اعملوا ما شئتم اي لا تفعلوا
فيكون قوله لا تقربا هذه الشجرة ارادة لذلك التناول فيكونا امرا لان الامر
والنهي لا يصيران امرا ونهيا الا بالارادة والكراهة ثم ان الامر والنهي
يشتركان في الوجوب والندب وقد ثبت ان الانبياء لا يخلون
بالواجبات فلم يبق الا الندب وهو ما الاولى تركه. ولا نقول انه نهي عن
جنسها لانه يدل على انه فعل القبيح وانه اخطأ في الاستدلال **قوله سبحانه**
فاكلا منها ثقة بيمينه بالله تعالى قوله وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين ولم يظنا

فلا يبعد ان يكون [illegible]
الامام عالما بالعلوم [illegible]
[illegible]

انه يجيز احدان يحلف بالله كاذبا قوله سبحانه فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة
قال الرماني لم يقصد آدم وحوا بالتناول من الشجرة القبول من ابليس و
الطاعة له بل انما قصدا عند دعاء شهوة نفوسهما ولو قصدا القبول
لكان ذلك قبيحا لا محالة قال الحسن لو قصدا ذلك
لكانا كافرين قوله سبحانه فوسوس لهما الشيطان وكان آدم وحوا
في الجنة وابليس في الارض والوجه في ذلك انه وصلت وسوسه
بالقوة التي خلقها الله له وقال ابو علي انهما كانا يخرجان الى السماء
فيلقاهما هناك وقال ابن الاخشيد انه خاطبهما من باب الجنة
وهما فيها قوله سبحانه وعصى آدم ربه المعصية مخالفة الامر والامر
من الله تعالى يقع بين الواجب والمندوب يقال امرت فلانا
بكذى وكذى من الخير فعصاني سواكان ما امر به واجبا او مندوبا
وترك النفل غير قبيح قوله سبحانه فغوى اي خاب من حصول
عظيم الثواب لاكل الشجرة شاعر ومن يغو لا يعدم على الغي لايما
قوله سبحانه اهبطوا منها على سبيل المصلحة لا الاهانة والهبوط
هو النزول من فوق الى اسفل والحلول من المكان والنزول به قوله
اهبطوا مصرا فان لكم ما سالتم ويقال هبطنا بلد كذا قال زهير
ما زلت ارمقهم حتى اذا هبطت ايدي المطي بهم من راكس فلقا
قوله سبحانه اهبطوا بعضكم لبعض عدو عداوة ابليس لآدم و
ذريته مشهورة واما عداوة آدم والمومنين من ذريته لابليس
فهي واجبة لما يجب على المومنين من معاداه الكفار المارقين عن
طاعة الله واما اذا حمل الخطاب على آدم وحوا دون غيرهما يحمل
قوله بعضكم لبعض عدو على ان المراد به الذرية كانه قال
اهبطوا وقد علمت من احوال ذريتكم ان بعضهم يعادي بعضا وعلق
الخطاب بهما على الاختصاص بين الذرية وبين اصلهم قوله سبحانه
فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة قيل اي

بان يغويكما لتخالفا ما امر الله تعالى به وعصيانه فيقتضي المصلحة اخراجكما
نسب الاخراج الى ابليس اذ كان بدعائه واغوائه ومعنى فتشقى تتعب
بان تاكل من كد يدك قوله سبحانه فاخرجهما مما كانا فيه فبدت
لهما سواتهما ما ووري عنهما من سواتهما نفس الاخراج وتغليب
اللباس لا يكون عقابا لان العقوبة هي الضرر والالم الواقعان على سبيل
الاستحقاق والاهانة ومن تعبد الله تعالى فانه بنهاية التعظيم لا يكون منا
ومنه تعالى الاستخفاف والاهانة واي نفس تسكن الى ان والديها
مستخف مهان قوله سبحانه كما اخرج ابويكم من الجنة يعني اغوى
ابويكم آدم وحوا نسب الاخراج اليه لما كان باغوايه وجرى ذلك
مجرى ذم الله تعالى فرعون بانه يذبح ابناهم والذم فيها راجع الى فعل
المذموم واكد بذكر هذه الصفة لبيان منزلة فعله في عظم الفاحشة
قوله سبحانه ربنا ظلمنا اي بخسنا حقنا ما كنا نستحقه من الثواب
بفعل ما اريد منا وهو معنى قوله فتكونا من الظالمين فالمعنى الرجوع الى
الله والاعتراف بالتقصير عن حقوقه او بمعنى انه حرم الثواب
المستحق بفعل الذنب قوله سبحانه فتاب عليه اي قبل توبته
وضمن الثواب لان التوبه غير موجبة لاسقاط العقاب وانما يسقط
الله تعالى العقاب عندها تفضلا والتوبة هي الرجوع فيجوز ان يقع ممن لا
يعهد من نفسه قبيحا ووجه حسنها في هذا الموضع استحقاق
الثواب بها او كونها لطفا قوله سبحانه وعلم آدم الاسماء كلها ثم
عرضهم على الملائكة فقال انبوني باسماء هولاء ان كنتم صادقين
وقوله انبئهم باسمائهم فلما انباهم باسمائهم الاشارة بهذه الاسماء
الى جميع الاجناس من العقلاء وغيرهم وعليه اجماع المفسرين
ويشهد به قوله وعلم آدم الاسماء كلها وقوله ثم عرضهم لا يليق الا
بالمسميات لاجل الكناية وقال قوم اراد اسماء الملائكة خاصة وقال
آخرون اراد اسماء ذريته وقال ابن الاخشيد يجب ان يكون عالما باسماء

١

وانكان غرورهما بامر الله تعالى

الاسماء حتى القصعة والقصيعة وقال ابن عباس لقد تكلم آدم بسبع مائة لغة
يعني بذلك حتى منطق الطير والحيتان والدواب وقال في هذه
الآيات سوالات كثيرة الا ان النكتة فيها ان اصل اللغات المواضعة
ثم التوقيف **فصل** قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات
فتاب عليه ان آدم ع راى مكتوبا على العرش فسال عنه فقيل له هذه
اسماء محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم
فسال بهم ربه وجعلهم الوسيلة في قبول توبته ورفع درجته و
الكناية تسمى كلمات على ضرب من التوسع واذا كنا قد ذكرنا ان آدم
راى كتابة يتضمن انها قوم فجايز ان يقال انها كلمات تلقيها ورغب
الى الله بها ويجوز ايضا ان يكون آدم لما راى تلك الكتابة سال عنها
فقال الله له هذه اسماء من اكرمته وعظمته ورفعت منزلته ومن
لا اسال بها الا اعطيت وكانت هي الكلمات التي تلقيها واستمع بها
قوله سبحانه ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملئكة اسجدوا
لآدم الامر انما كان لقوم ليسوا من نسل آدم بل الجن وغيرهم وقوله
خلقناكم لم يرد به الايجاد والاحداث وان كان الخطاب به لبني آدم
وانما اراد تعالى التقدير وعلى هذا حملوا قوله والله خلقكم وما تعملون
يعني انه قدرها وعلم كيفيتها واحوالها وقد يسبق الخلق الايجاد والاحداث
قوله سبحانه واذ قال ربك للملئكة انى جاعل في
الارض خليفة والخليفة من قام مقام الاول في امره من بعده ولا
يريد بمعنى الابقا بعد من مضى قوله ثم جعلناكم خلايف من بعدهم
لننظر كيف تعملون لان هذا منفي عنه سمى آدم خليفة لانه جعل آدم
وذريته خلفا للملئكة لان الملئكة كانوا من سكان الارض وقال
ابن عباس انه كان في الارض الجن فافسدوا فيها وسفكوا الدماء
فاهلكوا فجعل آدم وذريته بدلهم وقال الحسن اراد بذلك قوما يخلف
بعضهم بعضا من ولده الذين يخلفونه في اقامة الحق وعمارة الارض وقال

ابن مسعود اي من يخلفني في الحكم بين الخلق وهو آدم ومن قام مقامه و
قيل انه يخلفني في انبات الزرع وشق الانهار **قوله** سبحانه ولقد
عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما قال
ابن عباس مجاهد معناه عهد الله اليه بان امره به ووصاه ونسى اى
ترك وقيل انما اخذ الانسان من انه عهد اليه فنسى **قوله سبحانه**
ولم نجد له عزما اي عقدا ثابتا على المعصية وقال قتادة صبرا وقال
عطيه اى لم نجد له حفظا **قوله** سبحانه فلما آتيهما صالحا جعلا له
شركاء فيما آتيهما غير راجعه الى آدم وحوا بل الى الذكور والاناث
من اولادهما والى جنسين ممن اشرك من نسلهما وان كانت الكناية
الاولى تتعلق بهما ويكون تقدير الكلام فلما آتيهما الولد الصالح الذى
تمنياه جعل شرك اولادهما الى غير الله يويد ذلك قوله فتعالى الله عما
يشركون ويدل ايضا على ذلك ما تقدم من قوله هو الذي خلقكم ثم ان
الكناية في جميعها متعلقة بآدم وحوا ويحمل الهاء في نعتيهما والكناية في الله
ربهما وآتاهما صالحا راجعتان الى من اشرك ولم يتعلق بآدم من الخطاب
الا قوله خلقكم من نفس واحدة ثم خص منها بعضهم كقوله هو الذي
يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة والهاء
في قوله جعلا له شركاء راجعة الى الولد لا الى الله تعالى ويكون المعنى انهما
طلبا من الله امثالا للولد الصالح فاشركا بين الطلب امثالا كقولك طلبت
منى درهما فلما اعطيته شركته باخرى طلبت آخر مضافا اليه ويكون الكنايات
راجعة الى آدم وقيل فلما آتاهما صالحا مضافا الى الوجه المقدم الذي هو
اراد بالصلاح الاستوا في الخلقة والاعتدال في الاعضاء **قوله سبحانه**
لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك ان
هابيل لم يرد من اخيه قبيحا ولا اراد ان يقتله وانما اراد اني اريد
ان تبوء بجزاء ما اقدمت عليه من القبيح وعقابه وقوله اثمي اى عقوبة
اثمي الذي هو قتلي كقول القائل للمجرم هذا ما كسبت يداك وقولهم لقاك الله عملك و

ستلقى عملك يوم القيمة المعنى جزاء عملك باثمي عقاب قتلك لي واثمك اي
عقاب المعصية التي اقدمت عليها من قبل فلم يتقبل قربانك لسببها اي
اريد زوالي ان تبوء باثمي واثمك لانه لم يرد له الا الرشد والخير فحذف
الزوال واقام ان وما اتصل به مقامه كقوله واشربوا في قلوبهم العجل
بكفرهم اراد حب العجل فحذف الحب واقام العجل مقامه كقوله واسئل
القرية اني اريد ان تبوء باثمي واثمك اي اريد ان لا تقتلني ولا تبوء باثمي
فحذف لا واكتفى بما في الكلام كما قال سبحانه يبين الله لكم ان
تضلوا معناه لان لا تضلوا وكقوله والقى في الارض رواسي ان تميد بكم
معناه لان لا تميد بكم حنثا فاقسمت اسى على هالك واسال نائحة مالها
ارادت لا اسى **فصل** قوله تعالى ورفعناه مكانا عليا
استدل بعضهم في رفع ادريس ع بهذه الآية وفي رفع عيسى ع بقوله
وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه والله اعلم بذلك الا انه لا يقال رفعت
فلانا السطح او رفعته مكانا عليا وانما يقال رفعته الى السطح والى مكان
عال ولان رفع الشيء الى العلو ليس بمدح ولا شرف ولو كان كذلك
لكان من علا جبلا ارفع حالا ممن هو في الحضيض وانما المراد به الموت
لقولهم في وفاة الرجل دعاه الله فاجابه تقضي نحبه رفعه الله اليه يدل على
ذلك قوله اني متوفيك ورافعك الي وقد جمع بين اللفظتين كقوله
بالمؤمنين رؤف رحيم قال المرتضى معناه انه توفاه في
الارض ثم رفعه الى السماء وقالوا انه من المقدم والمؤخر والمعنى رافعك
الى السماء ثم متوفيك بعد ذلك يعني عيسى ع وكان الجبائي يستدل بقوله
حكاية عن عيسى ع وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت
انت الرقيب عليهم ان فيها دلالة على انه تعالى امات عيسى ع وتوفاه الى عند
ما رفعه الآية لانه بين انه كان شهيدا عليهم ما دمت فيهم فلما توفاه الله
كان الله هو الرقيب الشهيد عليهم واجابه الطوسي ان الذي ذكره لا
يدل على انه اماته لان التوفي هو القبض اليه ولا يستفاد منه الموت الا

شاهد الحال ولذلك قال الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في
منامها فنفس التوفي لا يفيد الموت بحال والصحيح في موته ما تقدم
ذكره **قوله** سبحانه في قصة نوح ع ان ابني من اهلي وان وعدك
الحق الجمع بينه وبين قوله انه ليس من اهلك لم ينفه ولم ينف النسب
وانما نفى ان يكون من اهله الذين كان وعد بنجاتهم كقوله احمل فيها من
كل زوجين اثنين الآية يوضحه قوله وان وعدك الحق وقول اخر ليس
من اهلك اي على دينك كما قال النبي ع سلمان منا اهل
البيت يدل على ذلك قوله على سبيل التعليل انه عمل غير صالح ويقال
انه قال على الظاهر انه ابني وانما كان ولد على فراشه والله تعالى اطلع
نبيه على خيانة امرأته ذكره الحسن ومجاهد وابن جريج وهذا سقيم
قوله سبحانه فلا تسألني ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون
من الجاهلين ثم قال نوح رب اني اعوذ بك ان اسألك ما ليس لي
به علم والا تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين وليس يمتنع ان
يكون نهي عن السؤال ما ليس لي به علم ويتعوذ منه وان لم يقع منه
كما قال لئن اشركت ليحبطن عملك ولا شك في
ان وعظه هو الصارف عن الجهل **قوله** سبحانه ولا ينفعكم نصحي
ان اردت ان انصح لكم مع وقوع هذا النصح استظهارا في الحجة لانهم
ذهبوا الى انه ليس بنصح فقالوا لو كان نصحا ما نفع من لا يقبله وكان
نصح نوح لقومه اعلامهم موضع الغي ليتقوه وموضع الرشد ليتبعوه و
قال البلخي ان قوم نوح كانوا جبرية ولولا ذلك لغيره فقال نوح على وجه
الانكار عليهم والتعجب من قولهم ان نصحي لا ينفعكم ان كان القول كما
تعتقدونه ان المعاصي يريدها الله تعالى **قوله** سبحانه ان تسخروا منا
فانا نسخر منكم كما تسخرون اي نذمكم على تسخيركم اطلق عليهم اسم السخرية
على وجه الازدواج كما قال سخر الله منهم **قوله سبحانه**
قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي الا فرارا

اي لم يزدادوا بدعائي الا فرارا من قوله وبعدا استماعه وانما سمى كفرهم عند دعاء
زيادة في الكفر لانهم على كفرهم بالله وضلال عن حقه فلما دعاهم نوح الى
الحق ولم يقبلوه كان زيادة في الكفر وقيل انما جاز ان يكون الدعاء الى الحق
يزيد الناس فرارا منه الجهل الغالب على النفس فتارة تدعو الى الفرار مما
ينافره وتارة تدعوا الى الفساد الذي يشاكله قوله سبحانه وقال نوح
رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا الى قوله كفارا ولم يكن نوح يعلم
يعلم الغيب قال قتادة ما دعا عليهم الا بعد ان انزل الله
عليهم انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلذلك قال رب انك
ان تذرهم يعني ان تركتهم ولا تهلكهم يضلوا عبادك عن الدين بالاغواء
عنه والدعاء الى خلافه ولا يلدوا الا فاجرا كفارا انما قال ذلك بعد ان
جاز تسميتهم بالكفر والفجور لوجه الحكاية والاخبار عما يكون منهم على ما
اوحي اليه قوله سبحانه ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون
نهاه ان يخاطبه ويسأله في امرهم لانه حكم باهلاكهم واخبر انه سيغرقهم
ولا يكون الامر على ما اخبر به ولا يجوز ان يدعوا بما يعلم انه لا يكون ولا
ان يرضى باختياره قوله سبحانه ونادى نوح ابنه وكان في معزل
يا بني اركب معنا قال الطوسي انما دعاه الى الركوب مع ان الله تعالى
نهاه ان يركب فيها كافر بشرط ان يؤمن وقال
الجبائي والحسن انه كان ينافق باظهار الايمان فصل
قوله تعالى في قصة ابرهيم فلما جن عليه الليل راى كوكبا اي الزهرة
قال هذا ربي على وجه الاستخبار وكذلك في الشمس والقمر لانه
وجد قومه يعبدونها فلما راى افولها قطع على حدوثها فقال اني
بريء مما تشركون من بطلان دينهم وانما قال هذا ربي فارضا و
مقدرا على سبيل الكفر لا مخبرا وانه اخبر عن ظنه كما يظن الناظر في
حال نظره ذكر ما لا اصل له ثم يرجع عنه بالادلة ولا يكون ذلك منه
قبيحا وانما قال على سبيل الانكار على قومه والتنبيه لهم بقوله هذا ربي اي
هو كذلك عندكم كما تقول للمشبهه هذا ربه جسم يتحرك ويكون هذا ربي قال
ذلك مستفهما واسقط حرف الاستفهام قال الاخطل كذبتك عينك
ام رايت بواسط غلس الظلام من الرباب خيالا قال ابن عباس فلا اقتحم
العقبة هو افلا اقتحم العقبة قوله سبحانه انت فعلت هذه بالهتنا
يا ابرهيم قال بل فعله كبيرهم هذا الخبر مشروط غير
مطلق لقوله ان كانوا ينطقون والنطق مستحيل على الاصنام فما علق بهذا
المستحيل من الفعل ايضا مستحيل فسلوهم انما هو امر بسؤالهم على شرط والنطق منهم
شرط في الامرين فكانه قال ان كانوا ينطقون فاسئلوهم فانه لا يمتنع ان
يكون فعله كبيرهم كقول القائل لغيره من فعل هذا الفعل فيقول زيد ان
كان فعل كذى وكذى يضيفه الى زيد من غير حقيقته ويكون غرض السائل
نفي الامرين عن زيد وتنبيه السائل على خطيئته في اضافة ما اضافه الى زيد
وقرا بعضهم فعله اي فلعله شاعر يا ابنا علك او عساكا قوله سبحانه
فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم يحتمل انه شخص بصره الى السماء او الى
الارض لان النجوم تكون الكواكب والنبات كالمفكر المتامل وقيل اي نظر
وفكر ثم انه قال في النجوم ولم يقل في علم النجوم وقيل اراد
ما نجم من رايه وقيل اراد الشمس والقمر لما ظن انهما الهة في حال مهلة
النظر ثم لما علم حدوثه بالدلالة قال اني سقيم اي لست على يقين من الامر
هذا كلام ضعيف وقوله سقيم يحتمل انه كانت به علة تاتيه في اوقات
مخصوصة فلما دعوه الى الخروج معهم نظر الى النجوم فقال اني سقيم اي مشارف
كما يقال هو ميت اي مشارف قال الله تعالى انك ميت وانهم ميتون
ويجوز ان يكون الله تعالى اوحى اليه انه سيمتحنه بالمرض في وقت مستقبل
وجعل له العلامة بالنجوم فلما وجدها في النجوم قال اني
سقيم القلب او الراي من كفر القوم قوله سبحانه بورك من في النار
ومن حولها من معنى ما كانه قال ما في النار اي بوركت النار مثل قوله
فمنهم من يمشي على بطنه وقوله وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين

اي البهايم ومعنى آخر انه عني الدنو يقال وردنا بلد كذا ولم ندخلها وقد صار
فلان في الماء وقد صار في النار اي قرب **قوله** سبحانه فما لبث ان جاء
بعجل حنيذ فلما راى ايديهم لا تصل اليه نكرهم العقل لم يكن مانعا من
اكل الملئكة الطعام وانما علم ذلك بالاجماع والا كان يجوز ان يكون
تقدم اليهم الطعام ومع علمه بانهم ملئكة ويجوز ان ياكلوه **قوله سبحانه**
دينا قيما ملة ابرهيم حنيفا • وصف دين النبي صم بانه ملة ابرهيم ترغيبا فيه
للعرب لجلالة ابرهيم في نفوسهم **قوله** سبحانه اتعبدون ما تنحتون
والله خلقكم وما تعملون عيّر قومه بعبادة الاصنام وانما اراد المنحوت
دون عملهم لانهم انما كانوا يعبدون الاصنام ولم يكونوا يعبدون
النحت الذي هو فعلهم وقد شرحناه في باب العدل **قوله سبحانه**
الم تر الى الذي حاج ابرهيم في ربه ان اتاه الله الملك الآية ليس انتقال
ابرهيم من حجة الى حجة لعجزه وانما عدل عن ذلك لكيلا يلتبس على
الحاضرين ولم تقو الشبهة ويقال انه دعا برجلين فقتل احدهما واستحيا
الآخر فقال عند ذلك انا احيي واميت وموه بذلك على من بحضرته
فعدل ابرهيم عن ذلك الى ما هو ابعد من الشبهة **فصل**
قوله تعالى رب ارني كيف تحيي الموتى انما سال ذلك ليعلم على وجه يبعد
من الشبهة وان كان قد علم ذلك بالدليل يوضحه قوله اولم تؤمن قال بلى
ولكن ليطمئن قلبي وانما سال ذلك لقومه لتزول شبههم كما سال موسى
الرؤية لقومه • وقال الرضا ان الله تعالى اوحى الى
ابرهيم اني متخذ من عبادي خليلا ان سالني احياء الموتى اجبته فوقع
في نفس ابرهيم انه ذلك الخليل فقال رب ارني كيف تحيي الموتى و
قال له نمرود انت تزعم ان ربك يحيي الموتى وانه ارسلك لتدعوني
الى عبادته فاسله ان يحيي لنا ميتا ان كان على ذلك قادرا فان لم يفعل
قتلتك فقال ابرهيم رب ارني كيف تحيي الموتى • ما قال اولم تكن قد آمنت
بل قال اولم تؤمن ان كان اللفظ لفظ الاستقبال فانه يريد به الماضي كما تقول

الواحد منا لصاحبه اولم تعاهدني على كذا وتعاقدني على ان تفعل كذا **قوله سبحانه**
ساستغفر لك ربي انه كان بي حفيا وقوله لاستغفرن لك وجه استثنائه
لابيه من جملة ما امر الله تعالى بالتاسي فيه انه لو اطلق الكلام لاوهم الامر
بالتاسي به في ظاهر الاستغفار للكفار واستثنا الاستغفار من جملة
الكلام لهذا الوجه ولانه لم يكن ما اظهره لابرهيم من الايمان ووعده به
معلوما لكل احد يزول الاشكال في انه استغفر لكافر وانه استثنا من
التاسي من الجملة الثانية التي يعقبها هذا القول بلا فصل وهي قوله انا برآء
منكم وانه انما وعد بالاستغفار على مقتضى العقل ولم يكن قد استقر بعد قبح
الاستغفار للمشركين وان معنى ساستغفر لك اذا تركت عبادة الاوثان
واخلصت العبادة لله تعالى **قوله** سبحانه وما كان استغفار ابرهيم
لابيه الا عن موعدة وعدها اياه معنى الآية ان اباه كان وعده ان
يؤمن واظهر له الايمان على سبيل النفاق حتى ظن به الخير فاستغفر الله تعالى له
على هذا فلما تبين له انه مقيم على الكفر رجع عن الاستغفار له وتبرأ منه
وقد عذره الله تعالى في هذه الآية وقوله عن موعدة وعدها اياه قيل
كانت من الابن بالاستغفار ومن الاب بالايمان **قوله سبحانه**
قد كانت لكم اسوة حسنة في ابرهيم الى قوله لاستغفرن لك وجه
استثنائه لابيه من جملة ما امر الله تعالى بالتاسي فيه انه لو اطلق الكلام
لاوهم الامر بالتاسي به في ظاهر الاستغفار للكفار فاستثناء الاستغفار
من جملة الكلام لهذا الوجه **قوله** سبحانه يا ابت لم تعبد ما لا يسمع
ولا يبصر الى خمس آيات هذه المخاطبة كانت لجده من امه وهو الصحيح
عند اصحابنا **قوله** سبحانه واذ قال ابرهيم لابيه آزر قال الزجاج اجمع
النسابة ان اسم ابي ابرهيم تارخ والذي هو في القرآن يدل على ان اسمه آزر
وقال مجاهد ان آزر اسم صنم كانه قال لابيه اتتخذ آزر الها اتتخذ اصناما
آلهة وقيل ان آزر هو سب وعيب بكلامهم ومعناه معوج وقيل معناه
مخطئ وقالوا ان العرب تسمي العم ابا للاحترام قال الله تعالى حكاية عن يعقوب

ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله ابائك ابرهيم واسمعيل واسمعيل
كان عمه وقال النبي العم والد وقال ردوا علي ابي يعني عباسا قوله
سبحانه رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب فيها دلالة
على انه سئل المغفرة لهما يوم القيمة فلو كانا كافرين لما سأل ذلك لانه
قال فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه فدل ذلك على ان
اباه الذي كان كافرا جده لامه او عمه على الخلاف وقال البلخي ان امه
كانت مؤمنة لانه سأل ان يغفر لابويه **فصل** قوله تعالى
واجنبني وبني ان نعبد الاصنام هذا الدعا على الخصوص متناول
للمعصومين حتى يكون مستجابا والعدول عن ظاهر المقتضي للعموم الى
الخصوص بالدلالة واجب ويجوز انه يريد افعل بي وبهم من الالطاف
ما يباعدنا من عبادة الاصنام ويصرف دواعينا عنها والوالد يقول
لولده اذا حذره من شيء وبين له ضرره انى جنبتك كذا وكذا قوله
سبحانه رب اجعلني مقيم الصلوة ومن ذريتي ظاهر الكلام يقتضي
الخصوص وفي ذريته الكثير ممن اقام الصلوة قوله سبحانه ولقد
اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين اذ قال له ربه
اسلم لا يجوز ان يوحي الله تعالى اليه قبل اسلامه بانه نبي الله لان النبوة
حال اعظام واجلال ولا يكون ذلك قبل الاسلام وتقديره ولقد
اصطفيناه حين قال له ربه اسلم وقال الحسن انما قال ذلك حين
افلت الشمس فقال يا قوم اني بريء مما تشركون اني وجهت وجهي
حينئذ وهذا يدل على انه كان قبل النبوة وانه قال
ذلك الهاما استدعاه به الى الاسلام فاسلم حينئذ لما اوضح لطريق
الاستدلال بما راى من الآيات الدالة على توحيده قوله سبحانه
ولما جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى قالوا سلاما فما لبث ان جاء بعجل حنيذ
انما جاء بالطعام لانه كان مضيافا وتدخبهم الضيف لانهم كانوا
على صورة البشر فلما راى ايديهم لا تصل اليه انكر ذلك منهم وخاف

وظن ان الامتناع لسوء يريدونه حتى خبروه بانهم رسل الله انفذهم الله
لاهلاك قوم لوط قوله سبحانه قال انا منكم وجلون قالوا لا توجل انا
نبشرك بغلام عليم انما وصفه بانه عليم قبل كونه لدلالة البشارة على انه
سيكون بهذه الصفة فقال ابرهيم ابشرتموني على ان مسني الكبر فبما
تبشرون انما عجب من ذلك لكبره او استفهم فقال افامر الله تبشروني
قوله سبحانه يجادلنا في قوم لوط قال الحسن اي
يجادل رسلنا وعلق المجادلة به تعالى من حيث كانت لرسله وانما جادلهم
مستفهما منهم هل العذاب نازل على سبيل الاستيصال او على سبيل
التخويف وهل هو عام للقوم او خاص وعن طريق نجاة لوط واهله من
المؤمنين مما لحق القوم وسمى ذلك جدالا لما كان فيه من المراجعة
وقيل جادلنا اي سالنا في قوم لوط وانه يؤخر عذابهم رجاء ان يؤمنوا
فخبره الله تعالى بان المصلحة في اهلاكهم وقيل يجادلنا اي يكلمنا ويخاطبنا
كقوله قال فما خطبكم ايها المرسلون وقد ذكر قبل الآية كلاما ومخاطبة
وقال ابو علي جادلهم باي شيء استحقوا عذاب الاستيصال
قوله سبحانه حكاية عن سارة قالت يا ويلتى االد وانا عجوز وهذا
بعلي شيخا ان هذا لشيء عجيب قالوا اتعجبين من امر الله ولا يجوز العجب
من الله لانه تعالى قادر على سائر اجناس المقدورات مما يصح ان يكون
مقدورا له لا يعجزه شيء وما عرف سببه لا يتعجب منه انما كان منها
التعجب بطبع البشرية اذ ورد عليها ما لم تجر به العادة قبل ان تفكرت في
ذلك لانها كانت عارفة بان الله تعالى يقدر على ذلك كما ولى موسى
مدبرا حين انقلبت العصا حية حتى قيل له اقبل ولا تخف قوله سبحانه
يا نار كوني بردا وسلاما على ابرهيم قيل ان الله تعالى احدث فيها بردا
من شدة الحرارة التي فيها فلم تؤذه وقيل انه تعالى حال بينها وبين جسمه
فلم تصل اليه قوله سبحانه واذن في الناس بالحج ياتوك رجالا قالوا
ان اذانه بالحج هو اذ وقف في المقام فنادى ايها الناس اجيبوا داعي الله

فاجابه من الاصلاب من كتب له الحج فكل من حج فهو ممن اجاب ابرهيم
وهذا غير صحيح لانه لم يكن مبعوثا الى امة محمد ص والصحيح ان
المخاطب والمامور بهذه الآية محمد ص وهذا غير ممتنع ان يفصل
هذا التكليف من الاول وان كان له متاخرا ويتوجه الى غير من توجه
التكليف الاول اليه **فصل** قوله تعالى حكاية عن ابرهيم
واسمعيل ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك انما
سالا الله تعالى ان يجعلهما مسلمين بمعنى ان يفعل لهما من الالطاف
ما يتمسكان معه بالاسلام في مستقبل عمرهما لان الاسلام كان حاصلا
في وقت دعائهما ويجري ذلك مجرى احدنا اذا ادب ولده حتى صار
اديبا جاز ان يقال جعل ولده اديبا وعلى عكس ذلك اذا عرضه للفساد
جاز ان يقال جعله ظالما فاسدا ويجوز ان يكون ذلك تعبدا كما قال رب
احكم بالحق وانما خصا بالدعوة بعض الذرية في قوله ومن ذريتنا لان من
للتبعيض من حيث ان الله تعالى كان اعلمه ان في ذريتهما من لا ينال
العهد لكونه ظالما وهو قول اكثر المفسرين وقال
السدي انما عنى بذلك العرب والاول هو الصحيح **قوله سبحانه**
وتب علينا اي ارجع الينا بالرحمة والمغفرة وليس فيه دلالة على
جواز الصغيرة او فعل القبيح عليهم ومن ادعى ذلك فقد ابطل وقيل
معناه تب على ظلمة ذريتنا والصحيح انهما قالا ذلك انقطاعا الى الله تعالى
وتعبدا ليقتدى بهما فيه وعلى مذهبنا اذا قلنا قبل الله توبته او تاب
عليه معناه انه استحق الثواب واذا قلنا تاب العبد من كبيرة مع الاقامة
على كبيرة اخرى معناه عند من اجاز ذلك انه رفع العقاب بطاعته
وعندنا انه يستحق بها الثواب ايضا **قوله** سبحانه وعهدنا الى ابرهيم
واسمعيل ان طهرا بيتي ولم يكن هناك بيت بعد قال السدي معناه
ابنيا لي بيتا مطهرا وقال عطا طهرا مكان البيت الذي يبني فيما بعد
قوله سبحانه اني ارى في المنام اني اذبحك اختلف الناس في الذبيح

فقال جماعة انه اسحق والصحيح انه اسمعيل روي ذلك عن ابن عباس وابن
عمر وابن المسيب والحسن والقرظي والشعبي وهو المروي عن الباقر و
الصادق والرضا عليهم السلم ويؤيد ذلك قوله بعد هذه القصة وبشرناه
باسحق نبيا فكيف يبشره بذبح اسحق ثم يامر بذبحه ومن قال انه بشر
بنبوة اسحق دون مولده فقد ترك الظاهر لان الظاهر يقتضي البشارة
باسحق دون نبوته ويدل عليه ايضا قوله فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق
يعقوب ولم يذكر اسمعيل فدل على انه كان مولودا قبله وقول النبي ص انا
ابن الذبيحين عنى بذلك عبد الله اباه واسمعيل وسال الاصمعي ابا عمرو
بن العلاء عن ذلك فقال يا اصمع ومتى كان اسحق بمكة وانما كان بها
اسمعيل وهو بنى البيت والمنحر بمكة يعني مسجد الكبش وهو بالمزدلفة وقال
ابن عباس كان قرنا الكبش معلقين فيها ولم يزالا فيها الى ان حرق
الحجاج البيت **قوله** سبحانه قالوا نعبد الهك واله آبائك ابرهيم
واسمعيل واسحق الها واحدا قال ابن دريد انما قدم
اسمعيل على اسحق لانه كان اكبر منه **قوله** سبحانه فلما اسلما وتله للجبين
وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا يقال ان الله تعالى امر ابرهيم
بمقدمات الذبح يقعد مقعد الذابح ويشد يديه ورجليه ويترك المدية
على حلقه وينتظر الامر بامضاء الذبح على ما راى في منامه واسباب الموت
هو الموت بعينه ويقال انه امر بالذبح وذبح وكلما فرى جزءا من حلقه و
وصله الله بلا وصل حتى انتهى الى آخره فاتصل به وصل الله تعالى فقد فعل
ما امر به ولم يبن الراس ولا انفت الروح واما من قال انه امره بالذبح بشرط
التخلية والتمكين وانقلبت الشفرة وجعل على حلقه صفيحة نحاس فمحال
لان الله تعالى لا يامر بشرط لانه عالم بالعواقب وانه امر بما منع منه وهذا
عبث واما جزع ابرهيم فلانه اشفق ان يؤمر بالذبح نفسه لما امر بالمقدمات
ومن قال ان الفدية دالة على انه كان مامورا بالذبح لان الفدا يكون من
جنس المفدى اخطا لان من حلق راسه وهو محرم يلزمه دم وكذلك اذا

لبس ثوبا مخيطا او شم طيبا او جامع وان لم يكن من جنس المفدى **فصل**
قوله تعالى في قصة زكرياء قال رب انى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر
وامرأتي عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء مراجعته مع ما بشره الله تعالى
بانه يهب له ذرية طيبة وبعد سواله رب هب لي من لدنك ذرية طيبة
انك سميع الدعا قال الحسن انما كان ذلك ليعرف على اي حال يكون
ذلك ايرده الى حال الشباب وامراته مع الكبر فقال الله تعالى كذلك يفعل
ما يشاء اي على هذه الحال وقيل انه كانه اراد كيف يكون لي غلام منها
وهي عاقر ايكون باصلاحك لها فانه قال واصلحنا له زوجه وقيل انه
كان على وجه الاستعظام لمقدور الله والتعجب الذي يحدث للانسان
عند ظهور آية عظيمة من آيات الله كما يقول القائل كيف سمحت نفسك
باخراج ذلك الملك النفيس من يدك تعجبا من جوده واعترافا بعظمته
قوله سبحانه كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا الى
قوله انى يكون لي غلام قال ابن عباس ومجاهد وقتاده
والسدي كان فاكهة الصيف في الشتا وفاكهة الشتا في الصيف فزكرياء
كان عالما بانه تعالى يقدر على خلق الولد من العاقر وان لم يجر به العادة لانه
كان لا يجوز ان يفعل ذلك لبعض التدبير فلما راى خرق العادة بخلق
الفواكه في غير وقتها قوي ظنه انه يفعل ذلك اذا اقتضت المصلحة وقوي
في نفسه ما كان علمه كما ان ابرهيم وان كان عالما بانه تعالى قادر على
الاحيا الاموات سال ذلك مشاهدة لتاكد معرفته وتزول عنه
خواطره وقال الجبائي ان الله تعالى كان اذن له في المساله وجعل وقته
الذي اذن له الوقت الذي راى فيه المعجزة الظاهرة فلذلك دعا **قوله**
سبحانه واني خفت الموالي من ورائي الخوف لا يكون من الاعيان
وانما يكون من معان فيها فقولهم خفت الله اي خفت عقابه وخفت
الموالي خفت تضييعهم مالي وانفاقه في معصية الله تعالى **قوله سبحانه**
رب هب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا

قال مخالفونا اي يرث العلم والنبوة ونحن نقول ان زكريا صرح بدعائه وطلب من
يرثه ويحجب بني عمه وعصبته من الولد وحقيقة الميراث انتقال ملك
الموروث الى ورثته بعد موته بحكم الله وحمل ذلك على العلم والنبوة خلاف
الظاهر على ان العلم والنبوة لا يورثان لان النبوة تابعة للمصلحة لا مدخل
للنسب فيها والعلم موقوف على من يتعرض له ويتعلمه على ان زكريا سال
وليا من ولده يحجب مواليه من بني عمه وعصبته من الميراث وذلك
لا يليق الا بالمال لان النبوة والعلم لا يحجب الولد عنهما بحال حتى ان اشتراطه
ان يجعله رضيا لا يليق الا بالنبوة لان النبي لا يكون الا رضيا معصوما
فلا معنى لمسالته ذلك وليس كذلك المال لانه يرثه الرضي وغير الرضي
فصل قوله تعالى في قصة لوط عليه السلم هؤلاء بناتي هن
اطهر لكم قال الحسن وقتاده المعنى احل لكم على التزويج وكان المشركون
يتزوجون في صدر الاسلام المسلمات زوج النبي صلعم بنته من ابي العاص
بن الربيع والاخرى من عتبه بن ابي لهب قبل ان يسلما ثم نسخ بقوله ولا
تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا وقال الزجاج ان ذلك عرض بشرط ان يسلموا
كما هو شرط النكاح الصحيح وقال مجاهد كل نبي يرسل الى قوم فهو
ابو الذين يرسل اليهم فيكون المعنى في هؤلاء بناتي بنات امته تقول
تزوجوا نساكم وهذا كقول النبي صلعم انا وعلي ابوا هذه الامة وقال الجبائي
هذا القول كان من لوط لقومه قبل ان يعلم انهم ملئكة بعثوا لاهلاك قومه
قوله سبحانه ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء قال اني اشهد الله
واشهدوا اني بريء مما تشركون قول هود عم اني بريء اخبار عما اجابهم
هود بان قال اشهد الله على ادائي اليكم ونصيحتي اياكم وتكذيبكم اياي و
اشهدوا اني بريء مما تشركون وانما اشهدهم على ذلك وان لم يكونوا
اهل الشهادة من حيث كانوا كفارا فساقا لاقامة الحجة عليهم لا لتقوم
الحجة بهم ويجوز ان يكون اراد بذلك واعلموا كما قال شهد الله بمعنى علم الله
فصل قوله تعالى في قصة يعقوب كل الطعام كان حلا

لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه وذلك ان اليهود انكروا تحليل النبي
لحوم الابل والبانها فبين الله انها كانت حلالا الى ان حرمها يعقوب على نفسه
بعد ان امن الله ان يحرم احب الطعام والشراب اليه وهو لحوم الابل والبانها
فلما برا وفا بنذره فان قيل كيف يجوز للانسان ان يحرم على نفسه شيئا
وهو لا يعلم ما له فيه من المصلحة وما له فيه من المفسدة قلنا يجوز ذلك اذا
اذن الله له في ذلك واعلمه فاذن ليعقوب في هذا النذر فلذلك نذر
قوله سبحانه اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لي
ساجدين قال يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا
ان الشيطان للانسان عدو مبين حقيقة الحسد ارادة الحاسد
لزوال نعم المحسود اليه او كراهة النعمة التي هو فيها وارادة ان تصير تلك
النعمة بعينها له بخلاف الغبطة فاذا لا يكون قوله يا بني لا تقصص رؤياك
على اخوتك دلالة على انه اراد به الحسد قوله سبحانه حكاية عن اخوة
يوسف ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة المحبة من ميل
الطباع لا من الكسب وذلك من فعل الله تعالى فاذا لا يكون حسد التفضيل
يوسف على اخوته بالبر والمحبة ويكون للرجل عشرة اولاد فيحب واحدا
منهم وعلى هذا قوله ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء يعني في المحبة
لا في النفقة ويجوز ان يكون يعقوب مفضلا ليوسف بالبر والتقريب
وليس ذلك بقبيح لانه لا يمتنع ان يعقوب لم يعلم ان ذلك يودي الى
ما ادى اليه ويجوز ان يكون راى من سيرة اخوته وجميل ظاهرهم
ما غلب في ظنه انهم لا يحسدونه فان الحسد وان كان في الطباع
فان كثيرا من الناس يجتنبونه قوله سبحانه ان ابانا لفي ضلال مبين
اي الذهاب عن التسوية بينهم في العطية واصل الضلال العدول او
الغمور في الشيء ولو ارادوا الضلال في الدين لكانوا كفارا قوله سبحانه
قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين قال اكثر المفسرين ان اخوة يوسف
كانوا انبياء وقال قوم لم يكونوا كذلك وهو مذهبنا لانه وقع منهم القبائح من

طرحهم يوسف في الجب وبيعهم اياه بالثمن البخس وقولهم اكله الذئب
ادخالهم الغم على ابيهم قوله سبحانه واخاف ان ياكله الذئب وانتم عنه
غافلون ليس بتغرير لانه لما راى من بنيه من الايمان والاجتهاد في
الحفظ ظن مع ذلك السلامة وقوي في نفسه ان يرسله معهم اشفاقا
من ايقاع الوحشة بينهم ويكون مزيلا للتهمة لكثرة حبه اياه قوله سبحانه
وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين لما علموا شدة تهمة ابيه لهم
خونه على اخيهم منهم لما كان يظهر منهم من امارات الحسد ايقنوا
بانه يكذبهم فيما اخبروا به من اكل الذئب اخاهم فقالوا انك لا تصدقنا
في هذا الخبر لما سبق الى قلبك من تهمتنا وان كنا صادقين كما
يقول المخادع انا اعلم انك لا تصدقني في كذا وان كنت صادقا قوله
سبحانه وجاؤا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم انفسكم امرا
فصبر جميل وصف الدم بانه كذب والكذب من صفات الاقوال لا
من صفات الاجسام اما كذب فمعناه انه مكذوب عليه مثل قولهم
هذا ماء سكب ورجل صوم وامراة نوح ويقال ما لفلان معقول وما له
في هذا الامر مجلود واما وصف الصبر بالجميل لان الصبر صبران جميل
اذا قصد به وجه الله وقبيح على غير ذلك الوجه قوله سبحانه
وابيضت عيناه من الحزن لكون يوسف في غاية الجمال والعلم
والعفاف ثم اصيب به اعجب مصيبة وقد يرد على الانسان من الحزن
ما لا يمكن رده ولهذا لا ينهى عن مجرد الحزن وانما نهي عن النوح واللطم
والجزع ثم ان التجلد على المصاب وكظم الحزن من المندوب وليس بواجب
قال النبي العين تدمع والقلب يحزن ولم يسل يعقوب
من رؤيا ابنه يوسف لان يوسف راها وهو صبي غير نبي ولا موحى اليه
فلا تدل على صحتها على ان يعقوب وان كان قاطعا على بقا ابنه وان الامر
يؤول فيه على ما تضمنته الرؤيا لا يوجب نفي الحزن لان طول المفارقة
يقتضيه لساير الناس فصل قوله تعالى في قصة يوسف ع

وشروه بثمن بخس دراهم معدوده انما كان صبره على العبودية لان الله تعالى
لا يمتنع ان يكون امره بكتمان امره والصبر على مشقة العبودية امتحانا
وتشديدا في التكليف كامتحان ابرهيم بنمرود واسمعيل بالذبح ويجوز
ان يكون قد خبرهم بانه حر الا انهم لم يسمعوا منه وقالوا انه لم يكن
في تلك الحال نبيا ولما خاف على نفسه القتل جاز ان يصبر على الاسترقاق
وقالوا انه خاف القتل فكتم امر نبوته وصبر على العبودية وهذا باطل
لانه يعلم ان الله تعالى عاصم للنبي حتى يؤدي والا كان نقضا للغرض قوله
سبحانه ولقد همت به وهم بها الهم لفظ مشترك اما قوله اذ هم قوم
ان يبسطوا اي عزموا قال الشاعر هممت ولم افعل وكدت وليتني
تركت على عثمان تبكي حلائله. واما قوله اذ همت طائفتان اي خطر
ببالهم الفشل من غير عزم يدل عليه والله وليهما لانه قال ومن
يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب
من الله وارادة المعصية والعزم عليها معصية قال كعب بن زهير
فكم فيهم من سيد متوسع ومن فاعل للخير ان هم او عزم فرق بين
الهم والعزم لان الهم بالامر حديث النفس بفعله والعزم نهاية القوة
في النفس وهو مقدمة النية وبمعنى المقاربة يقال هم بكذا
اي كاد يفعله وليس هذا من هوى وهذا اهم الاشياء الي من مثل الطباع
وقال تعالى جدارا يريد ان ينقض فالعزم على القبيح
لا يجوز ويجوز على الوجه الآخر ولقد همت به بالفحشاء وهم بها بالدفع عن
نفسه وقالوا نحمل الكلام على التقديم والتاخير ويكون تلخيصه ولقد
همت به ولولا ان راى برهان ربه لهم بها كقوله ولولا فضل الله عليكم
ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك والهم لم يقع لمكان فضل الله و
رحمته يقال قد كنت هلكت لولا اني تداركتك وقتلت لولا اني
خلصتك المعنى لولا تداركي لهلكت ولولا تخليصي لقتلت قال الجبائي
هم بها اشتهيها ومال طبعه الى ما دعته اليه وتستعمل الشهوة همًا في مجاز اللغة

يقال ليس هذا من همي وهذا اهم الاشياء الي ولا قبح في الشهوة فانها من فعل
الله تعالى فيه وانما يتعلق القبح بتناول المشتهى قوله سبحانه لولا ان راى
برهان ربه يجوز انه لما هم بدفعها اراه الله تعالى برهانا على انه ان اقدم على ما
هم به قتلوه او انها تفرقه بانه دعاها الى نفسه وضربها لامتناعها منه كما
قال تعالى وقال نسوة في المدينة امراة العزيز تراود فتاها
عن نفسه قد شغفها حبا انا لنراها في ضلال مبين وقال وراودته
التي هو في بيتها عن نفسه وقال الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه
وانه لمن الصادقين وقال فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته
عن نفسه فاستعصم وقال كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من
عبادنا المخلصين وقال ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب وقال
وقلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء وقال انه من كيدكن ان كيدكن
عظيم يوسف اعرض عن هذا واستغفري لذنبك انك كنت من
الخاطئين اما البرهان فانه لطف لطف الله له به في تلك الحال او قبلها
اختار عنده الامتناع من المعاصي ويكون الرؤية ههنا بمعنى العلم
وقالوا البرهان دلالة الله تعالى ليوسف على تحريم الفاحشة وعلى ان من
فعلها استحق العقاب فصل قوله تعالى رب السجن احب
الي مما يدعونني اليه والا تصرف عني كيدهن متعلقه في ظاهر الكلام
مما لا يصح في الحقيقة ان يكون محبوبا مرادا لان السجن انما هو الجسم
والاجسام لا يجوز ان نريدها وانما نريد الفعل فيها والمتعلق بها والسجن
نفسه ليس بطاعة ولا معصية وانما الافعال فيه قد تكون طاعات و
معاصي بحسب الوجوه التي تقع عليها والظالم اذا اكره مؤمنا على ملازمة موضع
وترك التصرف في غيره كان فعل المكره حسنا وان كان فعل المكره قبيحا
فليس في الآية ما يدل على ما يقرفونه به ثم انه اراد توطيني نفسي وتصبري لها
على السجن احب الي من مواقعة المعصية والسجن اخف علي واسهل
كما يختار بعضنا احد الشرين قوله سبحانه وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة

بالسوء انما اراد الدعا والمنازعة والشهوة ولم يرد العزم على المعصية وهو لا يبرئ
نفسه مما يعتري مثله طباع البشر ثم ان هذا الكلام من كلام المراة لا من
كلام يوسف وانه منسوق على الكلام المحكي عنها قوله تعالى قالت امراة العزيز
الآن حصحص الحق الى قوله بالسوء قوله سبحانه قال
احدهما اني اراني اعصر خمرا وقال الآخر اني اراني احمل فوق راسي
خبزا تاكل الطير منه نبئنا بتاويله فكان جوابه لا ياتيكما طعام ترزقانه
الا نباتكما بتاويله قال ابن جريج انما عدل عن تعبير الرويا لانه كره ان
يخبرهما بالتاويل لما يجري على احدهما فيه فلم يتركاه حتى اخبرهما و
وقال ابو علي انما قدم هذا ليعلما ما خصه الله به من النبوة
وليقبلا الى الطاعة والاقرار بتوحيد الله تعالى قوله سبحانه اذكرني
عند ربك بحبسه اذا كان قبيحا ومنكرا فعليه ان يتوصل الى ازالته
بكل وجه وسبب فلا يمتنع على هذا ان يضم الى دعائه الله تعالى
رغبته اليه في خلاصه من السجن ويمكن ان يكون الله تعالى اوحى اليه
بذلك وامره ان يقول للرجل ما قال له قوله سبحانه سنراود عنه
اباه المراودة هي التلطف وتكون من جهة الصدق والكذب معا
قوله سبحانه جعل السقاية في رحل اخيه الغرض في ذلك التسبب
الى احتباس اخيه عنده ويجوز ان يكون ذلك بامر الله تعالى وروي
انه اعلم اخاه بذلك ليجعله طريقا الى التمسك به ووجودها في رحله
يحتمل وجوها كثيرة غير السرقة فلا ينصرف اليها الا بدليل واما نداء
المنادي بانهم سارقون فلم يكن بامره وكيف يامر بالكذب وقالوا
المراد بانهم سارقون انهم سرقوا يوسف من ابيه وقالوا اسقط منه
الف الاستفهام ا انكم لسارقون وهذا ضعيف قوله سبحانه
اسفى ما خ لكم من ابيكم كتمان يوسف خبره عن ابيه لانه اوحى الله تعالى
اليه بان يعدل عن اطلاعه على خبره تشديدا للمحنة عليه وتعريضا للمنزلة
الرفيعة في البلوى ولله تعالى ان يصعب التكليف وان يسهل . ويجوز

انه لم يمكن من ذلك ولا قدر عليه قوله سبحانه ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا
اي سجدوا لله تعالى من اجله تقول انما صليت لوصولي الى اهلي و
انما صمت لشفاي من مرضي ويجوز ان يكون السجود لله تعالى غير انه كان
الى جهة يوسف كما يقال صلى فلان الى القبلة وعلى هذا لا يخرج يوسف من التعظيم
الا ترى ان القبلة معظمة وان كان السجود لله تعالى نحوها و
السجود ليس بمجرد عبادة حتى يضامه من الافعال ما يكون عبادة فلا يمتنع
ان يكونوا له على سبيل التحية ولا يكون ذلك منكرا لانه لم يقع على وجه
العبادة قوله سبحانه من بعد ان نزغ الشيطان النزغ والقبيح كان منهم
اليه لا منه اليهم وذلك كما يقول القائل جرى بيني وبين فلان شر و
ان كان من احدهما قوله سبحانه اجعلني على خزائن الارض
التمس تمكينه من خزائنها ليحكم فيها بالعدل ويمكن من الحق و
الامر بالمعروف وذلك بعد ما قال الملك ائتوني به
استخلصه لنفسي فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين امين قوله سبحانه
اي حفيظ عليم وقال تعالى فلا تزكوا انفسكم فصل قوله تعالى في قصة
ايوب ع اني مسني الشيطان بنصب وعذاب النصب هو التعب والنصب
المضرة التي لا تختص بالعقاب وقد تكون على سبيل الاختبار والعذاب المضار
التي لا تختص اطلاق ذكرها بجهة دون جهة ولذلك يقال للظالم
المعتدي بالظلم انه معذب مضر وانما قيل معاقب على سبيل المجاز وان لفظة
العقاب تقتضي ظاهرها الجزاء لانها من التعقيب والمعاقبة ولفظة
العذاب ليست كذلك واما اضافته ذلك الى الشيطان بما ابتلاه
الله به فانه لم يضف المرض اليه وانما اضاف وسوسته وتذكيره له العافية و
النعم ودعاه له الى التضجر ولانه كان يوسوس الى قومه ان يستقذروه و
امراضه الشنعة المنظر وكل هذا ضرر من جهة ابليس قوله سبحانه
وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث قال قتادة والضحاك انه كان
حلف على امراته لامر انكره من قولها لئن عوفي لاضربنها مائة فقيل له خذ ضغثا

بعد د ما حلفت واضرب به دفعة واحدة فان الله تعالى جعل لايوب مخرجا من حلفه
والحيل فى الاحكام تجوز عندنا وعند الشافعى ما كان مباحا يتوصل به الى
مباح قوله من فعل هذا بالهتنا يا ابراهيم قال بل فعله
كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون وقوله جعل السقاية فى رحل اخيه الاية
وقوله فالموريات قدحا واخذ والحجرا عدا فحلف سويد حنظله انه
اخى فخلوا عنه فذكر ذلك للنبى فقال صدقت والمسلم اخو المسلم وورد ان
النبى كان اذا اراد غزوا ورى بموضع آخر حتى لا يقف عليه الناس ومنه
حدث على لعمرو بن عبد ود بعد ما رجع وعصب راسه من ضربة
عمرو خدعة ابا ودف وحدك ام معك غيرك فالتفت عمرو فضربه
على فقال النبى الحرب خدعة وقال ابو حنيفة الحيلة المحظورة يتوصل
بها الى المباح جايز واستدل بقوله واسألهم عن القرية التى كانت
حاضرة البحر اذ يعدون فى السبت اذ تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم
شرعا ويوم لا يسبتون فكانوا يكبسون يوم السبت ويصيدون يوم
الاحد وقال النبى لعن الله اليهود حرمت عليهم
الشحوم فباعوها واكلوا اثمانها قوله سبحانه وايوب اذ نادى ربه
انى مسنى الضر هو الضر الذى قد يكون محنة وليس بمنكر ان يكون
امراض ايوب ومحنه فى جسمه واهله وماله بلغت مبلغا عظيما
لكون اللطف والمصلحة فيها وانما ينكر الامراض المستقذرة مثل البرص
والجذام وفيه كلام كثير واما الامراض النازلة به فكانت اختيارا
اوتعريضا للثواب بالصبر عليها والعوض العظيم فى مقابلتها فصل
قوله تعالى قصة شعيب قد افترينا على الله كذبا ان عدنا فى ملتكم بعد
اذ نجانا الله منها وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا الملة
التى عناها الله تعالى انما هى الشرعيات لقوم شعيب وهى منسوخة عندهم
دون الاعتقادات فى الاصول والشرعيات يجوز فيها اختلاف
العبادة من حيث تتبع المصالح والالطاف المعلوم من احوال المكلفين فكانه

قال ان ملتكم لا نعود بها مع علمنا بان الله تعالى قد نسخها الا ان يشاء الله ان
يتعبدنا بمثلها فنعود اليها وتلك الافعال التى كانوا متمسكين بها مع
نسخها عنهم ونهيهم عنها وان كانت ضلالا وكفرا فقد يجوز فيما هو
مثلها ان يكون ايمانا بل فيها انفسها قد كان يجوز ذلك وليس تجرى
هذه الافعال مجرى الجهل بالله الذى لا يجوز ان يكون الا قبيحا واراد
ان ذلك لا يكون ابدا من شعيب الا بمشية الله لما كان معلوما انه لا
يشاؤه وكل امر علق بما لا يكون فقد نفى كونه على ابعد الوجوه كقوله
لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط وقال لا افعل ذلك حتى
تبيض القار ويشيب الغراب وقال قطرب فى
الكلام تقديم وتاخير والاستثناء من الكفار وقع لا من شعيب فكانه تعالى
قال حاكيا عن الكفار لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا
الا ان يشاء الله ان نعود فى ملتنا ثم قال تعالى حاكيا عن شعيب وما كان
لنا ان نعود فيها على حال الهامن فيها تعود الى القرية لا الى الملة لانه قد
تقدم ذكرها المعنى الا ان يشاء الله ان يردكم الى الحق فنكون جميعا على
ملة واحدة لانه لما حكى عنهم او لتعودن فى ملتنا كان معناه او لنكونن
على ملة واحدة فحسن ان يقول من بعد الا ان يشاء الله ان يجمعكم معنا
على ملة واحدة المعنى الا ان يشاء الله ان يمكنكم من اكراهنا ان يخلى
بينكم وبينه فنعود الى اظهارها مكرهين يؤيد ذلك قوله ولو كنا
كارهين المعنى الا ان يشاء الله ان يتعبدنا باظهار ملتكم مع الاكراه
لان اظهار كلمة الكفر قد يحسن فى بعض الاحوال الى ان يتعبد الله
باظهارها يقوى ذلك قوله ولو كنا كارهين قوله سبحانه حاكيا عن
شعيب واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه والشىء لا يعطف على نفسه
لا سيما بالحرف الذى يقتضى التراخى ثم ان الاستغفار هو التوبة
الجواب اجعلوا المغفرة اولا فى الطلب والتوبة اخرا فى السبب وسلوه
التوفيق للمغفرة والمعونة عليها ثم توبوا لان التوفيق يكون قبلها واستغفروه

قوله ثم توبوا اليه بالتوبة التي بها يسقط العقاب خاطب المشركين بالله تعالى
فقال استغفروه من الشرك بمفارقته ثم توبوا اي ارجعوا اليه بافعال الخير
استغفروا ربكم ثم اثبتوا على التوبة اليه تكرارا وتاكيدا كما تقال اضرب زيدا
ثم اضربه وافعل هذا ثم افعله اراد بثم الواو ومعنى استغفروا ربكم وتوبوا اليه
قوله سبحانه يا ابت استاجره الى قوله احدى ابنتي هاتين سالته
ان يستاجره ومدحته بالقوة والامانة كان كلامها دالا على الترغيب فيه
والتقرب منه فيدل له النكاح الذي فيه غاية الاختصاص فما فعله شعيب
في غاية المطابقة لما يقتضيه سوالها قوله سبحانه على ان تاجرني ثماني
حجج فان اتممت عشرا فمن عندك انما جاز التخيير والتفويض في الصداق
واستفاده شعيب لنفسه لانه يجوز ان يكون الغنم كانت لشعيب و
كانت الفائدة باستيجار من يرعاها عائدة عليه الا انه اراد ان يعوض
بنته من قيمة رعيها فيكون ذلك مهرا لها واما التخيير انما كان فيما زاد
على ثماني حجج ويجوز ان يكون من شريعته العقد بالتراضي من غير صداق
معين ويكون قوله على ان تاجرني على غير وجه الصداق وهذا ضعيف
ويجوز ان يكون الغنم كانت للبنت وكان الاب المتولي لامرها وقبض
الاب مهر بنته البالغ جائز واجمعوا على انها كانت بكرا فحذف ذكر
الصداق وذكر ما شرط لنفسه مضافا الى الصداق لانه جائز ان يشرط
الولي لنفسه ما يخرج عن الصداق وظاهر الآية ان احدهما جزاء على الآخر
قوله سبحانه عن صالح عم فما تزيدونني غير تخسير معناه فما تزيدونني
غير تخسير لكم وتضليلكم اي تصيرون عندي خاسرا ضالا لا كقوله يا حسرة
على العباد فقصر الحسرة عليهم اي منهم

فصل

قوله تعالى
في قصة موسى عم فوكزه موسى فقضى عليه اراد ان يخلص من استغاث
اليه من شيعته فادى ذلك الى القتل من غير قصد وكل الم يقع على
سبيل المدافعة للظالم من غير قصد فهو حسن ولا يستحق العوض ولا فرق
بين ان يدافع عن نفسه او عن غيره والشرط فيهما ان يكون الضرر غير مقصود

وان يكون القصد الى دفع المكروه والمنع من وقوع الضرر ثم ان الله تعالى كان قد عرف موسى
استحقاق القبطي القتل بكفره وندبه الى تاخير قتله الى حال التمكن فلما راى منه
الاقدام على رجل من شيعته تعمد قتله عمدا وهو مستحق فلا يكون عاصيا او قتله
عمدا وهو غير مستحق فهذه كبيرة وان قتله خطا وهو مستحق او غير مستحق ففعله خارج من
باب القبح جملة وهذا رد على من قال ان قتله كان صغيرة قوله سبحانه هذا من
عمل الشيطان اي تزيين قتله وترك ما ندبت اليه من تاخيره وتفويتي ما استحقه
من الثواب من عمل الشيطان منتحيا بذلك عن خلافه لله تعالى واستحقاقه للقتل
ويحتمل ان يكون المراد بالشيطان القبطي في اعتدائه قوله سبحانه انك لغوي
مبين اي خائب في طلب ما تذكره ثم قصد الى نصرته كما نصره بالامس على
الآخر فظن انه يريد البطش به فقال اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس
قوله سبحانه ولهم علي ذنب قال مجاهد وقتادة يعني
قتل القبطي الذي قتله موسى حين استصرخه به واحد من بني اسرائيل
فاخاف ان يقتلوني بذلك المقتول قوله سبحانه وفعلت فعلتك
التي فعلت وانت من الكافرين لنعمتي وحق تربيتي يقويه قوله الم نربك
فينا وليدا وقال الحسن وانت من الكافرين في انني الهك
سبحانه بل فعلتها اذا وانا من الضالين اي الذاهبين عن ان الوكزة
تاتي على النفس او ان المدافعة تفضي الى القتل وقد يسمى الذاهب
عن الشيء انه ضال عنه ويجوز ان يريد انني ضللت عن فعل المندوب
اليه من الكف عن القتل في تلك الحال قوله سبحانه اني ظلمت نفسي
كقول آدم ربنا ظلمنا انفسنا وتوبتهما انما كانت على وجه الخشوع و
الانقطاع الى الله تعالى وذلك داب الصالحين عند تجدد ايادي الله تعالى
قوله سبحانه فاغفر لي فاقبل مني هذه القربة والرجوع اليك
ويسمى الاستغفار والتوبة غفرانا قوله سبحانه ان ائت القوم
الظالمين فاجاب موسى اني اخاف ان يكذبون فارسل الى هرون
ليس ذلك استعفاء عن الرسالة بل كان قد اذن له في ان يسال ضم اخيه

في الرسالة اليه قبل هذا الوقت وضمنت له الاجابة قوله واجعل لي وزيرا من اهلي
هرون اخي فاجابه الله تعالى قد اوتيت سؤلك ياموسى قوله سبحانه فالقوا ما
انتم ملقون فكانه قال فالقوا ما انتم ملقون ان كنتم محقين
وكان فيما تفعلونه حجة وحذف الشرط في الامر جائز لدلالة الكلام عليه واقتضاء
الحال له ويجوز ان يكون دعاهم على وجه التحدي الى الالقاء على وجه يباوونه
فيه بالتخييل ويغلبهم بالحجة من انقلاب الجماد حيه على الحقيقة وقد بين الله تعالى
ذلك في قوله وجاء السحرة فرعون الى قوله صاغرين قال الجبائي قوله فالقوا
كقولهم وتهديد ومعناه من كان القاؤه منكم حجة عنده ابتدأ بالالقاء وقال قوم
يجوز ان يكون ذلك امرا على الحقيقة امرهم بالالقاء على وجه الاعتبار لا على وجه
يقوي الكفر قوله سبحانه فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى انما
قال يخيل لانها لم تكن تسعى حقيقة وانما تحركت لانه قبل
جعل داخلها زيبق فلما حميت بالشمس طلب الزيبق الصعود فتحركت العصي
فظن انها تسعى قوله سبحانه فاوجس في نفسه خيفة موسى انه لم يخف
الا من قوة التلبيس بالتخييل ما اشفق عنده من وقوع الشبهة على من لم ينعم
النظر ولا يقتضي شكه في صحة ما اتى به فامنه الله من ذلك وبين ان حجته
ستتضح للقوم بقوله لا تخف انك انت الاعلى ويوافقه قول امير المؤمنين علي ع
لم يوجس موسى خيفة على نفسه لعله بل اشفق من غلبة الجهال ودول
الضلال قوله سبحانه فلما اتيها نودي من الشجرة ان ياموسى اني انا ربك
انما علم موسى ان هذا النداء من قبل الله عز وجل بمعجز اظهره له الله كما قال في
موضع آخر نودي من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة من الشجرة ان
ياموسى اني انا الله رب العالمين وان الق عصاك فلما رآها تهتز كانها جان
ولى مدبرا ولم يعقب حتى قيل له اقبل ولا تخف انك من الامنين قوله سبحانه
اخلع نعليك قال الحسن وابن جريج ليباشر بقدميه بركة
الوادي المقدس وهو قول امير المؤمنين ع وقال البلخي انه امر بذلك على وجه
الخضوع والتواضع لان التحفي في مثل ذلك اعظم تواضعا وخضوعا وقال كعب و

عكرمة لانها كانت من جلد حمار ميت وهذا فاسد لان التي لا يتحمل البت قوله
سبحانه عجلا جسدا له خوار قال الحسن وابو بكر ابن الاخشيد انه كان
معلوما معتادا في ذلك الوقت انه من قبض من اثر الرسول قبضة فالقاها
على جماد صار حيوانا فعلى هذا لا يكون خرق العادة بل كان معتادا وقال الجبائي
المعنى انه سولت له نفسه ما لا حقيقة له وانما جاز بحيله جعلت فيه من خروق
اذا دخلته الريح سمع له خوار قوله سبحانه رب اني لا املك الا نفسي و
اخي مجاز لان الانسان لا يصح ان يكون مقدورا عليه او في حكم المقدور
عليه في انه يصرفه تصريف المقدور كملك الانسان للمال والعبد ومعناه
انه لما ملك تصريف نفسه في طاعة الله جاز ان يصف نفسه بانه يجوز
ان يملكه وقوله اخي لانه كان ايضا طائعا له فيما يامره به فكان كالقادر
عليه قوله سبحانه فدعا ربه ان هؤلاء قوم مجرمون وذلك انه لما ايس
من قومه ان يؤمنوا به دعا الله ربه فقال ان هؤلاء قوم مجرمون وقيل
انهم لما يقتضي سوء افعالهم فكانه قال اللهم عجل لهم ما يستحقونه
باجرامهم بما به يكونون نكالا لمن بعدهم وما دعا بهذا الدعاء الا بعد ان اذن
الله له في الدعاء عليهم قوله سبحانه ربنا انك اتيت فرعون وملئه زينة
واموالا في الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك اي لا ان يضلوا فحذف
لا كقوله تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى وقوله ان تقولوا يوم
القيامة انا كنا عن هذا غافلين وقوله والقى في الارض رواسي ان تميد
بكم شاعر نزلتم منزل الاضياف منا فعجلنا القرى ان تشتمونا فصل
قوله تعالى رب ارني انظر اليك انما سال ربه تعالى ضرورة باظهار
بعض اعلام الآخرة التي تضطر عندها الى المعرفة فتزول الخواطر عنه و
منازعة الشكوك والشبهات ويستغني عن الاستدلال فتخف المحنة
عنه بذلك كما سال ابرهيم فقال رب ارني كيف تحيي الموتى ويجوز انه
انما سال ذلك حالة نظره في جوازه وامتناعه فاراد ان يعرف ذلك
من جهة السمع والرؤية يعرف بالعقل والسمع وحالة النظر فاد و سائر الاحوال

ويجوز فيه ما لا يجوز في غيره ولو لم يكن سؤاله لبعض ما قلنا لما استحق الذم كما استحق
قومه فقالوا ارنا الله جهرة الآية قوله سبحانه اتهلكنا بما فعل السفهاء منا
الهلاك ههنا بمعنى الموت كقوله ان امرؤ هلك ولا يكون ذلك عقوبة
منه بفعل غيرهم قوله سبحانه فلما افاق قال سبحانك
اني تبت اليك التوبة انما كانت على سبيل الرجوع الى الله تعالى والجهاد
الانقطاع والتقرب لا لذنب فيجوز ان يكون الغرض في ذلك لتعليمنا
توقيفا على ما نستعمله عند الشدائد وله اجوبة غير ذلك قوله سبحانه
والقى الالواح اي ان موسى عم اقبل غضبان على قومه مستعظما لفعلهم
فاخذ براس اخيه وجره اليه كما يفعل الانسان بنفسه مثل ذلك عند
الغضب وشدة الفكر والمفكر الغضبان قد يعض على يده ويفتل اصابعه
ويقبض على لحيته فاجرى موسى اخاه هرون مجرى نفسه وهذه الامور
يختلف احكامها بالعادات فيكون ما هو اكرام في بعضها استخفافا في غيرها
ويكون على ضد ذلك قوله سبحانه يا ابن ام لا تاخذ بلحيتي ولا براسي
لا يدل على انه وقع على سبيل الاستخفاف بل معنى كلامه لا تغضب ولا
يشتد جزعك واسفك وانه اجراه مجرى نفسه اذا غضب في القبض
على لحيته كانه لم يكن متهما عنده كما لا يتهم على نفسه ويحتمل ان عادة ذلك
الوقت ان الواحد اذا خاطبه غيره قبض على لحيته كما يقبض على يده في
عاداتنا والعادات تختلف قوله سبحانه اني خشيت ان تقول فرقت
بين بني اسرائيل لا يمتنع ان يكون هرون خاف من ان يتوهم بنو اسرائيل
بسوء ظنهم انه منكر عليه معاتب له ثم ابتدأ يشرح قصته فقال عزه با ابن ام
ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني قوله سبحانه ام انا خير من هذا
الذي هو مهين ولا يكاد يبين قال الزجاج اللثغة كانت
في لسانه وقال قتادة والسدي كانت في لسانه آفة وقال اكثر المفسرين
كان احترق لسانه بالجمر الذي وضعه في فيه حين اراد ان يعتبر فرعون
عقله لما لطم وجهه واراد ان ياخذ غير النار فصرف جبريل يده الى النار دفعا

عنه القتل وقال الحسن كان في لسانه ثقل فنسبه الى ما كان عليه اولا واقول
انه نسبه الى قلة البيان كما نسبه الى المهانة كذبا وزورا قال الجبائي فاما
ما كان بلسانه منه مثاله قوله ولا يكاد يبين وقال الحسن
استجاب الله دعاه فحل العقدة عن لسانه وهو الصحيح لقوله قد اوتيت سؤلك
يا موسى في عقيب دعائه رب اشرح لي صدري

فصل

قوله تعالى فوجدا عبدا من عبادنا اتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا
علما يمكن ان يكون الله تعالى قد اعلم هذا الغلام ما لم يعلمه موسى وارشد
موسى عم اليه ليعلم منه وانما المنكر ان يحتاج النبي في العلم الى بعض رعيته
ويجوز ان يكون نبي اعلم من نبي وقته وما يعلمه من هذا العالم الا كتعلمه
من الملك الذي يهبط اليه ولا يدل ذلك على ذلك العالم كان افضل
من موسى في العلم لانه لا يمتنع ان يزيد موسى عم في سائر العلوم التي هي
افضل مما علمه فقد يعلم احدنا شيئا من المعلومات ما لا يعلمه من هو افضل
منه قوله سبحانه فلا تسالن عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا وقد
قال فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون النهي انما هو
نهي عن نوع العلم الذي لم يبلغ منزلته بعد واحدث انما هو على سؤال
تفاصيل ما خفي عليه من النوع الذي هو بصدده لئلا يتولد فيه شبهة
قوله سبحانه انك لن تستطيع معي صبرا لو كان نفي الاستطاعة على
ما ظنه الجهال لكان العالم وهو في ذلك سواء فلا معنى لاختصاصه بنفي
الاستطاعة والدليل على انه نفى عنه الصبر لا الاستطاعة قول موسى في
جوابه ستجدني ان شاء الله صابرا ولم يقل مستطيعا ومن حق الجواب ان
يطابق الابتداء قوله سبحانه ولا اعصي لك امرا مشروط بالمشية وليس
بمطلق فكانه قال ستجدني صابرا ولا اعصي لك امرا
ان شاء الله وانما قدم الشرط على الامرين جميعا قوله سبحانه لقد جئت شيئا
امرا اي عجبا ومنكرا او داهية وقالوا الامر من امر القوم اي كثروا وجعل
عبارة عن كثرة عجبه قوله سبحانه لقد جئت شيئا نكرا اي ان ظاهر ما اتيته

المنكر ومن يشاهده قبل ان يعرف علته ينكره ثم انه حذف الشرط فكانه اراد ان
كنت ظالما فقد جئت شيئا نكرا على انه اراد انك اتيت امرا بديعا غريبا فانهم
يقولون فيما يستغربونه انه نكر ومنكر ويمكن ان تقول قال على وجه الاستفهام
دون القطع يدل عليه اخرقتها لتغرق اهلها وقوله اقتلت نفسا زاكية بغير
نفس **قوله** سبحانه واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما
طغيانا وكفرا الغلام كان مراهقا فقتله العالم خشى اى علم من الله تعالى انه
متى بلغ كفر ابواه ومتى قتل بقيا على ايمانهما ولا فرق بين ان عينه الله وبين
ان يامر بقتله والدليل على ان خشى بمعنى علم قوله وان امراة خافت من بعلها
نشوزا او اعراضا وقوله الا ان يخافا الا يقيما حدود الله وقوله وان خفتم
عيلة وقالوا الغلام كان كافرا مستحقا للقتل فخشى الخضر اى خاف ادخاله
ابويه في الكفر وتزيينه لهما وقالوا الخشية الكراهية يقال فرقت بين الرجلين
خشية ان يقتتلا فالتاويل بمعنى العلم لا يمتنع ان يضاف العلم الى الله تعالى
ثم ان موسى ع انما استقبح على البديهة قتل الغلام لانه لم يعرف الوجه الذي هو
عليه حسنه ولو علم ذلك لعلم حسن القتل وخرق السفينه **قوله** سبحانه اما
السفينة فكانت لمساكين انما عنى بالمسكنة عدم الناصر كما يسمى من كان
كثير المال واسع الحال مسكين ومستضعف وقال النبي مسكين مسكين رجل
لا زوجة له ثم ان السفينة تجري الذي لا يعيش الا بها كالدار التي يسكنها
الفقير هو وعياله ولا يجد سواها فهو مضطر اليها فان انضاف الى ذلك ان
يشاركه جماعة في السفينه حتى يكون منها الجزء اليسير كان اظهر فقرا ثم ان
لفظة المساكين قد قرئت بالتشديد ومعناه البخلا **قوله** سبحانه لا تواخذني
بما نسيت اي بما تركت نحو قوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى قال
ابن عباس لا تواخذ بما غلطته بما يشبه النسيان فسماه نسيانا للمشابهة كما
قال المؤذن لاخوة يوسف انكم لسارقون ثم انه ليس النسيان بعجب مع
قصر المدة فان الانسان قد ينسى ما قرب زمانه لما يعرض له يشغل القلب
فصل قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى

ليس فيها ما قرفوه به والصحيح ان بني اسرائيل لما مات هرون قرفوه بانه قتله لانهم
كانوا الى هرون اميل فبرأه الله من ذلك وامر الملائكة بان حملت هرون ميتا
ومرت به على محافل بني اسرائيل ناطقة بموته ومبرئة لموسى ع من قتله وروى
ان موسى نادى اخاه هرون فخرج من قبره فساله هل قتله فقال لا ثم عاد **قوله**
سبحانه واذ اتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون والفرقان هو
القران ولم يوت به وانما اختص به محمد ص كتب الله كلها فرقان يفرق
بين الحق والباطل اختلاف اللفظين جائز قال والفى قولها كذبا ومينا
والكتاب عبارة عن التورية والفرقان انفراق البحر لموسى ع والفرقان الفرق
بين الحلال والحرام والفرقان بين موسى واصحابه المؤمنين وبين فرعون
واصحابه الكافرين كالنجاة والهلاك والفرقان المنزل على نبينا ع والتصديق
والايمان بالفرقان الذي هو القرآن لان موسى كان مؤمنا بمحمد وبما جاء به
وساغ حذف القبول والايمان والتصديق واقامة الفرقان مقامه كما ساغ
في قوله واسئل القرية والفرقان القرآن وتقدير الكلام واذ آتينا
موسى الكتاب الذي هو التورية وآتينا محمدا القران فحذف ما حذف
كما قال الشاعر • علفتها تبنا وماء باردا • وقال الاخر ياليت بعلك قد غدا
متقلدا سيفا ورمحا • وقال الصادق ع القرآن جمله الكتاب والفرقان المحكم
الواجب العمل به **قوله** سبحانه وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا
او من وراء حجاب • ثم قال وكلم الله موسى تكليما المعنى والله اعلم ان
الله تعالى خص موسى بكلام خلقه على هذه الصفة ما لم يخص به احد
من انبيائه **قوله** سبحانه واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان
تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين
والهزو اللعب السخرية ولا يجوز ان يقع من اولياء الله تعالى فيما يودونه
هزو ولا لعب فظنوا به ظن سوء لجهلهم بالحكمة فقال موسى عند ذلك
اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين يعني من السفهاء الذين يروون على
الله الكذب والباطل **قوله** سبحانه والق عصاك فلما راها تهتز كانها

جانّ ولّى مدبرًا ولم يعقب يا موسى الآية انما ولّى منها موسى للبشرية لا
انه شك فى كونها معجزة له لا تضره فقيل لا تخف نداء من الله تعالى لموسى
ونهى له عن الخوف وقال له انك مرسل ولا يخاف لدى المرسلون
لانهم يفعلون قبيحًا ولا يخلون بواجب فيخافوا عقابه الا من ظلم ثم
بدل حسنًا بعد سوء صورته صورة الاستثناء وهو منقطع عن الاول
وتقديره لكن من ظلم نفسه فعل القبيح ثم بدل حسنًا بعد سوء بان
ياتى بعد القبيح بالفعل الحسن فانه يغفر له وقال الحسن هو استثناء
غير منقطع واراد من فعل صغيرة من الانبياء وهذا بعيد من الصواب
لان صاحب الصغيرة لا خوف عليه ايضًا لوقوعها مكفرة والاستثناء
وقع من المرسلين الذين لا يخافون **فصل** قوله تعالى فى قصة
داود ع وهل اتاك نبا الخصم اذ تسوروا المحراب الى قوله واناب
لا تدل على وقوع الخطا منه واما الرواية الدعاة فساقطة لتضمنها
خلاف ما تقتضيه الاصول مطعون فى رواتها والخصم مصدر لا
يجمع ولا يثنى ولا يؤنث فلذلك قال اذ تسوروا المحراب ثم ان الخصمين
كالقبيلتين او الجنسين ثم ان فى الاثنين معنى الانضمام ولهذا
زعم بعضهم انه اقل الجمع وقيل بل كان مع هذين الخصمين غيرهما ممن
يعينها **قوله** سبحانه ففزع منهم لانه كان خاليًا بالعبادة فى وقت
لم يدخل فيه احد ولانهما دخلا من غير المكان المعهود **قوله سبحانه**
قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض الى قوله الخطاب قال
اكثر المفسرين انه كنى بالنعاج عن تسع وتسعين امراة وان الآخر امراة
واحدة وقال الحسن لم يكن له تسع وتسعون امراة وانما هو على وجه
المثل وقال ابو مسلم اراد النعجة باعيانها وهو الظاهر **قوله سبحانه**
وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا
لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلًا آتينا حكمًا وعلمًا قيل فى معنا
قوله اذ يحكمان انهما اذ شرعا فى الحكم فيه من غير قطع به فى ابتداء الشرع

وقيل ان يكون حكمه حكمًا معلقًا بشرط لم يفعله بعد وقيل ان يكون معناه طلبا الحرث
ولم يبتديا انه بعد ويقوي ذلك قوله ففهمناها سليمن والجواب الصحيح انه كان
حكمهما حكمًا واحدًا الا ان داود امر سليمان بالحكم ليعرف بنى اسرائيل علم سليمن و
وصيه من بعده **قوله** سبحانه انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق
وقوله وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير معنى ذلك انها كانت تسير بامر الله
معه حيث سار بالغداة والعشى فسمى الله تعالى ذلك تسبيحًا لما فى ذلك من كلالة
على قدرته وصفاته التى لا تشاركه فيها غيره وقوله والطير محشورة اي مجموعة
من كل ناحية اليه معنى كل الطير والجبال له اواب الى ما يريد وقال قتاده
اي مسخرة وعبر عن ذلك التسخير بانه تسبيح من الطير لدلالته على ان مسخرها
قادر ولا يجوز عليه العجز كما يجوز على العباد وقال الجبائي اكمل الله تعالى عقول
الطير حتى فهمت ما كان من سليمان يامرها به وينهاها عنه وما يتوعدها به
متى خالفت وسخر له الطير بان قوى افهامها حتى صارت كصبياننا الذين
يفهمون التخويف والترهيب **قوله** سبحانه لقد ظلمك بسوال نعجتك الى
نعاجه من غير مسالة للخصم انما اراد به ان كان الامر كما ذكرت ومعنى ظلمك
انتقصك كما قال اتت اكلها ولم تظلم منه شيئًا وقوله وظن داود انما فتناه
اي علم وحدس ايضًا **قوله** سبحانه فاستغفر ربه وخر راكعًا واناب على
سبيل الانقطاع الى الله تعالى والخضوع له **قوله** سبحانه فغفرنا له ذلك اي
قبلنا منه وكتبنا له الثواب عليه واخرج الجزاء على لفظ المجازي عليه واما
تزوجه بامراته اوريا باطل قال امير المومنين ع لا اوتى برجل يزعم ان داود
تزوج بامراة اوريا الا جلدته حد النبوة وحد الاسلام وقال ابو مسلم
الاصفهاني لا يمتنع ان الداخلين على داود كانا خصمين من البشر وانما
ارتاع منهما لدخولهما من غير اذن وعلى غير مجرى العادة وليس فى ظاهر
التلاوة ما يقتضي ان يكونا ملكين **فصل** قوله تعالى فى قصة
سليمان ع ووهبنا لداود سليمان الى قوله والاعناق ليس ظاهر هذه الآية يدل
على ان مشاهدة الخيل الهاه عن ذكر ربه حتى فاتته الصلاة فعرقبها وقطع سوقها

واعا قابل هذا مخالفه لما تقتضيه الادلة يدل عليه ان الله تعالى ابتدا الآية
بمدحه فقال نعم العبد انه اواب ولا يجوز ان يثنى عليه بهذا الثنا ثم يتبعه
من غير فصل باضافة القبيح اليه قوله سبحانه انى احببت حب الخير اي
احببت حبا ثم اضاف الحب الى الخير او اراد احببت اتخاذ الخير لان
ذات الخيل لا تحب فجعل بدل قوله اتخاذ الخيل دون الشمس لانه قد
جرى ذكرها فى الآية ولم يجر ذكر الشمس وليس فى ظاهر القرآن ان التوارى
كان سببا لفوات صلوة النافلة قوله سبحانه ردوها على الخيل لا محالة
فطفق مسحا بالسوق والاعناق مسحها او امر يده عليها صيانة لها واكراما
وهذا عادة الناس والمسح ايضا الغسل اي غسل قوائمها واعناقها ولا تسمى
العرب الضرب بالسيف والقطع به مسحا ثم ان لم يجر للسيف ذكر فيضاف
المسح اليه ويقال انه عرقب الخيل لانها كانت اعز ماله وكفر عن تفريطه
فى النافلة بذبحها والتصدق بلحمها على المساكين لقوله تعالى لن تنالوا البر حتى
تنفقوا مما تحبون قوله سبحانه وورث سليمن داود قال اصحابنا ورث
المال والعلم وقال المخالفون انه ورثه العلم للخبر المروي نحن معاشر الانبياء
لا نورث وقولهم العلماء ورثة الانبياء حقيقة الميراث هو انتقال تركه
الماضى بموته الى الباقى من ذوى قرابته وحقيقة ذلك فى الاعيان
واذا قيل ذلك فى العلم كان مجازا والخبر خبر واحد لا يجوز ان يخص به
عموم القرآن ومثل ذلك قوله واجعل لي من لدنك وليا يرثني
ويرث من آل يعقوب وقد شرحت ذلك فى المثالب قوله سبحانه
ولقد فتنا سليمن والقينا على كرسيه جسدا النبوة لا يكون فى
خاتم ولا يسلبها الجنى من النبى وان الله تعالى لا يمكن الجنى من التمثل
بصورة النبى وليس فى الظاهر اكثر من ان جسدا القى على كرسيه على
سبيل الاختبار له نحو قوله تعالى الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا
امنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم قيل انه ذكر يوما فى منزله
لاطوفن الليلة على مائة امراة تلد كل امراة منهن غلاما يضرب بالسيف فى

سبيل الله القصة فان صح ذلك فلا يكون ذنبا لان محبة الدنيا على وجه المباح
ليس بذنب وقيل كان لسليمن ولد شاب يعجب به فاماته الله فجاة امتحانا
من الله تعالى لسليمن وقيل انه اماته فى حجره فوضعه على كرسيه من حجره وجائز
ان يكون الجسد المذكور هو نفس سليمن وان يكون ذلك لمرض امتحنه الله
به والعرب تقول انما هو لحم على وضم وجسد بلا روح تغليظا للعلة ومبالغة
فى فرط الضعف قوله سبحانه ولسليمن الريح اي بالتسخير تجري بامره يعني بامر
سليمن الى حيث شا ويكون فيما اعطاه من التسخير يدعوه الى الخضوع ويدعوا
لطالب الحق الى الاستبصار فى ذلك وكان لطف اعجب فعله قوله سبحانه
رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي قد ثبت ان الانبياء
لا تسال الا ما يوذن لها فى مسئلته لا سيما اذا كانت المسالة ظاهرة يعرفها
قومهم وجائز ان يكون الله تعالى اعلم سليمن انه ان سال ملكا لا يكون لغيره
كان اصلح له فى الدين والاستكثار من الطاعات واعلمه ان غيره لو سال
ذلك لم يجب اليه من حيث لا صلاح له فيه ولو ان احدنا صرح فى دعائه
بهذا الشرط حتى يقول اللهم اجعلني ايسر اهل زماني وارزقني ما لا يساوى
فيه غيري اذا علمت ان ذلك اصلح لي وانه ادعى الى ما تريده مني لكان
هذا الدعا حسنا جميلا وهو غير منسوب الى البخل وليس يمتنع ان يسال النبى
هذه المسالة من غير اذن اذا لم يكن ذلك بحضرة قومه بعد ان يكون هذا
الشرط مرادا فيها وان لم يكن منطوقا به لكان هذا الدعا حسنا جميلا وهو غير
منسوب الى البخل ثم انه انما التمس ان يكون ملكه آية لنبوته يتبين بها من
غيره ممن ليس بنبى قوله سبحانه لا ينبغي لاحد من بعدي اي لا ينبغي
لاحد غيري ممن انا مبعوث اليه ولم يرد من بعده الى يوم القيامة من
النبيين كما تقول القائل انا اطيعك ولا اطيع احدا بعدك اى سواك قال
المرتضى انما سال ملك الآخرة الذي لا يناله المستحق الا بعد انقطاع
التكليف وزوال المحنة وقوله لا ينبغي لاحد من بعدي اى لا يستحقه بعد
وصولي اليه احد من حيث لا يصلح ان يعمل ما يستحق به لانقطاع التكليف وتعري

ذلك قوله رب اغفرلي وهو من احكام الآخرة **فصل** قوله تعالى
علمنا منطق الطير قال المبرد تسمى العرب كل مبين عن نفسه ناطقا
ومتكلما وقال الرماني منطق الطير صوت تتفهم به معانيها
على صيغة واحدة بخلاف منطق الناس اذ هو صوت تتفهمون به معانيهم
على صيغ مختلفة ولذلك لم نفهم عنها مع طول مصاحبتها ولم تفهم
هي عنه لان افهامها مقصورة على تلك الامور المخصوصة ولما جعل
سليمن تفهم عنها كان قد علم منطقها وقيل المراد به انه علم ما يفهم به
ما ينطق الطيور به في اصواتها ومقاصدها بما يقع منها من صياح على
سبيل المعجز لسليمان قوله سبحانه مالي لا ارى الهدهد عرفه بالالف
واللام للخصوصية به وسبيله سبيل غراب نوح وحمار عزير قوله سبحانه
لاعذبنه عذابا شديدا العذاب اسم للضرر وان لم يكن مستحقا وليس
يجري مجرى العقاب الذي لا يكون الا جزاء فيكون معنى لاعذبنه لاولمنه
ويكون الله اباحه ذلك الايلام كما اباحه الذبح لضرب من المصلحة كما سخر له
الطير يصرفها في منافعه واغراضه للمعجز وتدبير التاديب تعذيبا قوله
وليشهد عذابهما طائفة وقيل اراد حبسه او تفريقه قوله سبحانه
وقال الذي عنده علم من الكتاب انا اتيك به سال يحيى بن اكثم علي
بن محمد النقي ع هل كان سليمان محتاجا الى علم آصف فقال ع لم يعجز
سليمان عن معرفة ما عرف آصف لكنه احب ان يعرف امته من الجن و
الانس انه الحجة من بعده وذلك من علم سليمن اودعه آصف بامر الله
ففهمه الله ذلك لئلا يختلف في امامته ونبوته من بعده لتاكيد الحجة
على الخلق قوله سبحانه نكروا لها عرشها قال قتادة كان سليمان احب ان
يملك عرشها قبل ان تسلم فيحرم عليه اخذ مالها لانه اعجبته صفته ولها
عرش عظيم وقال ابن زيد اراد ان يختبر عقلها وفطنتها بذلك قوله
ننظر اتهتدي وقال وهب اراد ان يجعل ذلك معجزة على نبوته قوله
سبحانه فلما راه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي تكلم العلماء في كيفية اتيانه

بالعرش فقال ابن عباس والكلبي خر آصف ساجدا ودعا باسم الاعظم فغار عرشها
تحت الارض حتى نبع عند كرسي سليمن وقالوا حملته الملئكة بامر الله او الريح
حملته او خلق الله فيه حركات متوالية او انخرق مكانه حيث هو هناك ثم نبع
بين يدي سليمن او الارض طويت له او اعدمه الله في موضعه واعاده في
مجلس سليمن وهذا كا دونه الشيعة ان تولى غسل الامام والصلوة عليه
موقفان على الامام الذي يتولى الامر بعده وقال المرتضى يراد بها الاغلب
الاكثر ومع الامكان والقدرة واستدل بوفاة موسى بن جعفر وعلي بن موسى
بطوس وابناهما بالمدينة فمن اراد خلافه استدل بهذه الآية وبقوله سبحانه
الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وبصعود
الملئكة ونزولها وبطوفان ابليس والجن في العالم بسرعتهم قوله سبحانه
واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمن وما كفر سليمن فكانه اخبر انهم اتبعوا
ما كذب فيه الشياطين على ملك سليمن وبنسبته اليه من السحر فبراه الله تعالى
من قولهم فقال وما كفر سليمن قوله سبحانه وما انزل على الملكين اراد
انهم يعلمونهم السحر الذي انزل على الملكين وانما انزل عليهما وصف السحر و
ماهيته وكيفيته للاحتيال فيه ليعرفا ذلك ويعرفاه الناس فيجتنبوه ويحذروا
منه كما انه تعالى قد اعلمنا ضروب المعاصي ووصف لنا احوال القبائح لنجتنبها
لا لنوقعها الا ان الشياطين كانوا اذا علموا ذلك وعرفوه استعملوه قوله سبحانه
وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما
يفرقون به بين المرء وزوجه اي فيعرفون من جهتهما ما يستعملونه في هذا
الباب وان كان الملكان ما القياه اليهم لذلك ولهذا قال ويتعلمون ما يضرهم
ولا ينفعهم لانه تعلموه ليفعلوه لا ان يجتنبوه فصار ذلك سوء اختيارهم ضررا
عليهم ثم ان التفريق اما ان يكون من جهة الديانة او الجبر او الحكم او الحيلة
ومعلوم انه لم يكن للايجاب والجبر والحكم فلم يبق الا الحيلة او الديانة كما
كانت للكفار يقولون للنبي ص انه يفرق بين المرء وزوجه قوله سبحانه
مالي لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين لاعذبنه عذابا شديدا او لاذبحنه

انما جاز هذا المقال لانها اعقلت امره ونهيه فقامت عليها الحجة من ذلك لان
الله تعالى سخر الطير له قوله والطير صافات كل قد علم صلوته وتسبيحه قوله
سبحانه انه من سليمن وانه بسم الله الرحمن الرحيم انما قدم اسمه
على اسم الله تعالى لان اسمه كان عنوان الكتاب والعنوان ابدا مقدم على
الخطاب وقيل قدم اسم نفسه اي ان الكتاب من سليمن وان المكتوب
بسم الله الرحمن الرحيم وقيل لانه كان سمع من الهدهد وجدتها
وقومها يسجدون للشمس من دون الله فقدم اسمه حذرًا ان يسبوا الله
وقيل لانها كانت كافرة والكافر لا يخوف بالله لحمية الجاهلية قال واذا
قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم فصل قوله تعالى في قصة
يونس وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه لا يجوز
ان يغاضب ربه الا من كان معاندًا له او جاهلًا بان الحكمة في ساير
افعاله وهذا لا يليق باتباع الانبياء فضلا عمن عصمه الله وانما كان غضبه
على قومه لمقامهم على تكذيبه واصرارهم على الكفر فخرج من بينهم خوفًا من
نزول العذاب وهو مقيم بينهم قوله سبحانه فظن ان لن نقدر عليه اي لا
نضيق عليه المسالك ونشدد عليه المحنة والتكليف وذلك يجوز ان يظنه
النبي ولا شبهة ان قدرت وقدّرت معناه التضيق قال تعالى ومن قدر
عليه رزقه وقال يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وضيق صدر يونس
مما اصابه في بطن الحوت قوله سبحانه فنادى في الظلمات لا اله الا انت
سبحانك اني كنت من الظالمين على سبيل الانقطاع الى الله تعالى ويجوز ان يريد
بذلك اي بخست حتى بترك النوافل ويجوز ايضا ان يكون صدقًا اي من
الجنس الذي يقع منهم الظلم قوله سبحانه واصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب
الحوت اي انه لم يقو على الصبر على تلك المحنة التي ابتلاه الله بها وعرضه
بنزولها لغاية الثواب فشكا الى الله تعالى لينيله افضل المنازل واعلاها
فصل قوله تعالى في قصة عيسى ان الله يبشرك بكلمة قال ابن عباس
وقتاده سماه الله كلمة لثلثه اوجه احدها انه اوجده بكلمته من غير والد وهو

قول كن كما قال ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون
والثاني لان الله بشر به في الكتب السالفة كما تقول الذي يخبرنا بامر يكون
قد جاء قولي وكلامي والثالث لان الله يهدي به كما يهدي بكلمته قوله
سبحانه انما انا رسول ربك لاهب لك غلامًا زكيا فقالت مريم متعجبة
انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر على وجه الزوجية ولم اك بغيا قوله سبحانه
والتي احصنت فرجها يعني مريم والاحصان احراز الشي من الفساد فمريم
احصنت فرجها بمنعه يعني من الفساد فاثنى الله تعالى عليها قوله سبحانه
فنفخنا فيها من روحنا اجرينا فيها روح المسيح كما يجري الهوا بالنفخ واضاف
الروح الى نفسه تعالى على وجه الملك تشريفا لها للاختصاص بالذكر قوله
سبحانه اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا اي ان كنت تتقي عبادي فتبعد
لتعقل هو او قلت كف عني ولا تؤذني ان كنت تقيا فان التقي يهيبك
تخويفه كما تقول القائل ان كنت مؤمنا فلا تظلمني وقيل التقي اسم رجل
ملعون مشهور بالبطالة قوله سبحانه يا ليتني مت قبل هذا انما تمنت الموت
قبل تلك الحال التي قد علمت انها من قضاء الله تعالى لكراهتها ان يعصي الله
بسببها اذ كان الناس يتسرعون الى القول فيها بما يسخط الله وقال قوم
انها قالت بطبع البشرية خوف الفضيحة وقال قوم المعنى في ذلك اني لو
خيرت قبل ذلك بين الفضيحة بالحمل والموت لاخترت الموت قوله
سبحانه يا اخت هرون ما كان ابوك امرء سوء قال مقاتل روي عن النبي
انه قال هرون الذي ذكروه هو هرون اخو موسى وتاويل يا اخت هرون
يا من هي من نسل هرون كما يقال يا اخا بني تميم ويا اخا بني زهرة قال
الله تعالى والى عاد اخاهم هودًا والى ثمود اخاهم صالحا يعني من نسلهم
قال غير ابن سعد رضه ان هرون المذكور فيها كان رجلا فاسقا فلما
انكروا ما جاءت به من الولد ولم يعرفوا براءة ساحتها نسبوها اليه تشبيهًا و
تقديرًا لكلام ما شبيه هرون في فسقه وقيل ان هرون هذا كان
اخاها لابيها دون امها وكان رجلا معروفا بالصلاح وقيل انه لم يكن اخاها

على الحقيقة بل كان رجلا صالحا من اهلها قوله سبحانه فقولي اني نذرت للرحمن
صوما قال الجبائي كان الله تعالى امرها بان تنذر لله الصمت فاذا كلمها
احد تومي بانها نذرت صوما اي صمتا لانه لا يجوز ان يامرها بانها تقول
نذرت ولم تكن نذرت لان ذلك كذب وقال ابن عباس والضحاك
يريد بالصوم الصمت وقال ابن مسعود رضي الله عنه امرها بالصمت ليكفيها
الكلام عن ولدها ما يبرى من ساحتها ولا تناقض في قوله اني نذرت
للرحمن صوما لانه اذن لها في ان تقول اني نذرت للرحمن او قلنا انها
اومت بذلك كما قال فاشارت اليه قوله سبحانه اني عبد الله اتاني
الكتاب وجعلني نبيا قال الحسن وابو علي معنى قوله وجعلني لان الله تعالى
اكمل عقله وارسله الى عباده ولذلك كانت له تلك المعجزة وقال ابن
الاخشيد كان ذلك ارهاصا لنبوته وقالت الامامية معناه اني
عبد الله سيوتيني الكتاب سيجعلني نبيا فيما بعد وكان ذلك معجزة
لمريم على براءة ساحتها قوله سبحانه ويكلم الناس في المهد وكهلا
الفايدة في قوله وكهلا انه تكلمهم بالوحي الذي ياتيه من قبل الله
وانه تعالى اخبر ان عيسى تكلم في المهد اعجوبة وخبر انه يعيش حتى يكتهل
ويتكلم في الكهولية ولم يقل وشيخا لانه عاش نيفا وثلثين سنة على
ما جاءت به الاخبار وانه يبلغ حال الكهل في السن ليكون الخبر على
ما اخبر به ثم ان المراد به الرد على النصارى بما كان منه من التقلب على
الاحوال لانه مناف لصفة الالوهية قوله سبحانه وروح منه جاز ان
يقال المسيح روح الله لان الارواح كلها ملك لله وانما خص المسيح
بالذكر تشريفا له بهذا الذكر كما خص الكعبة انها بيت الله وان كانت
الارض كلها لله تعالى قوله سبحانه واحيي الموتى باذن الله على وجه المجاز
اضافه الى نفسه وحقيقته ادعو الله باحياء الموتى فيحيون باذنه قوله سبحانه
اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير لم يقيده باذن الله لان المراد به التقدير
ثم قال باذن الله لانه من فعل الله دون عيسى اما التصوير والنفخ ففعله لانهما

يدخل تحت مقدور القدر وليس كذلك انقلاب الجماد حيوانا فانه لا يقدر
عليه احد سواه تعالى وقال في موضع آخر فينفخ فيها فيكون طيرا باذني اللفظ
الهيئة قوله سبحانه واذ تخلق من الطين كهيئة الطير معنى ذلك انه
صور الطين وسماه خلقا لانه كان بتقديره وقوله باذني اي تفعل ذلك باذني
وامري وقوله فتنفخ فيها فيكون طيرا باذني معناه انه نفخ فيها الروح لان الروح
جسم يجوز ان ينفخها المسيح بامر الله تعالى كما ينفخها اسرافيل في الصور وكما ينفخ
ملك الارحام في الصورة عند تمام مائة وعشرين يوما على ما جاء في الخبر
فاذا نفخ المسيح فيها الروح قلبها الله لحما ودما وخلق فيها الحياة فصارت طايرا
باذن الله وارادته لا بفعل المسيح فلذلك قال فتكون طيرا باذني وتبرئ
الاكمه والابرص باذني معناه انك تدعوني حتى ابرئهما قوله سبحانه واذ
تخرج الموتى باذني اي اذ يدعوني فاحيي الموتى عند دعائك واخرجهم
من القبور حتى يشاهدهم الناس احياء وانما نسبه الى عيسى لانه كان
بدعائه قوله سبحانه واذ كففت بني اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات
يجوز ان يكفهم بالطافه التي لا يقدر عليها غيره ويجوز ان يكون كفهم بالقهر
كما منع من اراد قتل نبينا وقيل لانه القى شبهه على غيره حتى قتلوه و
نجا قوله ولكن شبه لهم قوله سبحانه لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح
ابن مريم وعندهم هو ابن الله الجواب لانهم زعموا انه اله وهذا الاسم
انما هو للاله بمنزلة ذلك كما قال الدهري ان الجسم قديم لم يزل وان لم
يذكره بهذا الذكر قوله سبحانه انت قلت للناس اتخذوني وامي
الاهين من دون الله تقريع في صورة الاستفهام لمن ادعى ذلك عليه
من النصارى لانه تعالى كان عالما بذلك هل كان او لم يكن كما تقول القايل
لغيره افعلت كذى وكذى وهو يعلم انه لم يفعله وان كان خارجا مخرج
الاستفهام ثم انه اراد بهذا القول تعريف عيسى ان قوما قد اعتقدوا
فيه وفي امه انهما الاهان لانه يمكن ان يكون عيسى لم يعرف ذلك الا
في تلك الحال قوله سبحانه ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان

خيفا مسلما حجة على من زعم ان المسيح والذين آمنوا معه كانوا نصارى قوله
سبحانه ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم معناه تفويض الامر
الى صاحبه والتبري من ان يكون اليه شيء من امور قومه كما يقول احدنا
هذا الامر لا مدخل لي فيه فان شئت ان تفعله وان شئت ان تتركه مع
علمه ان احد الامرين لا يكون منه وانما حسن ذلك منه لانه اخرج كلامه
مخرج التفويض ثم انه لا يدل على ان المسيح اراد بذلك ان الله تعالى له
ان يعاقب عبيده من غير جرم كان منهم لانه ع يريد بكلامه ما يدل في
العقل على كونه غير جايز عليه تعالى ولا يحسن منه تعالى ايضا ان يترك
ذلك فلما علمنا ان الله تعالى لا يعاقب خلقه من غير معصية سبقت منهم
من حيث كان ظلما محضا علمنا ان عيسى ع اراد بقوله ان تعذبهم فانهم
عبادك الجاحدون لك المتخذون معك الها غيرك لان ما تقدم من
الكلام دل عليه فلم يحتج ان يذكره في اللفظ قوله سبحانه انكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم وعيسى وعزير عليهما السلام عبدا وانما
قال ما تعبدون وما لمن لا يعقل ثم ان آخر الآية اولئك عنها
مبعدون لا يسمعون حسيسها الآية قوله سبحانه وما قتلوه وما
صلبوه ولكن شبه لهم يصح في مقدور الله تعالى ان يلقي شبه زيد على
عمرو حتى لا يفصل الناظر بينهما تغليظا للمحنة وتشديدا للتكليف فيكون
ذلك خارقا للعادة معجزة لبعض اوليائه الصالحين والائمة المعصومين
وعند المعتزلة على ايدي الانبياء او في زمانهم لانه لا يجوز خرق العادة
عندهم الا على ايديهم قوله سبحانه وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به
قبل موته معنى الآية الاخبار منه تعالى بانه لا يبقى احد من اليهود الا ليؤمن
به يعني عيسى قبل موته واختلفوا في الهاء الى من ترجع فقال ابن
عباس وابو مالك والحسن وقتاده وابن زيد والطبري هي كناية عن
عيسى كانه قال لا يبقى احد من اليهود الا يؤمن بعيسى قبل موت عيسى
بان ينزله الله الى الارض اذا خرج المهدي ثم قال الطبري والآية مخصوصة

مخصوصة بمن يكون في ذلك الزمان وقد روي ان الحجاج سأل شهر بن
حوشب عنها فقال اني اضرب عنق اليهودي ولا يتكلم بشيء فقال
شهر حدثني محمد بن علي يعني ابن الحنفية ان الله تعالى يبعث
اليه ملكا يضرب وجهه ودبره ويقول كذبت عيسى نبي من
جنسك كفرها وقال مجاهد والضحاك وعكرمة الهاء كناية عن
اليهودي والتقدير لا يخرج احد من اهل الكتاب من الدنيا الا
ويؤمن بعيسى عند موته اذا زال تكليفه وتحقق الموت
ولكن لا ينفعه ذلك الايمان حينئذ تم الجزء
الاول من كتاب متشابه القرآن
تصنيف الشيخ الاجل العالم
الاوحد السعيد الرباني
ابي جعفر
محمد بن علي بن شهر اشوب
المازندراني رضي الله
عنه والحمد لله
صبح ٢٤ صفر
سنة
١٢٥٥

